





ضياء الفرقان في قسير القرآن تفسير القرآن

مجلد ۱۶

سرشناسه : نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸.

عنوان و نام پدیدآور : ضیاء الفرقان فی تفسیرالقرآن / لمؤلفه محمدتقی نقوی قائنی.

مشخصات نشر : تهران: قائن، ۱۳۹۶.

مشخصات ظاهری : ۱۸ج.

شابک : دوره 7-44-8981 ؛ ج. ۱۶: 5-60-964-8981 ؛ ج. ۱۶: 5-60-964-8981

وضعیت فهرست نویسی: فییا.

یادداشت : عربی.

موضوع : تفاسير شيعه قرن ١٤.

Qur'an - - Shiite hermeneutics - - 20th century : موضوع

ردهبندی کنگره ۱۳۹۵ : هض ۷ن/BP ۹۸

ردهبندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : ۴۴۰۴۹۵۲

ضياء الفرقان في تفسير القرآن مجلد السادس عشر

المؤلف: محمد تقى نقوى قائنى الكمية: ١٠٠٠ الطبعة: الاوّل تاريخ الطبع: ١٣٩٧ ش. – ١٤٣٩ ق. تنسيق الصفحات: محسن نقوى

ليتوغرافي: لوح محفوظ المطبعة: گوهر انديشه انتشارات: قائن

تلفن: ۹۱۲۳۱۷۳۵۵۰

مركز التوزيع: تهران - شارع انقلاب - بازارچه كتاب - رقم ١٠ - دارالكتب الاسلامية



شابک: ۵ - ۶۰ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۸۷۸ شابک دوره: ۷ - ۲۴ - ۸۹۸۱ - ۹۶۴ - ۸۷۸

الجزء السادس والعشرون
سُورَةُ ٱلْأَحْقَافِ٩
شُورَةُ مُحَمَّدٍ ٥٣
سُورَةً ٱلْفَتْح
سُورَةُ ٱلْحُجُّراٰتِ
سُورَةً قَ
سُورَةُ ٱلذَّارِياتِ
الجزء السابع والعشرون
شورَةُ ٱلطُّور مُورَةُ الطُّور مُورَةُ الطُّور ٢٥٩
شُورَةُ ٱلنَّجْمُ
سُورَةُ ٱلْقَمَرِشورَةُ ٱلْقَمَرِ
شُورَةُ ٱلرَّحْمَٰنِشورَةُ ٱلرَّحْمَٰنِ
سُورَةُ ٱلْواْقِعَهِ
سُورَةُ ٱلْحَديدِ

الفهرستالفهرست الفهرست الفهرست الفهرست

الجزء السادس و العشرون

ورَّهُ ٱلْأَحْقَافِ ﷺ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

حْمَ (١) تَنْزيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزيزِ ٱلْحَكيم (٢) مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمٰآ إلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلِ مُسَمَّى وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أَنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكُ فِي ٱلسَّمُواٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَابِ مِنْ قَبْلِ هٰذٰآ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقينَ (۴) وَ مَنْ أَضَلَّ مِمَّنْ يَدْعُواً مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَـنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْم ٱلْقِيْمَةِ وَ هُمْ عَنْ دُعْآئِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَ إِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٤) وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ أَيْاتُنَا بَيِّنَاتِ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمًّا جَآءَهُمْ هٰذا سِحْرٌ مُبينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ آفْتَريْهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفيضُونَ فيهِ كَفَى بِهِ شَهيدًا بَيْني وَ بَيْنَكُمْ وَ هُو اَلْغَفُورُ اَلرَّحيمُ (٨) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ ٱلرُّسُٰلِ وَ مٰآ أَدْرِي مِا يُفْعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ



إِلَّا مَا يُوحٰيَ إِلَيَّ وَ مَاۤ أَنَا إِلَّا نَذيرٌ مُبينٌ (٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ وَكَفَرْتُمْ به وَ شَهدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنيَ إِسْرَائِيلَ عَـلْي مِـثْلِهِ فَـاٰمَنَ وَ ٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ (١٠) وَ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ أَمَنُوا لَوْ كَأَنَ خَيْرًا ما سَبَقُونا آلِيْهِ وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هٰذٰآ إِفْكُ قَديمٌ (١١) وَ مِنْ قَـبْلِهِ كِتْابُ مُوسْنَ إِمَامًا وَ رَحْمَةً وَ هٰـذَا كِـتَابُ مُصَدِّقٌ لِسْانًا عَرَبيًّا لِيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ ظَـلَمُوا وَ بُشْرٰى لِلْمُحْسِنِينَ (١٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولٰئِكَ أَصْحابُ ٱلْجَنَّةِ خَالِدينَ فيها جَزْآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) وَ وَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بُواٰلِدَيْهِ إِحْسٰانًا حَمَلَتْهُ أَمُّهُ كُرْهًا وَ وَضَعَتُّهُ كُرْهًا وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتُّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزعْنيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَاللِّدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَيْهُ وَ أَصْلِحُ لَى فَى ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمينَٰ (١٥) أُولٰئِكَ ٱلَّذينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ نَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَيَ أَصْحَابِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١۶)

، الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴾ } ألمجلد الس

أَثْلَارَةٍ: يقال أثرت العلم رويته و قيل الإثارة شئي يستخرج منه.

أَفْتَر يِهُ: الإفتراء الكذب.

تُفيضُونَ: يقال أفاض القوم في الحديث إذا مضوا فيه.

بدُّعًا: البدع بكسر الباء و سكون الدَّال الأوِّل في الأمر.

إفَّك: بكسر الألف الكذب.

أَوْزِعْنيّ: الإيزاع المنع من الإنصراف عن الشّي ا

◄ الإعراب

مِنْ قَبْل هٰذَآ في موضع جرًّ أي بكتابِ منزّلِ من قبل هذا مَنْ لَا يَسْتَجيبُ لَهُ من، في موضع نصب، بيدعوا و هي نكرة موصوفة أو بمعنى، الّذي، ما كَنْتُ بِدْعًا أي ذا بدع و يجوز أن يكون وصفًا و يقرأ بفتح الدّال و هو جـمع بدعة أي ذا بدع وكَفَرْتُمْ بِهِ أي و قد كفرتم فيكون حالاً أمّا جواب الشّرط فمحذوف تقديره، ألستم ظالمين إمامًا وَ رَحْمَةً حالان من كتاب موسى لِسْانًا حال من الضَّمير في مصدّق أو حالٌ من كتاب لأنَّه وصفٌّ و يجوز أن يكون مفعولاً لمصدّق أي هذا الكتاب يصدّق لسان محمّد اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عُلَا الكتاب يصدّق لسان محمّد اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَمُ معطوف على موضع، لينذر، خُالِدينَ فيها حال من أصحاب الجنَّة و جَزْآءً في موضع الحال (حسناً) مفعول ثانِ أوصى وكُرْهًا حال كونها كارهة و أرْبعينَ مفعول بلغ في أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ في موضع رفع.

قد مرَّ الكلام في الحروف المقطّعة و قلنا أنّ المشهور أنّها أسماء للسُّور.

تَنْزيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزيزِ ٱلْحَكيم

قد مضى تفسير هذه الآية في الجاثية و قيل في وجه تكرير الآية أنّ هـذه السُّورة حالها حال السُّورة الَّتي قبلها في أنَّه تعالى نزَّلها و شرَّفها و كرَّمها في الإضافة إلى العزيز الحكيم، و العزيز القادر الَّذي لا يغالب و لا يقهر و قيل هـو العزيز في إنتقامه من أعداءه الحكيم في أفعاله.

مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمْ ٓ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلِ مُسَمَّى وَ ٱلَّذينَ كَفَرُوا عَمَّآ أَنْذِرُوا مُعْرضُونَ

ما، نافية أخبر اللَّه تعالى في هذه الآية أنَّه ما خلق السَّموات و الأرض و ما بينهما، من الموجودات، إلاّ بالحقّ، لا بالباطل لأنّ الباطل لغوّ و عبث و اللُّه منزّه عن النّقائص و القبائح و حيث أنّ اللّه هو الحقّ بقولِ مطلق على ما مرَّ الكلام فيه فكلّ ما صدر أو يصدر منه أيضاً حقٌّ لأنّ الحقّ لا يفعل إلاّ حقّاً و لا يقول إلاَّ حقًّا و ذلك لأنَّ فعل الباطل منشأه الجهل و هو تعالى منزَّهُ عنه.

و في قوله: وَ أَجَلِ مُسَمَّى إشارة إلى ما هو مذكور للملائكة في اللّوح المحفوظ قاله في التّبيان.

و قال بعض المفسّرين المراد به القيامة نقله عن إبن عبّاس قال لأنَّـه هـو الأجـل الَّـذي تنتهي إليه السَّموات و الأرض و قيل أنَّه الأجـل جزء عهر المقدّر لكلّ مخلوق، و يحتمل أن يكون هذا إشارة إلى حدوثهما لأنّ الموجود إذا كان لوجوده أوَّل و أخر فهو حادث و لا قديم سوى الله تعالى و في قوله: وَ أَجَل مُسَمَّى إشارة إلى أنّ العلم بالأجل مختصٌّ باللَّه تعالى و هو

و قوله: وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّآ أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ أي معرضون عن العذاب الَّذي أنذروا به و ذلك لإنكارهم القيامة و الجزاء.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

قُلْ أَرَأَ يْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكُ فِي السَّمُواتِ اَتْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذَاۤ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقينَ

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ تقدير الكلام من دون الله ألهة، و المعنى قل يا محمّد لهؤلاء الكفّار أرأيتم ما تدعون و تعبدون من دون الله، من الأصنام و الأوثان ألهة، بأيّ شئ إستحقوا ذلك أَرُوني ماذا خَلَقُوا في مِنَ ٱلْأَرْضِ فإستَّحقوا بذلك العبادة أمْ لَهُمْ شِرْكُ فِي ٱلسَّمٰواٰتِ أي في خلق السموات آئتُوني يحتابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذآ أي من قبل هذا القرآن دلً على ذلك أو أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ أي بقيّةٍ من يستخرج منه فيثار فيعلم به ما هو منفعة لكم وبعبارة أخرى أيّ دليلٍ دل على ذلك عقلاً إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ في قولكم بعبادة الأصنام و إستحقاقها العبادة هذا تفسير ألفاظ الآية و توضيحها إجمالاً:

أنّه لا شكّ في أنّ السّموات و الأرض موجودان و هذا أمرٌ محسوس لكلّ أحدٍ لا يحتاج إلى دليل عقليّ أو نقليّ لأنهما مدركان بالحسّ و العيان يراهما الكافر و المؤمن و العالم و الجاهل و لا يشكّ في وجودهما أحد، ثمّ أنّ الموجود الحادث لابدّ له من محدث يوجده و يخرجه من العدم إلى الوجود لأنّ الحادث من الممكنات و كلّ ممكنٍ نسبته إلى الوجود و العدم على حدّ سواء فلابدّ له من مخرج يخرجه عن حدّ الإستواء و يوجده و هذا ممّا يحكم به كلّ عقلٍ سليم و على هذا فلهما أي السّموات و الأرض خالق، ثمّ أنّ الخالق هو الذي يستحقّ أن يعبد لا غيره لأنّه أنعم على خلقه بالوجود الذي لا نعمة أعلى و أشرف منه و قد ثبت أنّ شكر المنعم واجب عقلاً و نقلاً و قد ظهر منه العبادة و الخضوع و هذا الذي ذكرناه ممّا لاكلام فيه عقلاً و نقلاً و قد ظهر منه أنّ شكر المنعم واجب و أمّا غير المنعم فلا إذا عرفت هذا فنقول أنّ الله تعالى أمر نبيّه محمّد اللهوات المنعم والجب و أمّا غير المنعم فلا إذا عرفت هذا فنقول أنّ الله تعالى أمر نبيّه محمّد اللهوات المقول الهؤلاء الكفّار الذّين يعبدون الأصنام أنتم

تعبدون الأصنام و الأوثان و المعبود ينبغي أن يكون مستحقًا للعبادة عقلاً و العابد ينبغي أن يعلم أنّه مستحقّ للعبادة هل أنتم علمتم بذلك ام لا فأن علمتم به بيّنوا لي من أين علمتم و بأيّ شئ إستحقّوا ذلك فأنّ الأمر يدور بين أمرين: أحدهما: أن يكون المعبود خالقاً.

الثّاني: أن يكون شريكاً له بحيث لولاه لم يقدر الخالق على الإيجاد و كلاهما منتفيان في المقام.

أمّا الأوّل: فواضح لأنّ الجماد لا يكون خالقاً لذوي العقول لأنّ معطي الشّئ لا يكون فاقداً له.

الثّاني: أيضاً غير معقول لوجهين:

أحدهما: أنّ الشّريكين لا يخلو حالهما إمّا أن يكونا جمادين، أو عالمين، أو أحدهما عالمٌ و الأخر جماد.

أمّا الأوّل: فلا سبيل اليه لأنّ حكم الأمثال واحد فضَّم جماد بجماد آخر من قبيل ضمّ معدوم بمعدوم آخر و هو كما ترى لا يسمن و لا يغني مضافاً الى أنّ معطي العلم لا يكون فاقداً له، و لا سبيل الى الثّاني أيضاً لأنّهما إن كانا عالمين غير جمادين فإمّا أن يكون أحدهما قادراً على الخلق و الإيجاد أو لا يكون فأن كان قادراً على الإيجاد فلا يحتاج الى شريكِ و أن كان غير قادرٍ فهو ضعيف يحتاج الى شريك و حينئذٍ يلزم توارد العلّتين على معلولٍ واحدٍ محال مضافاً الى أنّ الضّعيف لا يصلح أن يكون خالقاً لأنّ كلّ ضعيفٍ محتاج الى غيره و الإحتياج مساوقٌ للإمكان و لازم ذلك أن يكونا من الممكنات و كلّ ممكنٍ مخلوق و هذا خلاف الفرض.

و لا سبيل الى الثّالث أيضاً لأنّ الجماد الّـذي لا شـعور له لا يكـون شـريكاً للعالم القادر فإذاً ثبت و تحقّق أنّ اللّه تعالى هو الخالق لا غيره.

الوجه الثّاني: أنّ الخالق الموجد لابدّ له من آثارِ تدَّل على خالقيّته منتفيةً في المقام و ذلك لأنّ السّماء و الأرض من سنخ الجماد فلو كان الصَّنم و الوثن

لفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴾ المجلد السا و الشّمس و القمر و غيرها خالق السّماء و الأرض لزم أن يكون الجماد خالقاً لنفسه أيضاً و هو محال لأنّ الشّئ الواحد بما هو واحد لا يكون علة و معلولاً معاً للزومه تقدّم الشّئ على نفسه و قد حكم العقل بإستحالته لأنّه من إجتماع النقيضين، فقوله تعالى: ٱ تُتُوني بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هٰذَآ إشارة الى دليل النقل على ما إدّعوه.

و قوله: أَوْ أَثْارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إشارة الى دليل العقل، و هما منتفيان في المقام. أمّا الأوّل: فواضحٌ و أمّا التّاني، فلما ذكرناه و إستدللنا عليه.

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ مَنْ لا يَسْتَجبِبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيمَةِ وَ هُمْ عَنْ دُعْآئِهِمْ غَافِلُونَ

أي إذا كان الأمر على منوال ما ذكرناه من عدم دلالة النّقل و العقل على عبادة غير اللّه تعالى فمن أضل و أشقى ممن يدعوا و يعبد من دون اللّه من لا يقدر على الإستجابة لمن يدعوه الى يوم القيامة و هم، أي عبّاد الأصنام و الأوثان عن دعاءهم الأصنام و الأوثان غافلون، أي أنّهم غافلون من أنّ غير اللّه تعالى لا يقدر على كشف الضرّ عن عبده و لا على قضاء حوائجه لأنّه مخلوق مثله و العبد و ما في يده كان لمولاه، و أنمّا قال و من أضل منه، على سبيل الإستفهام الإنكاري أي ليس أضل منه أحد، لأنّ المعبود الّذي لا يقدر على قضاء حوائج العبد سواء كان من سنخ الجماد كالأصنام و أمثالها أو من غيره من أصناف النّبات و الحيوان، فهو من أحمق النّاس و أضلّهم و أشقاهم حيث من أصناف النّبات و الحيوان، فهو من أحمق النّاس و أضلّهم و أشقاهم حيث إتّخذ معبوداً مثله أو أخسّ و لا نعني باللّغو و العبث إلّهذا.

وَ إِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ هذه الآية بمنزلة الدّليل على ما ذكره في الآية السّابقة من كون الكافر المشرك باللّه أضلّ من غيره و حاصل الإستدلال أنّه إذا حشر النّاس يوم القيامة و بعثهم الله للثواب و العقاب، كانوا لهم أعداء، يعني الأوثان الّتي عبدوها في دار الدُّنيا و طلبوا منها حوائجهم، أعداءهم، أي أعداء من عبدها و ذلك لأنّ اللّه ينطقهم يوم القيامة حتّى يجحدوا أن يكونوا دعوا الى عبادتهم، و كانوا بعبادتهم كافرين، يعني يكفرون بعبادة الكفّار لهم و ينكرون ذلك عليهم، فمن عبد معبوداً كذلك فهو أضلّ النّاس لأنّ عدم إتّخاذ المعبود بالكلّية أولى و أحسن من عبادة الأصنام و أمثالها و أن شئت قلت أنّ العابد للصنّم و الوثن أضلّ ممّن لم يتّخذ لنفسه معبوداً أصلاً، و ذلك لأنّ عدم الإتّخاذ دليل على الكفر فقط و أمّا إتّخاذ ما لا يضر و لا ينفع دليل على الحماقة و الكفر و من الكفر فقط و أنّ الكافر الأحمق أضلّ من الكافر غيره.

و قال بعض المفسّرين معنى الآية أنّهم أي الكفّار عادوا معبوداتهم لأنهم كانوا سبب هلاكهم و جحدوا المعبودون عبادتهم و هو قوله: وَ كُانُوا بِعِبادَتِهِمْ كَافِرينَ.

وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ أَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ

أي و إذا تتلى على هؤلاء الكفّار آياتنا بيّنات، يعني القرآن قال الّذين كفروا للحقّ هذا سحرٌ مبين، أي ظاهر، و الغرض أنّهم يحملون الأيات على السّحر، عناداً و تعصُّباً من غير تفكّرٍ فيها ولو تفكّروا فيها حقّ التفكّر و أخرجوا العناد و التعصُّب الجاهليّة عن قلوبهم لعلموا أنّ الأيات كلام الله وكلام الحقّ لا يكون باطلاً أبداً.

أَمْ يَقُولُونَ آفْتَريهُ قُلْ إِنِ آفْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفيضُونَ فيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْني وَ بَيْنَكُمْ وَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحيمُ



ضياء الفرقان في تفسير القرآ

۲۶ - که اسخار اسادس قيل الميم صلة و التقدير، أيقولون، و هو إضرابٌ عن ذكر تسميتهم الأيات سحراً و معنى الهمزة في، أم الإنكار و التعجب كأنّه قال تعالى، دع هذا و أسمع قولهم المستنكر المفضي الى التعجُّب و ذلك أنّ محمداً الله العرب لكانت قدرته على الله ولو قدر عليه دون أمّة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة و إذا كانت معجزة كانت تصديقاً من الله له و الحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفترياً إنتهى ما ذكره بعض المفسّرين في تفسير الآية.

أقول ما ذكره هذا المفسّر في تفسير الآية أخذه عن صاحب الكشّاف بل هو هو بعينه و ألفاظه ألفاظه مع أدنى تفاوت فيها، و كيف كان فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّ الكفّار قالوا أنّ النّبي إفترى على اللّه أي إختلقه من عند نفسه و أنّ اللّه لم يقل ذلك و بعبارة أخرى الأيات القرأنيّة ليست من كلام اللّه قل، يا محمّد لهم إن إفتريته على ما تقولون، فلا تملكون لي من اللّه شيئاً، أي لا يمكنكم أن تمنعوا اللّه منّي إذا أراد إهلاكي على إفترائي عليه لأنّه قادرٌ على عقوبتي على هذا الذّنب العظيم فكيف افتريه و أتعرّض لعقابه، و مثله قوله تعالى: فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسيحَ آبْنَ مَرْيَمَ وَ أُمّهُ (١).

يقال فلان لا يملك إذا غضب و لا يملك عنانه إذا صمّم و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً و منه قوله تعالى: لا أَهْلِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شَيئاء ثمّ قال: هُو أَعْلَمُ بِما تُفيضُونَ فيه الإفاضة الإشاعة يقال أفاض القوم في الحديث إذا مضوا فيه، و حديث مستفيض أي شائع و المعنى هو، أي الله تعالى أعلم بما تنسبون إلى أياته من القدح في وحي الله و الطّعن في أياته سحراً تارةً و فرية أخرى (كفى به) أي كفى بالله شهيداً بيني و بينكم، يشهد لي بالصّدق و البلاغ و يشهد عليكم بالكذب.

قال بعض المفسّرين معنى ذكر العلم و الشّهادة وعيدٌ من الله بجزاء إفاضتهم وَ هُو الْغَفُورُ لمن تاب الرَّحيمُ بعباده المؤمنين، أو هو الغفور لذنوب عباده، الرّحيم، بكثرة نعمه عليهم.

قُلْ مَاكُنْتُ بِدْعًا مِنَ ٱلرُّسُٰلِ وَ مَاۤ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَ لا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحٰىَ إِلَىَّ وَ مَاۤ أَنَا إِلَّا نَذيرٌ مُبينٌ

البدع بكسر الباء و سكون الدّال و العين المهملة أوّل الأمر و منه الإبداع بمعنى الإنشاء و الإيجاد بلا إحتذاء و إقتداء إذا أستعمل في اللّه تعالى لأنّه أوجد الأشياء بغير ألةٍ و لا مادّة و لا زمانٍ و لا مكانٍ و ليس ذلك إلاّ له و أمّا اذا أستعمل اللّفظ في غيره تعالى فليس بمعنى الإيجاد بل هو بمعنى الأوّل في الأمر قال الشّاعر:

فلا أنا بدعُ من حوادث تعترى رجالاً عرت من بعد بؤسٍ و أسعد قال إبن عبّاس و قتادة معناه ما كنت أوّل رسولٍ بعثه اللّه، و قرأ عكرمة و غيره، بدَعاً بفتح الدّال على تقدير حذف المضاف و المعنى ما كنت صاحب بدع.

قال بعض أهل التّحقيق ما كُنْتُ بِدْعًا مِنَ ٱلرُّسُلِ قيل معناه مبدعاً لم يتقدّمني رسولٌ، و قيل معناه مبدعاً فيما أقوله و البدعة في المذهب إيراد قولٍ مخترع من عند نفسه ثمّ ينسبه إلى صاحب الشريعة.

و روي عن النّبي أنّه قال: كلّ محدثةٍ بدعةٍ و كلّ بدعة ضلالة و كلّ ضلالةٍ في النّار.

أقول و على هذا ففي معنى الكلام إحتمالان:

أحدهما: ما كنت أوّل من أرسل الله بل كان قبلي رسلً.

الثّاني: ما كنت صاحب بدعةٍ فيما أقول أي ليس هذا قولاً محدثاً بل كان الأنبياء قبلي أيضاً كذلك.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🏽 🗸

ير القرآن ﴿ مَحْمَدُ السَادَسُ

و قال الحسن معناه لا أدري ما يأمرني الله تعالى فيكم من حربٍ و سلمٍ أو تعجيل عقابكم أو تأخيره.

إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحِٰىَ إِلَىَّ إِن، نافية أي لااتَّبع إلاّ الوحي من الله تعالى فلا أقول لكم إلاّ ما أوحى الله إليّ و أمرني تبليغه و هذا هو الفرق بين النّبي و غيره من أفراد البشر:

قال اللّه تعالىٰ: وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوْيَ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوخَى (١). قال اللّه تعالىٰ: قُلْ إِنَّمَاۤ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوخَيۤ (٢).

و قد مرَّ الكلام في معنى الوحي فيما تقدَّم وَ مَا آَنَا إِلَّا نَذْيِرٌ مُبِينٌ أي و لست إلاَ مخوّفاً من عقاب الله و محذّراً من معاصيه و مرّغباً في طاعاته، وصف الله نبيّه بهذا الوصف في كثير من الأيات بل لا منذر إلاّ النّبي:

قال الله تعالى: إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ^(٣).

قال الله تعالى: وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِي ٱلْأَمْرُ^(۴).

قال اللّه تعالى: إِنْ هُوَ إِلَّا مَذْبِرُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىٰ عَذَابٍ شَدَبِدٍ (^(۵) والأيات كثيرة.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنَيَ إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَامَنَ وَ ٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللهَ لا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ

١- النَّجم = ٢ / ٣

٢- فصّلت = ۶

۴- مَريم = ۳۹

۳- الرّعد = ۷ ۵- سَداً = ۴۶

ثمّ قال تعالى: قُلْ يا محمّد الله المؤلاء الكفّار المنكرين أنّ القرآن كلام الله إِنْ كَانَ القرآن مِنْ عِنْدِ آلله وَ كَفَرْتُمْ بِهِ أي بالقرآن وَ شَهِدَ شاهِدٌ مِنْ بَنيَ إِسْرائيلَ عَلَى مِثْلِهِ قيل المراد بالشّاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام جاء إلى النّبي و قال يا رسول الله سل اليهود عني فأنّهم يقولون هو أعلمنا فإذا قالوا ذلك قلت لهم أنّ التّوراة دالّة على نبوّتك و أنّ صفاتك فيها واضحة فلما سألهم عن ذلك قالوا ذلك فحينئذٍ أظهر إبن سلام إيمانه و أوقفهم على ذلك فقالوا هو شرّنا و إبن شرّنا.

و قال الفّراء الشّاهد كان رجلاً من اليهود و قال مسروق هو موسى و التّوراة لا إبن سلام لأنّه أسلم بالمدينة و السُّورة مكّية ثمّ قال أنّ موسى شهد على التّوراة كما شهد النّبى على القرأن.

أقول هذا بعيدٌ غاية البعد و ذلك لأنّ الآية ظاهرة في شهادة الشّاهد في حياة النّبي و أمّا شهادة موسى على صحّة التّوراة و أنّها كلام اللّه لا تفيد في عصر النّبي لإنكار اليهود ذلك هذا أوّلاً.

ثانياً: قوله في الأية فَاٰمَنَ أي امن الشّاهد بالنّبي بعد الشّهادة إتماماً للحجّة على اليهود و لا معنى لشهادة موسى و إيمانه بعدها، فالحقّ أنّ الشّاهد كان رجلاً من اليهود في عصر النّبي و أنّه أمن بالرّسول بعد الشّهادة سواء كان عبد الله بن سلام أم غيره و الآية تدلّ على وجود الشّاهد فقط.

و أمّا قوله: وَ ٱسْتَكُبَرْتُمْ إِنَّ ٱللهَ لا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ أي فإستكبرتم من الإيمان، بعد وقوع الإيمان من الشّاهد و جواب إِنْ كَانَ مِنْ فإستكبرتم من اللهِ محذوف أي فلا تؤمنون، و قيل تقديره فَأَمَنَ وَ ٱسْتَكُبَرْتُمْ أَنّما تهلكون، و قيل جوابه، فمن أضل منكم.

وَ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ اٰمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونٰآ إِلَيْهِ وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهٖ فَسَيَقُولُونَ هٰذٰآ إِفْكُ قَديمٌ سياء الفرقان في تفسير القرآن 🏽 🗸

المجلد السادس

أخبر الله في هذه الآية أنّ الكفّار الّذين جحدوا وحدانيّة اللّه و نبوّة محمّد اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ قَالُوا للَّذين أمنوا و صدَّقوا رسوله، لو كان، الإيمان (خيراً) ما سبقونا هؤلاء الكفّار الّذين أمنوا به (إليه) أي إلى الإيمان و إتّباعه و ذلك لأنّا كنّا بذلك أولى و أخرى منهم.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية إختلفوا في سبب نزولها على أقوالٍ:

أحدها: أنّ أبا ذر الغفّاري دعاه النّبي إلى الإسلام بمكّة فأجاب و إستجار به قومه فأتاه زعيمهم فأسلم ثمّ دعاهم الزَّعيم فأسلموا فبلغ ذلك قريشاً فقالوا غفّار الحلفاء لو كان هذا خيراً ما سبقو نا إليه فنزّلت الآية.

الثَّاني: أنَّ زنّيرة أسلمت فأصيب بصرها فقالوا لها أصابك اللآت و العزّى فرَّد الله عليها بصرها فقال عظماء قريش لو كان ما جاء به محمّد خيراً ما سبقتنا إليه (زنيرة) فأنزل الله هذه الآية.

الثَّالث: أنَّ الَّذين كفروا هم بنو عامر و غطفان و تـميم و أسـد و حـنظلة و أشجع قالوا لمن أسلم من غفّار و غيرهم ممّن أسلم لو كان ما جاء بـ محمّد خيراً ما سبقونا إليه.

الرّابع: قال قتادة نزلت في مشركي قريش قالوا لو كان ما يدعونا إليه محمّد خيراً ما سبقنا إليه بلال و صهيب و عمّار و فلان و فلان.

الخامس: أنّ الّذين كفروا من اليهود قالوا للّذين أمنوا يـعني عـبد اللّـه بـن سلام و أصحابه لو كان دين محمّد ثَلَةُرْتُكَارُ حقّاً ما سبقونا إليه و هـذا أشـهر الأقوال و إليه مال أكثر المفسّرين إنتهي موضع الحاجة منه.

و قوله: وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذْ آ إِفْكٌ قَديمٌ أي وإذ لَم يهتدوا هؤلاء الكفّار به، أي بالقرأن أو بالنّبي، فسيقولون هذا، أي القرأن، إفكّ و كـذبّ قديم كما قالوا، أساطير الأوّلين و هذا دليلٌ على من جهل شيئاً عاداه، كما قيل الجاهلون لأهل العلم أعداءٌ.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مُمْ ﴾ .

أقول إذا كان الكفّار لعدم إصابتهم الهدى بالقرأن عادوه و نسبوه إلى الكذب كما دلَّت عليه الآية فالمسلمون أيضاً لمّا لم يهتدوا بالقرأن النّاطق أميرالمؤمنين عليًا عادوه و نسبوه إلى الكذب وسبُّوه على المنابر و لعنوه بل لم يقنعوا بذلك حتى قتلوه و لا فرق في ذلك بينهم و بين الكفّار كما لا فرق بين إنكار القرآن النّاطق و الصّامت وكما أنّ عدم الإهتداء بالقرأن الصّامت من خبث طينة الكفّار و سوء سريرتهم و لا ذنب للقرأن كذلك عدم الإهتداء بالقرأن النّاطق و هذا ظاهرٌ لا خفاء فيه.

وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسٰىٓ إِمَامًا وَ رَحْمَةً وَ هٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسٰانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ ٱلَّذينَ ظَلَمُوا وَ بُشْرٰى لِلْمُحْسِنينَ

و من قبله، يعني من قبل القرأن كِتَابُ مُوسَى يعني التّوراة إِمامًا وَ رَحْمَةً يعني أنزلنا التّوراة إماماً يهتدى به و رحمةً، يعني نعمةً على الخلق، كما هو شأن جميع الكتب المنزلة على الأنبياء و هذا أي القرآن كِتَابُ مُصَدِّقٌ لذلك الكتاب أعني به التّوراة أي أنّ التّوراة يصدّق القرآن بأنّه منزلٌ من السّماء من جانب الله فالتّوراة مُصدِّق بكسر الدّال و القرأن مصدّقٌ بفتحها و قوله: لِسَانًا عني أنّ القرأن أنزل بلسان العرب لأنّ النّبي و قومه كانوا من العرب.

عليها المصاحف و قرأ نافع و إبن عامر بالتّاء على الخطاب و إختاره أبو عبيدة، على قراءة العامّة و عليها المصاحف و قرأ نافع و إبن عامر بالتّاء على الخطاب و إختاره أبو عبيدة، على فعلى قراءة المشهور معناه لينذر القرآن المصّدق الظالمين على أنفسهم بالكفر و المعصية و بشرى للمحسنين و على هذا فالإنذار و البشارة من أوصاف الكتاب.

و أمّا على قراءة نافع فهو خطاب للنبيّ الله الله و المعنى لتنذريا محمّد الظّالمين و بُشْرى في موضع رفع أي و هو بشرى و قيل، عطفاً على الكتاب، أي و هذا القرآن كتابٌ مصدّقٌ و بشرى هكذا قيل، و أنت ترى أنّ المعنى على

القرائتين يرجع إلى شيِّ واحد و ذلك لأنّ إنذار النبيّ لا يكون إلاّ بـالآيات فـلا فرق بين أن يقال أنّ الكتاب منذر و أن يقال أنّ الرّسول منذر و الأمر سهل بعد وضوح المعنى فأنّ الرّسول أيضاً منذر و مبّشر.

قال اللّه تعالىٰ: يِاۤ أَيُّهَا ٱلنَّبِىُ إِنَّاۤ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذْبِرًا، وَ دَاٰعِيًا إِلَى ٱللّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراٰجًا مُنْبِرًا، وَ بَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ ٱللّٰهِ فَضْلًا كَبِيرًا (١). فَضْلًا كَبِيرًا (١).

قال اللّه تعالىٰ: وَ مَاۤ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَديرً (٢).

و غيرها من الأيات و محصّل الكلام أنّ الإنذار للظّالمين و البشرى للمحسنين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا فَلا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ أَي أَن الذين أمنوا باللّه و رسوله ثمّ إستقاموا على إيمانهم فلا خوف عليهم من عذاب يوم القيامة و لا يحزنون من أهوال القيامة و المراد بالإستقامة على الإيمان الثّبات و البقاء عليه من غير شكّ و ريبٍ و فيه إشارة إلى أنّ الإيمان قد يكون ثابتا و قد يكون متزلزلاً، فالإستقامة عليه كاشف عن يقين المؤمن كما أنّ عدمها كاشفٌ عن عدم يقينه به و أنّه أمن بلسانه دون قلبه و المراد بالإستقامة عليه عدم تزلزل المؤمن في إعتقاده و حفظه من الأفات و هو مشكل جداً ألا ترى أنّ أكثر المؤمنين في صدر الإسلام بعد موت النبيّ خرجوا عن الإيمان عملاً و دخلوا في الكفر الذي كانوا عليه قبل الإسلام من حيث لا يحتسبون فماتوا على عدم الإيمان هذا على مذهبنا من إشتراط العمل في تحقّق الإيمان بحيث أنّ الإيمان يدور مداره وجوداً و عدماً و أمّا على مسلك القوم و هو تحققٌ الإيمان و لذا يقولون أنّ الزّبير و

طلحة و معاوية و أمثالهم ماتوا على الإيمان لأنّهم كانوا يقولون لا إله إلاّ اللّه و أمّا العمل فلا دخل له في تحققه، قل كلٌّ يعمل على شاكلته، فأنّ كلّ حزبٍ بما لديهم فرحون.

أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ ٱلْجَنَّةِ خَالِدينَ فيها جَزٰآءً بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ

أي أولئك اللذين قالوا ربّنا الله ثمّ إستقاموا عليه، أصحاب الجنّة خالدين فيها أبداً دائماً لا يخرجون منها جَزْآءً يِما كانُوا يَعْمَلُونَ في الدّنيا من الإيمان و النُّبات عليه فأنّ النّاس مجزيّون بأعمالهم أن خيراً فخيراً و إن شرّاً فشرّاً و ما ربّك بظلام للعبيد.

و نحن ً نقول اللّهم أجعلنا من المؤمنين و وفّقنا لما تحبّ و ترضى أنّك على كلّ شيٍّ قدير و بالإجابة جديرٌ، و أجعلنا من ورثة جنّة النَّعيم فأنّ ذلك هو الفوز المبين بمحمّدٍ و أله الطّاهرين أمين ربّ العالمين.

في الآية مباحث:

الأوّل: قوله و وصَّيْنَا ٱلْإِنْسٰانَ بِوالدَيْهِ إِحْسٰانًا أي أمرناه أن يحسن النهما، و الحسن عبارة عن كلِّ مبتهج مرغوبٌ فيه، و الإحسان يقال على وجهين:

أحدهما: الإنعام على الغير يقال أحسن إلى فلان.

الثَّاني: إحسَّانٌ في فعله و ذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً و

الفرقان في تفسير القرآن کمک المجلد السادمر

ضياء التوقان في تفسير القرآن نجاً التوقان في تفسير القرآن على هذا قول أميرالمؤمنين عليم التكافئ الناس أبناء ما يحسنون أي منسوبون إلى ما يعلمون و ما يعملونه من الأفعال الحسنة فقوله تعالى: إحسانًا إشارة إلى الوجهين المذكورين و المراد بالوالدين الأب و الأم و الأيات و الأخبار في فضل الإحسان إليهما كثيرة. أمّا الأيات:

قال الله تعالى: وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ بِالْوالدِدَيْنِ الْحُسَانَا (١).

قال الله تعالى: أللا تُشْرِكُوا به شَيْئًا وَ بِالْوالدِيْنِ إِحْسَانًا ٢٠).

قال اللّه تعالى: وَ قَضْى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوۤا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْواٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ ٣٠.

و غيرها من الأيات و ذلك لأنّ حقوقهما على الأولاد كثيرة بل يستفاد من الأخبار أنّهما أعظم حقّاً على الأولاد بعد حقّ الله تعالى.

فعن كتاب المحاسن عن الباقر عليه: سئل رسول الله وَ الله عَلَيْ مَن أَعظم حقاً على الرّجل قال وَ الله وَ الداه إنتهى.

و أنّما قلنا أنّ الوالدين أعظم حقّاً على الرَّجل بعد حقّ اللّه لقوله تعالى: وَ قَضٰى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوۤا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوالدِيْنِ إِحْسَانًا حَكَم اللّه تعالىٰ بالإحسان اليهما بعد عبادة الله و معرفته و هو دليل على المدّعى تكلَّمنا في الإحسان اليهما و ذكرنا الأخبار هناك و قلنا أنّ برّ الوالدين و الإحسان اليهما واجب على كلّ حالٍ برَّين كانا أو فاجرين وكفى في ذلك قوله تعالى: فَلا تَقُلْ لَهُمْ آ أُفٍّ.

البحث الثّانى: في قوله تعالى: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرُهًا وَ وَضَعَتْهُ كُرُهًا الحَمل بفتح الحاء و سكون الميم و اللاّم معنى واحد أعتبر في أشياء كثيرة فسوّى بين لفظه في فعلٍ و فرّق بين كثيرٍ منها في مصادرها فقيل في الأثقال المحمولة في الظّاهر كالشّيُ المحمول على الظّهر، حمل، بكسر الحاء كما يقال حمل بعيرٍ، و

۱- النّساء = ۳۶

في الأثقال المحمولة في الباطن يقال حمل، بفتح الحاء كالولد في البطن و الماء في السّحاب و النَّمرة في الشّجرة تشبيهاً بحمل المرأة، و قوله: كُـرها، الكره المشقّة، و الكره بفتح الكاف مصدر، كره كرهاً، و بضمّها الإسم أي إسم المصدر و قيل هما لغتان كالضَّعف و الشُّهد و الشُّهد، و قيل أنَّ الكره بالضَّم، ما حمل الإنسان على نفسه، و بالفتح ما حمل على غيره قهراً و غضباً و لهذا قال بعض أهل العربيّة أنّ، كرهاً، بفتح الكاف لحنّ و معنى الكلام أنّ أمّ الإنسان حملته في بطنها بمشقّةٍ و هو كذلك فأنّ في حمل الولد على الأمّ مشقّة و تعب جدّاً و هو محسوس.

الثَّالث: قوله تعالى: حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا قد مضى معنى الحمل، و الفِصال بكسر الفاء التَّفريق بين الصَّبي و الرّضاع و مدّة الرّضاع حولين كاملين لقوله تعالى: وَ ٱلْوالبِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَراد أَنْ يُتِمَّ اَلرَّضَاعَةً ^(١).

و على هذا فيكون أقلّ مدّة الحمل ستّة أشهر لقوله تعالى و حمله و فصاله ثلاثون شهراً.

الرّابع: قوله حَتِّي إذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قيل حتَّىٰ بَلَغ أشُده، أي بلغ حال التّكليف، و قيل، أشدّه، ثلاث و ثلاثون سنة هو وقت بلوغ الحلم، و قيل هو وقت قيام الحجّة عليه، و قيل ثماني عشرة سنة.

أقول الشدّ في الأصل العقد القويّ يقال شدّدت الشّي قوّيت عقده فقوله: بَلَغَ أَشُدَّهُ فيه تنبية على أنّ الإنسان إذا بلغ هذا القدر يتقّوى خلقَه الّـذي هـو عليه فلا يكاد يزايله بعد ذلك و ما أحسن، قول الشّاعر فيه:

إذا المرء في الأربعين و لم يكن له دون ما يهوى حياءُ و لا سترُ و إن جرَّ أسباب الحياة له العمر

فدعه و لا تنفس علیه اَلّذی مضی



إذا عرفت هذا فالحقّ أنّ قوله: إذا بَلَغَ أَشُدّهُ هو أوان الحلم بالنّظر إلى جسمه و قوله و بلغ أربعين سنة، بالنّظر إلى روحه و عقله فأنّ العقل يكمل في الإنسان في هذا السّن أعني به الأربعين فمن فسّر قوله: إذا بَلغَ أَشُدّهُ بالأربعين قد أخطأ و حاصل الكلام أنّ السّن إذا بلغ الأربعين فقد كمل الإنسان جسماً و عقلاً.

الخامس: قوله قال رَبِّ أَوْزِعْنَى أَنْ أَشْكُر نِعْمَتَكَ ٱلَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَى وَالِدَى أَي فلمّا بلغ أربعين سنة قال الإنسان ربّ أوزعني، أي الهمني و على والدى الشّكر إلهام الشُّكر، أن أشكر نعمتك الّتي أنعمت علي و على والدى قيل المراد بالنّعمة الهداية، و بالنّعمة الّتي أنعم اللّه بها على الوالدين الشّفقة و المحبّة حتّى ربيّاني صغيراً، و قيل أنعمت على بالصّحة و العافية و على والدى بالغنى و الثّروة، و الحقّ أنّ المراد بالنّعمة في المقامين جنسها و لا دليل على إختصاصها بما ذكروه فأنّ نعم اللّه كثيرة غير قابلة للإحصاء كما قال تعالى: وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللّهِ لا تُحْصُوها و أفضل النّعم و أشرفها بعد نعمة الإيجاد هو نعمة الدّين أعنى به الإسلام.

و قال صاحب الكشّاف التّوحيد و الإسلام، ولم يعلم أنّ التّوحيد داخل في الإسلام فمن لا توحيد له ليس بمسلم.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية بعد نقله الأقوال الّتي لافائدة في ذكرها ما هذا لفظه، قال علّي رضي الله عنه هذه الآية نزلت في أبى بكر الصّديق رضي الله عنه، أسلم أبواه جميعاً ولم يجتمع لأحدٍ من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره فأوصاه الله بهما و لزم ذلك من بعده إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

أقول غرضه من نقل هذا الحديث المجعول، أنّ أبا بكر كان أفضل من علي و غيره من المهاجرين و الأنصار، و ذلك لأنّ أبويه أسلما، جميعاً بخلاف عليّ

فأنّ أبويه لم يسلما و بقيا على الكفر، و لم يعلم القرطبي أنّ أبا طالب و فاطمة بنت أسد كانا أوّل من أسلم سرّاً و على عليّ النّيلا كان أوّل من أسلم جهراً و بعبارة أخرى، إثّفق المحققون من العامّة و الخاصّة على أنّ أوّل من أسلم من الذّكور على بن أبي طالب عليّ و من الإناث خديجة الكبرى و لم يخالف في هذه المسألة من العامّة إلا شر ذمّة قليلة من المعاندين المتعصّبين أمثال القرطبي و إبن عزم و أمثالهم من الجهّال المبغضين لآل محمّد الله و رسوله بخفاء الى الشّيطان، و لمّا كان أبو طالب عليه السّلام مأموراً من الله و رسوله بخفاء إيمانه لأجل المحافظة على النّبي زعم الملحدون أنّه لم يؤمن بالله مع أنّ إيمانه في الواقع كان مقدّماً على الكلّ و بعبارة لو قلنا أنّ إيمان أبي طالب كان مقدّماً على كلّ المسلمين واقعاً لا ظاهراً فهو حقّ لا مرية فيه هذا أوّلاً.

ثانياً: نقول مجرّد الإسلام الظّاهري لا يثبت الفضيلة ألا ترى أنّ الخوارج كانوا من المسلمين ظاهراً مع أنّهم فعلوا بالإسلام ما فعلوا، و أنمّا تثبت الفضيلة للمسلم المؤمن بسبب أعماله و ترويجه عن الدين و العمل بأحكامه فأقض ما أنت قاض.

السادس: قوله و أَنْ أَعْمَلَ صالِحًا تَرْضيه و فيه إشارة الى الشُّكر العملي الذي هو الأصل في أقسام الشُّكر و ذلك أنّ الشُّكر تارةً يكون باللّسان، و تارةً بالأعمال، فأدنى الشُّكر هو اللّساني، و بعده الحالي، و أفضله العملي، و هذا بلا يتحقّق معنى قولهم، شكر العبد صرف جميع النّعم فيما يرضى الرَّب، و هذا لا يتحقّق إلا بتوفيق من الله و الإستعانة به و لذلك قال: و أَنْ أَعْمَلَ صالِحًا أي أعمل عملًا صالحاً في مقام الشُّكر فأنّ شكر المنعم واجبٌ عقلاً و شرعاً و هو لا يوجد إلا في قالب العمل الصّالح.

السّابع: قوله وَ أَصْلِحْ لَى فَى ذُرِّيَّتَى إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّى مِنَ السَّلِمِينَ أَي إِجعل ذريّتي و أولادي من الصُّلحاء و هذا أيضاً من أحسن الدّعوات.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



قيل المعنى أجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حقّ، و قيل معناه، أجعلهم أبراراً لي مطيعين لك، و قيل معناه، وفقهم لصالح الأعمال الّتي ترضى بها عنهم و قيل معناه، لا تجعل للشّيطان و النّفس الأمّارة بالسَّوء و الهوى عليهم سبيلاً، و هذا أحسن الأقوال، و أحسن الذّراري و أفضلهم و أشرفهم هو ذريّة رسول الله الله الله الله الله على محمّد و آل محمّد، و قد جعل اللّه تعالى ذريّة النّبي من صلب على بن أبى طالب.

قال رسول الله عَلَيْ النَّيْ النَّيْ الله عَلَيْ النَّه تعالى جعل ذرية كلّ نبيّ من صلبه و جعل ذريّتي من صلب على بن أبي طالب عليّ المنافق و لعمري هذا هو الشرف و المقام و الفضيلة و الإنعام لدلالته على أنّ صلبه صلبه و ذريّته ذرّيته و الأصل في ذلك أنّه عَلَيْ النَّيْ عَلَيْ قال: أنا و على على من نُور واحدٍ.

و هذا هو الشّرف الّذي لا شرف فوقه ولنعم ما قيل:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع ثمّ أنّ الله تعالى جعل منهم الأئمّة المعصومين الذين أذهب الله عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً، ولم يوجد في العالم أصلح منهم أبداً.

أُولٰتِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ نَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَيَ أَصْحَابِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ

أولئك، يعني الذين وصَّيناهم و عملواً به من التَّائبين المسلمين المنقادين لله و رسوله، هم الذين نتَّقبل عنهم أحسن ما عملوا، فنتقبّل، بالنُّون و إضافة الفعل إلى الله على قراءة الكسائي و حمزة و خلف و على هذا فقد أخبر الله عن نفسه بأنّه يفعل بهم و هكذا في قوله: نَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ و أمّا على

ضياء الفرقان في تفسير القرآز

قراءة العامّة و هي الياء المضمومة في الفعلين على ما لم يسمّ فاعله لم يذكر الفاعل لأنّه معلوم، لأنّ قبول العمل و التَّجاوز عن سيئات الأعمال و الصَّفح عنها، من شأن الله تعالى لا غيره فالفاعل في المقامين و على القرائتين هو الله إلاّ أنّ الكلام على القراءة الأولى إخبارٌ منه تعالى عن نفسه بخلاف الثّانية فأنّ الفاعل مقدّر لم يذكر في اللّفظ ثمّ قال تعالى: وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلصِّدْقِ ٱلنَّنية و الله يُوعَدُونَ أي أنّ الجزاء الذّي أعطيناهم في القيامة و هو الدّخول في الجنّة و التنّعم بها ممّا وعدناهم في الدّنيا و قد صدقنا فيما وعدنا، و من أصدق من الله قللًا.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



ياء الغرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد السادس عث

وِ ٱلَّذِي قَالَ لِوالدِّيْهِ أُنِّ لَكُمٰاۤ أَتَعِداٰنِنيٓ أَنْ أَخْرَجَ وَ قَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِنْ قَبْلَى وَ هُـمَا يَسْتَغْيِثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ أَمِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَــقُّ فَيَقُولُ مِا هَذَآ إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٧) أُولٰئِكَ ٱلَّذينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فيَ أَمَم قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ ٱلْجِنِّ وَ ٱلْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَأَنُوا خَاسِرِينَ (١٨) وَ لِكُلِّ دَرَجَاتُ مِمًّا عَمِلُوا وَ لِـيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ لَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) وَ يَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ في حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَ ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذاٰبَ ٱلْهُونِ بِمَاكُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَ بِمَاكُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠) وَ ٱذْكُرْ أَخَا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَ قَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنْ بَيْن يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللَّهَ إِبِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْم عَظيم (٢١) قَالُوٓا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ الْهَتِنَا فَأْتِّنَا بِمَا تَّعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِنْدَ ٱللَّهِ وَ أُبَلِغُكُمْ مَا أَرْسِلْتُ بِهِ وَ لَكِبِّيٓ أَرِيكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمُّا رَأُوهُ عُلَرضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هٰذا عارضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ريحٌ فيها عَذابٌ أَليمٌ (٢٢) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْـبَحُوا لَا يُسرٰىَ إِلَّا

مَسْاكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرمينَ (٢٥) وَ لَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فيما آإنْ مَكَّنَّاكُمْ فيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لآ أَبْصارُهُمْ وَ لآ أَفْـدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِايَاتِ ٱللَّهِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٢۶) وَ لَقَدْ أَهْـلَكُنْا مُـا حَوْلَكُمْ مِنَ ٱلْقُرٰى وَ صَرَّفْنَا ٱلْأَيْاتِ لَـعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْ لا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا اللَّهَةَ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَ ذٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَ مَاكَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨) وَ إِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْاٰنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا إِلْى قَـوْمِهِمْ مُنْذِرينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنْآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسِٰى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدي إِلَى ٱلْحَقّ وَ إِلَى طَريق مُسْتَقيم (٣٠) يا قَوْمَنٰآ أَجِيبُوا داْعِيَ ٱللَّهِ وَ اٰمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجِرْكُمْ مِنْ عَذاٰبِ أَلْيِم (٣١) وَ مَنْ لَا يُجِبْ دَاْعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِـمُعْجِزِ فِـي ٱلْأَرْضِوَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءُ أُولٰئِكَ في ضَلال مُبين (٣٢) أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذي خَلَقَ ٱلسَّمْوَاٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرِ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَٰى بَلَىۤ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



خياء الفرقان في تفسير القرآن گرغ قَديرٌ (٣٣) وَ يَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذينَ كَفَرُوا عَلَى اللّهٰ وَرَيّنا قَالَ اللّهٰ وَرَيّنا قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٢) فَاصْبِرْ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٢) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَ لا تَسْتَعْجِلْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَ لا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوآ الِلّا لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوآ الِلّا سَاعَةً مِنْ نَهَا إِبَلاعٌ فَهَلْ يُسَهّلَكُ إِلّا ٱلْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)

✔ اللّغة

أُفِّ: بضمّ الألف كلّ مستقدرٍ من وسخٍ.

يستعنان: الإستغاثة الدُّعاء.

أُسْاطِيرُ: جمع أسطورة و هي ما سطر و لا حقيقة لها.

عادٍ: يعني هود.

دِ الْأَحْقَافِ: الأحقاف الرَّمل فيما بين عمّان إلى حضر موت، و قيل هو وادٍ بين عمّان و مهوة.

لِتَأْفِكُنا: أي لتصرفنا و تمنعنا كذباً و الإفك الكذب.

غارضًا: العارض المارّ بمعنى أنّه لا يلبث (الأودية) جمع وادي.

تُدَمِّرُ: التَّدمير التَّخريب و الباقي واضح

◄ الإعراب

يَسْتَغَيْثَانِ حال و آلله مفعول يستغيثان و وَيْلَكَ مصدر لم يستعمل فعله و قيل هو مفعول به و مِنْ تتَّعلق بخلت مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيَتِهِم الإضافة في تقدير الإنفصال أي مستقبلاً أوديتهم و هو نعت لعارض و ريح خبر متبدأ محذوف

أي هو ريحٌ تُدَمِّرُ نعتُ للرّبح و مَسَا كِنْهُمْ مفعول به فيما إِنْ مَكَّنًا كُمْ ما، بمعنى، الّذي أو نكرة موسوفة و، إن، بمعنى ما النّافية و قيل هي زائدة قُرْبانًا هو مفعول، إتّخذوا اللهقة بدلّ منه إِفْكُهُمْ المصدر مضاف إلى الفاعل أو المفعول وَ ما كَانُوا معطوف على إفكهم يَسْتَمِعُونَ نعتُ لنفر سَاعَةً ظرف ليلبثوا و بَلاغٌ خبر مبتدأ محذوف أي هو بلاغٌ و قد يقرأ بلاغاً و الله أعلم.

◄ التّفسير

وَ ٱلَّذِي قَالَ لِوالِدَيْهِ أُفِّ لَكُمٰآ أَتَعِدانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَ قَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِنْ قَبْلي وَ هُمَا يَسْتَغيثانِ ٱللهَ وَيْلَكَ امِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقُّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّا أَسْاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ

لم يعرف القائل بهذا الكلام فقال بعض المفسّرين هو عبد الرّحمن بن أبى بكر و كان يدعوه أبواه إلى الإسلام فأجابهما بما أخبر الله عزّ وجلّ عنه و قال قتادة و السَّدي أيضاً هو عبد الرّحمن أبي بكر قبل إسلامه و كان أبوه و أمّه أمّ رومان يدعوانه إلى الإسلام و يعدانه بالبعث فأنكر عليهما فنزلت الآية و كانت عائشة أنكرت أن تكون الآية نزلت فيه.

و قال الحسن هي نعت عبد كافر عاق لوالديه و قال محمّد بن زياد كتب معاوية إلى مروان بن الحكم حتّى يبايع النّاس ليزيد (لعنه اللّه) فقال عبد الرّحمن بن أبي بكر لقد جئتم بها هرقليّة أتبايعون لأبنائكم فقال مروان هو الّذي يقول اللّه فيه و اللّذي قال لوالديث أُفِّ لَكُمْ فقالت والله ما هو به و لو شئت لسمّيت و لكنّ الله لعن أباك و أنت في صلبه فأنت فضضٌ من لعنة الله، و لنرجع إلى تفسير ألفاظ الآية و لا يهمّنا البحث في تعيين القائل من هو، أهو عبد الرّحمن إبن أبي بكر أم غيره.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

المجلد السادس ع

وَ ٱلَّذَى قَالَ لِو الدَيْهِ أُفِّ لَكُمْآ قلنا في شرح اللّغات أنّ أصل الأفّ كلّ مستخفً مستقذر من وسخ و قلامة ظفر و ما يجري مجراهما و يقال ذلك لكلّ مستخفً إستقذاراً، نحو قوله تعالى: أفّ لَكُمْ وَ لِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللّهِ (١) يقال لقد أففت لكذا إذا قلت ذلك إستقذاراً أتعد أنني آن أُخْرَجَ من القبر يوم البعث و قَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِنْ قَبْلي أي مضت أمم قبلي و ماتوا فما أخرجوا و لا أعيدوا إلى الدّنيا بعد الموت و لو كان البعث الذي تعدانني حقاً فكيف لم يخرجوا و لم يبعثوا و إذا كان كذلك فالبعث لا معنى له.

وَ هُما يَسْتَغيثانِ اللّه الغوث بفتح الغين يقال في النّصرة و الغيث في المطر يقال إستغثته أي طلبت الغوث أو الغيث فأغاثني من الغوث و غاثني من الغيث قال الله تعالى في قصة موسى عليّلان فاستغاثه الذي مِنْ شبعته على من الغيث قال الله تعالى في قصة موسى عليّلان فالله أي يطلبان النّصرة منه الذي مِنْ عَدُوّه (٢) فالمعنى أنّ أبويه كانا يستغيثان الله أي يطلبان النّصرة منه تعالى فقالا له: وَيُلكَ أمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقُّ الْوَيل بفتح الواو و قال الأصمعي، ويل، قبح و قد يستعمل على التحسّر و من قال ويل، واد في جهنم لم يرد أنه في اللّغة موضوع لهذا و أنّما أراد، من قال الله تعالى ذلك فيه، فقد استحقّ مقرّاً من النّار و ثبت ذلك له، و المعنى قال له أبواه و يلك، يعني الويل لك، آمن، بالله و رسوله و البعث إِنَّ وَعْدَ الله بالبعث و القيامة حَقُّ لا مرية فيه لمن أمن به فَيَقُولُ أي فيقول الذي قال لوالديه أفّ لكما، ماهذا إلاّ أساطير الأوّلين، ما، نافية أي ليس هذا القرأن الذي وعد بالبعث و الجزاء و القيامة إلا أساطير الأوّلين، و الأساطير جمع أسطورة و هي الخبر الذي سطر في الكتاب و لا أصل له.

أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فَيَ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ ٱلْجِنِّ وَ الْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ الْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ

أولئك إشارة إلى منكري البعث أي أولئك الذّين لم يؤمنوا باللّه و رسوله و البعث و القيامة. حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ بإستحقاق العقاب و إدخال النّار لكفرهم و عنادهم و إنكارهم ما أخبر اللّه و رسوله به، فَي أُمَم أي مع أمم و جماعات قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ ٱلْجِنِّ وَ ٱلْإِنْسِ أي مع أمم و جماعات قد مضت أيّامهم و ماتوا على الكفر من الجنّ و الإنس فأنّ حكم الأمثال واحد و يظهر من هذه الآية و أمثالها أنّ الجنّ مكلفٌ بالتّكاليف الشّرعية كالإنس و هو كذلك اجماعاً.

إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ هذا الكلام تعليلٌ لدخولهم النّار، كأنّه قال قائل لم دخلوا النّارفقال تعالى أنّهم كانواخاسرين لأعمالهم فضاع سعيهم وخسرواالجنّة.

وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٌ مِمًّا عَمِلُوا وَ لِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ

الوافي الذي بلغ التمام يقال درهم واف وكيل واف، و توفية الشّئ بذله وافياً و إستيفائه تناوله وافياً قال الله تعالى: وُقِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ و معنىٰ الآية أنّ لكلِّ واحدٍ من الفريقين من المؤمنين و الكافرين من الجنّ و الإنس مراتب و درجات يوم القيامة بسبب أعمالهم خيراً و شرّاً.

و إن شئت قلت للتواب درجات و للعقاب أيضاً درجات و ليوفيهم، فمن قرأ بالله أي يجزيهم بالتمام و الكمال، و من قرأ بالنون فعلى وجه الإخبار من الله عن نفسه أنه يوفيهم ثواب أعمالهم و هم لا يظلمون، أي من غير أن ينقص منه شيئاً و ما ربّك بظلامٍ للعبيد و لمثل هذا فليعمل العاملون.

وَ يَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ في حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَ ٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَـذاٰبَ ٱلْـهُونِ بِـمَا كُـنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ نمياء القرقان في تفسير القرآن ﴿ كُمْ عَلَمْ الْعُرَانَ ﴿ كُمُ عَلَمُ اللَّهِ اللَّهِ وَانْ فَي تفسير القرآنَ ﴿ يُمُونًا

الفرقان في تفسير القرآن كالمحافقة

قال صاحب الكشّاف عرضهم على النّار تعذيبهم بها من قولهم، عرض بنو فلان على السَّيف إذا قتلوا به و منه قوله تعالى: أَلتُّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهُ (١) و يجوز أن يراد عرض النّار عليهم من قولهم عرضت النّاقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلّبوا إنتهى كلامه.

أقول معنى الكلام يوم يكشف الغطاء فيقربون الى النّار و ينظرون اليها فالعرض على النّار قربهم اليها كما يقال فلان في معرض الموت أو في معرض الخطر أي هو قريبٌ منه و قد أخبر الله تعالى في هذه الآية عن حال الكفّار و المنافقين الّذين مستمتعين في الدُّنيا بأنواع النّعم من الصّحة و الشّباب و القدرة و المال و غيرها ثمّ أفنوها في معصية اللّه و ماتوا على ذلك فيقال لهم يوم القيامة: أَذْهَبُتُم طَيّباتِكُم في حَياتِكُم الدُّنيْا و تقدير الكلام يقال لهم أذهبتم طيّباتكم، فالقول مضمر قرأ يعقوب و إبن كثير و أبو العالية و الحسن أأذهبتم بهمزة و همام أذهبتم بهمزة و احدة مطوّلة على الإستفهام.

و الباقون بهمزة واحدة من غير مدًّ على الخبر و كلّها لغات فصيحة و معناها التَّوبيخ و العرب توبّخ بالإستفهام و غير الإستفهام وإختار أبو عبيد ترك الإستفهام لأنّه قراءة أكثر القرّاء، نافع و عاصم و أبي عمرو، و حمزة، و الكسائي، مع من وافقهم من غير القرّاء من العلماء، قيل و ترك الإستفهام أحسن لأنّ إثباته يوهم أنّهم لم يفعلوا ذلك كما تقول أنا ظلمتك، تريد أنا لم أظلمك و مع ذلك إثباته حسن أيضاً لا بأس به كما يقول القائل ذهبت فعلت كذا، يوبّخ و يقول، أذهبت فعلت، كلّ ذلك جائز، و معنى: أَذْهَبْتُمْ طَيّباتِكُمْ أي تمتّعتم بالطّيبات في الدُّنيا و أتبَّعتم الشّهوات و اللّذات يعني المعاصي، و قال إبن بحر، الطيّبات الشّباب و القوّة أي أفنيتموها في الكفر و المعاصي، و

إستدلُّ على ذلك بقولهم، ذهب أطيباه، أي شبابه و قوَّته، و الأحسن حمل الطّيبات على معناها العّام الشّامل للشّباب و القوّة و اللباس و الأكل و الشُّرب و غير ذلك من النِّعم الّتي أنعم الله بها على العبد ممّا يتقّوى به في حياته.

و المقصود أنّ الطّيبات من النِّعم بل من أحسنها و هـذا مـمّا لا شكّ فـيه، ثبت أنّ شكر المنعم واجبٌ عقلاً و هذا أيضاً ممّا لا خلاف فيه، و قد ثبت أيضاً أنّ التّخصيص في الأحكام العقليّة غير جائز، و إتّفقوا على أنّ المراد بالشَّكر المأمور به عقلاً و شرعاً هو الشَّكر العملي دون اللَّساني و الحالي و فسّروه بأنّه عبارة عن صرف العبد جميع ما أنعم اللّه عليه في سبيل طاعته دون معصيته.

و المفروض أنّ الكافر و المنافق لم يفعل ذلك بل صرف عمره في معصيته في الدُّنيا و هذا معنى قوله أذهبتم طيّباتكم في الحياة الدُّنيا و أستمتعتم بها، فلم يبق لهم شئ في الأخرة إلاّ العذاب النّابت على كفر النّعم و مسبّبٌ عنه و الى ذلك أشار الله تعالى بقوله: فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ ٱلْهُونِ أي عذاب الخزي و الفضيحة فأنّ الهون، الهوان بلغة قريش و حيث أنّ منشأ الإعراض عن الحقّ و الإقبال الى المعصية لا يكون إلاّ التّكبر على الله و أنّه غير مستّحقٍ للعبادة قال الله تعالى: بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ الباء للسَّبب أي أنَّ الإستكبار سبب العصيان و في قوله: بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ إشارة الى أنَّ مزء ٢٤ الحقّ للعبد التّواضع في جنب خالقه فمن عصاه تكبُّر عليه و من كان كذلك أعرض عن الحقّ و اقبل على الباطل.

تكبُّر وضعه الله، كما فعل الله ذلك بالشّيطان حيث أبي عن السُّجود لأدم و إستكبر و كان من الكافرين الملعونين في الدُّنيا و الأخرة و ذلك هو الخسران

و قوله: وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ الواوللعطف و الباء أيضاً للسبب كما في قوله: بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ وعلى هذا فالسَّبَب في العذاب الإستكبار و الفسق معاً و مقتضى العطف التغاير بين المعطوف و المعطوف عليه و لازم ذلك أنّ الاستكبار غير الفسق.

إن قلت الفسق من مصاديق الإستكبار و أىّ فسقٍ أشنع و أعظم منه و بعبارةٍ أخرى ذكر الإستكبار كان ذكر الفسق فما وجه تخصيصه بالذُكر بعد الإستكبار. قلت الإستكبار على وجهين:

أحدهما: أن يتحرى الإنسان و يطلب أن يصير كبيراً و ذلك متى كان على ما يجب و في المكان الذي يجب و في الوقت الذي يجب و هو محمودٌ.

الثّاني: أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له، و هذا هو المذموم و على هذا ورد ما ورد في القرآن و الأثار.

و أمّا الفِسق بكسر الفاء فهو خروج عن حجر الشّرع و ذلك من قولهم فسق الرُّطب إذا خرج عن قشره و على هذا فقد يكون المستكبر، متّصفاً بالفسق أيضاً كما إذا خرج عن حدود الشّرع عملاً و قد لا يكون متّصفاً به، فإذا قيل للكافر الأصلي فاسق فلاّنه أخلَّ بحكم ما ألزمه العقل و إقتضته الفطرة و مع قطع النّظر عن هذا الإعتبار لا يطلق الفاسق على الكافر الأصلي إذا ظهر لك هذا فأعلم أنّ الله تعالى حكم في الآية الشّريفة بالإستكبار و الكفر معاً في الكافر الذي يعرض على النّار، أمّا أنّه مستكبرٌ فهو واضح فأنّ الكفر مسبّبٌ عن الإستكبار.

و أمّا أنّه فاسق فلأنّه خرج عمّا ألزمه العقل و إقتضته الفطرة السليمة فهو كافرٌ و فاسقٌ هذا ما فهمناه من الكلام و اللّه أعلم بما قال.

وَ آذْكُرْ أَخَاعَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهٖ أَلَّا تَعْبُدُوۤ الِاَّ ٱللَّهَ إِبِّىۤ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظيمٍ

إعلم أنّه لمّا توفّی نوح النّبی للتِّلاِ بقی قومه و ذریّته المؤمنون دهـراً طـویلاً يترقّبون هوداً و ينتظرون ظهوره حتّى طال عليهم الأمد و قست قـلوب كـثيرة منهم و أرتدُّوا من الدّين، و أقبلوا على عبادة الأصنام و كان أشـدّهم بأسـاً و أكثرهم كفراً وطغياناً قوماً منهم سكنوا أرض اليمن و بنوا فيها الأبنية و مدّنوا فيها المدن و كان يقال لهم قوم عاد الى أن كثروا و صاروا ثلاث عشرة قبيلة يبلغ عددهم ما شاء الله و كلّهم ينسبون الى عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح و كانت بلادهم ما بين عمّان الى حضرموت و كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً وكانت بلادهم أخصب بلاد العرب و أكثرهم ثماراً و أنهاراً وكانت أعمارهم طويلة يعيش كثير منهم أربع مائة سنة و أجسادهم عظيمة وكانوا أصحاب بطش و شدّة كما قال الله تعالى عنهم: وَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ كَانُوا بِأَيْاتِنَا يَجْحَدُونَ ۖ (^).

و قد مرّ الكلام في قصتّهم هناك إذا عرفت هذا إجمالاً فلنرجع الى تفسير أَلْفَاظَ الآية و نَقُولُ وَ يَا مَحَمَّدُ أَخَا عَادٍ وَ هُو هُودُ النَّبِي لِمَائِلًا إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ أي خوّفهم من عذاب الأحقاف و هي ديار عاد و هي الرّمال العظام في قول الخليل و غيره و كانوا قهروا أهل الأرض بفضل قوّتهم، و الأحقاف جمع حقف و هو ما إستطال من الرّمل العطيم و إعوج و لم يبلغ أن يكون جبلاً و الجمع حقاف و أحقاف يقال إحقوقف الرّمل و الهلال أي إعوج، و قيل هـو رمل مستطيل مشرف، قال إبن زيد هي رمال مشرفة مستطيلة كهيّئة الجبال، و لم تبلغ أن تكون جبالاً.

و قال قتادة هي جبال مشرفة بالشّحر و الشّحر قريب من عدن و هو ساحل بين عمّان و عدن، و قال مجاهد هي أرضٌ من حسمي تسمّي بـالأحقاف و حِسمى بكسر الحاء إسم أرضٍ بالبادية فيها جبال قاله الجوهري.

و قال ابن عبّاس و الضَّحاك الأحقاف جبل بالشّام و قيل واد بين عمان و مهرة، و قيل منازل عاد باليمن في حضرموت بواد يقال له مهرة و إليه تنسب الإبل المهريّة و الأقوال فيها كثيرة و فيما ذكرناه كفاية، و أمّا كيفيّة إنذاره قومه فهو أنّه سمع صوتاً يقول له يا هود قرّ عيناً فأنّ لعاد منّا يوم سوء فرجع هود إلى قومه يكرّر عليهم الإنذار و يتمّ عليهم الحجّة و قال لهم ألا ترون هذه الرّمال كيف تجمّعت أنّي أخاف أن تكون مأمورة بإلقاء العذاب عليكم و أنّ ربّي قد و عدني أن يهلككم فأخذوا يستهزؤن به و أقبلوا بجموعهم على نقل تلك الرّمال إلى البراري فلم تزد الرّمال إلاّ تجمعاً.

وَ قَدْ خَلَتِ ٱلنَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهٖۤ أَلَّا تَعْبُدُوۤ ا إِلَّا ٱللَّهَ أَي لَم يكن هود النّبي أوَّل من أنذر قومه بل قد خلت و مضت النَّذر من الأنبياء من قدّامه و وراءِه و من قبله و بعده.

و قوله: ألّا تَعْبُدُوۤ إِلّا اللّه يحتمل أن يكون دعوة هود و يحتمل أن يكون دعوة جميع الرُّسل أي أنّهم أمروا قومهم بالتّوحيد و أن لا يعبدوا إلاّ اللّه إِنّدَ مَا خَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمِ الظّاهر أنّه من كلام هود في إنذاره قومه.

قَالُوٓا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ الْهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَاۤ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ أي قَال القوم في جواب هود بعد تهديده و تخويفه إيّاهم بالعذاب أَجِئْتَنَا يا هود لِتَأْفِكَنَا و تصرفنا عن ألهتنا التّي نعبدها، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنُاۤ من العذاب، إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ.

قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِنْدَ ٱللَّهِ وَ أُبَلِّغُكُمْ مَاۤ أُرْسِلْتُ بِهِ وَ لٰكِبِّيٓ أَرِيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ

أي قال هود في جواب قومه لمّا قالوا له فَأْتِنا بِمَا تَعِدُناۤ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقينَ، إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ بوقت مجئ العذاب عِنْدَ ٱللّهِ لاعندي و أنّي أُبَلِّغُكُمْ

مْ ٓ أَرْسِلْتُ بِهِ وما على الرَّسول إلاّ البلاغ وَ لَكِبِّيٓ أَريْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ في سؤالكم بإستعجال العذاب ألم تعلموا أنّ العذاب بيد اللّه و الإنذار منه من وظائف النّبي و من لا يعلم ذلك فهو جاهلٌ.

فَلَمَّا رَأُوهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هٰذا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ريحٌ فيها عَذَابٌ أليمٌ

روى أنّ الله تعالى كفُّ السّماء عنهم فلم تمطر عليهم سبع سنين حتّى أصابهم القحط الشّديد و ضجّوا و أشرفوا على الهلاك و أمّا قومه الّذين كفروا به و إستكبروا على خالقهم و تمادوا في الغيّ و الضّلال و ضـاق عـليهم الأمـر إجتمعوا يتشاورون وكانت عادتهم إذا نزل بهم بلاء لجؤوا إلى بيت الله الحرام بمكّة و دعوا الله فيصرف ما نزل بهم فإتَّفقت كلمتهم على بعث وفد إلى مكّة يدعوا هناك للخصب فذهب الوفد و نزلوا على رجل من خيار مكّة من بني بكر و قاموا عنده إلى أن دخلوا البيت الحرام و أخذوا في الدّعاء إلى أن إرتفع فوق رؤوسهم ثلاث قطع من السّحاب، بيضاء، حمراء، سوداء، فإستبشروا زعماً منهم أن تسقيهم الأمطار فسمعوا قائلاً يقول ياقوم إختاروا واحدة من هذه السّحب فإختاروا السّحابة السّوداء وكان فيها العذاب فسيقت السّحابة بأمر الله إلى قوم عاد في اليمن و لمّا رأوها زعموها المطر و إستبشروا بها فجعل يقول بعضهم لبعضٍ هذه السّحابة تمِطرنا الغيث و تزيل عنّا كلّ سوءٍ و إلى نزء Y۶ خلك أشار الله تعالى بقوله: فَلَمُّنا رَأُوهُ عَارِضًا و ردَّ عليهم هود النَّبي بقوله: بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ريحٌ فيها عَذابٌ أليمٌ أي ليس فيها مطركما تزعمون بل هو، أي ما ترونه، ماإستعجلتم به، من العذاب حيث قلتم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصّادقين، فهذا ما وعدتكم به ثمّ بيَّن ما قال فقال: ريحٌ فيها عَدْاْبُ أَلِيمٌ و الرِّيح الّتي عذّبوا بها نشأت من ذلك السّحاب الّذي رأوه و خرج هود من بين أظهرهم فجعلت الرّيح تحمل الفساطيط و تحمل الظّعينة

كأنّها جرادة ثمّ تضرب بها الصُّخور، قيل لمّا خرج هود و من معه كما أمرهم ربّهم و أحسَّ قوم هود بالرّيح أقبلوا عليه يقولون له ياهود أتخوَّفنا بالرّيح ثمّ جمعوا ذراريهم و أموالهم و أهاليهم في شعبٍ من تلك الشّعاب الّتي فيها القصور الشّاهقة و أقاموا على أبوابها يردُّون الرّيح عنها و عمّا فيها فإشتدت الرياح حتى قلعتهم عن الأرض وهبَّت بهم تحملهم إلى اللّجوء إلى تلك القصور ثمّ إزدادت الرّياح عليهم حتى طحنت تلك القصور و الحصون و الأشجار و الرّروع و صارت كلّها رملاً دقيقاً تسفها أقل ريحٍ و عصفت بها سبع ليالٍ و ثمانية أيّام حسوماً.

و إلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله: سَخَّرَها عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيُّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فَيِهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ، فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ (١).

تُدَمِّرُكُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهٰا فَأَصْبَحُوا لا يُرِٰىۤ إِلَّا مَسٰاكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ

التَّدمير إدخال الهلاك على شيّ و كذلك الدّمار التَّدمير التَّخريب و إلقاء بعض الأشياء على بعض و المعنى أنّ الرّيح كانت تدمّر و تخرّب كلّ شيّ بأمر ربّها قَأَصْبَحُوا أي قوم عاد لا يُراى إلله مَساكِنُهُمْ يُرى بضّم الياء بصيغة المجهول و على هذا فالنّون في مساكنهم أيضاً بالضمّ و من قرأ على وجه الخطاب للنبيّ فالنّون في مساكنهم بالفتح، و المشهور بين القراء بالياء على صيغة المجهول، و قوله: كَذْلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ معناه أنّ هذا الهلاك لم يكن مختصاً بقوم عاد بل هو ثابت لازم لكلّ قوم مجرمين أي عاصين متمردين عن طاعة اللّه فأنّ حكم الأمثال واحد.

وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فَيِمْآ إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فَيِهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْتَدَةً فَمْآ أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لا أَبْصَارُهُمْ وَ لا أَفْتُدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِايْاتِ ٱللِّهِ وَ خَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ

قيل، إن، في إِنْ مَكَنَّنَاكُمْ زائدة و تقديره و لقد مكنّاهم فيما مكَّناكم فيه كما قال الشّاعر:

منايانا و دولة أخرينا

فما إن طبنا جبنُ ولكـن و أنشد الأخفش:

يسرجّى المسرء ما إن لا يسراه

و تعرض دون أدناه الخطوب

و قيل أنّ «ما» بمعنى الّذي و «إن» بمعنى، ما، والتّقدير و لقد مكنّاهم في الّذي مكنّاكم فيه، قاله المبّرد، و قيل «إن» شرطيّة و جوابها مضمر محذوف و التّقدير و لقد مكنّاهم فيما إن مكَّناكم فيه كان بغيكم أكثر و عنادكم أشدَّ و تمّ الكلام ثمّ إبتدأ فقال و جَعَلْناهم.

أَقُولَ أَمَّا الوجه الأوّل و هو أن تكون، «إن» زائدة فلا وجه له لأنّه بعيد في كلام الله مع أنّ الأصل أيضاً يقتضى عدم الزّيادة.

أمّا الوجه الثّاني: و الثّالث فلا بأس بهما بل لكلّ واحدٍ منهما وجه وجيه ، و الله العرب و الثّالث و هو أن تكون شرطيّة و الجواب محذوف أي و لقد مكنّا و معاد من الأموال و القوّة و البأس فيما إن مكنّاكم فيه كان بغيكم و عنادكم و عنادكم و تكبّركم أشدٌ و أعظم من عنادهم فأنّ عند الإمتحان يكرم الرَّجل أو يهان.

و أمَّا قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْتَدَةً فَمَا آَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُ وَ لَا أَفْتَدَتُهُمْ ففيه إشارة إلى نُقطة خفية لا بأس سَمْعُهُمْ وَ لَا أَفْتَدَتُهُمْ ففيه إشارة إلى نُقطة خفية لا بأس بالإشارة إليها على سبيل الإجمال.

فنقول الغرض الأصلي من إيجاد السَّمع و البصر في الإنسان ليس مجرّد الإدراك بهما بل الغرض ترتيب أثار الإدراك فأنّ الإنسان يسمع بالأذن و يبصر

ا ما المادس فرقان في تفسير القرآن ﴿ مَمْ السجلد السادس بالعين و نعبّر عنهما بالإدارك و أمّا الأثر المترتّب على السّمع هو القبول إذا كان المسموع حقّاً و عدم القبول إذا كان باطلاً و هكذا الأثر المترتب على البصر بعد الإدراك هو التَّدبر و التفكُّر فيما يراه بعينه و أن يعتبر بهذا الإدراك حقّ الإعتبار و إلى هذا المعنى أشار بقوله: فإعتبرُوا ياأُولي الأبصار، فمن سمع الكلام حقّاً كان أو باطلاً و لم يترتّب على إداركه أثاره من الأخذ بالحقّ و العمل به و ترك الباطل و قنع بمجرّد الإدراك أو رأى شيئاً بعينه و لم يترتّب على رؤيته التَّفكر و الإعتبار للوصول إلى الكمال و البلوغ إلى الأمال فهو كالحيوان فأنّ الحيوان أيضاً يسمع و يرى إلا أنّه لا يقدر على ترتيب الأثار المذكورة فأيّ فرق بين السَّمع و البصر في الإنسان و الحيوان بل نقول هو كالعدم فأنّ الموجود بما هو موجود مع قطع النّظر عن الأثار المترتّبة عليه لا خير فيه فأنّ الموجود بما هو موجود فأنّ فضيلة كلّ موجود بأثاره، و هكذا الكلام في الفؤاد و القلب فأنّ اللّه تعالى جعله في الإنسان للتَّفقة فمن لا تفقّه في قلبه كأنّه لا

قال اللّه تعالىٰ: وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثْبِرًا مِنَ ٱلْجِنِّ وَ ٱلْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبُ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَذَانُ لَا يَسْ مَعُونَ بِهَآ أُولُئِكَ كَالْأَنْعَام بَلْ هُمْ أَضَلُ أُولُئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ (١).

نفى الله تعالى في هذه الآية التفقُّه عن قلوبهم والتبصُّر عن أعينهم والسَّمع عن أذانهم ثمّ جعلهم كالأنعام ثمّ قال بل هم أضلّ من الأنعام و وصفهم ثالثاً بالغفلة و قال أولئك هم الغافلون، أى أنّهم غافلون عمّا خلق كلّ واحدٍ منها لأجله من الأثار المطلوبة و من المعلوم أنّ نفى الأثار جعلِهم كالحيوانِ ظاهر.

إذا عرفت هذا فقوله تعالى: وَ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْتُدَةً فَمْآ أَغْنَى عَنْهُمْ معناه أنّهم لم ينتفعوا بها حقّ الإنتفاع فسمعوا كلام الأنبياء و أيات الله ثمّ أنكروها و رأوا بأعينهم أثار العذاب في الأمم السّابقة و لم يعتبروا بها و من كان كذلك فما أغنى عنهم سمعهم و لا أبصارهم عن عذاب الله لبقائهم على الإنكار و الإستهزاء بأيات الله.

وَ لَقَدْ أَهْلَكُنّا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ ٱلْقُرٰى وَ صَرَّفْنَا ٱلْأَيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ الخطاب في قوله: مَا حَوْلَكُمْ لأهل مكة من الكفّار و المشركين و أنّما قال ما حولكم من القرى، لأنّ بلاد قوم لوط و ثمود و نحوهما كانت بقرب بلاد العرب و كانت أخبارهم متواترة عندهم، فلمّا أهلكهم اللّه بكفرهم ينبغي أن يعتبروا بهم و قوله: و صَرَّفْنَا ٱلْأَيَاتِ فالتَّصريف تصييرها في الجهات و هو تارةً يكون في الألفاظ و تارةً في المعاني فالأوّل مثل ضرب ضرباً ضربوا إلى أخرها.

الثّانى: كتصييره تارةً مع هذا الشّئ و تارةً مع ذلك الشّئ و على هذا فتصريف الأيات تارةً يكون في الإعجاز، و تارةً في الإهلاك، و تارةً في التّذكير بالنّعم و تارةً في وصف الأبرار و تارةً في وصف الفجّار و الفسّاق كلّ ذلك للإعتبار لَعَلّهُم مُ يَرْجِعُونَ أي أنّما صرّفنا الأيات لكي يرجعوا إلى طاعة الله و يجتنبوا عن معاصيه، و المقصود إتمام الحجّة عليهم.

فَلَوْلانَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ قُرْبَانَا اللهَةَ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَ كَالُو عَنْهُمْ وَ لَا يَعْتَرُونَ إِللّٰهِ قُرْبَانَا اللهَةَ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَ إِلَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

قوله: فَلَوْلا معناه، فهلاً، المفسّرون جميعاً، فمعنى الأية، فهلاً نصرهم الذّين إتَّخذوا من دون الله من الأصنام و الأوثان و غيرهما ممّا إتَّخذوه معبوداً لأنفسهم و كانوا يقرّبون إليهم قرباناً و سمُّوها ألهة، و الآية للتّوبيخ وبّخهم اللّه على أنفسهم بأنّ من لا يقدر على نصرة أولياءه كيف تصحّ عبادته، و بعبارة أخرى هلا نصرهم ألهتهم الّتي تقرّبوا بها بزعمهم إلى الله لتشفع لهم، حيث

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

لقرآن كم المجلد السادس

قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وكيف لم تمنعهم من الهلاك الواقع بهم في الدّنيا، و من لا يقدر على دفع العذاب من أولياءه في الدّنيا فهو في الأخرة أعجز و أضعف و العاجز الضّعيف لا يستحقّ العبادة بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ أي هلكوا عنهم، و قيل أي ضلَّت عنهم ألهتهم لأنّها لم يصبها ما أصابهم إذ هي جماد، و قيل ضلُوا عنهم، أي تركوا الأصنام و تبرّأوا منها و ذلك إفْكُهُمْ أي و الألهة الّتي ضلَّت عنهم هي إفكهم، أي إفك هؤلاء الكفّار و كذبهم في قولهم أنّها تقرّبهم إلى الله زلفي و ما كانُوا يَفْتَرُونَ ما، موصولة بمعنى الذي، أي ذلك إفكهم و كذبهم الذّي كانوا يفترون و يخترعونه من عند أنفسهم.

وَ إِذْ صَرَفْنَاۤ إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْاٰنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرينَ

قيل هذه الآية توبيخٌ للمشركين من قريش أي أنّ الجنّ سمعوا القرأن فأمنوا به و علموا أنّه من عند الله و أنتم معرضون عنه و مصرُّون على الكفر، و معنى، صرفنا إليك، وجَهنا و بعثنا إليك، نفراً من الجنّ.

قال صاحب الكشّاف النَّفر دون العشرة و يجمع على أنفار فَلَمَّا حَضَرُوهُ يعني القرأن أو النّبي، قالوا، بعضهم لبعض، أنصتوا فلمّا قضي، أي فلمّا فرغ النّبي من تلاوته وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذُرينَ أي مخوفين من معاصي اللّه، وقال قومٌ أنّ اللّه أمر نبيّه أن يقرأ القرأن على الجنّ و أمره بأن يدعوهم إلى عبادته و قال قومٌ هم يسمعون من قبل نفوسهم لقراءة القرأن فلمّا رجعوا إلى قومهم قالوا لهم كما حكى اللّه عنهم.

قَالُوا يَا قَوْمَنٰآ إِنَّا سَمِعْنَاكِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسٰى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهُ لَوُ اللَّهُ اللَّ

أي لمَّا رَجِع هؤلاء النَّفر من الجُنَّ إلى قومُهُم قالوا لهم يا قَوْمَنْ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا و هو القرأن أُنْزِلَ من الله على نبيّه من بعد موسى مُصَدِّقًا لِما بَيْنَ يَدَيْهِ

مُصدّقاً بكسر الدّال أي أنّ الكتاب المنزل من بعد موسى مصدِّق لما بين يديه و هو التّوراة و الإنجيل و معنى كونه مصدِّقاً، أنّه يحكم بصّحة التّوراة و أنّ اللّه تعالى أنزله على نبيّه موسى إبن عمران يَهْدَى إلَى ٱلْحَقِ وَ إلْلَى طَرِيقٍ مُسْتَقَيمٍ هذا أيضاً وصف للكتاب أي أنّا سمعنا كتاباً مصدّقاً لِما بين يديه و يهدي إلى الحق إلى طريقٍ مستقيم، الّذي لا عوج له و لا إنحراف و قيل إلى طريقٍ مستقيمٍ من توحيد الله و معرفة نبيّه المؤدّي إلى الجنّة، قيل في عددهم أنّهم كانوا تسعة نفر و قيل سبعة نفر.

يَا قَوْمَنٰآ أَجِيبُوا داعِيَ ٱللهِ وَ اٰمِنُوا بِهٖ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجِرْكُمْ مِنْ عَذابِ أَلْهِم

أي قال مؤلاء النفر من الجن الذي إستمعوا القرأن و رجعوا إلى قومهم يا قَوْمَنْ أَجِيبُوا داعِي آللهِ و هو النّبي الله الذي أنزل عليه القرأن الذي يهدي إلى الحقّ، و أمنوا به، أي صدِّقوه بالنّبوة و قيل الضّمير في، به، عائد على الله أي أمنوا بالله الذي أنزل القرأن يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ قيل، من، زائدة أي يغفر لكم ذنوبكم و يُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيم يُجركم بضّم اليّاء و كسر الجيم من أجار يجير، و الإجارة من النّار معناها جعلهم في جوار لأولياء المباعدين من النّار و قد ورد في الدُّعاء اللّهم أجرني من النّار، ثمّ قالوا لقومهم المباعدين من النّار و قد ورد في الدُّعاء اللّهم أجرني من النّار، ثمّ قالوا لقومهم

وَ مَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزِ فِي ٱلْأَرْضِ

أي لا يفوت الله و لا يسبقه و كَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهَ أي مَن دون الله أولياء أولئك في ضلالٍ ظاهر أي أولئك الذين لم يجيبوا داعي الله لا ولئ له في الدنيا و الأخرة إلا الشيطان، لأن الذين كفروا أوليائهم الشيطان يخرجهم من النّور إلى الظّلمات أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون.

إعلم أنّ هذه الأيات من قوله تعالى: وَ إِذْ صَرَفْنٰآ إِلَيْكَ إلى قوله: في ضَلَالٍ مُبينٍ كلّها حكايةً عن الجنّ و كان سبب نزولها أنّ رسول الله خرج من

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



سياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مُحَمَّ المَّا

قُلْ أُوحِىَ إِلَى الله عَنْ قُلُ مِنْ الله عَنْ الله عَنْ قُلُ مِنْ الله عَنْ الله عليه عن مؤمنون و علوس و هم ولد الجان، و سئل العالم صلوات الله عليه عن مؤمن الجن أيدخلون الجنة قال عليه عن مؤمن الجن أيدخلون الجنة والنار يكون فيها مؤمني الجن وفساق الشيعة و الله أعلم.

و أمّا العامّة فقد ذكروا في تفاسيرهم غير ما ذكرباه و قد نقل القرطبي عن إبن عبّاس و غيره فصلاً مشبّعاً في الباب إن أردت الوقوف عليه فعليك بكتابه:

أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمُواْتِ وَ ٱلْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ بِقَادِرٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ

قيل الرؤية في المقام بمعنى العلم، و المعنى، أولم يعلموا هؤلاء الكفّار أنّ اللّه الّذي خلق السّموات و الأرض على سبيل الإبداع وَ لَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ أي لم يصبه في خلق ذلك إعياءٌ و لا تعبّ، بِقَادِرٍ أي أنّه قادر على أن يحيى الموتى، يوم البعث، بلى أنّه، تعالى، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ أي أنّ قدرته تعالى لا نهاية لها حتّى يقال أنّه قادرٌ على بعض دون بعض كما أنّ علمه و سائر صفاته أيضاً كذلك و ذلك لأنّ الصفّة تابعّة لموصوفها و قد ثبت أنّ الموصوف أعني به ذاته المقدّسة لا نهاية له لأنّها لا بداية لها و ما لا بداية له لا نهاية له فهكذا الصّفات مع أنّها عين الذّات مصداقاً و إن كانت مغايرة للذات مفهوماً و قد مرّ الكلام في هذا الباب غير مرّة ثمّ أنّ المراد بإحياء الموتى في الآية إحياء الأموات يوم البعث و هو الذي أنكره من أنكره و الأصل في جميع ذلك هو قوله تعالى: إنّه عَلَى كُلّ شَيْءٍ قَديرٌ تقدّم ذلك أيضاً.

وَ يَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هٰذا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلٰي وَرَبِّنا قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذاٰبَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

قد تقدَّم الكلام في معنى العرض على النّار و ذكرنا الأقوال فيه و قلنا معنى العرض على النّار قرب دخولهم فيها و على قول صاحب الكشّاف بعد دخولهم فيها فيقال لهم، أَلَيْسَ هٰذا بِالْحَقِّ على وجه الإجتماع عليهم و المعنى أليس هذا الّذي جزيتم به حقِّ لا ظلم فيه: قالُوا بَلٰى وَرَيِّنا الواو للقسم أي قال الكفّار بلى أنّه حقِّ فيحلفون على ذلك فيقال لهم عند قولهم هذا و إقرارهم و إعترافهم بأنّ النّار حقٍّ لهم فَذُوقُوا ٱلْعَذاب الّذي نشأ من أعمالكم و إنكاركم الحقّ و الكفر بما أنزل الله على نبيّه و بالجملة ذوقوا العذاب الّذي كسبته أيديكم في الدُّنيا.

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَ لَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَتُوٓاَ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَاسِقُونَ نيياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

المجلد السادس عنا المجلد السادس عنا

نياء الفرقان في تفسير القرآن 🚽

الفاء في قوله: فَاصْبِرْ للتَفريع أيإذا كان الأمر على هذا المنوال من كفرهم و عنادهم و إستهزاءهم و إيذاءهم الأنبياء فأصبر على إنكارهم و كفرهم و ايذائهم كما صبر أولوا العزم من الرُسل قبلك وَ لا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ بالعقابِ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ وهو يوم القيامة لقرب مجيئه لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وهو كناية عن قلة لبثهم و حياتهم في الدُّنيا و أمّا قوله: بَلاغُ فقيل معناه ذلك اللّبث بلاغ، و قيل معناه القرآن بلاغ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلّا ٱلْقَوْمُ أَلْفُاسِقُونَ أي فهل يهلك بهذا النّوع من الإهلاك إلاّ القوم الفاسقون الخارجون عن أمر الله، و الإستفهام للإنكار أي لا يهلك إلاّ الفاسق.

تنبية نذكر فيه ما لابد من ذكره على سبيل الإجمال توضيحاً للأية الشريفة. فنقول أنّ الله تعالى أمر نبيّه بالصّبر و هو الإمساك في ضيق يقال صبرت الدّابة حبستها بلا علف هذا في اللّغة و أمّا في الإصطلاح فهو حبس النّفس على ما يقتضيه العقل و الشّرع أو عمّا يقتضيان حبسهما عنه فالصّبر لفظ عام و مصاديقه كثيرة و ربّما خولف بين أسماءه بحسب إختلاف مواقعه، فأن كان حبس النّفس لمصيبة سمّي صبراً لا غير و يضادّه الجزع و إن كان في محاربة سمّي شجاعة و يضاّده الجبن و أن كان في نائبة مضجرة سمّي رحب الصّدر و يضادّه الضّجر، و أن كان في إمساك الكلام سمّي كتماناً و قد سمّى اللّه تعالى يضادّه الطّبوبين في النّأساء و المضورة أو سمّي الصّوم ضبراً لكونه كالنّوع له، و كيف كان لا شك أنّه منزلٌ من منازل السّالكين و مقام من مقامات الموّحدين و به ينسلك العبد في سلك المقرّبين و يصل الى جوار ربّ العالمين.

و قد أضاف الله أكثر الدّرجات و الخيرات اليه و ذكره في نيَّف و سبعين موضعاً من القرآن و وصف الله الصّابرين بأوصافٍ حميدة كما لا يخفى على

المارس خلال هذه الدّيار و لذلك أمر نبيّه بل جميع أنبياءه به و الأخبار الواردة في مدحه كثيرة جدًّا إلاّ إنَّا لا نحتاج الى ذكرها في المقام بعد تصريح الآيات في مدحه.

و أمّا أولوا العزم من الرُّسل، الّذين أمر اللّه نبيَّه بمتابعتهم في الصّبر.

فقال إبن عبّاس المراد بهم ذوو الحزم و الصبر و ليس المراد أشخاصاً معيّنين و ذلك جميع الأنبياء كانوا متصفين به على حسب مراتبهم و مقاماتهم.

و قال مجاهد المراد بهم خمسة من الرُّسل و هم نوح عاليَّالاً، و إبراهـيم عاليُّلاً، مـوسى عليَّالْإِ، عـيسى عليَّالْإِ و محمّد اللَّهُ عَلَيْهُ و هـو أفضلهم و هـم أصحاب الشّرائع، و قال أبوالعالية أنّ أولى العزم، نوح، و هود، و ابراهيم، و أمر اللّه نبيّه أن يكون رابعهم، السُّدي هم ستّة، إبراهيم، موسى، داود، سليمان، عيسى، و محمّد صلوات الله عليهم أجمعين، و قيل هم، نوح، هود، صالح، شعيب، لوط و موسى، و قيل غير ذلك من الأقوال الّتي لا فائدة في نقلها بعد إتّفاق قاطبة المسلمين على أنّهم خمسة، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى و محمّد عليهم السّلام هو المشهور بين المسلمين بحيث كاد أن يكون إجماعاً بينهم و الأمر سهل بعد وضوح المقصود ذكرهم، و هو متابعتهم في الصَّبر فأنَّ نبيّ اللَّه نوح صبر على أذى قومه، و إبراهيم المثلا صبر على النّار، و إسماعيل، صبر على الذَّبح، و يعقوب صبر على فقد الولد و ذهاب البصر، و يوسف صبر على يزء ٢٤﴾ البئر و السِّجن، و أيُّوب صبر على الضّر و هكذا بل نقول، ما من نبئِّ إلاَّ و هــو صبر على الأذي، و أمّا بقية ألفاظ الآية فقد شرحناها و لا خفاء فيها فأنّ اللّبث في الدُّنيا قليل و ما وعد الله حقّ لا مرية فيه و الهلاك و العذاب في الدّاريـن للفاسقين.

الله سُورَةُ مُحَمَّدِ ﷺ

بِسْم ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

ٱلَّذينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبيل ٱللَّهِ أَضَــلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَ ٱلَّذِينَ أَمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَ أَمَنُوا بِمَا نُزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ هُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهمْ وَ أَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْـبَاطِلَ وَ أَنَّ ٱلَّذينَ اٰمَنُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَـذٰلِكَ يَضْرَبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرَّقَابِ حَتُّى إِذَاۤ أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِدْآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزِاْرَهَا ذَٰلِكَ وَ لَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَ لَكِنْ لِيَبْلُوا بَعْضَكُمْ بِبَعْض وَ ٱلَّذينَ قُتِلُوا في سَبيلِ ٱللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمالَهُمْ (١) سَيَهْديهِمْ وَ يُصْلِحُ بِاللَّهُمْ (۵) وَ يُسدُّخِلُّهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿﴿ إِنَّا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوۤا إِنْ تَنْصُرُوا ٱللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبَّتْ أَقْداْمَكُمْ (٧) وَ ٱلَّذينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨)



ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَاۤ أَنْزَلَ ٱللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) أَفَلَمْ يَسيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُواكَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ ٱلَّذيِنَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّـهُ عَـلَيْهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُها (١٠) ذٰلِكَ بأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذينَ أَمَنُوا وَ أَنَّ ٱلْكَافِرينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ أَمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحاتِ جَنَّاتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ وَ ٱلنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِ وَ ٱتَّبَعُوٓ اللهِ اللهِ عَمَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فيهآ أَنْهارٌ مِنْ مٰآءٍ غَيْر اٰسِن وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنِلَمْ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ وَ أَنْهَارُ مِنْ خَمْرً لَذَّةِ لِلشَّارِبِينَ وَ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلِ مُصَفَّى وَ لَهُمْ فيها مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَراٰتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبّهمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَ سُقُوا مٰآءً حَميمًا فَقَطَّعَ أَمْعٰآءَهُمْ (١٥) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٓ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مَاذاً قَالَ أَنِفًا أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ أَتَّبَعُوا أَهُوا آءَهُمْ (١٤) وَ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوا زادَهُمْ هُدًى وَ أَتَيْهُمْ تَقُويْهُمْ (١٧)

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🕏 ج



◄ اللّغة

صَدُّ وا: الصّد بفتح الصّاد المنع.

أَلْرَقَابِ: بفتح الرّاء جمع رقبة و هي العنق.

أَتْخَنْتُمُوهُمْ: أي أَثقلتموهم الإِثخان، الأَثقال.

ٱلْوَتْاقَ: الوثاق إسمّ من الإيثاق و قيل إسم الشّئ الّذي يوثق به كالرّباط.

أَوْزَاْرَهَا: الأوزار جمع وزر، بكسر الواو و هو التُّقل.

باللهم: البال الشّأن.

فتَعْسًا: التَّعس الإنحطاط.

دَمَّرَ: التَّدمير الاهلاك.

مَثْوًى: المثوى المكان و المقام.

أسِن: بكسر السين غير متغير.

أَمْعْآءَهُمْ: الأمعاء الأحشاء و قيل الأمعاء جمع معّي و التثنية، مـعيان و هــو جميع ما في البطن من الحوايا.

◄ الإعراب

أَلَّذِينَ كَفَرُوا مبتدأ و أَضَلُّ أَعْمَالَهُمْ خبره فَإذاْ لَقيتُمُ العامل، في، اذا هو العامل فى ضُرِب و التّقدير و اضربوا ضرب الرّقاب فضرب هـنا مـصـدر فـعل محذوف مَنَّا بفتح الميم مصدر منَّ يمنّ عَرَّفُها أي قد عرَّفها فهو حال وَ ٱلَّذينَ كَفْرُوا هو مبتدأ و الخبر محذوف تقديره، تعسوا و دلّ عليها فَتَعْسًا و دخلت الفاء تنبيهاً على الخبر كَمَنْ زُيِّنَ هو خبر من قوله مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ لذَّةٍ، صفة لخمر و قيل هو مصدر أي ذات لذَّةٍ مَغْفِرَةً معطوف على المحذوف أو الخبر محذوف أي ولهم مغفرة.

◄ التَّفسير

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ

قيل المراد بهم أهل مكّة من كفّار قريش الّذين كفروا بتوحيد اللّه و صدُّوا أي منعوا أنفسهم و غيرهم ممَّن أمن أو أراد أن يؤمن عن دين اللّه و هو الإسلام الّذي جاء به محمّد وَاللّه و الله السُّدي.

و قال الضّحاك المراد بقوله، عن سبيل الله، عن بيت الله يمنع قاصديه، و معنى، أضلَّ أعمالهم، أبطل كيدهم و مكرهم بالنّبي الله المالي و قيل، أبطل ما عملوه في كفرهم بما كانوا يسمّونه مكارم من صلة الأرحام و فك الاسارى و قري الأضياف و حفظ الجوار و عن إبن عبّاس نزلت الآية في المطعمين ببدر و هم أثنا عشر رجلاً، أبو جهل و الحارث ابن هشام، و عتبة و شيبة، ابنا ربيعة و أبيّ و أميّة ابنا خلف و منّبه و بنيّه إبنا الحجّاج و أبو البختري بن هشام و زمعة إبن الأسود و حكيم بن حزام و الحارث بن عامر بن نوفل.

أقول ما ذكروه في نزول الآية لا بأس به إلا أنّ المراد بها العموم بمعنى أنّ الحكم عامّ يشمل جميع الصادّين عن سبيل اللّه في كلّ عصرٍ و زمانٍ و خصوص المورد لا ينافي عموم المعنى فأنّ أكثر الأيات من هذا القبيل ثبت أنّ حلال محمّدٍ حلال إلى يوم القيامة و حرامه كذلك، و على هذا فالصدّ عن سبيل الله و المنع عن دخول النّاس في الإسلام بأيّ طريقٍ كان يوجب إبطال الأعمال الّتي صدرت من الصّاد.

قال بعض المفسّرين معنى أضلَّ أعمالهم، أنّ اللّه حكم على أعمالهم بالضّلال عن الحقّ و العدول من الإستقامة و سمّاها بذلك لأنّها عملت على غير هدىً و غير رشاد.

غياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷

و قال بعضهم معنى، أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ أبطل كيد الكفّار و مكرهم بالنبي و جعل الدّائرة عليهم و هذا المعنى أوفق بسياق الكلام و التّجنب عن الإحباط الّذي لا نقول به فهو من قبيل قوله تعالى: وَ مَكرُوا وَ مَكرُ اللّهُ وَ اللّهُ خَيْرُ اللّهُ وَ اللّهُ مَتم نوره ولو كره الفاعربين (١) و ذلك لأنّهم يريدون إطفاء نور اللّه و اللّه متم نوره ولو كره الكافرون و على هذا فمعنى قوله و أضًل أعمالهم، أي أبطل أعمالهم الّتي أرادوا بها إطفاء نور الحقّ بصّدهم النّاس عن متابعة الإسلام و قبول الحقّ.

وَ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَ اٰمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ هُوَ ٱلْخَقُ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ أَصْلَحَ بَالَهُمْ

لمّا بيّن اللّه تعالى في الآية السّابقة حال الكفّار الّذين كانوا يصُّدون عن سبيل اللّه بإضلال أعمالهم و إبطالها في إطفاء نور اللّه أشار في هذه الآية إلى أحوال المؤمنين باللّه فقال: وَ ٱلَّذَينَ أَمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصّالِحاتِ وَ أَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ من الأحكام الشرعيّة وَ هُو ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ الذي لا مرية فيه، كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّتُاتِهِمْ و معنى تكفير السّيئات هو الحكم بإسقاط المستحقّ عليها من العقاب و فيه إشارة بل دلالة على أنّ الإيمان باللّه و رسوله إذا قرن بالعمل الصّالح، فهو مسقطٌ للعقاب حتّى يصير بمنزلة ما لم يفعل.

و قوله: وَ أَصْلَحَ بِالَهُمْ قال قتادة أي أصلَح حالهم في معايشهم و أمر دنياهم، و قيل معناه، و أصلح شأنهم و عن النّقاش معناه أصلح نيّاتهم.

ذٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْباطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثٰالَهُمْ

هذه الآية بمنزّلة الدّليل على ما ذكره اللّه في الأيتين السّابقتين من أنّ الصَّد و المنع عن سبيل اللّه يوجب إبطال الأعمال و أنّ الإيمان باللّه و رسوله إذا

قرن بالعمل الصّالح يوجب تكفير السّيئات و حاصل الإستدلال أنّ الكفّار إتَّبعوا الباطل و المؤمنين إتَّبعوا الحقّ.

و من المعلوم أنّ جزاء السّيئة سيّئةٌ مثلها و جزاء الحسنة حسنةٌ مثلها و بعبارة أخرى مثل هذا البيان يبيّن اللّه للنّاس أمر الحسنات و السّيئات و الضّمير في، أمثالهم، يرجع إلى الّذين كفروا و الّذين أمنوا ففي هذه الأيات نهيّ عن متابعة الباطل و ترغيبٌ و تحريصٌ على متابعة الحقّ و أنّ السّيئات يذهبن الحسنات و الحسنات يذهبن السيئات.

فَإِذَا لَقيتُمُ ٱلَّذينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّى إِذَآ أَثِخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزِارَهَا ذِلِكَ وَلَوْ يَشْآءُ ٱللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلٰكِنْ لِيَبْلُوا بَعْضَكُمْ بِبَعْضِ وَ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا في سَبيل ٱللّهِ فَلَنْ يُضِلُّ أَعْمَالَهُمْ

هذه الآية و نظائرها نزلت في الجهاد و الخطاب للجماعة و المعنى للرّسول و الإمام من بعده و المراد باللَّقاء هنا اللَّقاء في الحرب و المقاتلة، و نصب، ضَرْبَ ٱلرِّقَابِ على معنى فليكن همَّكم و عملكم ضرب الرّقاب اي فأضربوا الرّقاب ضرباً فحذف الفعل و قدّم المصدر و أضيف إلى المفعول للتّأكيد و الإختصار و هو كناية عن القتل على أيّ وجهٍ كان و ليس المراد تخصيص ذلك بضرب العنق و الإثخان يتحقق بكثرة الجراح بحيث يصيرون نزء ٢٤ كل بذلك عاجزين عن المقاتلة، و بكثرة القتل فيهم المضعفة لهم الكاسرة لشوكتهم، و الوثاق بالكسر و الفتح ما يوثق به و هو كناية عن الأسر.

و قوله: مَنًّا و فِدا آءً، تفصيل لغاية الأسر على معنى إمّا تمنُّون عليهم منًّا و عفواً و إمّا تفادوهم بمالٍ أو غيره، و أوزار الحرب، آلاتها اللاّزمة لها من سلاح و جنّة و نحو ذلك و الأسناد مجاز أي أهل الحرب و المراد إنقضاء الحرب و إنفصالها فتكون (حتّى) غاية للمنّ و الفداء، و قيل المراد بالأوزار الأثام أي

يضع أهل الحرب شركهم و كفرهم بأن يسلموا و يدخلوا في الدّين فعلى هذا يكون، حتّى، غاية لمجموع الأحكام المذكورة يعني أنّها تجري فيهم إلى زوال دين الشّرك بالكليّة و يستفاد من الآية أمورٌ لا بأس بالإشارة إليها:

الأول: أنّ مقتضى قوله فَإِذا لَقيتُم اللّذين كَفَرُوا فَضَرْب الرّفاب هو وجوب قتل من أخذ من الكفّار حال المحاربة و المقاتلة و قبل الإثخان و أنّ ذلك هو الحكم فيهم أو الدّخول في الإسلام كما دلّت الأخبار عليه و لعلّ في قوله: كَفَرُوا دلالة على من خرج منه في تلك الحال إلى الإسلام إنتفى عنه الحكم بالقتل و عليه إجماع علماؤنا أيضاً و بالجملة يحرم على الّذي يأخذ منهم أحداً إبقاءه فأن أبقاه فأمر قتله إلى الإمام و يتخيّر في قلته بين ضرب عنقه و بين قطع اليد و الرّجل و تركهم ينزفون حتّى يموتوا و هذا مستفادٌ من دليل أخر.

الثّانى: مفاد التَّقييد بالغاية أنّ من أخذهم منهم بعد إستيلاءه عليهم و الظَّفر بهم لا يجوز قتله في تلك الحال بل يتعيّن أسرهم و يكون الإمام مخيَّرٌ بين المنّ و الفداء و قال أصحابنا و الإسترقاق ولعلَّ في شدّ الوثاق الذي هو كناية عن الأسر إشارة إلى ذلك و يدلّ على هذه الأحكام.

مارواه في الكافي و التهذيب عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول كان للحرب حكمين إذ كانت قائمة لم تضع أوزارها و لم يضجر أهلها فكل أسير أخذ في تلك الحال فأنّ الإمام فيه بالخيار إن شاء ضرب عنقه و إن شاء قطع يده و رجله من خلاف بغير حتم و تركه يتّشخط في دمه حتّى يموت و هو قول الله عزّ وجلّ: إنّما جُزْآؤُا الّذينَ يُحارِبُونَ الله و رَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتّلُوا أَوْ يُصَلّبُوا أَوْ تُقَطّع أَيديهِمْ و أَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ فو الكلّ و ألا ترى أنّ التّخيير الذي خيّر الله الإمام على شيّ واحدٍ و هو الكلّ و

الفرقان في نفسير القرآن كركوبكم العب

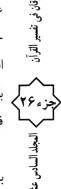
ليس هو أشياء مختلفة فقلت لجعفر بن محمّد اللَّهُ اللَّهُ قوله أو ينفوا من الأرض قال ذلك للطلّب ان تطلبه الخليل حتّى يهرب فأن أخذته الخيل حكم عليه ببعض الأحكام الّتي وصفته لك و الحكم الأخر إذا وضعت الحرب أوزارها و أثخن أهلها فكلّ أسير أخذ على تلك الحال فكان في أيديهم فالإمام فيه بالخيار إن شاء منَّ عليهم و إن شاء فاداهم أنفسهم و إن شاء إستعبدهم فصاروا عبيداً.

و بذلك يبطل ما ذهب إليه الشَّافعي حيث جعلوا التَّخيير بين أربعة أمور و أضافوا إلى ذلك القتل، و ما ذهب إليه أبو حنيفة من أنَّه قصر التَّخيير على القتل و الإسترقاق.

الثَّالث: مقتضى إطلاق التّخيير بين الأمور الثّلاثة ثبوت ذلك و إن أسلموا و هو قول أكثر علماؤنا و ينسب إلى الشّيخ قولٌ بثبوت الإسترقاق في هذه الصُّورة.

الرّابع: ظاهر قوله ٱلَّذينَ كَفَرُوا شمول الكفّار بأسرهم أهل الكتاب و غيرهم و هو الّذي يظهر من رواية طلحة المذكورة و نحوها و يظهر من رواية حفص السّابقة تخصيص الحكم بغير أهل الكتاب من المشركين فما نقل عن الشّيخ من أنّ الحكم بجواز الإسترقاق في الصُّورة الّتي جاز فيها ذلك مختصّ عزء ٢٤ بأهل الكتاب دون غيرهم من المشركين نظراً إلى أنّهم لا يجوز إقرارهم بالجزية فلا يجوز إقرارهم بالإسترقاق لا وجه له و الملازمة التي إدّعاها ممنوعة.

الخامس: التّعبير باللّقاء الظّاهر في إرادة كونه في الحرب و القتال و الإتيان بصيغة ألَّذينَ يشعر بأنَّ هذا الحكم مختصّ بذوي القتال من الذُّكور البالغين دون النّساء و الصّبيان فيكون الحكم فيهم أن يسترقّوا و يملكوا بالسَّبي و إن أخذوا و الحرب قائمة كما دلّت عليه النُّصوص و هو المفتى به.



السّادس: أخبر سبحانه أنّه لم يأمركم بالقتال من عجزه عن الكفّار فأنّه تعالى قادرٌ على إستئصالهم بالهلاك من دون توسُّط فعلكم و لكن جرت عادته سبحانه بالتّكاليف و إبتلاء الخلق بها فإبتلى المؤمنين بجهاد الكافرين ليظهر المكنون في الغيب و يجزي الصّابر على ذلك بالجزاء الأوفر ثمّ حرَّصهم على ذلك بأنّهم لن يضيّع أعمالهم بل يجازيهم عليها و أنّه يوفقهم إلى ما يوصلهم إلى رضوانه و يزيل عنهم الخطرات الشيطانيّة و يدخلهم الجنّة الّتي عرَّفها لهم كما أشار إلى هذا المعنى بقوله:

سَيَهْديهِمْ وَ يُصْلِحُ بِالْهُمْ، وَ يُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ

أي أنّ العمل بمقتضى هذا الحكم و هو القتال مع الكفّار الّذي صدُّوا عن سبيل الله، و قتلهم و إستئصالهم يوجب ظهور الحقّ و موت الباطل و اهله، و به يستحقّ فاعله الجنَّة.

يْاً أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوٓا إِنْ تَنْصُرُوا ٱللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْداٰمَكُمْ

خاطب الله تعالى في هذه الآية المؤمنين بتوحيد الله و تصديق رسوله و قال: إنْ تَنْصُرُوا آلله يَنْصُرْكُمْ أي أن تنصروا دين الله بالجهاد في سبيله و العمل بأحكام دينه في الأوامر و النّواهي، ينصركم الله أي يؤيّدكم و يوفّقكم و يثبّت أقدامكم، عن الإضطراب و التّزلزل في أمر الدّين و من نصره الله فلا غالب له و من خذله الله فلا ناصر له و قوله: يُثَبِّتْ أَقْداْمَكُمْ يعني على الإيمان أي يحفظكم عن الإضطراب فيه.

وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَ أَصَلَّ أَعْمَالَهُمْ، ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَاۤ أَنْزَلَ ٱلله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ

لمًا بيّن الله تعالى في الآية السّابقة أنّ المؤمنين الذّين ينصرون دين اللّه بأنواع المجاهدات و العمل بالأحكام ينصرهم اللّه و يثّبت على الإيمان

أقدامهم، ذكر في هذه الآية حال الكفّار و عاقبة أمرهم فقال و الّذين كفروا باللّه و رسوله، فَتَعْسًا لَهُمْ أي خزياً و ويلاً، و التَّعس الإنحطاط و البعد عن منازل المؤمنين و قوله: وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ أَي أَبطلها ثمّ علَّل ذلك بقوله: ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرهُوا مْلَ أَنْزَلَ ٱللّهُ أي إضلال الأعمال و إبطالها لأجل كراهتهم و مخالفتهم لما أنزل الله على رسوله من الأحكام فلا جرم أحبط الله أعمالهم، لكفرهم و عنادهم و إنكارهم التّوحيد و النّبوة و المعاد و من كان كذلك فـلا قيمة لعمله لأنّه لم يعمل لله تعالى.

أَفَلَمْ يَسيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا

الإستفهام للتّوبيخ و معناه الإنكار، أي بلي ساروا في الأرض فنظروا إلى أثار الكفّار و أنّهم أهلكوا بسبب كفرهم و طغيانهم إلاّ أنّ الدّنيا غرَّتهم و خدعتهم فلم يعتبروا بما رأوه من أثار العذاب ولم يتفطّنوا كيف دمّر اللّه عـلى الكـفّار المنكرين للتّوحيد و البعث و لم يعلموا أنّ للكافرين بعدهم و هم الذّين كانوا في عصر النّبي مثل ما وقع لمن تقدُّم عليهم من العذاب و الهلاك فأنّ حكم الأمثال واحد و ملاك العذب و سببه في السّابق و اللاحقّ واحد و التَّـدمير الإهلاك و الإستئصال.

و قال بعض المفسّرين، المراد بالكافرين في الآية مشركو قريش في مكّة المكرّمة و على هذا فالآية تهديدٌ لهم، و حمل الآية على العموم أولى.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذينَ أَمَنُوا وَ أَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ

أي الّذي فعلناه في الفريقين من الإهلاك في الكفّار و النُّصرة للمؤمنين، بأنّ الله مولى المؤمنين و ناصرهم و أنّ الكافرين لا مولى لهم ينصرهم و ينجّيهم من العذاب و في الآية إشارة إلى أنّ المعبود الذِّي لا يقدر على نصرة من عبده و خضع له لا يستحقّ أن يكون معبوداً و هو واضح.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ وَ النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ

أخبر اللّه تعالى في هذه الآية أنّه يدخل المؤمنين الّذين عملوا الصّالحات في الدّنيا، جنّات تجري من تحتها الأنهار في الأخرة و الّذين كفروا باللّه و رسوله يتمتعون في دار الدّنيا و يلتذّون فيها و يأكلون من النّعم كما تأكل الأنعام هذا في الدّنيا و أمّا في الأخرة فالنّار، أي نار جهنّم مثوى لهم أي موضع مقامهم الّذي يقيمون فيه و بئس القرار، شبّه اللّه تعالى الكفّار بالأنعام في الأكل و في هذا التّشبيه نقاط و لطائف:

الأولى: أنّ الأنعام يأكلون ما يجدون من النّباتات إذا كان ما يجدون موافقاً لطبائعها و لا تعلمون الحلال و الحرام و كذلك الكفّار يتمتّعون بما يجدونه من أيّ طريق حصل لهم حلالاً كان أو حراماً.

الثَّانية: أنَّ الحيوان همَّه في الدُّنيا بطنه و كذلك الكافر همّه بطنه و شهوته.

القّالثة: أنّ الحيوان لا يخاف المعاد و هكذا الكافر لا يخاف منه لعدم إعتقاده به، فإذا كان الإنسان عمله في الدّنيا مثل عمل الحيوان فما الفرق بينه و بين الحيوان بل هو أضًّل من الحيوان لأنّ الحيوان لا عقل له فهو معذورٌ في فعله بخلاف الإنسان العاقل.

ثانياً: أنّ الحيوان لا تكليف له بخلاف الإنسان.

ثالثاً: هو غير مسؤلٍ عمّا يفعل يوم القيامة بخلاف الإنسان و إذا كان كذلك في فذنب الإنسان أعظم و لذلك قال تعالى: و النّارُ مَثْوًى لَهُمْ ولم يقل ذلك في الحيوان و ما أقبح و أشنع للإنسان الّذي هو أشرف الخلائق لو علم قدره و عمل بوظائفه المقرّرة له عقلاً و شرعاً أن يدخل في سلك الحيوانات بل يقال في حقّه أنّه أضل و هذا ممّا يكفي في ذمّه.

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ

كأيّن، بمعنى كم، قال الخليل و سيبويه هي، أيّ دخلت عليها كاف التّشبيه و بنيت معها فصار في الكلام معنى، كم، و صوّرت في المصحف نوناً لأنّها كلمة نقلت عن أصلها فغيّر لفظها لتغيّر معناها ثمّ كثرت إستعمالها فتلّعبت بها العرب و تصرّفت فيها بالقلب و الحذف فحصل فيها لغات أربع قرئ بها، و قرأ، إبن كثير و كائن، على وزن فاعل، و قرأ إبن محيص (وكئن) مهموزاً مقصوراً و هو من، كائن، حذفت ألفه، و عنه أيضاً غير ذلك و المشهور، كأيّن، بالتّشديد، و هو الأصل و كيف كان فهو بمعنى (كم) و هي تستعمل في الكثرة، و قرية، بحذف المضاف أي أهل قرية و تقدير الكلام وكم من أهل قرية هي أشر جيئك أي أخرجتك منها أهلها أهدًا قرية من قريتك، أي مكّة المكرّمة ألّتي أخرَجَتْك أي أخرجك منها أهلها ذكان.

قال قتادة و إبن عبّاس لمّا خرج النّبي من مكّة الى الغار التفت الى مكّة: اللّهم أنت أحب البلاد الى اللّه و أنت أحبّ البلاد إلّي و لولا المشركون أهلك أخرجوني لما خرجت منك فنزلت الأية:

أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوَّءُ عَمَلِهِ وَ ٱتَّبَعُوٓا أَهُوْ آءَهُمْ البيّنة الحجّة الواضحة قال قتادة يعني محمّداً اللَّهُ المَثَالَةِ و قال قوم يعني به المؤمنين الذين عرفوا الله تعالى و أخلصوا العبادة له.

و قيل معنى، على بيَّنةٍ، أي على ثباتٍ و يقين، و قيل البيَّنة في المقام، الوحي، و على جميع التقادير معنى الآية أنّ من كان على بيَّنةٍ و حجّة و برهان على حقانيّته كمن زيَّن له سوء عمله و إتَّبعوا أهواءهم و أميالهم النفسانيّة، ليس كذلك أي ليس هؤلاء و هؤلاء سواء فالإستفهام إنكارّي مثل قوله: أَفَهَنْ

، الفرقان في تفسير القرآن ك : كا

ياء الفرقان في تفسير القرآن كرنگاي كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا (١) و قال بعضهم: كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَـمَلِهِ أي عبادة الأصنام و هو أبو جهل والكفّار.

أقول لا وجه لتخصيص الكلام بعبادة الأصنام و حصره في أبي جهل و الكفّار بل الآية بصدد بيان حكم عام و هو شامل للمسلمين أيضاً، أليس في المسلمين من زيّن له سوء عمله، أليس فيهم من تابع هواه، أتظنّ أنّ جميع المسلمين كانوا على بينّةٍ من ربّهم وقعوا ما فعلوا بعد موت الرّسول من المنكرات و الظُّلم و قتلهم خيار المؤمنين، أم كانوا ممّن زينَ له سوء عمله و إتَّبع هواه فاقض ما أنت قاض إن كنت من أهل الإنصاف و العجب من مفسّري العامّة في تطبيقهم هذه الآية و أمثالها على الكفّار و المشركين و تبرأتهم المسلمين عن الحكم و لم يعلموا أنّ معاوية بن أبى سفيان و إبنه يزيد، و المروان و إبنه عبد الملك و هلمّ جرّاً الى آخر الخلفاء إلاّ ما شـذٌ و نـدر، كـانوا أخبث من أبي جهل و أمثاله من المشركين و ضررهم على الإسلام كان أضرّ من ضرر أبيجهل و أمثاله فأنّهم قتلوا في حياة النّبي في غزوة بدر و خندق و أحد، و غيرها من الغزوات و أراح اللّه الإسلام و المسلمين من شرّهم، و أمّا معاوية و عبد الملك و أمثالهما من الخبيثين الى آخر العباسين اللذين تلبسوا بلباس الإسلام و عملوا بعمل الكفّار و إتَّبعوا الشّيطان كانوا على بيَّنةٍ من ربّهم، لا يقول ذلك إلاّ الجاهل، أو المتعصّب العنيد اللّهم إلاّ أن يقال أنّهم كانوا على بيَّنةٍ من ربّهم لا من ربّ المسلمين بل من ربّهم الّذي كانوا يعبدونه في الجاهليّة فبقوا على عبادته باطناً و قالوا بربويّت إله المسلمين ظاهراً فأن كان مراد القائل هذا فهو حقّ لا كلام لنا معه ثمّ أشار الله تعالى الى أحوال المتّقين في الجنّة.

مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فيها آأَنْهارٌ مِنْ ماۤ عِغَيْرِ اٰسِن وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَوْلَ مِنْ عَسَلِ لَبَوْلَمْ يَتَغَيَّرُ طَعْمُهُ وَ أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلِ

أخبر الله تعالى في هذه الأية عن وصف الجنة التي وعد المتقين بها فقال مَثَلُ ٱلْجَنّةِ أي وصفها ٱلّتي أي الجنّة التي، وعد المتقون بها، في الأيات الكثيرة أنّ فيها، أي في الجنّة أنهارٌ من ماء غير آسنٍ، أي غير متغيّر لطول المقام، و الآسن من الماء مثل الآجن و هو الماء الّذي تغيّرت رائحته، و فيه إشارة الى أنّ الماء في الجنّة غير الماء في الدُّنيا فأنّ الماء في الدُّنيا يتغير طعمه لا محالة و أَنْهارٌ مِنْ لَبَنِ لَمْ يَتَغَيّرٌ طَعْمُهُ أي لم يحمض بطول المقام كما تتغيّر ألبان الدُّنيا الى الحموضة و أَنْهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبينَ يلتذون بشربها و لا يتأذون بها و أَنْهارٌ مِنْ عَسَلِ مُصَفِّى العسل ما يسيل من لعاب النّحل و قوله: مُصَفِّى أي مصفى من القذر خلقه الله كذلك لم يطبخ على نارٍ و لا دنّسه النّحل و بعبارةٍ أخرى خالٍ عن الكدر.

وَ لَهُمْ فيها مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَراٰتِ قيل، من، زائدة و الحقّ أنّها ليست بزائدة و المبتدأ محذوف و التّقدير، و لهم فيها أنواع من كلّ النّمرات و على هذا فهي للتّبعيض أو لبيان النَّوع وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ أي لذنوبهم كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي ٱلنّار.

قال الفّراء، المعنى، أفمن يخلد في هذا النَّعيم كمن يخلد في النّار.

و قال الزّجاج المعنى، أفمن كان على بيَّنةٍ من ربّه و أعطي هذه الأشياء في الجنَّة، كمن زيَّن له سوء عمله و هو خالدٌ في النّار و على هذا فقوله: كَمَنْ، هو بدل من قوله: افمن زيَّن له سوء عمله، و قال بعضهم المعنى، مثل هذه الجنَّة التي فيها الثّمار و الأنهار كمثل النّار الّتي فيها الحميم و الزَّقوم، و مثل أهل الجنَّة في النَّعيم المقيم كمثل أهل النّار في العذاب المقيم.

أقول معنى الآية ظاهر لا خفاء فيه و لا يحتاج الى هذه التّكلفات فالمعنى مثل الجنّة الّتي وعد المتّقون كمن هو خالدٌ في النّار في الخلود فيهما و الأكل

سياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



من ثمراتها فالمتقون مخلّدون في الجنَّة و يأكلون من ثمراتها اللّي وصفناها، و الكفّار مخلّدون في النّار و سقوا ماءً حميماً أي حارًا فقطّع أمعاءهم و أحشاءهم من شدّة الحرارة و هذا هو الفرق بين الفريقين و أمّا في الخلود فلا فرق بينهما و أن شئت قلت الفرق بينهما في الشُّرب فأهل الجنَّة يشربون من الأنهار المذكورة في الآية و أهل النّار يشربون ماءً حميماً فالعاقل يختار الجنَّة لا النّار.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ انِفًا أُولٰئِكَ اَلَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ اَتَّبَعُوۤا أَهُوا اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ اَتَّبَعُوۤا أَهُوا اَهُمُ

قال بعض المفسّرين وَ مِنْهُمْ أي و من الكفّار و قال بعضهم أي و من هؤلاء الَّذين يتمتُّعون و يأكلون كما تأكل الأنعام و زيَّن لهم سوء عملهم، قومَّ يستمعون اليك و هم المنافقون من المسلمين أعنى بهم عبد الله بن أبيّ بن سلول، و رفاعة، و زيدبن الصليت و الحارث بن عمرو و مالك بن دخشم كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة فإذا سمعوا ذكر المنافقين فيها أعرضوا عنه فإذا خرجوا سألوا عنه، و قيل كانوا يحضرون عند رسول اللّه تَالَّهُ وَأَلَّهُ مُع المؤمنين فيستمعون منه تَأَلَّمُ اللَّهُ عَلَيْ مَا يقول فيعيه المؤمن و لا يعيه الكافر حَتَّى إِذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ و فارقوا مجلسك قالُوا لِلَّذينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ قيل هو عبد الله بن عبَّاس، و قيل هو عبد اللَّه بن مسعود و المعنى قال المنافقون لأهل العلم **مَاذاً** قَالَ أَنِفًا أي ماذا قال رسول اللِّه، آنفاً، أي الآن، في الخطبة أو في غيرها، و أنَّما قالوا هذا على جهة الإستهزاء أولٰتِكَ ٱلَّذينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ ٱتَّبَعُوٓا أَهُوٰ آءَهُمْ أي أولئك الّذين خرجوا من عندك و قالوا للّذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً، طبع الله على قلوبهم أي وكلهم الله الى أنفسهم فلا جرم إتَّبعوا أهواءهم فأنّ من أعرض عن الله أقبل الى الشّيطان من حيث لم يحتسب و سقط في بئر حفره بيده لنفسه.

ضياء القرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد السادس عث

وَ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا زَاٰدَهُمْ هُدًى وَ اٰتَيْهُمْ تَقُويْهُمْ

الإهتداء طلب الهداية و المعنى الذين يطلبون الهداية من الله تعالى زادهم الله هدى و فيه إشارة الى التوفيق الملقى في الرَّوع فيما يتحرّاه الإنسان و قوله و التيهم تقويهم قيل معناه، أتاهم على زيادة الهدى تقواهم أي خوفاً من الله من معاصيه و قيل معناه أتاهم، ثواب تقواهم، و قيل معناه، الهمهم إيّاها و قيل خلق الله لهم التقوى، و الوجوه المذكورة محتملة إلاّ الأخير منها فأنّه عاطل باطل لأنّ التقوى فعل العبد لا فعل الله فلو كانت مخلوقة له فهى فعله و قد ثبت بطلانه عقلاً و شرعاً، و حاصل المعنى أنّ من طلب الهداية من الله تعالى وصل اليها بتوفيق منه.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



رقان في تفسير القرآن كركم المجلدالسا

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا ٱلسُّاعَةَ أَنْ تَأْتِيهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جْآءَ أَشْراطُها فَأَنَّى لَهُمْ إذا جْآءَتْهُمْ ذَكْرِيْهُمْ (١٨) فَاعْلَمْ أَنَّـهُ لا ٓ إِلَّهُ اللَّهُ وَ ٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْو يٰكُمْ (١٩) وَ يَقُولُ ٱلَّذينَ اْمَنُوا لَوْلَا نُزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذْآ أَنْــزَلَتْ سُــورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأُوْلَى لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَ قَـوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَـهَلْ عَسَـيْتُمْ إِنْ تَـوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ (٢٢) أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمٰيَ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُوْاٰنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقَفَالُهَا (٢٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَـدُّوا عَـلْيَ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلَى لَهُمْ (٢٥) ذٰلِكَ بأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ في بَعْض ٱلْأَمْرِ وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْراٰرَهُمْ (٢٢) فَكَـٰيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلاّئِكَةُ يَضْربُونَ وُجوهُهُمْ وَأَدْبارَهُمْ (٢٧) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَاۤ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رضُواٰنَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذينَ فى قُلُوبِهمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٩٧) وَلَوْ نَشْآ ءُ لَأَرَيْنْا كَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسيمًا هُمْ وَ لَتَعْرِ فَنَّهُمْ في لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَ لَنَبْلُوَ نَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجاهِدينَ مِنْكُمْ وَ ٱلصَّابرينَ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوٓا أَمَدًا وَ نَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبيل ٱللهِ وَ شَآقُوا ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْد مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدٰى لَنْ يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَــيْتًا وَ سَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ (٣٢) يا آيُّهَا ٱلَّذينَ الْمَنُوٓا أَطيعُوا ٱللَّهَ وَ أَطيعُوا ٱلرَّسُولَ وَ لَا تُـبْطِلُوٓا أَعْمٰالَكُمْ (٣٣) إنَّ ٱلَّذينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ (٣٢) فَلا تَهنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلْم وَ أَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَ ٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) إِنَّمَا ٱلْحَيْوةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَ لا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالكُمْ (٣۶) إِنْ يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَ يُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَآ أَنْتُمْ هَوُّلآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا في سَبيل ٱللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَ مَنْ يَبْخَلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ وَ ٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَ أَنْـتُمُ ٱلْفُقَرٰ آءُ وَ إِنْ تَتَوَلُّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



◄ اللّغة

آلسُّاعَةُ: القيامة.

بَغْتَةً: أي فجأةً.

مَثْوينكُمْ: المثوى المقام.

أَرْتَدُّ وا: الإرتداد الرّجوع إلى ما كان عليه.

سَوَّلَ: أي زيَّن التّسويل التّزيين.

أَمْلَى: أي أخَّر، الإملاء الإمهال.

أَضْغَانَكُمْ: جمع ضغن و هو الحقد.

يَتِرَ كُمْ: يقال وتره وتراً إذا أنقصه.

تَتَوَلُّو ١: التَّولي الإعراض.

أَمْثْالَكُمْ: الأَمثال جمع مثل واضح.

◄ الإعراب

أَنْ تَأْتِيَهُمْ مُوضِعه النَّصِب بدلاً من السّاعة بدل الإشتمال فَأَنّى لَهُمْ هو خبر وذِ كُريهُمْ و الشّرط معترضٌ، و قيل التّقدير أنّى لهم الخلاص أَوْلَى مبتدأ و لَهُمْ الخبر و قيل الخبر و قيل الخبر و قيل طاعة صفة لسورة أي ذات طاعة فَإِذا عَزَمَ ٱلأُمْرُ العامل في إِذا محذوف تقديره فإذا عزم الأمر فأصدق العامل فَلَوْ صَدَقُوا أي لو صدقوا إذا عزم الأمر أَنْ تُفْسِدُ وا خبر عَسىٰ ٱلشَّيْطانُ مبتدأ وسَوَّلَ لَهُمْ خبره و الجملة خبر إن، و أَمْلَى معطوف على الخبر يَضْرِبُونَ حال من الملائكة أو من ضمير المفعول ثُمَّ لا يَكُونُوا هو معطوف على يستبدل و اللّه أعلم.

◄ التّفسير

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْراطُهَا



السّاعة القيامة و النّظر الإنتظار، و الإستفهام للإنكار و المعنى ليس ينتظرون هؤلاء الكفّار إلاّ القيامة و قوله: أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً بدلّ من السّاعة أي لا ينتظرون إلاّ السّاعة أن تأتيهم بغتةً و بعبارةٍ أخرى لا ينتظرون إلاّ إتيانها بغتةً ثمّ قال تعالى: فَقَدْ جُآءَ أَشُراطُها أي أشراط السّاعة و علاماتها و ذلك لأنّ الأشراط جمع شرط و أصله الإعلام فأشراط السّاعة علاماتها، قيل هي إنشقاق القمر و مجئ محمّد بالأيات لأنّه أخر الأنبياء، و قوله: فَقَدْ جُآءَ أَشُراطُها عطف جملة على جملة فيها معنى الجزاء و التّقدير، أن تأتيهم بغتةً فقد جاء أشراطها، و قيل كانوا قد قرأوا في كتبهم أنّ محمّداً أخر الأنبياء فبعثه من أشراطها و أدلّتها.

و قدروي عن رسول الله عَلَيْ وَالنَّهُ الله عَلَيْ أَنَّهُ قَال: بعثت أنا و السّاعة كهاتين و ضمّ السّبابة و الوسطى.

و يروى عنه المسلط الله الله قال: بعثت و السّاعة كفرسي رهان، نقله القرطبي في تفسيره.

و قيل أشراط السّاعة أسبابها الّتي هي دون معظمها و منه يقال للدُّون من النّاس الشَّرط، و عن الكلبي أنّها كثرة المال و التجارة و شهادة الزُّور و قطع الأرحام و قلّة الكرام و كثرة اللّئام و قيل غير ذلك و الكلّ محتملٌ.

وحيث إنجر الكلام إلى أشراط السّاعة وقد أشرنا ما نقلته العامّة في تفاسيرهم فلا بأس بالإشارة إلى ما روي في ذلك من طريق أهل البيت عليهم السّلام فأنّ أهل البيت أدرى بما في البيت فما ذكروه هو المعتمد في الباب فنقول:

روى علّي بن إبراهيم القمّي في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه، حدَّثني أبي عن سليمان بن مسلم الخشّاب عن عبد الله بن جريح المكّي عن عطا بن أبي رباح عن عبد الله بن عبّاس قال حججنا مع

الفرقان في تفسير القرآن كالمرقان في تفسير القرآن كالمرقان في تفسير القرآن كي ألمجلد السادس عنا

رسول الله حجّة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثمّ أقبل علينا بوجهه فقال الله المنافي ألا أخبركم بأشراط السّاعة و كان أدنى النّاس منه يومئذِ سلمان رحمة الله عليه فقال بلى يارسول الله، فقال اللهُ عَالَيْ أَنّ من أشراط السّاعة إضاعة الصّلوات و إتّباع الشّهوات و الميل إلى الأهواء و تعظيم أصحاب المال و بيع الدّين بالدّنيا فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما ذاب الملح في الماء ممّا يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره قال سلمان و أنّ هذا لكائن يا رسول الله. قال الله قال الله قال المان الله عنه ياسلمان يليهم عند ذلك امراء جورة و وزراء فسقة و عرفاء ظلمة و أمناء خونة، قال سلمان و أنّ هذا لكائن يا رسول اللّه قال إي و الذّي نفسى بيده يا سلمان، أنّ عندها يكون المنكر معروفاً و المعروف منكراً و يؤتمن الخائن و يخون الأمين و يصدّق الكاذب و يكذّب الصّادق قال سلمان و أنّ هذا لكائن يا رسول اللّه قال سَلَا اللّه والسَّالَةُ وَاللَّهُ اللَّهِ عَال الَّذي نفسى بيده يا سلمان فعندها تكون إمارة النَّساء و مشاورة الإماء و قعود الصبيان على المنابر و يكون الكذب طرفاً و الزّكوة مغرماً و الفئ مغنماً و يجفوا الرَّجل والديه و يبرّ صديقه و يطلع الكواكب المذنب قال سلمان و أنّ هذا لكائن يا رسول الله قال المُنْ الله الله عندها تشارك المرأة عندها تشارك المرأة زوجها في التّجارة و يكون المطر قيظاً و يغيظ الكرام غيظاً و يحتقر الرّجل المعسر فعندها تقارب الأسواق إذ قال هذالم أبع شيئاً و قال هذا لم أبع شيئاً (لم أربح شيئاً) فلا ترى إلاّ ذامّاً لله قال سلمان و أنّ هذا لكائن يارسول الله قال الله قال الله على بيده يا سلمان فعندها يليهم أقوام إن تكلّموا قتلوهم و إن سكتوا إستباحوهم ليستأثرون بفيئهم و ليطأنَّ حرمتهم و ليسفكنّ دمائهم و لتملأن قلوبهم غلّاً و رحباً فلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين قال سلمان و أنّ هذا لكائن يارسول الله قال إي و الّذي نفسى بيده يا سلمان، أنّ عندها يؤتى بشيّ من المغرب و شيّ من المشرق يلون أمّتى فالويل لضعفاء أمّتى منهم و الويل لهم منّ الله لا يرحمون صغيراً و لا يـوقرون كبيراً ولا يـخافون عـن مسـئ حثّتهم حثّة الأدمييّن و قلوبهم قلوب الشّياطين قال سلمان و أنّ هذا لكائن يا رسول الله قال إي و الذي نفسي بيده يا سلمان، و عندها يكتفى الرّجال بالرّجال و النّساء بالنّساء و يغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها و تشبّه الرّجال بالنّساء و النّساء بالرّجال و تركبن الفروج السُّروج فعليهنَّ من أمّتى لعنة الله قال سلمان و أنّ هذا لكائن يارسول الله قال إي و الّذي نفسى بيده ياسلمان أنّ عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع و الكنائس تحلّى المصاحف و تطول المنارات و تكثر الصُّفوف و القلوب متباغضة و الألسن مختلفة قال سلمان و أنّ هذا لكائن يا رسول الله قال إي و الذي نفسى بيده يا سلمان و عندها تحلّى ذكور أمّتى بالذّهب و يلبس الحرير و الدّيباج و يتّخذون جلود النُّمور سفاقاً قال سلمان و أنّ هذا لكائن يا رسول الله فقال إى و الّذي نفسى بيده ياسلمان و عندها يظهر الزّناء و يتعاملون بالغيبة و الرّشي و يوضع الدِّين و ترفع الدّنيا قال سلمان و أنّ هذا لكائن يارسول الله قال إي و الّذي نفسى بيده يا سلمان و عندها يكثر الطّلاق فلا يقام حدٌّ ولن يضرّوا الله شيئاً قال سلمان و أنّ هذا لكائن يارسول الله فقال إي و الذي نفسي بيده يا سلمان و عندها تظهر القينات و المعارف ويليهم أشرار أمّتي قال سلمان و أنّ هذا لكائن يارسول

الفرقان في نفسير القرآن ﴿ ﴾ } العجلد

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد السادء

الله فقال إي و الذي نفسى بيده يا سلمان و عندها يحجّ أغنياء أمّتي للنُّزهة و يحجّ أوساطها للتّجارة و يحجّ فقراؤهم للرّياء و السُّمعة فعندها يكون أقواماً يتعلّمون القرأن لغير اللّه و يتَّخذونه مزامير و يكون أقواماً يتفقّهون لغير الله و تكثر أولاد الزّناء و يتغنُّون بالقرأن و يتهافتون بالدّنيا قال سلمان و أنّ هذا لكائن يارسول اللّه فقال إي و الّذي نفسي بيده ياسلمان ذاك إذا إنتهكت المحارم و إكتسبت المأثم و تسلّط الأشرار على الأخيار يفشوا الكذب و تظهر اللَّجاجة و تفشو الفاقة و يتباهون في اللّباس و يمطرون في غير أو ان المطر و يستحسنون الكوبة (الشّطرنج) و المعارف و ينكرون الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر حتّى يكون المؤمن فى ذلك الزّمان أذلّ من الأمة و يظهر قرّاؤهم و عبّادهم فيما بينهم التّلاؤم فأولئك يدعون في ملكوت السموات الأرجاس الأنجاس قال سلمان و أنّ هذا لكائن يارسول الله فقال إى و الّذى نفسى بيده يا سلمان فعندها لا يخشى الغنّى على الفقير حتّى أنّ السّائل يسأل فيما بين الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في كفّه شيئاً قال سلمان و أنّ هذا لكائن يارسول الله فقال إي و الّذي نفسى بيده ياسلمان فعندها يتكلّم الرُّوبيضة فقال سلمان و ما الرُّوبيضة يارسول الله فداك أبي و أمّى قال المُنْ الله يتكلّم في أمر العامّة من لم يكن يتكلّم فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى تخور الأرض خورة فلا تظن كل قوم إلا أنها خارت في ناحيتهم فيمكثون ما شاء الله ثمّ ينكثون في مكثهم فتلقى لهم الأرض أفلاذ كبدها قال ذهب و فضّة ثمّ أومى بيده إلى الأساطين فقال مثل هذا فيومئذ لا ينفع ذهب و لا فضّة فهذا معنى قوله تعالى: فَقَدْ جِآءَ أَشْرِاطُها إنتهى. أقول هذا الحديث يكفينا في المقام و يوضح لنا تفسير الآية بما لا مزيد عليه و الإنصاف أنه من معجزات الكلام و أكثر ما فيه قد وقع و هو ظاهر.

و أمّا قوله: فَأَنّى لَهُمْ إِذا جَآءَتُهُمْ فَكُريْهُمْ فمعناه من أين لهم إذا جائتهم السّاعة ذكراهم، أي ما يذكّرهم أعمالهم الّتي عملوها في الدّنيا من خيرٍ أو شرّ مع أنّه لا ينفعهم في ذلك الوقت الإيمان و الطاعات لزوال التّكليف عنهم هكذا فسّر الكلام بعض المفسّرين.

و قال صاحب الكشّاف و قرئ إن تأتهم بالوقف على السّاعة و إستئناف الشّرط و هي في مصاحف أهل مكّة كذلك.

فأن قلت فما جزاء الشرط.

قلت قوله: فَأَنَّى لَهُمْ و معناه إن تأتهم السَّاعة فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم و إتعاظهم إذا جاءتهم السّاعة يعنى لا تنفعهم الذّكرى حينئذٍ.

كقوله تعالىٰ: يَوْمَئِذِ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنْسَانُ وَ اَتَّى لَهُ ٱلدِّكْرَى (١).

و قال القرطبى في تفسيره لهذه الآية، ذِكْريهُمْ ذكراهم، إبتداء و (أنّى لهم) الخبر و الضّمير المرفوع في جاءتهم للسّاعة و التَّقدير فمن أين لهم الذِّكرى (التَّذكر) إذا جاءتهم السّاعة، يعني لا يتذكّرون بعد مجيئها، و قيل معناه فكيف لهم النّجاة إذا جاءتهم الذِّكرى بعد مجئ السّاعة.

أقول يستفاد من كلماتهم حول الآية أنّ الأمر في قوله: فَأنّى لَهُمْ يدور مدار أمرين:

أحدهما: أنّ الذّكرى أي التّذكر بالأعمال خيراً أو شرّاً بعد مجيّ السّاعة لا ينفع لهم.

الثّاني أنّه لا ذكرى لهم بعد مجئ السّاعة و هذا هو الحقّ و ذلك لأنّ الخوف و الرُّعب بعد مجئ السّاعة مانعٌ عن التّذكر لأنّه أي القيامة يوم يفرّ المرء من

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



أخيه و صاحبته و بنيه فكيف يمكن أن يتذّكر الإنسان أعماله و أفعاله و اللّه أعلم.

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لآ إِلٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَ ٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنينَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْوِيٰكُمْ

لمّا بيّن اللّه تعالى حال المؤمنين و حال الكافرين قال لنبيّه إذا علمت أنّ الأمر كما ذكر من سعادة المؤمنين و شقاوة الكافرين فأثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانيّة اللّه و على التواضع و هضم النّفس و إستغفار ذنبك و ذنوب من على دينك و اللّه يعلم أحوالكم و منصرفاتكم و منقلبكم في معايشكم و متاجركم و يعلم حيث تستقرّون في منازلكم أو منقلبكم في حياتكم و مثواكم في القبور أو منقلبكم في أعمالكم و مثواكم من الجنّة و النّار ذكره الزّمخشري في الكشاف، و أنت ترى أنّ ما ذكره في المقام ليس إلا تفسير الألفاظ من حيث اللّغة و هو ممّا لا يكفي و لا يغني ولم يبيّن معنى إستغفار النبيّ لذنبه و من المعلوم أنّ النّبي لا ذنب له غيره من المفسّرين، سكتوا عمّا اللّفاظ واضح لا خفاء فيه.

فنقول إمّا قوله: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلا الله فانّه كلمة التوحيد و قد مرّ الكلام فيها غير مرّةٍ و أقمنا، البراهين و الدّلائل العقليّة و النقليّة على توحيده بما لا مزيد عليه فلا نطيل الكلام بذكرها في المقام و لعّل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

و أمّا قوله: و آستَغْفِر لِذَنْبِكَ الاستغفار طلب المغفرة و الذَّنب في الأصل الأخذ بذنب الشّي يقال، ذنبته، أصبت ذنبه و يستعمل في كلّ فعلٍ يستوخم عقباه إعتباراً بذنب الشّي و لهذا يسمّى الذَّنب تبعة إعتباراً لما يحصل من عقباه الراّغب في المفردات.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

أن قلت قد ثبت عقلاً و نقلاً أنّ الأنبياء معصومون و معنى العصمة أنّ اللّه عصمهم عن الذَّنب و المعاصي و الخطأ و السَّهو و النسيان و بالجملة عن كلّ ما ينافي العصمة و إذا كان كذلك فالنّبي لا ذنب له و من لا ذنب له عن أيّ شئ يستغفر فأنّ السّالبة تنتفى بانتفاء موضوعها.

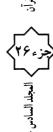
قلت أجابوا عن هذا الإشكال بوجوهٍ:

أحدها: أنّ المراد بالذّنب في الآية ذنب الأمّة لا ذنب النّبي فالمعنى إستغفر لذنب أمّتك.

الثّانى: أنّ الذَّنب مصدر، و المصدر قد يضاف إلى الفاعل و قد يضاف إلى المفعول، و المراد ما تقدّم من ذنبهم إليك في إخراجك من مكَّة و ما تأخَّر من صدّك عن المسجد الحرام و المراد بالمغفرة على هذا إزالة أحكام المشركين و نسخها عنه و هذا وجة نقل عن السّيد المرتضى.

الثّالث: ما نقل عن الرّضا عليّ حين سئله المأمون عن قول الله ليغفر لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر فقال الرّضا عليّ الم يكن أحد عند مشركي مكّة أعظم ذنباً من رسول الله و الله و الله المُعلّي الم الله عليه من دون الله ثلاث مائة و ستّين صنماً فلما جاءهم الرّسول بالدَّعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم و عظم فقالوا إجعل الآلهة إلها و احداً، إنّ هٰذا لشَيْء عُجاب الى قوله: إلّا اَحْتِلاق (١) فلما فتح الله على نبيّه مكّة و قال يا محمد: إنّا فتحنا لك فتحا مبينًا، ليغفور لك الله ما تقدّم و من ذنبك و ما تأخّر عند مشركي مكّة بدعائك إلى التّوحيد فيما تقدّم و ما تأخّر.

أقول إمّا الوجه الأوّل في الجواب فلا سبيل إليه لأنّ اللّه قال بعد قوله: وَ السّتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ و للمؤمنين و المؤمنات و لا نعنى بالأمّة إلاّ من آمن به من



الرّجال و النّساء فلو كان المراد من الذَّنب في الآية ذنب الأمّة لزم التّكراركما ترى، و لا سبيل إلى الوجه الثّاني أيضاً لأنّه خلاف ظاهر اللّفظ و مع ذلك لا يساعده العقل و لا النَّقل و صحَّة إضافة المصدر إلى المفعول أوّل الكلام.

و أمّا الحديث المرويّ عن الرّضا عليه لل يفيد على فرض صحّة المحديث و ذلك لأنّه يدُّل على أنّ المشركين أثبتوا ذنباً على النّبي بدعائه إيّاهُم إلى التَّوحيد، و الحال أنّ الذَّنب أسند إلى شخص النَّبي لا إلى ما عدُّوه ذنباً، و الحقّ أنّ الإستغفار و الذَّنب بحالها و أنّ النَّبي كان مأموراً بالإستغفار لنفسه و للمؤمنين و المؤمنات إلا أنّ الذَّنب في النَّبي غير الذَّنب في غيره و سيأتي الكلام فيه عند قوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ (١) فأنتظر إن شاء الله و أمّا قوله: وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثُويْكُمْ فالمنقلب المرجع والمَنْوى المقام، أي أنّ الله يعلم ما ترجعون إليه بعد الموت و ما تجازون من النّواب و العقاب.

وَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لَوْلانُزِّلَتْ سُورَةٌ فَاذِاۤ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن المؤمنين أنّهم كانوا يقولون لَوْلا نُزّلَتُ أي (هلا نزّلت سورة) على النّبي و إنّما قالوا ذلك بعد إبطاء الوحي و ذلك لأنّهم كانوا يأنسون بنزول الوحي و يستوحشون من إبطائه فقال تعالى حاكياً عن حالهم ضدّ نزول السُّورة فَإِذْ آ أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فيها آلْقِتٰالُ و المراد بكونها محكمة كونها غير متشابهة و ذكر فيها القتال، معناه أنزلت السُّورة و أوجب الله عليهم فيها القتال و الجهاد، رَأَيْتَ آلَذينَ في قُلُوبِهِمْ

اء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ المجلد السادس عشا مَرَضٌ أي مرض النّفاق و الشكّ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ و ذلك لثقل القتال و الجهاد عليهم إذ فيه القتل أو الجرح أحياناً فكأنّه غشى عليهم، من خوف الموت.

إن قلت صدر الآية دل على إيمانهم بالله و رسوله و ذيل الآية و هو قوله: رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يدُّل على نفاقهم و الإيمان و النفاق لا يجتمعان في قلب واحد.

قلت الإيمان يطلق على معنيين:

أحدهما: الإيمان المستودع و هو الذي لم يستقر في القلب و قد يعبّر عنه بالإيمان اللساني كما يعبّر عنه بالإيمان المستعار و هو إيمان أكثر المؤمنين.

الثّانى: الإيمان المستقرّ الثّابت في القلب و هو الّذي لا يزول عنه لرسوخه في جميع الأعضاء و على هذا فالمراد بالإيمان في صدر الآية هو الأوّل أعني به إيمان العوام و من المعلوم أنّه لا يخلو عن النّفاق قلّ أو كثر، هذا و يحتمل أن يكون المراد بالّذين في قلوبهم مرض غير المؤمنين المذكورين في صدر الآية أي و يقول المنافق كذا و كذا و على هذا فصدر الآية حكاية عن المؤمنين و ذيلها حكاية عن المنافقين الّذين كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم و الله أعلم.

و أمّا قوله تعالى: فَأُولٰى لَهُمْ قال قتادة هو تهديدٌ و وعيدٌ كأنّه قال العقاب أولى بهم و هو ما يقتضيه قبح أحوالهم و به قال الجوهري، قال الشّاعر:

فأولى ثـــــم أولى ثــم أولى و هل للدّر يحلب من مـردّ

و قال الأصمعي معناه، قاربه ما يهلكه و أنشد فيه:

فعادى بين هاديتين منها و أولى أن يزيد على الثّلاث أي قارب أن يزيد قال تعلب و لم يقل أحد في أولى أحسن ممّا قال الأصمعي.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



و قال المبّرد يقال لمن همَّ بالعطب ثمّ أفلت، أولى لك أي قاربت العطب، و قيل هو كقول الرّجل لصاحبه، يامحروم أيُّ شئ فاتك.

و قال الجرجاني هو مأخوذٌ من الويل فهو، أفَعل، ولكن فيه قلب و هـو أنّ عين الفعل وقع موقع اللآم و قد تمّ الكلام على قوله: فَأُوْلَى لَـهُمْ و الأقوال كثيرة و الأشهر هو قول قتادة و هو أنّه تهديد و وعيد و المعنى كأنّه قال العقاب

طاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ قيل أنَّ هذه الآية متصلَّة بالأولى، و اللاَّم في قوله: لَــهُمْ بـمعنى البـاء أي الطَّاعة أولى و أليق بهم و أحقّ لهم من ترك إمتثال أمر اللّه و هي قراءة (أبيّ إبن كعب) و قيل أنّ طَاعَةٌ نعتٌ لسورة، على تقدير فإذا أنزلت سورة ذات طاعة فلا يوقف على هذا على (أولى لهم) قال إبن عبّاس أنّ قولهم (طاعة) إخبار من الله عزّ وجلّ عن المنافقين و المعنى.

لهم طاعة و قولٌ معروفٌ قبل وجوب الفرائض علهيم فإذا أنزلت الفرائـض شُقّ عليهم نزولها فيوقف على هذا على (فأوليٰ) و قوله: عَزَمَ ٱلْأَمْرُ أَى جَدّ القتال أو وجب فرض القتال، كرهوه، فكرهوا جواب (إذا)محذوف المعني فإذا عزم أصحاب الأمر فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ في الإيمان و الجهاد لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ من المعصية و المخالفة.

أقول و الأكثرون على أنّ طَّاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ كلامٌ مستقلَ غير متصَّلُّ بالآية الأولى محذوف منه أحد الجزئين، أمّا الخبر و تقديره، طاعةٌ و قولٌ معروفٌ أمثل و أحسن و هو قول مجاهد و مذهب الخليل و سيبويه و إمّا المبتدأ و تقديره الأمر أو أمرنا طاعة و قولٌ معروفٌ أي الأمر المرّضي للَّه كذلك و قيل هي حكاية قولهم أي قول المنافقين أي يقولون طاعة و قولٌ معروف و قولهم هذا على سبيل الهزل و الخديعة، و أمّا قولهم، جواب

(إذا)محذوف و تقدير الكلام فكرهوه، فهو أيضاً من قبيل الأكل من القفا و ذلك لأنّ جواب، إذا، قوله: فَلَوْ صَدَقُوا ٱللّٰهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ و لا إشكال فيه.

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوۤا أَرْحٰامَكُمْ إِذَا عَلَى أَقُوالِ: إختلف المفسّرون في معنى الآية على أقوالٍ:

منها، أنَّ توّليتم الأحكام و جعلتم ولاة، أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرّشاء. و منها، أن أعرضتم عن كتاب الله أن تعودوا إلى ما كنتم من أمر الجاهليّة أن يقتل بعضكم بعضاً كما كنتم تفعلونه.

و منها، إن تولّيتم الأمر أن يقطع بعضكم رحم بعضٍ و تقتل بعضكم بعضاً كما قتلت قريش بني هاشم و قتل بعضهم بعضاً.

و منها، إن أعرضتم عن كتاب الله و العمل بما فيه من وجوب القتال، أن تفسدوا في الأرض فيها بالمعاصي و تقطَّعوا أرحامكم فلا تصلونها فأنّ اللّه يعاقبكم عليه بعذاب الأبد و يلعنكم.

هذه الوجوه مذكورة في التبيان بناء على فتح التّاء في توَّليتم، و قرئ بضّم التّاء و الواو و كسر اللّم و هى قراءة إبن أبي إسحاق و قال القرطبي هي قراءة على بن أبي طالب عليّا و أمّا الوجوه المذكورة في تفاسير العامّة و الخاصّة فهي مختلفة الألفاظ و المأل فيها واحد و أظهر الأقوال بينهم هو أنّ اللّه عني به المنافقين.

و قال إبن أبي حيّان قريش و كيف كان فالأمر سهلٌ بعد وضوح المعنى، و الأحسن أن يقال أنّ الآية خطاب للمسلمين من المنافقين و غيرهم الّذين أسّسوا الخلافة الكاذبة بعد موت النّبي من عند أنفسهم على خلاف رضى الله و رسوله و إختاروا الولاة كما شاءوا و أرادوا مع أنّ الخلافة كانت لأمير المؤمنين عليّا لإ بعد موت النّبي و بعده للأثمّة المعصومين من ولده بأمرٍ من الله و قد بيّن ذلك رسول اللّه في قصّة الغدير بأبلغ بيانٍ و أخذ منهم البيعة

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔹



لعلَّى النَّالِدِ فلمَّا غصبوا الخلافة و صاروا حكَّاماً على النَّاس لم يقنعوا بذلك بـل قتلوًا أولاد الرَّسول و شرَّدوهم في البلاد و بالجملة فعلوا من الفجائع و الفضائح ما يعجز اللِّسان عن بيانه و القلم عن تحريره.

فالحَّ أنَّ الآية نزلت في الخلفاء و الحكَّام الظَّالمين و لا نعني بالفساد في الأرض و قطع الأرحام إلاّ هذا و أنّما قلنا أنّهم قطعوا الأرحام لأنّ الخلفاء كانوا من قريش ظاهراً و أهل البيت أيضاً كانوا من قريش فالظُّلم منهم عملي أولاد الرّسول و قتلهم و إستئصالهم من أعظم مصاديق قطع الأرحام و أمّا قتلهم النَّاس فهو من مصاديق الفساد في الأرض.

و محصلَ الكلام أنّ الحكّام و الولاة الّذين خرجوا من السَّقيفة إلى أخر بني العبّاس كانوا كذلك و تفصيل ذلك يطلب من التّواريخ و على هذا فالآية من معجزات الكلام حيث أخبر الله فيها عمّا وقع بعد موت النّبي قبل موته فأفهم.

أُولٰتِكَ ٱلَّذينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمٰىٓ أَبْصٰارَهُمْ

أمًا أنّ اللّه لعنهم فلأنّ الظّالم المفسد ملعون قال اللّـه تـعالى: ألا لَـعنةُ اللّـه على القوم الظّالمين ولم يوجد في العالم أظلم منهم قطعاً.

و أمَّا قوله: فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعْمٰىَ أَبْصَارَهُمْ ففيه إشارة إلى أنَّ اللَّه تعالىٰ وكلهم الى أنفسهم و من وكَّله الله إلى نفسه فله قلبٌ لا يفقه به و له سمعٌ لا يسمع به و له عينٌ لا يبصر بها بمعنى أنَّه لا يتَّرتب على سمعه و بصره إلاّ الإدراك فقط كما في الحيوان و قد تكلَّمنا في هذا الباب سابقاً و قلنا أنَّ السَّمع و البصر إذا لم يترتّب عليهما أثارهما فكأنّهما معدومان و أيُّ فرق بين من يسمع و لا يترتّب عليه أثر و بين من لا يسمع أصلاً و هكذا في البصر و غيرهما من القوى و لذلك عبّر الله عنهما بالصمّ و العمى ثمّ أوضح ذلك بقوله:

أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْانَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالُهَا ٓ

التدبّر و التَّفكر ثمّ الإعتبار و الأقفال جمع قفل و المعنى أفلا يتدبّرون القرأن بأن يتفكّروا فيه ثمّ يعتبروا به أم على قلوبِ أقفالها كأقفال البيوت الّـتي تمنع عن دخول البيت.

قال القرطبي في قوله: أم على قُلُوبِ أَقْفَالُها آي بل على قلوبِ أقفالها أقفلها الله عزّ وجلّ عليهم فهم لا يعقلون و هذا يردّ على القدريّة و الإماميّة مذهبهم و في حديثٍ مرفوع أنّ النّبي اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهَا أَقَفَالاً كأقفال الحديد حتّى يكون الله يفتحها إنتهى.

أقول أمّا تفسيره كلام الله بقوله أي بل على قلوب أقفال أقفلها الله عليهم فهو من الكذب على الله تعالى إذ قال تعالى أم على قلوب أقفالها، و لم يقل أقفال أقفلها الله عزّ وجلٌ عليهم، فهذا من تفسير الكلام بما لا يرضي به صاحبه فكأنَّ القرطبي لم يفرق بين الإخبار المجّرد عن الإنتساب و بين الإخبار مع الإنتساب و الآية من قبيل الأوّل لأنّه تعالى أخبر عن وجود الأقفال و أمّا من أقفل القلوب فالآية ساكتة عنه و بعبارةٍ أخرى أخبر عن وجود الشَّئ لا عن موجده و قد يحصل القفل على القلب بسبب المعصية كما ورد في الأحاديث الصَّحيحة و ما نحن فيه من هذا القبيل فأنّ العاصى إذا دوام على المعصية يوجد في قلبه نقطة سوداء و هي التي تحيط بالقلب و تمنعه عن الدَّرك الصَّحيح و القفل في الآية كناية عن ذلك و ليس المراد أنَّ هناك قفلٌ واقعاً من جزء ٢۶ ۗ الحديد أو كأقفال الحديد كما ذكره في حديثه الَّـذي رواه و هــو أشــبه شــئ بحديث المجانين.

و أمّا الإماميّة فأنّهم قد نزّهوا اللّه تعالى عن هذه الأراجيف و القبائح الّتي لا تليق بجنابه ألم يعلم القرطبي أنّ الآية وردت في ذمّ الذّين على قلوبهم أقفال فلو كان الذامّ هو الّذي أقفل القلوب فالذمّ يرجع إلى الفاعل و هو اللّه تعالى لا إلى المفعول و لكنّه لجهله و غوايته لم يفهم ذلك و نسب الإقفال إلى الله، نعم

بياء الفرقان في نفسير القرآن ك-نكم نحن براؤ عن الخالق الذي خلق العبد و أقفل قلبه عن التدبّر و التفكر و قبول الحقّ ثمّ عاقبه على ذلك لأنّه ظلمٌ قبيح و اللّه الّذي نعبده و نعرفه منزةٌ عنه أعلم بالصّواب.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلٰيَ أَدْبْارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مٰا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلٰي لَهُمْ

قال الله تعالى: أَنَّ دَابِرَ هَؤُلآءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ (٢).

قال اللّه تعالى: **فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ الَّذَبِنَ ظَلَمُوا ُ^{٣)} و الدَّابِر يقال للمتَّأخر و التَّابع.**

و قال بعضهم الدَّبر الظهر و هو الخلف و كيف كان فمعنى الآية أنَّ الَـذين إرتدُّوا و رجعوا عن الحقّ و الإيمان إلى خلفهم أي ما كانوا عليه مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ و ظهر لَهُمُ ٱلْهُدَى و هو الطريق الواضح المفضي إلى الجنّة.

إن قلت كيف يرتّد المؤمن الّذي ظهر له الحقّ.

قلت المراد بالذين أمنوا في الآية ليس أمثال سلمان و أباذر و حذيفة و عمّار و نظراءهم بل المراد من المؤمنين الذين أمنوا بالله و رسوله بألسنتهم

١- المدثّر = ٣٣

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿

دون قلوبهم و هذا الإيمان يعبّر عنه بالإيمان المستعار و أكثر المؤمنين في صدر الإسلام كانوا كذلك ألا ترى أنهم إرتدُّوا بعد موت النّبي و رجعوا عن الحقّ ولاية علىّ بن أبي طالب إلى الباطل و كان ذلك بعد ما تبيّن لهم الهدى في غدير خمّ، و غيره من المواضع فأحيوا سنن الجبّارين الظالمين في الإسلام و أظهروا سنن الجاهليّة بعد إندراسها في عهد النبيّ بتسويل الشّيطان و إمهاله إيّاهم بالأطماع و الإغترار كما قال تعالى: (سوَّل لهم الشّيطان و أملى لهم) فأنّ الاملاء الامهال.

قال بعض المفسّرين من العامّة المراد بهم المنافقون الّذين قعدوا عن القتال بعد ما عملوه في القرأن، ولم يعلم هذا القائل أنّ الحكم عامٌ ولا يختصّ بالقتال في عهد النبيّ بل نقول أنّ الآية ناظرة إلى إرتدادهم بعد موت النّبي أو هي شاملة له بعمومها و إطلاقها مع أنّ الحقّ أنّ الإرتداد كان بعد موته لا قبله كما هو ظاهر عند التّأمل فيها إذ لم يثبت إرتدادهم على أدبارهم في حياة النّبي و أنّما ثبت ذلك بعد موته و على هذا ففي الآية إخبار من اللّه تعالى عمّا وقع بعد موت النّبي و أنّ حكم المرتدّين حكم الكفّار في العذاب يوم القيامة و يؤيّده قوله تعالى في الأيات السابقة حيث قال:

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (١).

و من المعلوم أنّ التولّي و الفساد في الأرض كان بعد موته الله الله الله و على حياته و العجب من مفسري الشّيعة أنّهم لم يتنبّهوا و لم يتفطّنوا به و حملوا الآية على القاعدين عن القتال من المنافقين في عهد النّبي.

قال الزّمخشري في الكشّاف ما هذا لفظه.

فأن قلت من هؤلاء.

قلت اليهود كفروا بمحمّد الله المنافقون الدين قالوا اليهود و الدين كفروا ما نزّل الله التوراة و قيل هم المنافقون الدين قالوا اليهود و الذين كفروا ما نزّل الله



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المنافقون و قيل عكسه و أنّه قول المنافقين لقريظة و النَّضير لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم إلى أخر ما قال بقوله و قيل و قيل.

أقول أنّه ما أتعب نفسه و لم يأت بشئ يعتمد عليه إلا صرف الآية عمّا تكون مشعرة به إلى ما هي أجنبيّة عنه و ليس هذا أوّل قارورة كسرت في الإسلام، فأنّ هذه الأيات من قوله تعالى: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ إلى قوله تعالى: وَ أَمْلَى لَهُمْ نزلت فيمن يتولّى أمر المسلمين بعد النبي و هم الخلفاء و تعليه و أيُّ ربط لها باليهود و القريظة و النّضير و أمثالهم كما زعمه صاحب الكشّاف و من قلّده في تفسير الكلام اليس في هذه الأيات في تولّي أمور الملسمين و بعبارة أخرى المخاطب في قوله: فَهَلْ عَسَيْتُمْ الى آخر الآية الملسمين و بعبارة أخرى المخاطب في قوله: فَهَلْ عَسَيْتُمْ الى آخر الآية الولاة على هذه الأمّة و هي الخلفاء و الحكّام بعدهم الى يوم الوقت المعلوم و إنّي أظنّ أنّ صاحب الكشّاف و من تبعه أو قدَّمه في هذا التّفسير خافوا من قوله تعالى: أُولِيَّكَ ٱلّذينَ لَعَنَهُمُ ٱللّهُ و حقّ لهم أن يخافوا فأنّ من يفسد في الأرض و يقطع الأرحام جزاءه اللّعنة و العذاب في الأخرة و أن كان الشّيطان أمهلهم في الدُّنيا أيّاماً معدودة و هذا ظاهرً.

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ ٱللهُ سَنُطيعُكُمْ في بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَ ٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْراٰرَهُمْ

معنى الآية على ما فسرو الكلام أنّ المنافقين أو الكفّار قالوا للّذين كرهوا ما نزّل اللّه، من القرآن و ما أمرهم به من الأمر و النّهي و الحلال و الحرام و شبّهوا عليهم ذلك و مالوا الى خلافه، و قيل هذا قول اليهود للمنافقين سنطيعكم، في بعض الأمر أي نفعل بعض ما تريدونه الى آخر ما قالوا، و أمّا على مذهب المختار فمعنى الآية أنّهم أي الولاة قالوا للّذين كرهوا ما نزّل اللّه في أمر الولاية: سَنُطيعُكُمْ في بَعْضِ ٱلْأَمْرِ و هذا كقول بعض الولاة منّا الأمراء و منكم الوزراء.

و في قولٍ آخر نحن الأمراء و أنتم الوزراء نشاوركم في جميع الأمور، تعالى: وَ ٱللَّهُ يَعْلُمُ إِسْرِاْرَهُمْ أَي و اللّه يعلم ما أسرُّوا و أخفوا في قلوبهم من نقض العهد و العمل على خلاف ما قالوا به و حيث إنجرٌ الكلام فلا بدّ لنا من نقل بعض الأخبار الواردة في الباب.

فنقول روي الحافظ الحسكاني و هو من أعيان العامّة في كتابه، المسمّى بشواهد التّنزيل بأسناده عن إبن عبّاس في قوله تـعالى: فَــهَلْ عَسَــيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فلعلَّكم أن ولَّيتم أمر هذه الأمَّة تفضوا للَّه و تقطَّعوا أرحامكم، إبن عبّاس فولاهم الله أمر هذه الأمّة فعملوا بالتجبُّر و المعاصي و تقطّعوا أرحام نبيهم محمّد الله والمالية و أهل بيته إنتهي. (١)

أقول هذا الحديث نقله الحسكاني في شواهده و هو نصٌّ على ما قلناه و إستظهرناه من أنّ المراد بهذه الأيات ليس ما توهّمه أكثر المعرضين عن الحقّ و أمًا قوله في آخر الحديث (فولاّهم اللّه أمر هذه الأمّة) فهو من فلتات القـول و أن شئت قلت هو كذبٌ على الله تعالى إذ لو كان الأمر كما ذكره من توليته الله أيّاهم لقال: (فهل عسيتم إن ولآكم الله) أو نظير ذلك، و حيث لم يقل ذلك بل قال: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلِّيْتُمْ ففيه إشارة الى أنّ الله لم يولُّهم بل النّاس ولُّوهم على الأمّة إذ ولأُّهم الله فلا ذنب لهم، إذ لهم أن يقولوا لله يوم القيامة أنَّك كنت تعلم بعلمك السّابق إنّا نفسد في الأرض و نقطع الأرحام، فلم وليتنا على الأمّة و أنَّما قلنا ذلك لعدم صحّة نسبة هذه التَّولية الى اللَّه إلاَّ بضربِ من المجاز جزء ٤٧٠ الّذي يصحّ سلبه بحسب الحقيقة، كما لا يصحّ نسبة قتل قابيل هابيل الى الله و هكذا لا يصّح نسبة قتل يحيى و زكريا اليه و كما لا تصّح نسبة تمرّد الشّيطان و غيره من إخوانه و أعوانه الى الله و إلاّ يلزم إبطال الشّرائع و كون اللُّه أعبث العابثين و اللاّعبين تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً ذلك ظنّ الّذين كفروا فـويلّ للكافرين من النّار.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

79 - je 17 - je 18 - j إن قلت فمن ولأهم على الاءمّة.

قلت ولأهم أعوانهم و أنصارهم ممّن كانوا شركاؤهم في الغنيمة التي وجدوها و أغتنموا بها ألا ترى أن عمرو بن العاص لعنه الله في قصّة الحكمين خلع عليًا عن الخلافة و نصب معاوية لها لأجل حكومة مصر فلمًا ولي معاوية جعله حاكماً على مصر ما دام حياته، و هكذا عبد الرّحمن بن عوف بايع عثمان بن عفّان و ترك علّياً مع أنّ علّياً لا يقاس بغيره كائناً من كان فضلاً عـن عثمان، و هكذا عمر بن الخطاب بايع أبابكر قبل بيعة النّاس في السّقيفة، و أنّ أبابكر حين وفاته لم يجعل الأمر شوري بل نصب عمر و جعله والياً على المؤمنين من غير مشورةٍ و هكذا الأمر في سائر الخلفاء و ذلك لأنّ النّاس عبيد الدُّنيا و الَّدين لئقٌ على ألسنتهم فإذا محصّوا بالبلاء قلُّ الدّيّانون، و الأصل في ذلك أنَّ اللَّه تعالى جعل النَّـاس مختارين في أفـعالهم و أقـوالهـم فـي الدِّنيا يجعلهم مجبورين مضطرين ولذلك تراهم يفعلون ويقولون مالا يرضى الله به كتركهم الواجبات و فعلهم المحرّمات أتظنّ أنّ اللّه تعالى يرضي بترك الواجب و فعل الحرام و إذا كان الأمر على هذا المنوال فمانحن فيه أيضاً من هذا القبيل.

فقول إبن عبّاس، فولاًهم الله أمر هذه الأمّة شططٌ من الكلام و لنشر الى بعض ما ورد عن أهل البيت عليهم السّلام في تفسير الآية.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المجلد السادس :

عرَّفهم الأئمّة من بعده و القائم اللَّهِ وَ أُتيهُمْ تَقُويْهُمْ أَماناً من النّار و قال اللّهُ ثمّ إستغفر و قال اللّهِ إلا و قوله عزّ وجلّ: فَاعْلَمْ أَنّهُ لا إِلٰهَ إِللّهَ اللّهُ ثمّ إستغفر لذنبك و للمؤمنين) و هم علي الله و أصحابه، و المؤمنات و هم خديجة و صويحباتها، و قال الله في و قوله تعالى: وَ ٱلّذينَ أَمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِخاتِ وَ أَمَنُوا بِما نُزّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ هُو ٱلْحَقُّ مِنْ عَمِلُوا ٱلصَّالِخاتِ وَ أَمَنُوا بِما نُزّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ هُو ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيّئاتِهِمْ وَ أَصْلَحَ بِاللّهُمْ ثمّ قال و الذين كفروا، بولاية علي يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلأَنْعَامُ وَ ٱلنّارُ مَثُوًى بولاية علي يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلأَنْعَامُ وَ ٱلنّارُ مَثُوًى لَهُمْ ثمّ قال الله الله عَلَى المحمّد و الشياعهم الحديث (١).

ما رواه بأسناده عن عبد الرّحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه في قوله تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلٰىٓ أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ وَله تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلٰى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى فلان و فلان و فلان، إرتدَّوا عن الإيمان في ترك ولاية أميرالمؤمنين عليه قال قلت له قوله تعالى (ذلك بأنهم قالوا للذّين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر قال عليه النّبي المَّالِيُهِ و لا أمية الى ميثاقهم أن لا يصيروا الأمر فينا بعد النّبي المَّالِيُهُ و لا يعطونا من الخمس شيئاً و قالوا إن أعطيناهم لم يحتاجوا الى شيئ و لم يبالوا أن لا يكون الأمر فيهم فقالوا، سنطيعكم في بعض الأمر الذي دعوتمونا اليه و هو الخمس لا نعطيهم منه شيئاً.

و قوله: كَرِهُوا ما نَزَّلَ ٱللهُ و الذي نزَّل الله ما إفترض من ولاية علي النَّلِا على خلقه و كان معهم أبو عبيدة و كان كاتبهم فأنزل الله عزّ وجلّ: أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنّا مُبْرِمُونَ، أَمْ يَحْسَبُونَ أَنّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجُويِهُمْ إِنْتَهِي (٢).

ما وراه بأسناده عن أبي عبد الله النَّالِ في قول الله عزّ وجلّ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلٰىٓ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْـهُدَى قال النَّلِاِ: الهدى هو سبيل علّي بن أبي طالب النَّلِاِ إنتهى (١).

و لولا مخافة الإطالة لنقلنا من الأخبار أكثر ممّا نقلناه و لكن فيما ذكرناه كفاية لأولي الأبصار و لا شكّ أنّ أهل البيت أدرى بما فيه.

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلاّئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجوُهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ

ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله و كرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، أمّا ضرب الملائكة وجوههم و أدبارهم أي ظهورهم فهو حين الموت و أمّا قوله: ذلك يأتَّهُمُ ٱتَّبَعُوا فهو بمنزلة التعليل لضرب الوجوه و الأدبار، فكأنّه قيل لم يضرب الملائكة وجوههم و أدبارهم و أيُّ ذنبٍ صدر عنهم، فقال تعالى ذنبهم أنهم إبَّعوا ما أسخط الله أي ما أوجب سخطه و غضبه و أنّهم كرهوا رضوانه تعالى فأحبط الله أعمالهم.

روي عن الباقر المَيْلِا أنّه قال: كرهوا عليّاً وكان أمر الله بولايته يوم بدر و يوم حنين و ببطن نخلة و يوم التّروية و يوم عرفة نزلت فيه خمس عشرة آية في الحجّة الّتي صدّ فيها رسول الله الله اللّه الل

أَمْ حِسِبَ ٱلَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَانَهُمْ

الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، و الأضغان الأحقاد و الحقد يضمر من المكروه و إختلفوا في معنى الحقد فقال السُّدي الحقد الغشّ، و قال إبن عبّاس الحقد الحسد، و قال قطرب، العداوة، و قال في التّبيان في معنى الآية أَمْ حَسِبَ ٱلَّذَيِنَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أي نفاقٌ و شكٌ يظنُّون أَنْ لَنْ يُخْرِجَ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

کی المجلد السادس عشر

ٱللَّهُ أَضْغَانَهُمْ أي إعتقادهم مع المؤمنين و لا يظهرها و لا يبدي عوراتهم للنبيِّ طَلْهُ وَسَلَمْهُ عَلَيْهِ إِنتهي.

و قال صاحب الكشَّاف أَضْغَانَهُمْ أحقادهم و إخراجها إبرازها لرسول اللَّه و للمؤمنين و إظهارهم على نفاقهم و عداوتهم لهم و كانت صدورهم تغلى حقداً عليهم إنتهي.

و قال القرطبي، أم حسبوا أن لن يظهر الله عداوتهم وحقدهم لأهل الإسلام إنتهى و به ذلك غيرهم من المفسّرين و ظاهر ألفاظ الآية يقتضي هذا المعنى ثمّ أنّهم إتفّقوا على أنّ المراد بالّذين في قلوبهم مرض، المنافقون، يبيّنوا في تفاسيرهم المحقود عليه بشخصه هل هو الرّسول الله والمُ الله و عليه و يظهر من كلام أكثرهم أنّ المحقود علهيم هم المسلمون و من كلام بعضهم هو الإسلام.

و حاصل كلمات المفسّرين أنّهم أي أهل النّفاق حقدوا على الإسلام و المسلمين، هذا و الذي ظهر لي في تفسير الآية بقرينة الأيات السّابقة الّتي مضى الكلام فيها: هو أنّ المنافقين الّذين في قلوبهم مرض انوا من أصحاب الرّسول في ظاهر الأمر، و المحقود عليه أميرالمؤمنين علّى بن أبي طالب و منشأ حقدهم و حسدهم و عداوتهم أنه قتل أقربائهم في بدر و أحد و غيرهما كما تشهد به التّواريخ و لذلك كانوا ينتهزون الفرصة لإخراج أضغانهم فلمّا مات النَّبِي وَاللَّهِ عَلَيْهُ أَخْرِجُوهَا عَن قلوبَهِم و غصبوا حقَّه و هتكوا و قتلوا أولاده يزء ٧٤ ل واحداً بعد واحدٍ و لا يبعد أن يكون هذا أي الأحقاد المستورة في القلوب هـ و الأصل في إعراضهم عن أهل بيت النبي و تركهم و اقبالهم إلى أعداء الله و رسوله أمثال معاوية و يزيد و عبدالملك و غيرهم من الظالمين و المتّأخرين و الدُّليل على ذلك لولا حقدهم و عداوتهم لعليٌّ لأجل ما ذكرناه فما الباعث على تقديمهم غيره عليه مع أنه كان أفضل من جميعهم قطعاً بإعتراف أهل الإنصاف و قبح تقديم المفضول على الفاضل عقلاً هذا كلّه مضافاً إلى

وَلَوْ نَشٰآ ءُلاَّرَيْنٰا كَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسيماهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَ ٱلله يَعْلَمُ أَعْمٰالَكُمْ

فمعناه أنّ اللّه تعالى هو العالم بالضّمائر و ما في القلوب لا غيره و هو الّذي عرّف المنافقين لنبيّه عَلَوْتُ و كان النّبي عارفاً بهم بأذن اللّه تعالى، و قوله: وَ لَتَعْرِفَتَّهُم فَي لَحْنِ ٱلْقُولِ فالمراد من لحن القول بغضهم لعليّ عليه السّلام أي و لتعرفنّهم ببغضهم لعلّى بن أبى طالب.

روى الحافظ الحسكاني في شواهده و هو من أعيان العامّة بأسناده عن أبي سعيد الخدري في قوله جلّ شأنه وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ الْقَوْلِ قال ببغضهم علّي بن أبي طالب(١).

و في مجمع البيان عن أبي سعيد الخدري قال لحن القول بغضهم علّي بن أبي طالب.

و روى عن جابر بن عبد الله الأنصاري و عن عبادة بن الصّامت قال، كنّا نبور (أي نختبر) أولادنا بحبّ على بن أبي طالب فإذا رأينا أحدهم لا يحبّه علمنا أنّه لغير رشده (رشده بالفتح و الكسر) ضدّ الزّينة.

قال أنس ما خفى منافق على عهد رسول الله بعد هذه الآية و نقل صاحب الكشّاف عن أنس أنّه قال، و لقد كنّا في بعض الغزوات و فيها تسعة من المنافقين يشكوهم النّاس قاموا ذات ليلةٍ و أصبحوا و على جبهة كلّ واحدٍ منهم مكتوب هذا منافق إنتهى.

أقول هذا الحديث من الموضوعات وضعه أنس أو غيره و ذلك لأنّ اللّه ستّار العيوب و أمر عباده أيضاً بذلك فكيف يعقل أن يفعل ما ينافي ستّاريته مضافاً إلى أنّ راوي الحديث و هو أنس كان من رؤوس المنافقين الملعونين فلم لم يكتب على جبهته هذا منافق.

إذا عرفت المراد من قوله: وَ لَتَعْرِفَنَهُمْ فَى لَحْنِ الْقُوْلِ و أَنّه بغضهم و عدواتهم لعلّي بن أبي طالب فقوله تعالى: وَ اللّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ معناه لا يخفى على اللّه شيئاً فهو عالم بالضّمائر كما هو عالم بالظّواهر لأنّه علام الغيوب، و لا يبعد أن يكون المراد بلحن القول، سبّهم و لعنهم لعلّي بن أبي طالب بعد النبّي بل هذا المعنى أوفق و أليق بظاهر اللّفظ و ذلك لأنّ المذكور في الأية، لحن القول، و البغض أمر باطنى لا ربط له بالقول و هذا بخلاف السبّ و الشّتم و اللعن فأن هذه الأمور من لحن القول قطعاً و أيّ قولٍ أسوء و أشنع من سبّ المعصوم الذي هو في الحقيقة سبّ الله و رسوله.

و محصل الكلام في هذه الأيات من قوله تعالى: فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ الله تعالى أخبر نبيّه بأنّ ضرر المنافقين الذين الذين دخلوا في الاسلام ظاهراً و أبطنوا الكفر و النّفاق في قلوبهم أشد و أعظم على الإسلام و المؤمنين من الكفّار الذين لم يدخلوا في الإسلام أصلاً أمثال أبي جهل و أبي لهب و عتبة و شيبة و غيرهم و هو كذلك كما تشهد به التّواريخ.

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ ٱلصَّابِرِينَ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ وَرَا السَّابِرِينَ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ وَرَا عَلَى اللَّهِ وَالْمَالِمِينَ لِمَا لَبِثُوٓا أَمَدًا

إعلم أنّ الظّاهر من كلمات المفسّرين أنّ الآية نزلت في الكفّار أي أنّا نبلوا هؤلاء الكفّار و الإبتلاء الإمتحان و الإختبار و معناه أنّا نختبرهم بما نكلّفهم من الأمور الشّاقة قاله الشّيخ في التّبيان ثمّ أطال الكلام بما لا نحتاج إلى ذكره، وبه قال المفسّرون من العامّة أيضاً قال القرطبي، وَ لَنَبْلُونَ لَكُمْ أي نتعبّدكم بالشّرائع و إن علمنا عواقب الأمور.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

کی المجلد السادس ع کی ایمجلد السادس ع

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

و قال صاحب الكشّاف هم قريظة و النَّضير.

أقول الظّاهر أنّ الآية نزلت في المنافقين و إن شئت قلت في جميع المسلمين بدليل قوله: حَتّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجٰاهِدينَ مِنْكُمْ و ٱلصّابِرينَ و من المعلوم أنّ الجهاد و الصّبر على مشاقه من و ظائف المسلم المؤمن و الكافر لا يقول بالجهاد لكفره و ليت شعري ما الّذي دعاهم إلى ما حملوا الآية عليه و الحقّ أنّ الله تعالى بيّن في هذه الآية أنّ الإبتلاء و الإختبار ممّا لابد منه لكل مسلم بل لكلّ بشر في الدُّنيا و على هذا فالآية خطاب للمسلمين يقول الله فيها و كنّ بُلُونَكُمْ بأنواع الإبتلاء لأجل الإختبار و الإمتحان حَتّىٰ نَعْلَمَ فيها و كُلُمُجاهِدينَ مِنْكُمْ و الصّابِرينَ على الجهاد.

وَ نَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ

أي و نعلم المطيع من العاصي.

قال الله تعالىٰ: وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىء مِنَ ٱلْخَوْفِ وَ ٱلْجُوعِ وَ نَـقْصٍ مِنَ ٱلْأَمْوالِ وَ ٱلْأَنْفُسِوَ ٱلثَّمَراٰتِ وَ بَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ (١).

قال الله تعالى: إِنَّا جَعَلْنا مَا عَلَى ٱلأَرْضِ زبِنَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ٢٠).

و الأيات كثيرة و ما نحن فيه من هذا القبيل فالآية بصدد بيان حكم كلّي قد جرت سنّة الله بذلك في أولاد أدم و هو الإختبار في الدُّنيا ثمَّ ترتَّب الجزاء من الثّواب و العقاب عليه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَ شٰآقُّوا ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدٰى لَنْ يَضُرُّوا ٱلله شَيْئًا وَ سَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ

أخبر الله في هذه الآية أنّ الّذين كفروا باللّه و رسوله و أنكروا التّوحيد و النّبوة و صدُّوا عن سبيل اللّه، أي منعوا غيرهم عن الإيـمان بـاللّه و رسـوله، و شاقُّوا الرّسول، أي هاندوه و خالفوه و آذوه بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُّ الْهُدَى أي بعد ما تَبَيَّنَ لَهُمُّ اللهُ عَنَيٌ ما تَبَين الحقّ بواسطة الرّسول لهم لَنْ يَضُرُّوا الله شَيْعًا و ذلك لأنّ الله عني عن طاعتهم أمناً من معصيتهم، و سيحبط أعمالهم، و يستحقّون عليها العقاب.

وإعلم أنّ المفسّرين حملوا الكفر في الآية على إنكار التّوحيد و النبوّة و على هذا فالمراد بقوله: إِنَّ ٱلّذين كَفَرُوا الكفّار الذين لم يؤمنوا باللّه أمثال أبى جهل و أبى لهب و عتبة و شيبة و غيرهم، و يحتمل أن يكون المراد بالكفر في الآية الكفر على نعمة الولاية و عدم قبولها بعد ما تبيّن لهم الهدى، و هو الولاية في غدير خمّ، و شاقُوا الرّسول، بإنكارهم و إعراضهم عمّا بيّن الرّسول لهم، لَنْ يَضُرُّوا ٱللّه شَيْعًا و أنّما ضرُّوا نفوسهم، و سيحبط أعمالهم الّتي عملوها في الإسلام لخلُوها عن الولاية كما وردت به الأخبار فأنّ إنكار الولاية يرجع إلى إنكار النبوة و هو إلى إنكار التوحيد و لا نعني بالكفر إلا هذا، أمّا أنّ يرجع إلى إنكار النبوة فلأنّ النبي وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهُوْى، إِنْ هُوَ إِلّا فَكَار الولاية وَحْى يُوحَى (١) فما قاله النبي هو قول اللّه تعالى و قد ثبت أنّ النبي الله النبي الله الله على الهدى.

من كنت مولاه فهذا علّيُ مولاه اللّهم وال من والاه و عاد من عاداه و أنصر من نصره و أخذل من خذله الخ.

و قال أيضاً فيه، أما ترضى ياعلي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبّى بعدى.

استثنى من الحكم النّبوة و أبقى فيه سائر الخصال كائناً ما كان و فى رأسها الولاية على النّاس فلو لم تكن الولاية ثابتة لعليّ بعد الرّسول لكان على الرّسول أن يقول الا أنّه لا نبّي بعدي و لا وليّ بعدي، و لم يقل ذلك و بعبارة أخرى أنّ محمّداً الله الله على النّبوة و الولاية، و الدّليل على النّبوة:



اء الفرقان في تفسير القرآن

قال اللّه تعالى: هَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبْآ أَحَدٍ مِنْ رِجْالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ ٱللّٰهِ وَ خَاتَمَ ٱلنَّبِيّينَ (١).

و على الولاية:

قال الله تعالى: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَ رَسُولُهُ (٢).

قال الله تعالى: ٱلنَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ (٣).

و إذا ثبت هذان الوصفان في حقّ النّبي و حيث أنّ النّبي وَالنّبِي اللّهِ السَّبَالَةِ السَّلَّةِ استثنى النَّبوة فقط فبقيت الولاية تحت الحكم فمن أنكر ولاية علَّي فقد أنكر ولاية الرّسول فقد انكر ولاية الرّسول و من أنكر ولاية اللّه بتكذيبه القرأن و لا نعنى بالكفر إلاّ هذا و أنّما حملنا الكفر على كفر النّعمة لأنّ الكفر بولاية اللّه على الخلق ليس معناه إنكار الله بل هو إنكار ولايته كما تقول به المفوضّة من المسلمين و أن كان إنكار الولاية إنكار الله في الحقيقة لأنّ الخالق الّذي لا ولاية له على خلقه فهو كالعدم إلاَّ أنَّ القائل بـه لا يـعدّ كـافراً إصطلاحاً بـمعنى كـفر الجحود، و أنَّما قلنا أنَّ إنكار الولاية من قبيل الكفر بالنَّعمة لأنَّ الولاية من أجَّلُّ النِّعم الَّتي أنعم اللَّه بها على خلقه، و على هـذا فـمعنى الآيــة أنَّ الَّـذين كـفروا بنعمة الولاية بعد الرّسول وَ صَدُّوا و منعوا النّاس عَنْ سَــبيل ٱللّــهِ و هــو الصّراط المستقيم في دينهم و دنياهم و شأقُّوا ٱلرَّسُولَ أي حالفوه و عاندوه فيما أوصاهم به و هو الولاية مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدٰى بالأدلة القاطعة العقليّة و النقليّة في مواضع كثيرة لَنْ يَضُرُّوا ٱلله شَيْئًا بل ضرُّوا بأنفسهم لأنّ من لم يقبل ولاية الله قبل ولاية الشّيطان من حيث لا يحتسب و سَـيُّحْبطُ أَعْمَالَهُمْ لأنّ العمل الّذي لا ولاية فيه لا خير فيه و المراد بالأعمال العبادات و ذلك لأنّ الولاية روح العبادة فالاذكار و الأوراد و الأعمال في الصّلوة و الصُّوم

١- الأحزاب = ٤٠

و الحجّ و أمثالها بمنزلة الجسم و الولاية فيها بمنزلة الرُّوح و بقاء الجسم بالرُّوح فالصّلوة الّتي لا ولاية فيها كالجسم الّذي لا روح فيه.

قال الصّادق النِّهِ: بني الإسلام على خمسٍ، على الصّلاة و الصَّوم و الزّكوة و الحجّ و الولاية و مانودي بشئٍ منها كما نودي بالولاية فاخذ النّاس بالأربع وتركوها.

و الأخبار في الباب كثيرة، و يؤيّد ما إحتملناه في تفسير الآية قوله تعالى: وَ سَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ و ذلك لأنّ الكافر بالله و رسوله لا عمل له حتّى يحبط فأنّ العمل في حال الكفر كالعدم نعم يترتّب عليه العقاب و أمّا الثّواب فلا، و الحبط في الثّواب، أي سيحبط ثواب أعمالهم، و ليس للكفّار ثواب أصلاً.

يا آيُها آلذين امَنُوآ أطيعُوا آلله و أطيعُوا آلرَّسُول و لا تُبْطِلُوٓ ا أَعْمالَكُمْ أُم الله تعالى الذين آمنوا بالله و رسوله بإطاعة الله و إطاعة رسوله و نهاهُم عن إبطال أعمالهم بترك الإطاعة في أعمالهم، ففي هذه الآية أشار الله تعالى إلى أمور هي الأصل في مقام العبوديّة و عليها مدار السّعادة و الشقّاوة.

الأوّل: إطاعة اللّه.

الثّاني: إطاعة الرّسول.

الثّالث: المواظبة على الأعمال من حيث الصِّحة و البطلان.

فنقول الطّاعة، في الأصل الإنقياد فإطاعة الله الإنقياد له في أوامره و نواهيه فقوله: أَطْيِعُوا ٱلله أي كونوا منقادين و مطيعين له في جميع أموركم.

أن قلت المؤمن يكون مطيعاً و منقاداً لرَّبه لا محالة و إلا يكون مؤمناً حقّاً، و على هذا فما معنى قوله: أَطيعُوا ٱللَّهَ و المفروض أنّ الخطاب للمؤمنين.

قلت المراد بالإيمان في الآية الإيمان المستعار و هو الذي يحصل بالقول و أحياناً بالإعتقاد مجرداً عن العمل، فالمعنى (يا أيّها آمنوا بألسنتكم و قلوبكم بالله و رسوله) أطيعوها بأعمالكم أيضاً فأنّ الطّاعة لا تستحقّ إلاّ بالعمل و

سياء الفرقان في تفسير القرآن



الدّليل على ذلك قلوه في آخر الآية وَ لا تُبْطِلُوا أَعْمالَكُمْ و إن شئت قلت أطيعوا الله في أعمالكم هذا في إطاعة الله واضح لاكلام فيه.

و أمّا إطاعة الرَّسول فهي في الحقيقة إطاعة اللّه و إنّما خصَّها بالذكر لأنّ النّبي يبيّن للنّاس كيفيّة إطاعة اللّه و لذلك قال اللّه تعالى: مَا أَتَ يَكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُو (١) و أمّا قوله: وَ لا تُبْطِلُوۤا أَعْمَالَكُمْ.

فقال الزّمخشّري ـ في تفسيره أي لا تحبطوا الطّاعات بالكبائر كقوله تعالى: لا تَرْفَعُوۤا أَصْواٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ (٢).

و نقل عن أبى العالية أنّه قال كان النّبي يرون أنّه لا يضرّ مع الإيمان ذنبٌ كما لا ينفع مع الشّرك عمل حتّى نزلت و لا تُبْطِلُوۤا أَعْمالَكُمْ فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم، و عن حذيفة فخافوا أن يحبط الكبائر أعمالهم.

و عن إبن عمر، كنّا نرى أنّه ليس شئ من حسناتنا إلاّ مقبولاً حتّى نزل وَ لا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ فقلنا ما هذا الّذي يبطل أعمالنا، فقلنا الكبائر الموجبات و الفواحش حتّى نزل: إِنَّ اَللّهُ لا يَعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشْمَانًا الكلام صاحب الكشّاف الى أن قال يَشْمَاءً (٣) فكفنا عن القول في ذلك، و أطال الكلام صاحب الكشّاف الى أن قال لا تبطلوا بالرّياء و السمّعة و بالشكّ و النّفاق و قيل بالعجب الى آخر ما قال إنتهى كلامه الّذي أردنا نقله.

و تبعه على ذلك كثير من المفسّرين، و قال الشّيخ نَيْنُ في التّبيان وَ لا تُبطِلُوۤا أَعْمالَكُمْ بأن ترفعوها على خلاف الوجه المأمور به فيبطل ثوابكم عليها و تستّحقون العقاب إنتهى.

أقول ما ذكروه لا بأس به فأنّ الإبطال يصدق على جميع ذلك و مصاديقه كثيرة و الأحسن أن يقال لا تبطلوا أعمالكم بمخالفة الرّسول لأنّه تعالى ذكر ذلك بعد قوله و أطيعوا الرّسول و على هذا فعدم بطلان العمل يتوقّف على

١- الحشر = ٧

إطاعة الرّسول قولاً و فعلاً كما أنّ بطلانه يتوقّف على مخفالفته فمن خالف الرّسول في قوله فقد أبطل عمله و قد ذكرنا في تفسير الآية السّابقة ما ينفعك في المقام.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِر

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّ الكافر الصّاد عن سبيل الله لو مات على كفره فلن يغفر الله له أبداً، و مفهوم الآية أنّ الكافر الصّاد عن سبيل الله لو تاب عن كفره قبل الموت و آمن بالله و رسوله فهو مغفورٌ له و ذلك لقوله تعالى: إنَّ **ٱللّٰهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَميعًا ()** و هذا ممّا لا خلاف فيه.

فَلا تَهِنُوا وَ تَدْعُوٓ اللَّهِ ٱلسَّلْمِ وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَ ٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعْمٰالَكُمْ

الوهن الفشل و الضّعف و التّواني في العمل، قيل في معناه لا تتواني في العمل، و قال إبن زيد لا تضعفوا وَ تَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلْم يعني المصالحة وَ أَنْتُمُ آلْأَعْلَوْنَ أي و أنتم القاهرون الغالبون في قول مجاهد وَ ٱللَّـهُ مَـعَكُمْ أي ناصركم و الدَّافع عنكم فلا تميلوا مع ذِلك الى الصُّلح و المسالمة بـل جـاهدوا و أصبروا عليه، و قوله: وَ لَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ أي لن ينفعكم أجور أعمالكم، يقال وتره وتراً إذا أنقصه و هو قول مجاهد و قال إبن عبّاس(لن يـظلمكم) و أصله القطع، هكذا فسَّره الشّيخ في التّبيان و به قال المفسّرون من العامّة و الخاصّة و ظاهر الآية يقتضي ذلك و على هذا ففي الآية حثٌّ و ترغيبٌ الى الجهاد و ذلك لأنّ دعوة الخصم الى الصُّلح و السلم دليلٌ على الضَّعف و الملال و هو لا يليق بشأن المسلم المجاهد في سبيل الله.



كلمة، أنمّا، تفيد الحصر أشار الله تعالى في هذه الآية الى أنّ الحياة الدُّنيوية لعبٌ و لهوٌ في الحقيقة و ذلك لزوالها و عدم بقاءها و مع ذلك هي محفوفة بالأفات و الهموم و ما كان كذلك لا يعتمد عليه ثمّ قال تعالى: (و إن تؤمنوا بالله و رسوله و اليوم الأخر) و تَتَقُوا بإجتناب المعاصي و فعل الواجبات يُوْ تِكُمْ أُجُورَكُمْ على ذلك و لا يَسْتَلْكُمْ أَمُوالْكُمْ أن تدفعوها اليه و قيل معناه لا يسألكم أموالكم كلّها، و إن أوجب عليكم الزّكاة في بعض أموالكم، و قيل معناه لا يسألكم أموالكم محمّد أموالكم أجراً على تبليغ الرّسالة ففي الآية ترغيبٌ و تحريصٌ على الزُهد في الدّنيا الفانية و التوجّه الى الدّار الأخرة الّتي لا فناء لها و أنّ من إختار الفاني على الباقي كانِ جاهلاً فأنّ الدُّنيا دار من لا دار له.

و أَمَّا قوله: وَ لَا يَسْئَلْكُمْ أَمُوالكُمْ أَي أَنَّ الله لا يسألكم أموالكم لعدم إحتياجه اليها بل هو المنعم بها عليكم.

إِنْ يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَ يُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ

الاخفاء الإلحاح في المسألة و قيل الاخفاء طلب الجميع، لمّا قال اللّه تعالى في الآية السّابقة و لا يَسْتَلْكُمْ أَمُوالَكُمْ أَي أَنَ اللّه أو الرّسول لا يسألكم أموالكم، قال في هذه الآية إِنْ يَسْتَلْكُمُوها أي إن يسألكم اللّه أو الرّسول أموالكم، فَيُحْفِكُمْ أي يلح و يصر عليكم في أخذ أموالكم، تَبْخُلُوا من الإنفاق و يُحْرِجُ البخل أَضْعُانَكُمْ و أحقادكم لأنّ في سؤال الأموال بالإحفاء خروج الأضغان و الأحقاد الّتي في القلوب و تظهر العداوات الباطنة.

هٰ آ أَنْتُمْ هَوُّلآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا في سَبيلِ ٱللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَ مَنْ يَبْخَلُ وَ مَنْ يَبْخَلُ وَ مَنْ يَبْخَلُ وَ مَنْ يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَ ٱللهُ ٱلْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ ٱلْفُقَرْآءُ وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَبْخَلْ فَإِنَّمُ ٱلْفُقَرْآءُ وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا يَبْخُرُ فُوَ اللهُ الْعُنْوَ اللهُ ال

ئيا، القرقان في تفسير القرآن کيا۔ الفرقان في تفسير القرآن کي

قيل أنَّما كرّر التَّنبيه في موضعين للتّوكيد فقال: هٰ ٓ أَنتُمْ هَوُّلآءِ و قيل، ها، للتّقريب، تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا في سَبيل ٱللّهِ أي في الجهاد وطريق الخير فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَ مَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ أَى علىٰ نفسه وكلمة، من، في قوله: فَمِنْكُمْ للتّبعيض، أي بعضكم يبخل عن الإنفاق في سبيل اللّه و لا ينفق و من يبخل عن الإنفاق فأنمِّا يبخل عن نفسه، أي على ضرِر نفسه لأنّ البخل يمنعها الأجر و النُّواب وَ ٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ عن جميع ما سواه وَ أَنْتُمُ ٱلْفُقَرٰ آءُ في جميع شئونكم ذاتاً و صفةً، و الدليل على ذلك أنّ المخلوق قائم بـخالقه و موجده بمعنى أنّه لا قوام له كان كذلك فهو نفس الفقر لا شيٌّ له الفقر و قـد تقدُّم الكلام في هذا البابِ سابقاً ثمّ قال تعالى: وَ إِنْ تَتَوَلُّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ التوَّلي الإعراض أي أن تعرضوا عن أمر الله و نهيه و لا تعملون بما فيهما يستبدل قوماً غيركم، أطوع لله منكم و المستبدل هو الله تعالى أي يستبدل الله بهم من في المعلوم أنّهم يخلقون بعد، قيل من الملائكة، و قيل هم قومٌ من اليمن و قيل هم الأنصار و قيل سلمان و أشباهه من أبناء فارس.

قال صاحب الكشّاف، أي يخلق قوماً سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الإيمان و التّقوي غير متوّلين عنهما و نقل عن الحسن، هم العجم، و عن عكرمة أنّهم فارس و الرُّوم و سئل رسول اللّه وَ اللّه عن القوم و كان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه و قال هذا و قومه و الذي نفسى بيده ن ٢٤٠ لو كان الإيمان بالثُّريا لتناوله رجال من من فارس إنتهى.

و نقل القرطبي عن المحاسبي أنَّه قال فلا أحد بعد العرب من جميع أجناس الأعاجم أحسن ديناً و لاكانت العلماء منهم إلا الفارس إنتهي.

و قوله تعالى: ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ أي في البخل بالإنفاق في سبيل الله. و الله أعلم.

لله يُورَةُ ٱلْفَتْحِ ﷺ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

إِنًّا فَتَحْنًا لَكَ فَتُحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيَكَ صِراطًا مُسْتَقيمًا (٢) وَ يَنْصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنْزَلَ ٱلسَّكينَةَ في قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا إيمانًا مَعَ إيمانِهِمْ وَ لله جُنُودُ ٱلسَّمُواتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَليمًا حَكيمًا (١) لِيُدْخِلَ ٱلْـمُؤْمِنينَ وَ ٱلْـمُؤْمِناتِ جَنَّاتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدينَ فيهَا وَ يُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظيمًا (۵) وَ يُعَذِّبَ ٱلْمُنافِقينَ وَ ٱلْمُنافِقاتِ وَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَ ٱلْمُشْرِكَاتِ ٱلظَّآبِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْء عَلَيْهِمْ دٰآئِرَةُ ٱلسَّوْء وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سٰآءَتْ مَصيرًا (۶) وَ لِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزيزًا حَكيمًا (٧) إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزّرُوهُ وَ



تُوَقِّرُوهُ وَ تُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (٩)إنَّ ٱلَّذِينَ يُبْايِعُونَكَ إِنَّمٰا يُبْايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْديهمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱلله فَسَيُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠) سَيَقُو لُ لَكَ ٱلْمُخَلِّفُونَ مِنَ ٱلْأُعْرِاٰبِ شَغَلَتْنآ أَمْواٰلُنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ في قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَ زُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْء وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعيرًا (١٣) وَ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشْآءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشْآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَـ فُورًا رَحيمًا (١٢) سَيَقُولُ ٱلْـمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونًا نَتَّبعْكُمْ يُريدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ ٱللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبعُونَا كَذٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِـنْ قَـبْلُ فَسَـيَقُولُونَ بَـلْ تَحْسُدُونَنا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إلَّا قَليلًا (١٥) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْراٰبِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْم أُولَى بَأْسِ شَديدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَاِنُّ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مَمْ عُلَمُ الْعُرِقَانِ فَي تفسيرِ القرآنِ ﴿ مُمْ عُلَمُ الْعُرِقَانِ فِي تَفْسير

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

تُطيعُوا يُوْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْاكَمًا تَوَلَّوْاكَمًا تَوَلَّوْهُ كَمُ

◄ اللّغة

جُنُودُ: بضمّ الجيم و النُّون جمع، جند و هو العسكر.

ٱلسَّوْءِ: بفتح السّين القبيح.

دْآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ: بضّم السّين العذاب.

تُعَزّرُوهُ: قيل أي تصروه و قيل التّعزير التّعظيم.

تُورِقُرُوهُ: بضمّ التّاء و كسر القاف المشدّدة، و المصدر منه التَّوقير و هو التَّعظيم و التكريم.

بُكْرَةً وَ أُصِيلًا: البكرة بالضّم الغداة و الأصيل العشّي.

نَكَتَ: النَّكثُ النَّقض.

بُورًا: البور بضمّ الباء الفاسد.

ذَرُونًا: أي أتركونا يقال ذره أي دعه.

يُبَدِّ لُوا: التّبديل التّغيير.

بَكْسٍ: البأس الشِّدة.

تُوَلِّيْتُمْ: التَّولي الإعراض.

◄ الإعراب

عِنْدَ ٱللَّهِ هو حال من الفوز لأنّه صفة له في الأصل فصار حالاً و يجوز أن يكون ظرفاً للفوز لأنّه يكون ظرفاً، لمكان، أو لما دلَّ عليه الفوز و لا يجوز أن يكون ظرفاً للفوز لأنّه مصدر ٱلظّا بَيْنَ صفة للفريقين إِنَّما يُبنايِعُونَ هو خبر، إنّ يَدُ ٱللَّهِ مُبتدأ و ما بعده الخبر و الجمله خبر أخر، لأنّ، أو حال من ضمير الفاعل في يبايعون، أو

مستأنف يُريدُونَ هو حال من ضمير المفعول في ذُرُونًا و يجوز أن يكون حالاً من المخلّفون، و أن يستأنف يُقْاتِلُونَهُمْ يجوز أن يكون مستأنفاً و أن يكون حالاً مقدّرة.

✔ التّفسير

إنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحًا مُبينًا

الفتح إزالة الإغلاق و الإشكال و ذلك ضربان:

أَحَدَهما: يدرك بالبصر كفتح الباب و فتح القفل و الغلق و المتاع، و إلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله:

وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ ۖ ۖ .

و قال الله تعالى: حَتَّى إذا فَتَحْنا عَلَيْهِمْ بِابًا ذا عَذاب شَديدٍ (٢).

الثَّاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهمّ و هو إزالة الغمّ و ذلك ضروبّ:

أحَدها: في الأمور الدُّنيوية كغمٌّ يفرج و فقرٍ يزال بإعطاء المال:

قال الله تعالى: فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبُواْبَ كُلِّ شَيْءٍ (٣).

أى وسَّعناه قال الله تعالى: لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ ٱلسَّمآءِ وَ ٱلْأَرْض^(۴).

الثّاني: فتح المستغلق من العلوم نحو قولك فلان فتح باباً من العلم إذا و عرفت هذا فنقول:

إختلف المفسّرون في معنى المراد منه في الأية، قيل عنى بـ ه فـتح مكّـة و قيل عني به ما إفتتح على النّبي من العلوم و الهدايات الّـتي هي ذريعة إلى الثَّواب و المقامات المحمودة الَّتي صارت سبباً لغفران ذنوبه و قيل المراد بـه،

٧٧ = المؤ منو ن = ٧٧

۱- يُوسف = ۶۵

⁴⁻ الأعراف = 98

فتح الحديبيّة بالصُّلح و قيل المراد به بيعة الرّضوان يوم الحديبيّة و قال مجاهد هو نحره بالحديبيّه و حلقه رأسه و قال كان فتح الحديبيّة أية عظيمة و الأقوال فيه كثيرة و الشمهور بينهم أنّ المراد به فتح الحديبيّة فأنّ الصُّلح من الفتح بل هو أعظم الفتوح لأنّه كان مفتاحاً لفتح مكّة و كيف كان فقد أخبر اللّه تعالى في هذه الآية أنّه كان فتحاً ظاهراً.

أقول الذي وصل إلينا في الباب من طريق أهل البيت الذين هم أدرى بما في البيت.

مارواه على بن إبراهيم في تفسيره لهذه الآية قال حدّثني أبى عن أبى عمير عن أبى سنان عن أبى عبد الله العَلْ قال، كان سبب نزول هذه السُّورة و هذا الفتح العظيم أنّ الله عزّ وجلّ أمر رسوله في النُّوم أن يدخل المسجد الحرام و يطوف و يحلق مع المخلَّفين فأخبر المُنْ المُنْ أصحابه و أمرهم بالخروج فخرجوا فلمّا نزلوا ذا الحليفة أحرموا بالعمرة و ساقوا البدن و ساق رسول الله وَلَهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ستّاً و ستّين بدنة، و أشعرها عند إحرامه من ذي الحليفة ملبّين بالعمرة قد ساق من ساق منهم الهدى مشعرات مجللات، فلمّا بلغ ذلك قريشاً بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً ليستقبل رسول الله فكان يعارضه على الجبال فلمّا كان في بعض الطّريق حضرت صلاة الظّهر فأذَّن بلال و صلّى رسول الله وَ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ فقال خالد بن الوليد لو كنّا حملنا عليهم و هم في الصّلاة لأصبناهم فأنّهم لا يقطعون صلاتهم و لكن تجئ لهم الآن صلاة أخرى أحَّب إليهم من ضياء أبصارهم فلمّا دخلوا في الصّلاة أغرنا عليهم فنزل جبرئيل على رسول اله وَاللَّهُ عَلَيْ بصلاة الخوف.

فلمًا كان في اليوم الثَّاني نزل رسول الله الحديبيّة و هي طرف

. . . .

فلم يتبعه أحد و كانوا يقولون أيطمع محمّد و أصحابه أن يدخلوا الحرم و قد غرّتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم أنّه لا يرجع محمّد و أصحابه إلى المدينة أبداً فلمّا نزل رسول اللّـه الحديبيّة خرجت قريش يحلفون باللّات و العزّى لا يدعون محمّداً يدخل مكّة و فيهم عينٌ تطرف، فبعث إليهم رسول الله عَلَه اللَّه عَلَهُ أَنَّى لم أت لحرب و أنما جئت لأقضى نسكى و أنحر بدنى و أخلى بينكم و بين لحماتها فبعثوا عروة بن مسعود الثّقفي و كان عاقلاً لبيباً و هو الّذي أنزل الله فيه و قالوا أنزل هذا القرأن على رجلٍ من القريتين عظيم، فلمّا أقبل على رسول الله عظم ذلك و قال يامحمّد تركت قومك و قد ضربوا الأبنية و أخرجوا العود المطاميل، يحلفون باللآت و العزّى لا يدعوك أن تدخل مكّة فأنّ مكّة حرمهم و فيها عينٌ تطرف أفتريد أن تبيد أهلك و قومك يامحمّد فقال رسول الله وَاللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ مَا جِئت لحربِ و أنَّما جئت لأقضى نسكى فأنحر بدنى و أخلّي بينكم و بين لحماتها فقال عروة بالله ما رأيت كاليوم أحدّ صدّ كما صددت فرجع إلى قريش فأخبرهم فقالت قريش و الله لئن دخل محمّد مكّة و تسامعت به العرب لنذلّن و لنجترينٌ علينا العرب فبعثوا حفص بن الأحنف و سهيل بن عمر و فلمّا نظر إليهما قال رسول الله وَ اللَّه وَ اللَّه عَلَيْكُ أَنَّ ويح قريش قد نهكتهم الحرب ألا خلُّوا بيني و بين العرب أن أك صادقًا فأنّ أجر الملك إليهم مع النّبوة و أن أك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب لا يسألني اليوم إمرؤاً من قريش خطّة ليس لله فيها سخط إلاّ أجبتهم إليه قال فوافوا رسول الله وَالْمُ اللَّهِ اللّ فقالوا يامحمّد ألا ترجع عنّا عامك هذا إلى أن ننظر إلى ماذا يصير

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

ضياء الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد السادس

أمرك و أمر العرب فأنّ العرب قد تسامعت بمسيرك فأن دخلت بلادنا و حرمنا إستذلّتنا العرب و إجترأت علينا و نخلّى لك البيت في العام المقبل في هذا الشّهر ثلاثة أيّام حتّى تقضى نسكك و تنصرف عنّا فأجابهم رسول الله إلى ذلك و قالوا له و تردّ علينا كلّ من جاءك من رجالنا و نردّ إليك كلّ من جاء من رجالك فقال رسول الله وَ الله عَلَيْ مِن جاءكم من رجالنا فلا حاجة لنا فيه و لكن على أنّ المسلمين بمكّة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام و لا يكرهون و لا ينكر عليهم شئ يفعلونه من شرائع الإسلام فقبلوا ذلك فلما أجابهم رسول الله إلى الصُّلح أنكر عامّة أصحابه و أشدَّ من كان إنكـاراً فلان «و هو عمر بن الخطّاب على ما نقله المؤرّخون» فقال يا رسول الله ألسنا على الحقّ و عدونا على الباطل فقال والمُوسِّعاتُ نعم، قال فنعطي الذِّلة (الدّنية خ ل) في ديننا قال اللَّه عَلَيْ أَنَّ اللَّه وعدني ولن يخلفني قال لو أنّ معى أربعين رجلاً لخالفته و رجع سهيلبن عمر و و حفص بن الأحنف إلى قريش فأخبرهم بالصُّلح فقال عمر يارسول الله ألم تقل لنا أن ندخل المسجد الحرام و نحلق مع المخلِّقين فقال عَلَيْشَ عَلَيْ أَمن عامنا هذا و عدتك، و قلت لك أنَّ اللَّه وعدنى أن أفتح مكّة و أطوف و أسعى مع المخلّقين فلمّا أكثروا عليه قال لهم إن لم تقبلوا الصُّلح فحاربوهم، و ساق الحديث إلى أن قال و رجع حفص بن الأحنف و سهيل بن عمرو إلى رسول الله و قالا يامحمد قد أجابت قريش إلى ما إشترطت عليهم من إظهار الإسلام و أن لا يكره أحدُ على دينه فدعا رسول الله أميرالمؤمنين و قال له أكتب فكتب أميرالمؤمنين، بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، فقال سهيل بن عمرو لا نعرف الرّحمٰن أكتب كما كان يكتب أباؤك

ماء القائد مرام ماء القائد في تفسير القائد

بإسمك اللّهم، فقال رسول اللّه وَلَهُ اللَّهِ أَكْتُ بإسمك اللّهم فأنّه إسم من أسماء الله، ثمّ كتب هذا ما تقاضى عليه محمّد رسول الله و الملاء من قريش فقال سهيل بن عمرو لو علمنا أنَّك رسول الله ما حاربناك، أكتب هذا ما تقاضى عليه محمّد بن عبد الله أتأنف من إسمك يامحمّد فقال رسول الله أنا رسول الله و إن لم تقرّوا ثمّ قال اللهُ اللهُ اللهُ أَمح يا على و أكتب محمّد بن عبد الله فقال أميرالمؤمنين كتب هذا ما إصطلح عليه محمّد بن عبد الله و الملاء من قريش و سهيل بن عمرو إصطلحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين على أن يكفّ بعض عن بعض و على أنّه لا إضلال و لا إغلال و ساق الحديث إلى أخر الكتاب و شهد عليه المهاجرون و الأنصار ثمّ قال رسول الله عَلَيْ اللَّه عَلَيْ أَنَّكُ أَبِيت أَن تمحوا إسمي من النّبوة فوالَّذي بعثني بالحقِّ نبيّاً لنجيبنّ أبناؤهم إلى مثلها و أنت مضيضٌ مضطهدٌ فلمّا كان يوم صفيّن و رضوا بالحكمين كتب هذا ما إصطلح عليه أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان فقال عمرو بن العاص لو علمنا أنَّك أميرالمؤمنين ما حاربناك و لكن أكتب هذا ما إصطلح عليه على بن أبى طالب و معاوية بن أبى سفيان فقال أميرالمؤمنين صدق و الله و صدق رسوله الله الله بذلك، قال فلمّا كتبوا الكتاب، قامت خزاعة فقالت نحن في عهد محمّد رسول الله سَلَا اللَّه عَلَا اللَّه عَلَا وَاللَّهُ عَلَا وَاللَّه قامت بنو بكر فقالت نحن في عهد قريش و عقدها و كتبوا نسختين نسخة عند رسول الله و نسخة عند سهيل بن عمرو و رجع سهيل إبن عمر و حفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم و قال رسول أقول أي أنّ هذا الصُّلح كان فتحاً مبيناً أي ظاهراً لمن كان له قلب و يظهر من هذا الحديث أنّ المراد بالفتح المبين هو الصُّلح في الحديبيّة حيث ألقى اللّه الرُّعب في قلوب المشركين و لأجل ذلك قال تعالى: إِنَّا فَتَحْنا و نسب الفتح إلى نفسه لا إلى المسلمين، لأنّه أدخل الخوف في قلوبهم فهو الفاتح لا غيره و لولا ذلك لكانت الغلبة مع الكفّار قطعاً لقلّة المسلمين و كثرة المشركين و أيّ فتح أعظم و أظهر منه و اللّه أعلم.

لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِراطًا مُسْتَقِيمًا

اللام في لِيَغْفِرَ إمّا للتّعليل و إمّا للغاية، فعلى الأوّل يكون المعنى أنّه علّة للفتح من حيث أنّه مسَّب عن جهاد الكفّار أو السَّعي في إزاحة الشِّرك و إعلاء الدّين و تكميل النّفوس النّاقصة قهراً ليصير ذلك بالتّدريج باعثاً و سبباً لتخليص الضَّعفة عن أيدي الظَّلمة و بعبارة أخرى هذا الصَّلح صار مسبباً و معلولاً عن جهاد الكفّار و إن شئت قلت أنّما فتحنا لك هذا الفتح لِيعَغْفِرَ لَكَ معلولاً عن جهاد الكفّار و إن شئت قلت أنّما فتحنا لك هذا الفتح لِيعَعْفِر لَكَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ فالمغفرة علّة للفتح.

علىٰ الثَّاني: و هو كون اللاّم للغاية فالمعنى إنّا فتحنا لك لأجل المغفرة فهي الغاية و المقصد له و المأل في الإحتمالين واحدٌ كما لا يخفي ثمّ أنّهم إختلفوا في معنى المراد بالذُّنب في الآية بعد دلالة العقل و النقل و إجماع الأمَّة على عصمة الرّسول و معنى العصمة أنّ الله عصمه عن الخطأ و النّسيان و الزَّلل و إذا كان كذلك فما المراد بالذّنب المغفور له في الأية، فنقول.

روى على بن إبراهيم في تفسيره بأسناده عن أبي عبد الله النَّه اللَّه عليه في قوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ قال: النَّالِا ما كان له من ذنب و لا همَّ بذنبِ و لكنّ الله حمله ذنوب شيعته ثمّ غفرها له إنتهى.

و في العيون عن الرَّضا النِّكِ قال: أنَّه سئل عن هذه الآية فقال النَّكِ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى النَّكِ لم يكن أحدٌ عند مشركى أهل مكّة أعظم ذنباً من رسول الله لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مائة و ستين صنماً فلمّا جاءهم بالدّعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم و عظم و قالوا أجعل الألهة إلها واحداً إلى قوله إلا إختلاق فلمّا فتح الله تعالى على نبيّه مكّة قال يامحمّد إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر عند مشركى أهل مكّة بدعاءك إلى توحيد الله فيما تقدّم و ما تأخّر لأنّ مشركي مكّة أسلم بعضهم و خرج بعضهم عن مكّة و من بقى منهم لم يقدر على إنكار التّوحيد عليه إذ دعا النّاس إليه فصار ذنبه عندهم مغفوراً عليهم إنتهى.

و في رواية إبن طاووس عنهم أنّ المراد منه، لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذُنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ عند أهل مكّة و قريش يعني ما تقدّم قبل الهجرة و بعدها فأنَّك إذا فتحت مكَّة بغير قتلِ لهم و لا إستئصالٍ و لا أخذهم بـما قدَّموه مـن العداوة و القتال غفروا ما كانوا يعتقدونه ذنباً لك عندهم متقدّماً و متأخّراً كان

يظهر من عداوته لهم في مقابلة عداوتهم له فلمّا رأوه قد تحكُّم و تمكُّن إستعصى غفروا ما ظنُّوه من الذِّنوب قال بعض المحقِّقين في المقام، قد تُبت عصمته فليس له ذنبٌ فلم يبق لإضافة الذّنب إليه إلاّ أن يكون هو المخاطب و المراد أمَّته كما قيل إيّاك أو هو أو إسمعي يا جارة، قال ـما تقدّم من ذنبك من آدم إلى زمانه و ما تأخُّر من زمانه إلى يوم القيامة فأنَّ الكلِّ أُمَّته فأنَّه ما من أمَّةٍ إلا و هي تحت شرع محمّد وَاللّه وَسَالِتُ من إسم الباطن من حيث أنّه كان نبيّاً و آدم بين الماء و الطِّين و هو سيَّد النّبيين و المرسلين فأنّه سيّد النّاس أجمعين فبشّر الله تعالى محمّداً بقوله: ليَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ لعموم رسالته إلى النَّاس كافَّة و ساق الكلام إلى أن قال فالكلِّ أمَّته من آدم إلىٰ يـوم القيامة فبُّشره اللَّه بالمغفرة إلى آخر ما قال و لا فائدة في نقله و الأقوال كثيرة و المعتمد منها ما نقلناه عن أهل البيت الذين هم أدرى بما في البيت.

و أمَّا قوله: وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بإعلاء كلمة التَّوحيد و ضَّم الملك إلى النُّبوة وَ يَهْدِيكَ صِراٰطًا مُسْتَقيمًا في تبليغ الرّسالة و الإستقامة على طريق الحَّق.

وَ يَنْصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزيزًا

لا يتَّبعه ذلٌّ و حقارةً أبداً فأنّ من ينصره اللّه لا يغلب.

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنْزَلَ ٱلسَّكينَةَ في قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنينَ لِيَزْداٰدُوٓا إيمانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَ لِلَّهِ جُنُودُ ٱلْسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَليمًا حَكيمًا السَّكينة، في الأصل السُّكون، الطمَّأنينة، النُّبات و قد يعبّر عنه بالإيمان.

قال بعض المفسّرين هو ما يفعل الله تعالى بهم من اللَّطف الّذي يحصل لهم عنده بصيرة بالحَّق تسكن إليها نفوسهم و يجدون الثِّقة بها بكثرة ما ينصب لهم من الأذَّلة الدالَّة على الحَّق و هذه النِّعمة التامَّة للمؤمنين خاصَّة و أمَّا

غيرهم فتضطرب نفوسهم لأوّل عارضٍ من شبهةٍ ترد عليهم إنتهى أقول ما ذكروه في معناها لا إشكال فيه إلاّ أنّ فيه تطويلٌ لا فائدة فيه و ذلك لأنّ اللّه تعالى مقلّب القلوب و السّكينة معناها الثّبات و عدم الإضطراب في القلب من حيث الإعتقاد و الإيمان و المتصرّف فيه أي في القلب هو اللّه تعالى لا غيره و أمّا قوله: لِيَرْدادُوۤ الإيمان و المتصرّف فيه أن في القلب هو اللّه تعالى لا غيره و يكون في إيمانه مضطرباً متزلزلاً و أمّا بعد انزالها من جانب اللّه يصير إيمانه مستقرّاً ثابتاً لا إضطراب فيه و هذا معنى زيادة الإيمان لأنّ الإيمان المستعار صار ثابتاً مستقرّاً و فيه إشارة إلى مراتب الإيمان و أنّ له درجات قوله تعالى: و للله جُنُودُ ٱلسّمواتِ و ٱلأرْضِ إشارة إلى أنّ أزمة الأمور بيده تعالى و لا راد لقضائه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد كل ذلك على أساس المصلحة النّاشئة عن العلم و الحكمة بعواقب الأمور و هذا ظاهرّ.

لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فَيها وَ يُكفِّر عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ ٱللهِ فَوْزًا عَظيمًا اللاّم للتَّعليل أي أنزل الله السَّكينة في قلوب المؤمنين ليدخلهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وَ يُكفِّر عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ أي عِقاب معاصيهم التي فعلوها في دار الدُّنيا، وكان ذلك، أي إدخالهم الجنّة و تكفير السيئات عنهم عند الله فوزاً، أي ظفراً و مقاماً منيعاً لا مقام فوقه و أيّ فوز أعظم من دخول الجنَّة و تكفير السيئات و رضاء الحقّ عن العبد ثمّ أخبر عن حال المنافقين بعد الموت.

وَ يُعَذِّبَ ٱلْمُنْافِقِينَ وَ ٱلْمُنْافِقَاتِ وَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَ ٱلْمُشْرِكَاتِ ٱلظَّآبِّينَ باللهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دٰآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَ غَضِبَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سٰآءَتْ مَصِيرًا أي و يعذّب الله يوم القيامة، المنافقين، من الرّجال، و المنافقات من النّساء، و هم الّذين كانوا في دار الدُّنيا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، أظهروا الإيمان و أبطنوا الكفر أو المشركين، من عبدة الأصنام و المشركات كذلك **ٱلظّآ بَينَ بِاللّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دُ آئِرَةُ ٱلسَّوْءِ** عَرَّف الله المنافقين و المشركين بأنّهم كانوا يظنون بالله ظن السّوء، أي يتوهمون أن ينصرهم الله على رسوله و لم يعلموا أنّ ذلك قبيح على الله تعالى فلا يجوز وصفه به.

و قيل المراد بالظَّن السوء ظنّهم أنّ النبيّ لا يرجع إلى المدينة و لا أحد من أصحابه حين يخرج إلى الحديبيّة و أنّ المشركين يقتلونهم أو يستأصلونهم كما حكى الله عنهم بقوله: بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ إِلْىَ أَهْلِهِمْ أَندًا (١).

قال الخليل و سيبويه السّوء، هنا، الفساد، و أمّا قوله: عَلَيْهِمْ دْآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ قيل في الدُّنيا بالقتل و السّبي و الأسر و في الآخرة بجهنّم، هكذا فسَّروه.

و أعلم أنّ المشهور بين القَّراء، السَّوء بفتح السَّين و قرأ أبو عمر و بضمّها و جميع المصاحف على الفتح.

قال في المفردات، السُّوء، بالضمّ كلّ ما يضمّ الإنسان من الأمور الدُّنيويّة و الأخرويّة و من الأحوال النفسيّة و البدنيّة و الخارجة من فوات مالٍ و جاهٍ و فقد حميم، و قد يفسّر بالآفة قال اللّه تعالى: إِنَّ ٱلْخِزْى ٱلْيَوْمَ وَ ٱلسُّوَءَ عَلَى ٱلْكافِرينَ (٢).

و قال تعالىٰ: زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْطالِهِمْ أَي قبحها، و قال بعض أهل اللَّغة في قوله تعالى: عَلَيْهِمْ دٰآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ السُّوء و السَّوء هما من ساء يسوءه سوأ بالفتح و مساءة نقيض، سرَّه و الإسم السُّوء بالضّم فمن قرأ عليهم دائرة السَّوء بالفتح فمن المساءة و هي نقيض سرَّه، و من قرأ بالضّم فمن السُّوء إنتهى.

ثمّ قال تعالى: وَ غَضِبَ ٱللّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعدّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سٰآءَتْ مَصيرًا أَمّا أَنّ اللّه غضب عليهم فلأنّهم أعرضوا عن الحقّ و أقبلوا الى الباطل و ظنّوا باللّه ظنّ السّوء و من كان كذلك فأنّه مغضوب له تعالى و كلّ مغضوب فهو ملعون و كلّ ملعونٍ فقد أعدّ اللّه له جهنّم و من المعلوم أنّ من كان مصيره إلى جهنّم فهو من أخسر الخاسرين.

وَ لِلّهِ جُنُودُ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ فيفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و كان الله عزيزا، أي قادراً، حكيماً، في جميع أفعاله، ثمّ خاطب نبيّه فقال:

إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذيرًا

وصف الله نبيّه بالرّسالة، و الشُّهود و البشارة و الإنذار فقوله: أَرْسَلْناكَ نصِّ على أنّه رسولٌ من عند الله إلى خلقه ليهديهم إلى الحقّ الّذي لا بطلان و لا زوال له، و قوله: شاهِدًا يعني على أمّتك بالبلاغ و الدّعاء إلى عبادته أو شاهداً بما عملوه من طاعة و معصية.

و قوله: مُبَشِّرًا إشارة إلى أنّ الرّسول يبشّر المطيع برحمة اللّه و ثوابه و قوله نَذيرًا إلى أنّه يخوّفهم من عذابه و عقابه في القيامة في صورة العصيان و المخالفة و هو ظاهر.

لِتُوْمِنُوا بِاللّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوقِرُوهُ وَ تُسَبِّحُوهُ بُكُرةً وَ أَصيلًا اللّه في قوله: لِتُوْمِنُوا للتعليل و قيل للغاية و المأل فيهما واحد إذ لا فرق بين أن يكون الإرسال علّة للإيمان و الإيمان معلول له و بين أن يكون الإيمان غاية له ضرورة أنّ الإيمان يحصل للإنسان بسبب إرسال الرّسول فالرّسالة بمنزلة الشّجرة و الإيمان فرعها و كيف كان لا شكّ أنّ اللّه تعالى أرسل الرّسل الرسل الله عليه منوا باللّه و رسوله.

و قوله: وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ فقال بعض المفسّرين الضّمير راجع على

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



النّبي و المعنى، تنصروه أي النّبي و تعظّموه، قال: لِتُوْمِنُوا بِاللّهِ فتوَّحدوه، وَ رَسُولِهِ فتصدّقوه، وَ تُعَزِّرُوهُ أي تنصروه فالهاء راجعة إلى النّبي وَ تُوقِّرُوهُ أي تنصروه فالهاء راجعة إلى النّبي وَ تُوقِرُوهُ أي تعظّموه يعني اللّه تعالى بكرةً و أصيلاً، أي بالغداة و العشيّ إنتهي.

و قرأ إبن كثير و إبن محيص و أبو عمر و(ليُؤمنوا) بالياء و كذا (يـعزّروه و يوقّروه و يسبّحوه)كلّه بالياء على الخبر و إختاره أبو عبيد.

أقول الحقّ أنّ الضّمائر كلّها للّه تعالى إذ لا دليل على تخصيص بعضها بالنّبي و بعضها باللّه تعالى و المعنى تُعَزّرُوهُ أي تعظّموه و تفخّموه تنصروه أي تعظّموا اللّه أن تنصروه و نصرة اللّه نصرة دينه و تُوتِوّرُوهُ أي توفّروا اللّه بإثبات الربوبيّة له و نفي الشّريك عنه و تنزيهه عن التّشبيه و التعطيل و تُستبِحُوهُ تسبيحاً لائقاً بشأنه في الغداة و العشّي و التسبيح التّنزيه عمّا لا يليق به و أنّما قلنا ذلك لأنّ الضّمائر كلّها على نسقٍ واحد فالمرجع فيها أيضاً واحد و أنّما أرجعناها إلى اللّه دون النّبي لقوله تعالى: و توقيره هو تعزير اللّه و توقيره و العّمى هذا فالأمر سهلٌ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبْايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُوْ تِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

قيل المراد بالبيعة هاهنا بيعة الحديبيّة و هي بيعة الرّضوان و سيأتي الكلام فيها في هذه السُّورة، و المبايعة المعاقدة على السَّمع و الطّاعة كالمعاقدة في البيع و الشّراء فلا يجوز الرّجوع فيه، و قيل أنّها معاقدة على بيع أنفسهم بالجنَّة للزومهم في الحرب النُّصرة جعل اللّه تعالى بيعة المسلمين لرسول الله وَالدِّوْمَةُ مَثْلُ بِيعتهم لله تعالى في لزوم الوفاء بها و ترتّب الثّواب عليها فقال: إِنَّ ٱلّذينَ

يُبْايِعُونَكَ من المسلمين إِنَّمَا يُبْايِعُونَ ٱللَّهَ في الحقيقة و لذلك لم يقل كأنّما يبايعون الله ففيه إشعار بان بيعتهم لرسول الله أنّما هي بيعة الله نفسها لا أنّها مثلها كما أنّ طاعتهم و معصيتهم إيّاه كذلك و الوجه فيه واضح و هو أنّ الرّسول بعث و أرسل إلى النّاس ليدعو النّاس إلى الله لا إلى نفسه و لذلك كان شعاراً اللاسلام في إبتداء البعثة، قُولُوا لا إله الله تُقْلِحُوا و قوله: يَعدُ ٱللّهِ فَوْقَ عَقدهم لأنهم بايعوا الله في هذه البيعة فوق عقدهم لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيّه.

و قيل معناه قوّة الله في نصرة نبيّه فوق نصرتهم و قيل يد الله في هدايتهم فوق أيديهم بالطّاعة.

و قيل يد الله في الثّواب فوق أيديهم في الوفاء، و يده في المنّة عليهم بالهداية فوق أيديهم في الطّاعة.

و قال الكلبي نعمة الله فوق ما صنعوا من البيعة.

أقسول لا شكّ أنّ اليد بالمعنى المتعارف بين النّاس و هو الجارحة المخصوصة من شئون الجسم و اللّه تعالى منّزة عنه و لذلك قالوا، يد اللّه كناية عن قدرته و على هذا فمعنى، يَدُ ٱللّهِ فَوْقَ ٱيْديهِمْ قدرة اللّه فوق قدرتهم، و استعير للنّعمة أيضاً فقيل، يديت إليه أي أسديت إليه، و للملك أيضاً، يقال هذافي، يد، فلان أي في حوزه و ملكه، و يقال لاولياء اللّه هم أيدي اللّه، فإذا يد الرّسول يد اللّه و إذ كان يد الرّسول فوق أيديهم في البيعة، فيد اللّه فوق أيديهم، و هذا الوجه الأخير أحسن الوجوه المحتملة و ذلك لأنّ يد الرّسول فوق أيديهم في البيعة، و قد ثبت أنّ أولياء الله أيدي الله و في رأس الأولياء الأنبياء و في رأس الأنبياء المرسلين منهم، و في رأس المرسلين خاتمهم فالمطلوب ثابت.

فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمٰا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ النَّكث النَّقض، أي فمن نقض عقد بيعته، فأنّما ينكث على نفسه أي يرجع ضرر النّكث عليه لأنّه حرّم نفسه عن

م بات کا بات ما کا ما رقان فی تفسیر القرآن کی العجلد السادس ء الثّواب و ألزمها العقاب و مَنْ أَوْفَى بِما عاهد عَلَيْهُ ٱللّه يقال وفيت بالعهد و أوفيت بالعهد و أوفيت به و هى لغة تهامة و منها قوله تعالى: أَوْفُوا بِالْعُقُودِ و قال: وَ ٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ و الأيات في الحتّ على الوفاء بالعهد و ذمّ نقض العهد كثيرة مضى الكلام في هذا المضمار غير مرّةٍ و سيأتى الكلام فيه في المستقبل أيضاً.

و المعنى من وفي بعهده الذي عاهد عَلَيْهُ آللُه و هو عقد البيعة مع الرّسول فَسَيُّوْ تَهِهِ أَجْرًا عَظَيمًا من قبل الله تعالى و هو المقام في الجنّة و التنعُّم بما فيها من أنواع النّعم، و قرأ حفص و الزُّهري، عليه، بضّم الهاء و جرّها الباقون، فمن قرأها بالضمّ فلأنّها الأصل و من كسر الهاء فللمجاورة للياء.

سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُحَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْراٰبِ شَعَلَتْنَاۤ أَمُوالْنَاوَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ في قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللّهِ شَيْئًا إِنْ أَراٰدَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَراٰدَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا إِنْ أَراٰدَ بِكُمْ فَقَعًا بَلْ كَانَ ٱللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا لَمّا أراد رسول اللّه الخروج إلى مكة عام الحديبية أحرم بعمرة و دعا الأعراب الذين كانوا حول المدينة إلى الخروج فتثاقلوا و لم يخرجوا معه، و هم، أسلم و غفّار، وجهينة ومزينة فأخبر اللّه تعالى بذلك و المخلف هو المتوك في المكان خلف الخارجين عن البلد و هو مشتق عن التخلف و ضدّه المتقدّم، قيل أنّما تخلّفوا لتثاقلهم عن الجهاد و إن إعتذروا بشغل الأموال و الأولاد، و الأعراب الجماعة من عرب البادية، و أمّا عرب الحاضرة ليسوا الأولاد، و الأعراب الجماعة من عرب البادية، و أمّا عرب الحاضرة ليسوا بأعراب ففرّقوا بينهما و إن كان اللّسان واحداً هكذا قيل، أخبر اللّه تعالى رسوله عن إعتذار المتخلّفين و قال له: سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّقُونَ و هم القبائل رسوله عن إعتذار المتخلّفين و قال له: سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّقُونَ وهم القبائل

الأربعة المذكورة من الأعراب الذّين كانوا في البوادي حـول المـدينة شَــغَلَتْنْآ أَمُواْلُنا وَ أَهْلُونا أي منعتنا عن الخروج معك أموالنا و أهلونا، والشُّغل قطع العمل عن عمل لا يمكن الجمع بينهما لتنافي أسبابها كالكتابة والرَّمي عن القوس و اللّه تعالى لا يشغله شان من شأن لأنّه لا يعمل بألةٍ قاله في التّبيان و هو حقّ لا مرية فيه.

فَاسْتَغْفِرْ لَنْا أي أنّ الأعراب المتخلّفين، بعد إعتذارهم بشغل الأموال و الأولاد قالوا للرّسول، فإستغفر لنا عند ربّك.

يَقُولُونَ بِأَنْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ في قُلُوبِهِمْ أخبر الله تعالى نبيّه بأنّهم يقولون في مقام الإعتذار بألسنتهم ما ليس في قلوبهم كما هو شأن المنافق أي أنّهم كذبوا في إعذارهم، شَغَلَتْنَا أَمُواللُّنا وَ أَهْلُونًا بل كان عدم خروجهم لتثاقلهم عن الجهاد ثمّ أمر نبيّه أن يقول لهم فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَراْدَ بِكُمْ ضَرًّا لا يقدر أحد على دفعه أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعًا لا يقدر أحد على إزالته، قرأ حمزة و الكسائي، ضرّاً بالفتح و الباقون بالضّم فمن قرأ بالفتح أراد المصدر و من قرأ بالضمّ أراد الإسم، و قيل بالفتح ضدّ النّفع و بالضمّ سوء الحال و المقصود من هذا الكلام في هذا المقام أنّ الضّر و النَّفع في الأولاد و الأموال بيد الله و مشيئته فقولكم شغلتنا أموالنا و أهلونا، أي ليس لنا من يقوم بهما، كلام لا طائل تحته لأنّ الله تعالى هو الحافظ لا أنتم.

بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيرًا لا يخفي عليه شيٍّ من مكركم و حيلتكم و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين، فالأحسن لكم الإقرار بالذُّنب ثمّ التَّوبة أنّ اللّه يغفر الذّنوب جميعاً.

بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَ ٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَ زُيِّنَ ذٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا

كلمة، بل، للإضراب أي لم يشغلكم عن الخروج ما ذكرتم من الأموال و الأولاد بل شغلكم عن الخروج أنّكم ظننتم أن لن ينقلب الرّسول أي لن يرجع الرّسول و المؤمنون إلى أهليهم أبداً، و ذلك أنّهم قالوا أنّ محمّداً و أصحابه أكلة رأسٍ لا يرجعون، أي هم قليل يشبعهم رأسٌ واحد، و لأجل ذلك تقاعدتم عن الجهاد و زُيِّنَ ذُلِكَ الظّن الباطل في قُلُوبِكُمْ من قبل الشّيطان و ظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ و هو أنّ الله لا ينصر رسوله و كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا أي كُنتُم قوماً فاسدين لا يصلحون لشئ من الخير.

و قال مجاهد، أي كنتًم قوماً هلكى، بور بضّم الباء جمع بائر مثل حـائل و حول و قد بار فلان أي هلك و أباره اللّه أي أهلكه و قيل بوراً، يعنى أشراراً.

وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَائَّاۤ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعيرًا

هذه الآية وعيدٌ و تهديد لمن لم يؤمن بالله و رسوله و مات على الكفر قيل نكر سعيراً، لأنّها نارٌ مخصوصة كما نكّر ناراً تلظى، و المقصود أنّ الكافر مصيره إلى النّار الّتي خلقها الله لهم و قال بعضهم في قوله: سَعيرًا، أي ناراً تسعرهم و تحرقهم، أعاذنا الله منها بمحمّدٍ و أله الطّاهرين.

وَ لِلّٰهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰآءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰآءُ وَ كَانَ ٱللّٰهُ غَفُورًا رَحيمًا

اللام في لله للملك أو للإختصاص و على التقديرين هو الذي يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد فيما خلق فيهما من أصناف المخلوقات و من جملتها الإنسان الذي عليه مدار البحث في الأيات فقوله تعالى: يَعْفِرُ لِمَنْ يَشْآءُ وَ يُعَذّبُ مَنْ يَشْآءُ حكمٌ مطابقٌ للواقع والعقل السّليم أيضاً يحكم بصحته بل نقول أنّه من الأحكام العقليّة الّتي لا ينبغي الشكّ فيه و ذلك لأنّ الخالق مالكٌ لمخلوقه جدّاً في الدّنيا و الأخرة فمن يقدر على منعه عمّا شاء و أراد في الدّارين و

ضياء الفرقان في تفسير القر

المفروض أنّ ما سواه كائناً ما كان فمخلوق له فكما أنّ الحياة و الموت في الدّنيا بيده كذلك الغفران و العذاب بيده في الأخرة.

و قوله: وَكُانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وعدٌ بعد الوعيد و رجاءً و رحمة بعد التهديد أي أن تاب المذنب فلاعذاب له لأنّ رحمته وسعت كلّ شئ.

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّقُونَ إِذَا ٱنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِغْكُمْ يُريدُونَ أَنْ يُبَدِّلُواكَلامَ ٱللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَاكَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ إِلَّا قَلِيلًا فَسَيَقُولُونَ بِلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن قول المخلّفين ثانياً و قال سيقول المخلّفون الذّين لم يخرجوا معكم إلى الحديبيّة و إعتذروا بقولهم: شَعَلَتْناً أَمُواللهُ وَ أَهْلُونا.

إِذَا ٱنْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا وهي مغانم خيبر ذَرُونَا أي أتركونا نَتَّبِعْكُمْ و نجئِ معكم إلى خيبر يُربِدُونَ أَنْ يُبَدِّلُواكَلامَ ٱللهِ أي يغيّرواكلام الله.

قال ابن زيد هو قوله: فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُغْرُجُوا مَعِي مَدُولًا اللهِ الطّبري و غيره بسبب أنّ غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكّة.

و قيل يريدون أن يغيّروا وعد الله الذي وعد لأهل الحديبيّة و ذلك أنّ اللّه تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضاً عن فتح مكة إذ رجعوا من الحديبيّة على صلح قاله مجاهد و قتادة و إختاره الطّبري و عليه عامّة أهل التّأويل إنتهى ما قاله القرطبي في تفسيره.

أقول في المُقام إحتمالٌ أخر يختلج ببالي و هو أنّ المراد بقوله: يُسريدُونَ



ضياء الفرقان في تفسير القرآن كوناء أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللَّهِ هو قوله تعالى: يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ هَى قُلُوبِهِمْ (1) توضيح ذلك أنّهم إعتذروا عن عدم خروجهم مع الرّسول إلى الحديبيّة بقولهم: شَغَلَتْنَا أَمُوالُنَا وَ أَهْلُونَا فردّ اللّه عليهم بقوله: يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فَي قُلُوبِهِمْ أَي أَنّهم كذبُوا في إعتذارهم هذا فأنّهم قالوا بألسنتهم ما ليس في قلُوبهم، و هذا هو النّفاق بعينه فأثبت اللّه تعالى لهم النّفاق بقوله هذا، ثمّ إنّ قولهم: ذَرُونًا نَتَّبِعْكُمْ يدلّ على عدم نفاقهم لأنّ المنافق لا يتبّع المؤمن واقعاً فمعنى كلام هؤلاء القوم أنّهم من المؤمنين، خلاف حكم اللّه فيهم و هذا تغيير كلام اللّه و بعبارةٍ أخرى حكم اللّه بنفاقهم يبدّل و يغيّر بعدم النّفاق و لأزم ذلك تكذيب اللّه في قوله و هو كما ترى هذا ما ظهر لي في معنى الكلام و اللّه أعلم.

قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللهُ مِنْ قَبْلُ أَي أَنَه تعالى حكم بنفاقكم من قبل و المنافق لا يتبع المؤمن أبداً، و لذلك أتى بكلمة، لَنْ في عدم المتابعة و هي لنفي الأبد و الدّليل على ذلك أنّ النّفاق ضدّ الإيمان و الضّدان لا يجتمعان و إن شئت قلت نقيضه و النقيضان لا يجتمعان فكيف يعقل أن يكون الضّد تابعاً لضدّه و هذا معنى نفي الأبد فَسَيَقُولُونَ أي المخلّفون بَلْ كُانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلّا قَلِيلًا أي سيقولون لكم، بل تحسدوننا في منعكم إيّانا عن المتابعة و أخذ الغنائم، فأجاب الله تعالى بقوله ليس الأمر على ما يظنّون بل كانوا لا يفقهون الحقّ و ما يدعون إليه إلاّ القليل منهم.

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْراٰبِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَديدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أُو يُسْلِمُونَ فَإِنْ تَطَيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَ إِنْ تَتَوَلَّوا كَمُا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذابًا أَلِيمًا

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

أي قل يا محمّد للمخلّفين الّذين لم يخرجوا معكم الى الحديبيّة سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسِ شَديدٍ أي ستدعون الى حربهم و قتالهم مع أنّهم أقوى من المشركين و أشدَّ بأساً منهم تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ قال إبن عبّاس أولوا البأس الشّديد أهل فارس، و قيل هم الرُّوم، و قيل هم هوازن بحنين، و قال الزهري هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذّاب فَانْ تُطيعُوا الدّاعي الى القتال يؤ تِكُمُ ٱللّهُ أَجْرًا حَسَنًا يوم القيامة وَ إِنْ تَتَولَّوْا كَمَا تَولَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ أي و أن تعرضوا عن القتال و الجهاد كما أعرضتم من قبل، في الحديبيّة يُعَذّبْكُمْ اللّه عَذابًا أَلِيمًا يوم الحساب هذا تفسير ألفاظ الآية.

قال صاحب الكشّاف في قوله: أُولى بَأْسٍ شَديدٍ يعني بني حنيفة قوم مسيلمة و أهل الرَّدة الّذين حاربهم أبو بكر الصّديق رضي الله عنه لأنّ مشركي العرب و المرتدّين هم الّذين لا يقبل منهم إلاّ الإسلام أو السّيف عند أبي حنيفة و من عداهم من مشركي العجم و أهل الكتاب و المجوس تقبل منهم الجزية و عند الشّافعي لا تقبل الجزية إلاّ من أهل الكتاب و المجوس دون مشركي العجم و العرب و هذا دليل على إمامة أبي بكر رضي الله عنه فأنّهم لم يدعوا الى حرب في أيّام رسول الله ولكن بعد وفاته إنتهى موضع الحاجة من كلامه بألفاظه و عباراته، و تبعه على ذلك الإختراع من قلّده من مفسّري العامّة كالقرطبي و الألوسي و غيرهما.

قال الشّيخ أَنِّ في التّبيان إستدلّ جماعة من المخالفين بهذه الآية على إمامة أبي بكر من حيث أنّ أبا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة و عمر دعاهم الى قتال فارس و الرُّوم و كانوا قد حرموا القتال مع النّبي بدليل قوله تعالى: لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوًا (1) و هذا الّذي ذكروه غير صحيحٍ من وجهين:



ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ العجلد

أحدهما: أنّه غلط في التّاريخ و وقت نزول الآية.

الثّاني: أنّه غلط في التّأويل و نحن نبيّن فساد ذلك أجمع و لنا في الكـلام في تأويل الآية وجهان:

الثّاني: أن يسلم أنّ الدّاعي غيره و نبيّن أنّ الدّاعي لم يكن أبابكر و لا عمر بل كان أميرالمؤمنين للتَّالْجِ.

أمّا الوجه الأوّل: فظاهر لأنّ قوله: سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّقُونَ الى قوله: وَ كُـنْتُمْ قَوْمًا بُورًا قد بيَّنا أنَّه أراد به الَّذين تخلُّفوا عن الحديبية بإجماع المفسّرين ثمّ قال تعالى: سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّقُونَ إِذَا ٱنْطَلَقْتُمْ الى آخر الأية، فبيَّن أنَ هؤلاء المخلَّفين سألوا أن يخرجوا الى غنيمة خيبر فمنعهم الله من ذلك و أمر نبيَّه أن يقول لهم قُلْ لَنْ تَتَبَعُونا الى هذه القرية لأنَّ اللَّه تعالى حكم من قبل أنَّ غنيمة خيبر لمن شهد الحديّبية و أنّه لا حظُّ فيها لمن لم يشهدها و هِـذا هـو معنى قوله: يُريدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ ٱللّهِ و قوله: كَذٰلِكُمْ قَالَ ٱللّهُ مِنْ قَبْلُ ثُمَ قال: قُلْ لِلمُخِلَّفينَ مِنَ ٱلْأَعْراٰبِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْم أُولِي بَأْسِ شَديدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ وإنَّما أراد الرَّسول سيدعوهم فَّى ما بعد إلى قتال قوم بهذه الصَّفة و قد دعاهم بعد ذلك الى غزواتِ كثيرة و قال قومٌ أولى بأسِ شديد كوقعة تبوك و حنين و غيره، فمن أين يجب أن يكون الدّاعي لهم غير النَّبي، و أمَّا قولهم أنَّ معنى قوله: كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِنْ قَبْلُ هو أنَّه أراد قوله: فَإِنْ ۚ رَجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِي عَدُوًا (١) مملوءً بالغلط الفاحش في التّاريخ لأنّا بيّنا أنّ هذه الآية

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

الّتي في التّوبة نزلت في تبوك، سنة تسع و أمّا آية سورة الفتح نزلت سنة ستّ فكيف تكون قبلها و ينبغي لمن تكلّم في تأويل القرآن أن يرجع الى التّاريخ و يراعي أسباب النّزول في الآية على ما روي و لا يقول على الأراء و الشّهوات و تبيّن أيضاً أنّ هؤلاء المخلّفين غير أولئك و إن يرجع الى التّاريخ.

و نقول قوله: فَإِنْ تُطيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَ إِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فلم يقطع على طائفة و لا على معصية بل ذكر الوعد و الوعيد على ما يتعلق به من طاعة أو معصية و حكم المذكورين فيهم في سورة التوبة بخلافه لأنه تعالى قال بعد قوله: إِنَّكُمْ رَضيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ ٱلْخَالِفِينَ الى قوله: وَ هُمْ خَافِرُون (١) فإختلاف أحكامهم يدل على إختلافهم و قد حكينا عن سعيد بن جبير أن هذه الآية نزلت في هوازن يوم حنين.

و قال الضّحاك هُم ثقيف و قال قتادة هم هوازن و ثقيف.

و أمّا الوجه الّذي يسلم معه أنّ الدّاعي غير النّبي فهو أن نقول الدّاعي أميرالمؤمنين لأنّه قاتل بعد الرّسول أهل الجمل و صفين و أهل النّهروان و بشّره النّبي بقتالهم بعده و كانوا أولي بأس شديد فأن قالوا، من قتلهم على كانوا مسلمين و في الآية قال تقاتلونهم أو يسلمون فكيف تتناولهم الآية.

قلنا أوّل ما نقوله أنّهم غير مسلمين عندنا، و لا عند من خالفنا من المعتزلة لأنّ عندهم صاحب الكبيرة ليس بمؤمنٍ و لا مسلم و أمّا مذهبنا في تكفير من قاتل عليّاً عليّاً في فعروفٌ و قد ذكرناه في كتب الإمامة لقوله والمُوالِّينَ في عير موضع حربك حربى، و غير ذلك من الأخبار و الأدّلة الّتي ذكرناها في غير موضع وإستوفينا ما يتعلّق بذلك في كتاب الإمامة و يمكن على تسليم أن يكون الدّاعي هو أبو بكر و عمر أن يقال ليس في الآية ما يدلّ على مدح الدّاعي على



إمامته لأنَّه قد يدعوا الى الحقّ من ليس عليه و يجب ذلك من حيث كان واجباً من أجل دعاء الدّاعي و أبو بكر دعاهم الى الدّفاع عن الإسلام و هذا واجب على كلِّ واحدٍ لا دعاء داع و يمكن أن يكون المراد بقوله: سَتُدْعَوْنَ دعاء الله لهم بإيجاب القتال عليهم لأنّه إذا دلُّهم على وجوب قتال المرتدّين و دفعهم عن بيضة الإسلام و قد دعاهم الى القتال و وجبت عليهم طاعته و الكلام فى هذه الآية كالَّتي قبلها في إنَّا إذا قلنا لا تدلُّ على إمامة الرَّجلين لا تكون طاعنين عليهما بل لا يمتنع أن يثبت فضلهما و إمامتهما بدليل آخر غير الآيـة لأنّ المحصلين من العلماء يذهبون الى إمامتهما من جهة الأخبار لا من هذه الآية و قوله: تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ بالرّفع معناه أنّ أحد الأمرين لابد أن يقع لا محالة و تقديره، أو هم يسلمون و قرئ شاذاً بالنّصب و الوجه فيه حتّى يسلموا ولو نصبه فقال: أوْ يُسْلِمُونَ لكان دالاً على أنّ ترك القتال من أجل الإسلام إنتهى ما ذكره الشّيخ في التّبيان في جواب الخصم و حلّ الإشكال من الآيـة و أنمًا نقلنا كلامه بطوله و تفصيله لأنَّ ما ذكره مَثِّئٌ حقٌّ حقيقٌ بـالإتّباع أجــاب و أجاد و لاكلام لنا بعدكلامه مَنْنِيٌّ.

و نحن نقول العجب من صاحب الكشّاف حيث إستدلّ على صحة خلافة أبى بكر و عمر بهذه الآية و لم يعلم أنّ الخطابات القرآنية لم تكن منحصرة بالحاضرين الموجودين حين الخطاب بل المخاطب بالآية في الحقيقة هو النّوع الى يوم القيامة فقوله تعالى: قُلْ لِلْمُخَلّفينَ مِنَ ٱلْأَعْرابِ ليس معناه قل للمخلفين من الأعراب الموجودين في زمانك ستدعون الى قوم أولى بأس شديد بمعنى عدم شموله الأعراب بعدهم بل معنى الكلام قل للمخلفين من الأعراب العائبين الى يوم القيامة كذا و كذا.

و حاصل الكلام أنّ الله تعالى بصدد بيان حكم كليّ لمن تقاعد عن الجهاد أو لم يتقاعد الى يوم القيامة فالآية لا تدلّ على مطلوبه و على فرض التسليم و

الغضّ عمّا ذكره الشّيخ في التّبيان و ما ذكرناه نقول الإمامة و الخلافة لا تثبت بما ذكروه بل هي تحتاج الى النّص الصّريح من النّبي و هو الأصل في الباب إذ لولا النصّ من المستخلف عنه فهو خليفة النّاس لا خليفة الرّسول و الخصم لا يقول به في أبي بكر و عمر و غيرهما هذا مع أنّ الإمام بعد الرّسول له شرائط مذكورة في موضعه و للبحث فيه مقام آخر فأنّ دليل الخصم أوهن من بيت العنكبوت و إلاّ يلزم أن يكون معاوية و عبد الملك و غيرهما من خلفاء الرّسول لأنّهم دعوا الأعراب الى الجهاد بعد النّبي و العاقل لا يقول به.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴾ العجلد السادس عشر ﴿ ﴾ العجلد السادس عشر

لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمٰى حَرَجٌ وَ لا عَلَى ٱلْأَعْرَج حَرَجٌ وَ لَا عَلَى ٱلْمَريض حَرَجٌ وَ مَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتِ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا أَلْأَنْهَارُ وَ مَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذابًا أَلِيمًا (١٧) لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَن ٱلْمُؤْمِنينَ إِذْ يُبايعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما في قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ ٱلسَّكينَةَ عَلَيْهمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَ مَعْانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَ كَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغْانِمَ كَثيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلتَّاسِ عَنْكُمْ وَ لِتَكُونَ أَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَ يَهْدِيَكُمْ صِراطًا مُسْتَقيمًا (٢٠) وَ أَخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطُ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرًا (٢١) وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذينَ كَفَرُوا لَوَلُّوا ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجدُونَ وَلِيًّا وَ لا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّة ٱللَّه تَبْدِيلًا (٢٣) وَ هُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٢) هُمُ ٱلَّذينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَن ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَراٰمِ وَ ٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَـبْلُغَ مَحِلَّهُ وَ لَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسْآءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَوُّهُمْ فَتُصيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ

بِغَيْرِ عِلْم لِيُدْخِلَ ٱللَّهُ في رَحْمَتِهِ مَنْ يَشٰآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَغَذَّبْنَا ٱلَّذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابًا أَليمًا (٢٥) إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا في قُلُوبهمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَميَّةَ ٱلْجاهليَّة فَأَنْزَلَ ٱللّهُ سَكينَتَهُ عَلَى رَسُوله وَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوٰى وَ كَانُوٓا أَحَقَّ بِهَا وَ أَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمًا (٢٢) لَقَدْ صَدَقَ ٱللهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْ يَا بِالْحَقّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَراٰمَ إِنْ شٰآءَ ٱللَّهُ اٰمِنينَ مُحَلِّقينَ رُؤُسَكُمْ وَ مُقَصِّرينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُون ذٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (۲۷) هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَ دينِ ٱلْحَقّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهيدًا (٢٨) مُحَمَّدُ رَسُولُ ٱللهِ وَ ٱلَّذينَ مَعَهُ أَشِدًّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمٰآءُ بَيْنَهُمْ تَرِيهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ ٱللهِ وَرضُوانًا سيماهُمْ فى وُجُوهِهمْ مِنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرِيٰةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ كَزَرْعِ أُخْـرَجَ شَطَّتُهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوٰى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذينَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أُجْرًا عَظيمًا (٢٩)

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



€ اللَّغة

ٱلْأَعْمٰي: إفتقاد البصر.

حَرَجٌ: أصل الحرج مجتمع الشِّئ و تصوّر منه ضيقٌ ما بينهما فقيل للضّيق حرج وللإثم حرج.

ٱلاعْرَج: العرج أفة تعرض لرجلِ واحدة و يقال له بالفارسّية (لنگ).

وَ أَثْابَهُم: الإثابة تستعمل في المحبوب تستعمل في المكروه على سبيل الاستعارة.

كَفَّ: الكَّف المنع.

مَعْكُوفًا: المعكوف الممنوع من الذّهاب و منه الإعتكاف تَزَيَّلُوا (تزيلوا) أي تفرّقوا.

حَمِّةً: الحميّة الأنفة.

شَطْنَهُ: الشَّطأ فراغ الزّرع الّذي ينبت في جوانبه، شاطي النّهار جانبه.

فَأْزَرَهُ: أي عاونه يقال أزر النَّبت و أزرته مثل رجع و رجعتُه هما لغتان

و قال أبوعبيدة، أزره، ساواه فصار مثل الأمّ.

شُورِقِه: و هو جمع ساق و ساق الشَّجرة حاملة الشَّجر و هو عوده الَّذي يقوم عليه.

◄ الإعراب

وَ أُخْرَى مبتدأ و لَمْ تَـقْدِرُوا صفته و قَـدْ أَحْاطَ الخبر وَ ٱلْـهَدْيَ هــو معطوف أي و صدُّوا الهدى مَعْكُوفًا حال من الهدى أَنْ تَطؤُهُمْ في موضع رفع بدلاً من رجال بدل الإشتمال فَتُصيبَكُمْ معطوف على تطئوا و بِعَيْرْ عِلْم حالٌ من الضّمير المجرور أو صفة لمعرّةٍ لَعَذّبتنا جواب، لو تزيّلوا و جوابً، لولا، محذوف حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ بدل بِالْحَقِّ يتعلَّق، بصدِّق أو حال من الرُّؤيا

اْمِنينَ حالِ و مُحَلِّقينَ حال أخرى لا تَخافُونَ حال مؤكّدة مُحَمَّدٌ هو مبتدأ و رَسُولَ ٱللَّهِ خبره و يجوز أن يكون رسول اللَّه صفة و أَشِدَّآءُ الخبر و رُحَمْآءُ خبر ثانٍ سِيمَاهُمْ مبتدأ و في وُجُوهِهِمْ الخبر مِنْ أَثَر ٱلسُّجُودِ حال من الضّمير في الجارّ وَ مَثَلَهُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ معطوف علىٰ المثل الأوّل و على هذا فـالكاف في موضع رفع أي هم كزرع، أو في موضع نصب على الحال **عَلَى سُوقِه** حال و مِنْهُمْ لبيان الجنس تفضيلاً لَهم بتخصيصهم بالذّ كر و اللّه أعلم.

▶ التّفسير

لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمٰى حَرَجٌ وَ لا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَ لا عَلَى ٱلْمَريضِ حَرَجٌ وَ مَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَي مِنْ تَخْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَ مَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذابًا أَليمًا

الآية نزلت في الجهاد، يجب على كلّ مكلّفٍ حرٍّ، ذكر، غير همٍّ و لا أعمى و لا مقعد و هو الأعرج مريضٍ يعجز عن الرّكوب و العدو و لا فقير يعجز عن نفقة عياله و إلى هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله: لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمٰي حَرَجٌ أي إثم في ترك الجهاد و لا على الأعرج و أن وجد مطيّة و لا عـلى المريض، ظاهر إطلاق الحكم تعليقه على مسمّى المرض و له وجهٌ و لكن تحديده بما يشقُّ عليه الرّكوب و المشي أو العدو مشقّةً لا يحمل مثلها عادةً أوجه، و الحقِّ يزء ٢٤ ﴾ أنَّ الأعمى هو من لا يبصر بجارحة العين، و الأعرج الَّذي برجله أفة تمنعه من المشي، و المريض من به علَّة تمنعه من الحركة من إضطراب في البدن حتّى يضعف و تحصل فيه ألام، بين الله تعالى أنّ هؤلاء المذكورين في الآية الذّين بهم هذه الأفات لا حرج عليهم في تركهم الجهاد مع المؤمنين.

وَ مَنْ يُطِع ٱللَّهَ وَ رَسُولَهُ في أوامره و نواهيه يُدْخِلْهُ أي يدخله اللَّه جنّات تجري مَن تحتها الأنهار و من يتولّ، التَّولي الإعراض و من المـعلوم أنّ

فياء الفرقان في تفسير القرآن علياء الفرقان في تفسير القرآن كالمجالد المراد الإعراض عنه من غير عذرٍ عقليٍّ أو شرعيٌّ يعذَّبه، أي يعذَّبه الله يوم القيامة عذاباً مؤلماً.

لَقَدْ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبْايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا في قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ ٱلسَّكينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَريبًا

هذه بيعة الرّضوان و كانت بالحديبيّة و نحن ذكرنا قصّة الحديبيّة، و أمّا في المقام فنقول:

ذكر صاحب الكشَّاف أنَّ النَّبِي ثَالَةُ اللَّهِ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهِ عِنْ مَوْل الحديبيَّة بعث جواس إبن أمّية الخزاعي رسولاً إلى مكّة فهمُّوا به فمنعه الأحابيثي فلمّا رجع دعا بــه عــمر ليبعثه فقال إنّي أخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي إيّاهم و ما بـمكّة عدُّويٌ يمنعني و لكنِّي أدلُّك على رجلِ هو أعزَّ بها و أحبُّ إليهم عثمان بـن عفان فبعثه فخبَّرهم أنّه لم يأت بحرب و أنّـما جـاء زائـراً لهـذا البـيت مـعظماً لحرمته فوقرّوه و قالوا أن شئت أن تطوف بالبيت فإفعل فقال ما كنت لأطـوف قبل أن يطوف رسول الله عَلَمْ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ إحتبس عندهم فأرجف بأنَّهم قتلوه فقال رسول الله لا نبرح حتّى نناجز القوم و دعا النّاس إلى البيعة فبايعوه تحت الشُّجرة و كانت سمرة قال جابر بن عبد اللَّه لو كنت أبصر لأريتكم مكانها كان رسول اللّه عَلَيْهُ عَلَيْهِ عَالِمًا في أصل الشّجرة و على ظهره غصنٌ من أغصانها قال عبد الله بن المقفل و كنت قائماً على رأسه و بيدي غصنٌ من الشُّحرة أذبّ عنه فرفعت الغصن من ظهره فبايعوه على الموت و على أن لا يفرّوا فقال لهم مائة و خمسة و عشرين و قيل ألفاً و أربع مائة و قيل ألفاً و ثلاث مائة.

فَعَلِمَ مَا فَي قُلُوبِهِمْ من الإخلاص و صدق الضّمائر فيما بايعوه عليه فَأَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ أي الطّمأنينة و الأمن بسبب الصُّلح على قلوبهم وَ أَثَابَهُمْ فَتُحًا قَريبًا و قرئ (وأتاهم) و هو فتح خيبر بعد إنصرافهم من مكة إلى أخر ما

قال إنتهى ما أردنا نقله عنه من قصّة بيعة الرّضوان و قد نقلها القرطبي أيضاً في تفسيره لهذه الآية بوجهٍ أبسط إن شئت الوقوف عليه فراجع كتابه إذا عرفت هذا فنقول:

إعلم أنّ بيعة الرّضوان ممّا لا كلام فيه لأحدٍ من المسلمين لأجل هذه الآية التي هي صرَّحت بوقوعها، و أيضاً لا كلام لأحدٍ في أنّها وقعت في الحديبيّة، و أنت ترى أنّ الآية أخبرت بوقوعها و أمّا إثبات الفضيلة لبعض المسلمين المبايعين على بعضٍ أخر فالآية ساكتةً عنه بل يظهر منها أنّ المبايعين جميعاً رضي اللّه عنهم بسبب البيعة و مع ذلك إستدلّ جمع من علماء العامّة بها على فضل أبي بكر على غيره بدليل أنّه كان من المبايعين تحت الشّجرة و أنّ اللّه رضي عنه و أنزل السّكينة عليهم و أنّه لما في قلوبهم من الإيمان و أثابهم فتحاً قريباً فالفضل ثابتٌ له و من كان كذلك فلا قدح في خلافته لأنّ المفروض أنّه ممّن رضى اللّه عنه و علم ما في قلبه من الإيمان و أنزل السّكينة عليه.

و الجواب عنه أنّ أصل الفضيلة لأصحاب النّبي في بيعة الرّضوان ممّا لا كلام فيه إجمالاً و أمّا أنّ الفضيلة ثابتة لجميعهم فلا تدلّ الآية عليه إلاّ على القول بالعموم و قد ثبت أنّه لا صيغة للعموم ينفرد بها و به قال كثير من المخالفين فمن أين ثبت للمستدلّ أنّه أريد بها العموم و على هذا كانت الآية عندنا مجملة لا يعلم المعنى بها و قد بايع النبيّ جماعة من المنافقين بلا خلاف حتّى في بيعة الرّضوان فلابدٌ من تخصيص الآية على كلّ حال.

و قوله تعالى: رَضِى الله عَنِ لا يدلّ على العموم لما ذكرناه بل أتى بضمير الجمع من باب التغليب و هذا لا ينافي وجود المنافقين فيهم، و قول رسول الله الله الله التغليب و هذا الأرض) لا يثبت مدّعا المستدلّ كما مدح الرسول الأنصار في كثيرٍ من المواضع و لا شك لأحدٍ أنّ بعض الأنصار كانوا من المنافقين كما إذا قيل أهل المدينة خير أهل الأرض، ليس معناه أنّه لا يوجد فيهم منافق أو كافر.

اء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽

و قوله تعالى: فَعَلِمَ ما في قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ و هو عمدة أُدلتهم أيضاً لا يفيد و لا يثبت المدّعى إلا على تفسير صاحب الكشّاف حيث قال في معناه من الإخلاص و صدق الضّمائر فيما بايعوه عليه، تفسير بالرّأى. و قد قال رسول الله وَاللهُ وَاللّهُ اللّهُ ما في قلوبهم الإخلاص و صدق الضّمائر، اللّهم إلاّ أن يقال أوحى اللّه إلى صاحب الكشّاف أن المراد ما ذكره من الإخلاص و صدق الضّمائر.

قال رسول الله وَ الله على ما في قلوب المبايعين من الإيمان و النفاق أو الخوف من العدو و عدمه، ولو كان المراد ما ذكره لقال علم الله ما في قلوبهم من الإيمان و الإخلاص و لم يقل ذلك لعلمه تعالى بأن كثيراً منهم لولا أكثرهم من المنافقين و كيف يعقل أن لا يكون بينهم منافقاً مع كثرة عددهم.

و قوله: فَأَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِم أي على المؤمنين منهم لا على جميعهم و على فرض نزولها على جميهم معناه أنزل الطّمأنينة و الثّبات على قلبوهم لئلاً يخافوا من كثرة الأعداء و محصّل الكلام أنّ قوله: فَعَلِمَ مَا فَي قُلُوبِهِم من حيث المعنى مجمل و اذا كان كذلك فالفضل في الآية ثابت لمن علم اللّه ما في قلبه من الإيمان و الإخلاص و أمّا أنّه من هو فهو يحتاج إلى الإثبات هذا كلّه مضافاً إلى أنّ اللّه تعالى ذكر أوصاف المبايعين تحت الشّجرة في الأيات.

و من المعلوم أنّها لم تحصل في جميع المبايعين فوجب أن يختص الرّضا من اللّه تعالى بمن جمع الصّفات فيه و لا خلاف بين أهل النّقل أنّ الفتح في قوله: وَ أَثْابَهُمْ فَتْحًا قَريبًا هو فتح خيبر الذّي حصل لهم بعد بيعة الرّضوان بلا فصل.

و أنّ رسول الله عند ذلك قال: لأعطينَّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتّى يفتح اللّه

على يديه، و هو علّي بن أبي طالب الملل فوجب أن يكون هو المخصوص بحكم الآية و هو المطلوب.

إن قلت ظاهر قوله تعالى: رَضِى ٱلله عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ أَنَّ الله واقعاً و هو يدلّ الشَّجَرَةِ أَنَّ الله واقعاً و هو يدلّ على عدم وجود المنافق فيهم.

قلت أمّا أوّلاً فأنّ اللّه خصّ الرّضا في الآية بالمؤمنين و أمّا أنّ جميع المبايعين كانوا مؤمنين فالآية لا تدلّ عليه لعدم وجود لفظ فيها يفيد العموم و الدّليل على ما ذكرناه وجود الزّبير و طلحة فيهم و هما من رؤوس أصحاب النبّي على قول الخصم كيف و هما بزعمهم من العشرة المبشّرة و لا خلاف في نفاقهما لأنّهما نكثا بيعتهما لأمير المؤمنين بعد عثمان و قد وقع منهما في حرب الجمل ما خرجا به من الإيمان و فسقا عند جميع المعتزلة و من جرى مجراهم من العامة.

و من المُّعلوم أنَّ حرَّب الرِّسول حرَّب الله و هو كما ترى و نظائرهما كثيرة فكيف يقول صاحب الكشّاف في تفسير قوله تعالى: فَعَلِمَ ما في قُلُوبِهِمْ من الإيمان و الإخلاص و للبحث فيه مقام أخر.

﴿ وَ مَغَانِمَ كَثَيْرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

هذا معطوف على قوله فتحاً قريباً، أي و أثابهم فتحاً قريباً و مغانم كثيرة يأخذونها، و المراد به فتح خيبر بإتفاق المفسّرين لأنّه وقع بعد الحديبيّة بلا فصلٍ بينهما و كانت الغنائم في خيبر كثيرة جدّاً من الأموال و الأراضي و قد قسّمها رسول الله وَالله الله وَالله تعالى ما ذكره المؤرّخون و قد أجرى الله تعالى هذا الفتح على يد أميرالمؤمنين عليّه لعد دعاء الرّسول لأعطين الرّاية غداً

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



فقلت أمّا علَّىٰ أيـةُ خلقت و الله أظهرها للنَّاس في رجلِ أنا على تولى الجيش منجفل

من خيفة بعلي ثم ألحقها بذي الفقار و فيه قبصته الأجل ما سلّه و رحاء الحرب دائرة الله و أغمده في هامة البطل فأصاح في الجيش صوتاً ثمّ أتبعه وَ كُانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكيمًا أَى قادراً و قاهراً و عالماً بمصالح الأمور فأنّ

الحكيم من يضع الشِّئ في محلِّه و اللَّه تعالى كذلك في جميع أفعاله.

وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِى ٱلنَّاسِ عَنْكُمْ وَ لِتَكُونَ أَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَ يَهْدِيَكُمْ صِراطًا مُسْتَقيمًا

يقول الله تعالىٰ: وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغْانِمَ كَثيرَةً فعجَّل لكم هذه، أي هذه الغنيمة الّتي غنمتموه من خيبر من أنواع الغنائم، و بعبارةٍ أخرى الغنائم الموعودة ليست منحصرة بغنائم خيبر فأنّ بعدها أيضاً غنائم في الحروب وَ كُفُّ أَيْدِى آلنَّاسِ عَنْكُمْ الكُّف المنع يعنى أنَّ اللَّه تعالى منع أيدي النَّاس عنكم فلم يغلبوكم قيل المراد بالنّاس، أسد و غطفان فأنّهم كانوا مع خيبر فصالحهم النَّبي فكفُّوا عنه و قيل يعني اليهود كفُّ أيديهم عنكم بالمدينة من قبل الحديبيّة و مجئ قريش فلم يغلبوكم، و قيل أهل مكَّة، كفُّ أيديهم عنكم بالصُّلح، كفّ أيدي المشركين بالحديبّية و الأقوال كثيرة و الجامع كفَّ اللّه تعالى أيدي أعدائكم عنكم، و الغرض من ذكر هذا الكلام و ما قبله و ما بـعده

هو أنّ اللّه تعالى أنعم عليكم بأنواع النَّعم الماديّة و المعنويّة و قد ثبت عـقلاً و شرعاً أنّ شكر المنعم واجبٌ فقوله: مَغْانِمَ كَثيرَةً إشارة إلى النَّعم المادَّية الَّتي تحتاجون إليها في معيشتكم فبذلك نجوتم من الفقر و الإستيصال الّـذي كـنتم فيه قبل الفتح، و في قوله: كَفَّ أَيْدِي آلنَّاسِ عَنْكُمْ إشارة إلى العزّ بعد الذلّ و خروجكم من الخوف إلى الأمن. قد قال رسول الله وَاللَّه اللَّه اللَّهُ اللَّه اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّ مجهولتان الصِّحة و الأمان.

و في قوله: وَ لِتَكُونَ أَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فالآية العلامة الَّتي تستدلُّ بهما على الطُّريق و المعنى تستدلُّون بهما على صحَّة قولكم و ليعلم النَّاس أنَّ عزَّ الدُّنيا و الآخرة في الإيمان بالله و رسوله و في قوله: وَ يَهْدِيَكُمْ صِراٰطًا مُسْتَقيمًا إشارة إلى لطفه تعالى و عنايته بالمؤمنين الَّذين قالوا ربِّنا اللَّه ثمَّ أستقاموا عليه حيث يهديهم إلى الصّراط المستقيم الّذي قال لنَّبيه و ٱسْتَقِمْ كَمْ آ أُمِرْتُ و قد ورد في أخبار أهل البيت أنّ الصّراط المستقيم ولاية أميرالمؤمنين و الأئمة

وَ أُخْرٰى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَخَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَى كُلَّ شَيْءٍ

لمّا ذكر الله تعالى في الآية السّابقة أنّه وعد المؤمنين مغانم كثيرة يأخذونها و عجَّل لهم غنائم خيبر، وعدهم في هذه الآية بالغنائم الأخر بعد غنائم خيبر جزء ٢٤ / فقال تعالى شأنه وَ أُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا أَى و غنيمة أخرى لم تقدروا على تحصيلها، قيل المراد بها غنائم فارس و الرُّوم.

و قال قتادة في مكَّة (قد أحاط بها) أي قدر عليها و أحاط بها علماً فجعلهم بمنزلة ما أدبر، و قيل المراد معنى (قد أحاط الله بها علماً) أعدّها لكم فهي كالشَّئ الَّذي قد أحيط به من جوانبه فهو محصورٌ لا يفوت فأنتم و أن لم تقدروا عليها في الحال فهي محبوسة عليكم لا تفوتكم، و قيل معناه علم أنَّها ستكون

لكم، و قيل حفظها الله لكم، و المعنى واضح فأنّ الله خالق الأشياء و الخالق محيطٌ بمخلوقه علماً و قدرةً.

وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوا ٱلْأَدْبارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لا نَصيرًا أخبر الله في هذه الآية أنّ الذين كفروا، و هم قوم قريش، و قبل غطفان و أسد و الذين أرادوا نصرة أهل خيبر لَوَلَّوا ٱلْأَدْبارَ منهزمين بخذلان الله إيّاهم و نصرته إيّاكم ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لا تَصيرًا يدفع عنهم، لأنّ الله تعالى وعد أوليائه النّصر و أعدائه الذّلة و الحقارة و في الآية توية لقلوب المؤمنين المخلصين بأنّ جزبَ الله هُمُ الْغَالِبُون ففي الآية إشارة بل دلالة على من يتوكل على الله فهو حسبه.

سُنَّةَ ٱللهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللهِ تَبْديلًا يعني أَنَّ سنَّة الله و طريقته و عاداته السّالفة قد جرت بنصر أوليائه على أعدائه ولن تجد لسَّنة الله تبديلاً أبداً:

قال اللّه تعالىٰ: وَ مَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ ٱللّٰهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١٠). قال اللّه تعالىٰ: وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٠).

قال اللّه تعالىٰ: **وَ ٱللّٰهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشْآءُ^(٣) والآيات كَثيرة.**

وَ هُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا

و قيل المراد ببطن مكَّة الحديبيّة، و قيل يريد به مكَّة بدليل قوله تعالى: بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ و على هذا فالآية نزلت بعد فتح مكَّة و فيها دليلٌ على أنَّ مكَّة فتحت صلحاً لقوله عزَّ و جُل وكفَّ أيديهم عنكم، أخبر الله في هذه الآية

١- أل عمران = ١٢٦ ١٦٠ الرُّوم = ٤٧

٣- أل عمران = ١٣

أنّه كفَّ أيديهم، يعني أيدي الكفّار عن المسلمين وكفَّ و منع أيدي المسلمين عنهم أيضاً.

روي عن أنس أنه قال أنّ ثمانين رجلاً من أهل مكّة هبطوا على النّبي عَلَيْكُ و أصحابه فأخذناهم سلماً فأستحييناهم فأنزل الله تعالى: وَ هُو اللّذي كَفَ أَيْدِيَهُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكّة مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ.

و قال عبد الله بن مقفلي المزني كنّا مع النّبي عَلَّهُ وَ اللّه بالحديبيّة في أصل الشّجرة الّتي قال اللّه فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابّاً عليهم السّلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النّبي فأخذ اللّه بأبصارهم فقال لهم رسول اللّه عَلَيْهُ هُلُ جئتم في عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أماناً قالوا اللّهم لا فخلُوا سبيلهم فأنزل اللّه تعالى: وَ هُو اللّذي كَفَّ أَيْدِيهُمْ عَنْكُمْ و ذكر إبن هشام عن وكيع أنّه قال، كانت قريش قد جاء منهم نحو سبعين رجلاً أو ثمانين رجلاً للإيقاع بالمسلمين و إنتهاز الفرصة في أطرافهم ففطن المسلمون لهم أخذوهم أسرى و كان ذلك و السُّفراء بينهم يمشون في الصُّلح فأطلقهم رسول اللّه عَلَيْهُ عَنْهُ فَهُم الّذين يسمّون العتقاء و منهم معاوية و أبوه.

و قال مجاهد أقبل النّبي عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْ معتمراً إذ أخذ أصحابه ناساً من الحرم غافلين فأرسلهم النّبي عَلَيْكُ فذلك الأظفار ببطن مكّة.

و قال الكلبي هم أهل الحديبيّة كفّ اللّه أيديهم عن المسلمين حتّى وقع الصُّلح و كانوا خرجوا بأجمعهم و قصدوا المسلمين و كفَّ أيدي المسلمين عنهم و نقل المفسّرون في تفاسيرهم أقوال كثيرة لا فائدة في نقلها.

و قوله: وَ كَانَ ٱللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا معناه واضح لأنّه تعالى يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصُّدور فضلاً عن أعمال العباد.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَراْمِ وَ ٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَ لَوْلا رِجالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسْآءٌ مُؤْمِناتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَوُّهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْم لِيُدْخِلَ ٱللَّهُ في رَحْمَتِهِ مَنْ يَشْآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابًا أَلِيمًا

هُمُ ٱلّذينَ كَفَرُوا باللّه و رسوله وهم كفّار قريش و صَدُّوكُمْ أي منعوكم عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرامِ في الحديبيّة و صدّوكم أن تعتمروا و تطوفوا بالبيت و آلْهَدْى مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغ مَحِلَّهُ المعكوف المحبوس، و قيل الموقوف يقال عكفه و وقفه، و المحلّ بكسر الحاء غاية الشّي و بفتحها الموضع الذي يحلّه النّاس، و بعبارة أخرى، مَحَلَّ بفتح الحاء إسم مكانٍ أي مكان الحلول و بكسر الحاء غاية الشّي و مقصده.

و قرأ المشهور بالكسر و عليه المصاحف و قرئ بالفتح أيضاً، فعلى قراءة الكسر معنى الكلام و الهدي معكوفاً أي محبوساً أن يبلغ محلّه أي غايته و مقصده و الغاية فيه الذّبح بمكّة، و على قراءة الفتح معناه أن يبلغ المحلّ الّذي يحلّ نحره فيه، و بعبارة أخرى منحره، و ذلك لأنّ هدي العمرة لا يذبح إلا بمكّة كما أنّ هدي الحج لا يذبح إلاّ بمنى و لَوْلا رِجالٌ مُومِنُونَ باللّه و يُسلّاً مُ مُومِنُونَ عذلك و قيل المراد بالرّجال في الآية المستضعفون منهم من المؤمنين بمكّة وسط الكفّار و النّساء كذلك لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أي لم تعرفوهم أنهم مؤمنون أَنْ تَطَوُّهُمْ بالقتل و الإيقاع بهم، فقوله: لَمْ تَعْلَمُوهُمْ نعت لرجال و نساء و جواب لولا محذوف و التّقدير، ولولا أن تطئوا رجالاً مؤمنين و نساءً مؤمنات لم تعرفوهم لأذن اللّه لكم في دخول مكّة و لسّلطكم عليهم و لكنّا صنّا من كان فيها بكتم إيمانه.

و قال الضّحاك لولا في أصلاب الكفّار و أرحام نسائهم من رجال مؤمنين و نساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوا أبائهم فتهلك أبناءهم.

أقول ما قاله الضّحاك بعيدٌ لا يمكن حمل كلام الله عليه لأنّ ما ذكره من الملاك موجود في جميع الحروب و قوله: فَتُصيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْم المعرَّة العيب و هي مفعلة من العرّ و هو الحرب أي يقول المشركون أنَّ المسلمين قتلوا أهل دينهم، و قيل المعنى يصيبكم من قتلهم ما يلزمكم من أجله كفّارة قتل الخطأ و هي عتق رقبة مؤمنة و من لم يقدر فصيام شهرين متتابعين و هو كفّارة قتل الخطأ في دار الحرب.

و محصلٌ الكلام في الآية لولا المؤمنون من الرّجال و النّساء في مكّـة لم تعلموهم لوطأتم رقاب المشركين بنصرنا إيّاكم، فهذه الآية إشارة إلى علّة الصُّلح و أنَّ المصلحة كانت فيه لا في الحرب و هو كذلك و لذلك فالمراد بقوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتُحًا مُبِينًا هو الصُّلح و أيّ فتح أنفع و أصلَح منه.

لِيُدْخِلَ ٱللَّهُ في رَحْمَتِهِ مَنْ يَشْآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا أيلو تميّزالمؤمنون منهم، و قيل لو تفرّقوا **لَعَذَّبْنَا ٱلَّذينَ كَفَرُوا** من أهل مكّة عـذابـاً أليـماً، أي مـؤلماً بالسّيف و القتل، و قيل المعنى لو زال المؤمنون من بين أظهر الكفّار لعذّب الكفّار بالسّيف ولكنّ الله يدفع بالمؤمنين عن الكفّار.

وإعلم أنّ قراءة العامّة لو تزَّيلوا، و عليها المصاحف و قرئي شاذاً تَزَيَّلُوا فرق في المعنى بينهما.

إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا في قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقُوٰى وَكَانُوٓا أُحَقُّ بِهَا وَ أَهْلَهَا وَ كَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمًا

الحَمِيَّة بفتح الحاء و كسر الميم و فتح الياء المشدَّدة، فعيلة و هي الأنفة يقال حميت عن كذا حميّةً بالتّشديد و محّمية إذا أنفت منه و داخلك عارٌ و آنفه إن تفعله، قال الزُّهري حميّتهم أنـفسهم مـن الإقرار للنّبي تَلَمُ الشِّكَائِيُّ بـالرّسالة، و الإستفتاح ببسم اللَّه الرّحمٰن الرّحيم، و منعهم رسول اللَّه من دخول مكّـة، و

قال إبن بحر حميّتهم عصبيّتهم لإلهتهم الّتي كانوا يـعبدونها مـن دون اللّه و ا الاءنفة من أن يعبدوا غيرها، و قيل حميّة الجّاهلية أنّهم قالوا قتلوا أبناءنا و اخوانا ثمّ يدخلون علينا في منزلنا و اللاّت و العزّيٰ لا يدخلهما أبداً.

و قال الرّاغب في المفردات الحمى الحرارة المتولِّدة من الجواهر المحميّة كالنَّار و الشَّمس و من القوّة الحاّرة في البدن و عبّر عن القوّة الغضبيّة إذا ثارت و كثرت بالحميّة فقيل حميت على فلان أي غضبت عليه إنتهى موضع الحاجة من كلامه و ما ذكره هو الحقّ و نضيف الى ما ذكره أنّ منشأ الحمّية الكبر لا مجرّد الغضب إذا عرفت هذا فقوله تعالى: إذْ جَمعَلَ ٱلَّذينَ كَفَرُوا و هم مشركوا العرب في قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ معناه أنَّهم أنكروا نبوّة الرّسول بعد إنكارهم التّوحيد لأجل الحميّة و العصبيّة الّتي كانت في قلوبهم مكنونة من عهد الجاهلية و ذلك لأنّهم كانوا يقولون نحن أشرف و أفضل من محمّد فكيف نتبّعه و نطيعه فيما يقول لنا و أنمّا أضاف اللّه الحميّة الى الجاهليّة لأنّ منشأها الجهل و الحماقة و حيث أنّهم كانوا قبل البعثة من الجُّهال فقال تعالى: حَمِيَّةَ ٱلْجُاهِلِيَّةِ و أنمًا قال ذلك لأنّهم لم يعلموا أنّ شرف الإنسان و فضله ليس بالمال و الحياة و كثرة الأولاد و الأفراد و أنمًا هو بالعلم و الصَّدق و الأمانة و أمثالها من الفضائل و هذه الحميّة كانت في قلوبهم حتّى بعد ظهور الإسلام و إيمانهم ظاهراً بالله و رسوله و إستمرّت فيها الى زماننا هذا لأجل هذا لم يقبلوا إمامة علَّى بن أبي طالب و خلافته بعد الرَّسول ألا تـرى أنَّ أبــا عبيدة و إبن عوف و أمثالهم قالوا لعلّى بعد موت الرّسول و تعينيهم أبا بكر للإمامة و الخلافة، يا بن عمّ أنّك حدثُ السِّن و أبو بكر من مشائخ القوم الى آخر ما قالوا و ليس هذا إلا حمية الجاهلية فَأَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ أي فعل الله به من اللَّطف و الشَّفقة و الغاية الخّاصة، ما سكنت اليه نفسه و صبر على الدُّخول تحت ما أرادوه منه وَ عَلَى ٱلْـمُؤْمِنينَ أي و فعل ذلك

بالمؤمنين الّذين آمنوا باللّه و رسوله من إنزال السَّكينة عليهم وَ أَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقُوى، و التَّقُوى، و أَنتَقُوى، و إختلف المفسّرون في معنى المراد بها.

فقال إبن عبّاس هي قوله: لا إله إلاّ الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ.

و قال مجاهد هي كلمة الإخلاص، و قيل لأ إله إلاّ الله و الله أكبر، و قيل لأ الله و حَدَهُ لا شَعَرِيكَ لَه لَهُ الْمُلْكَ وَ لَهُ الْحَمْدِ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلَّ شَيِ قَدير، و قيل، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم، يعني أنّ المشركين لم يقرؤا بهده الكلمة فخصَّ الله بها المؤمنين و الأقوال كثيرة.

و الذي نقول في المقام هو ان كلمة التقوى، كلمة التقوى لا غيرها و هي فعل الطاعات و اجتناب المحرّمات يعنى ينبغى للمؤمن الذي آمن بالله و رسوله أن يعمل و لا يقنع بالإيمان اللفظي و لا نعني بالتقوى إلا العمل بمقتضى الإيمان، و لذلك قال تعالى: كَانُوۤ اللهُ عَقَ يِها وَ أَهْلَها أي و من أحقً بالتقوى من المؤمن، و من أهل التقوى إلاّ المؤمن و كان الله يكلّ شَعيع عليم الله عليه شئ لأنه عالم بالسّر و العلن و الظاهر و الباطن و قد مضى الكلام في هذا الباب فيما سلف مفصّلاً.

لَقَدْ صَدَقَ ٱللهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْ يَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَراْمَ إِنْ شَآءَ اللهُ المِنينَ مُحَلِّقِينَ رُوُسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا مَرَءً ٤٠ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذُلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا

اللام في قوله: لَقَدْ للقسم أقسم الله تعالى أنّ النّبي صادقً في قوله أنّه رأى في المنام أنّه يدخل هو و المؤمنون المسجد الحرام و أنّه لا بدّ من كون ذلك قال قتادة رأى رسول اللّه وَ اللّه عَلَى المنام أنّه يدخل مكّة على هذه الصّفة فلمّا صالح قريشاً بالحديّبية إرتاب المنافقون حتّى قال رسول اللّه وَ اللّه واللّه واللّه واللّه والله واللّه واللّه والله و

الغرقان في تفسير القرآن الغرقان في تفسير القرآن الغرقان في تفسير القرآن الغرقان في تفسير القرآن العرقان في تفسير العرقان في تفسير العرقان في تفسير القرآن العرقان في تفسير القرآن العرقان في تفسير القرآن العرقان في تفسير القرآن العرقان في تفسير القرآن العرقان في تفسير في تفسير العرقان في تفسير في تفسير العرقان في تفسير العرقان في تفسير العرقان في تفسير العرقان في تفسير في العرقان في تفسير العرقان في تفسير في العرقان في تفسير العرقان في تفسير في تفسير العرقان في تفسير في تفسير العرقان في تفسير في تفسير في العرقان في تفسير في العرقان في تفسير في تفسير في العرقان في تفسير في تفسير في العرقان في تفسير في العرقان في العرق أنّ رؤيا الرّسول حقّ، و المشهور بين المفسّرين أنّ الرّؤيا كانت في الحديبيّة و قال قومٌ كانت في المدينة قبل أن يخرج منها الى الحديبيّة و أنّه أخبر بذلك أصحابه فخرجوا و فرحوا بذلك و حسبوا أنّهم داخلون في مكّة في عامهم ذلك فلمّا صدّوا قال المنافقون ما خلفنا و لا قصّرنا و لا دخلنا المسجد حتّى قال عمر ما شككت مذ أسلمت إلاّ يومئذ فأنزلت الآية و كان دخولهم في العام القابل و أمّا تعليق الدُّخول على المشّيئة في قوله: إن شاءَ الله فقيل معناه أمركم الله بهما لأنّ مشيئة الله تعالى بفعل عباده هو أمره به قاله البلخي.

و قال قوم هو تأديبٌ لناكما قال: **وَ لا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ إِنِّى فَاعِلُ ذَٰلِكَ غَدًا، إِلَّا أَنْ** يَشْاءَ ٱللَّهُ (١) و قوله: أُمِنينَ أي بلا خوفٍ عليكم من أعدائكم.

مُحَلِّقِينَ رُوُّسَكُمْ وَ مُقَصِّرِينَ الظّاهر من الآية أنّ الحلق و التقصير من مناسك الحجّ و العمرة و يعلم كونه واجباً من البيان الواردة من معدن الوحي الإلهي و هو المعروف من مذهب الأصحاب بل قال العلامة في المنتهى على ما نقل عنه أنّ كونه نسكاً واجباً كون علماؤنا أجمع و نسب إلى الشّيخ مَنْتِئُ أنّه مندوبٌ غير واجب و لم يظهر لنا صحّة هذا القول و قد رأيت في بعض مؤلّفات أصحابنا أنّ الشّيخ قال به في التّبيان و نحن لم نجده فيه و اللّه أعلم.

و كيف كان فالقول المشهور هو المتبع و وقته يوم النّحر بعد ذبح الهدي و حصوله في رحله و عن أبي الصّلاح أنّه جوَّز تأخيره إلى أيّام التّشريق، يجب الجمع بين الحلق و التقصير معاً و لا يستجبّ و على هذا فتعيّن أن يكون الواو في قوله تعالى: وَ مُقصّرين بمعنى أو، و المعنى بعضكم محلّقين و بعضكم مقصّرين و يعلم ذلك من النّص و الإجماع و تفصيل ذلك في المناسك لا تخافُون من الأعداء فَعَلِم اللّه ما لم تعلموا، من المصالح، و قيل معنى الكلام، فعلم الله و علم النّبي من دخولهم إلى سنة ما لم تعلموا معاشر المؤمنين، و

قيل معناه أنّ بمكّة رجال مؤمنين و نساءً مؤمنات لم تعلموهم فَحِعَلَ مِـنْ دُونِ ذٰلِكَ فَتُحًا قَريبًا و هو فتح خيبر و قيل هو فتح الحديبيّة.

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدٰى وَ دِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفْي بِاللهِ شَهِيدًا

أُخبر الله في هذه الآية أنّ الله هُو َ ٱلَّذَى آرْسَلَ رَسُولَهُ إلى الخلق بِالْهُدى قيل يعني بالدّليل الواضح و الحجّة و البيّنة و دين ٱلْحَقّ و هو الإسلام الذي هو فوق جميع الأديان السّماوية فأنّ الإسلام يعلوا و لا يعلى عليه و في قوله: كُلّه إشارة الى علق مقام الإسلام و رفعة شأنه و أنّه لا دين فوقه و ذلك لجامعيّة الإسلام جميع ما يحتاج إليه البشر في أمر دينه و دنياه إلى يوم القيامة و لذلك قال الله تعالى: إنّ ٱلدّينَ عِنْدُ ٱلله الإسلام، و مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الله الإسلام، و مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الله الإسلام، و مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ

و هذه الآية من أدل الدلائل على المدّعى و أنّه أجمع و أكمل من جميع الأديان و الرّسول الذي جاء به من عند الله أيضاً أفضل الأنبياء و أمّته أفضل الأمم و أحكامه أحسن الأحكام و بالجملة هو الدّين الّذي لا ثاني له و لا ناسخ له إلى يوم القيامة و كَفْي بِاللّهِ شَهيدًا أي شاهداً على ما ذكره لأنّه تعالى بدينه و الأحكام المودّعة فيه.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدُّآءُ عَلَى اَلْكُفّارِ رُحَمآءُ بَيْنَهُمْ تَريٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَ رِضْوانًا سيماهُمْ في وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذٰلِكَ مَتَلُهُمْ فِي التَّوْرِيةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإَنْجِيلِ كَزَرْعَ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَالْانْجِيلِ كَزَرْعَ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَالْانْجِيلِ كَزَرْعَ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَالْرَدَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوٰى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيَعْيِظَ بِهِمُ الْكُفُّارَ وَعَدَ اللهُ اللهُ الَّذِينَ الْمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔹



مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ أرسله الله إلى خلقه ليهديهم إلى الحقّ كما أرسل قبله من الأنبياء و الله ين أمنوا بالله و رسوله أَشِد آء عَلَى الْكُفَّارِ أي غلاظً عليهم كالأسد على فريسته وأشد اء بفتح الهمزة و كسر الشّين و تشديد الدّال مثل أطبّاء و طبيب و كونهم أشدّاء على الكفّار معناه يقاتلونهم و يجاهدونهم رُحَماء بينتهم أن بيت الله تعالى للمؤمنين الشّدة على الكفّار و الترحّم و التعاطف بينهم و فيه إشارة إلى مواساتهم لأنّ المؤمن أخو المؤمن تريهم رُكّعًا سُجّدًا و هو كناية عن كثرة صلواتهم و لا شكّ أنّ الصّلاة أفضل العبادات و أشرف القربات و أحسن الأذكار و الأوراد و الأفعال للعبد و في قوله: رُكّعًا سُجّدًا إشارة إلى تواضعهم خصّهما بالذّكر من بين الأفعال و الأذكار الواردة في الصّلاة و إلى هذا المعنى أشارت بضعة الرّسول فاطمة الزّهراء عَليا في خطبة فدك.

و قالت: أنّ الله تعالى جعل الإيمان لكم تنزيهاً من الشّرك و الصّلاة تنزيهاً عن الكبر.

و صار الشّيطان مطروداً بتركه السّجُد لأدم و إذا كان كذلك فما ظنّك بتارك الصّلاة هذا إذا كان الرّكوع و السّجود لله تعالى خالصاً لوجهه الكريم و إلا مجرد الرّكوع و السّجود لا خير فيهما كما في أصحاب النّهروان و أكثر المسلمين في صدر الإسلام إلى زماننا هذا فأنّ الصّلاة معراج المؤمن لا معراج المصلّي كيف إتّفقت و للبحث فيه مقام أخر.

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ ٱللّهِ وَ رِضُواْنًا أَي أَنَهم يطلبون بصلاتهم و ركوعهم و سجودهم فضلاً و رحمةً من الله تعالى و هو دليلٌ على إخلاصهم و أنهم يصلّون لله تعالى لا للرّياء و السُّمعة كما هو شأن المنافق.

سيماهُم في وُجُوهِم مِن أَثَرِ ٱلسُّجُودِ أي أنَ أثر صلاتهم و عبادتهم يظهر في وجوههم من السّهر باللّيل و قيل يظهر في وجوههم من السّهر باللّيل و قيل

علامة نورِ يجعلها الله في وجوههم يوم القيامة ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرِيْةِ أي وصفهم كأنه مثلهم في التوراة و أمّا وَ مَثَلُّهُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ أي وصفهم الله في الإنجيل كَزَرْع أُخْرَجَ شَطْئَهُ أي وهم كزرع و شطئه، يعني فراحه و أولاده قال الجوهري شطأ الزَّرع و النَّبات فراخه و النَّجمع أشطاه يقال أشطاء الزَّرع خرج شطؤه.

و قال الأخفش، أخرج شطاه أي طرفه قال الزّجاج أشطأ الزَّرع فهو مشطئ إذا خرج، و هذا مثلٌ ضربه الله لأصحاب النّبي يعني أنّهم يكونون قليلاً ثمّ يزدادون و يكثرون فكان النَّبِي وَلَيْسُكُمْ حين بدأ بالدُّعاء إلى دينه ضعيفاً فأجابه الواحد بعد الواحد حتّى قوى أمره و ذلك كالزَّرع يبدوا بعد البذر ضعيفاً فيقوى حالاً بعد حالٍ حتّى يغلظ نباته و أفراخه فكان هذا من أصحّ مثل و أقوى بيانٍ.

و قال قتادة، مثل أصحاب محمّد الله المُتَالله عنه عنه الإنجيل مكتوبٌ أنّه سيخرج من قوم ينتهون نبات الزّرع يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر إنتهى ما ذكره بعض المفسّرين في وجه التشّبيه.

أقول فهم الكلام لا يحتاج إلى هذه التكلُّفات و ذلك لأنَّ وجه الشُّبه في هذا التّشبيه ظاهرٌ لا خفاء فيه، و هو أنّ اللّه تعالى شبَّه نبيَّه بالزَّرع و شبَّه المؤمنين الَّذين وصفهم في هذه الآية بشطأ الزَّرع و هو فروخه و جوانبه و حواليه فالنبّي جزء ٢٤ لم بمنزلة الأصل و المؤمنون بمنزلة الفرع فقوله تعالى: كَــزَرْع أَخْــرَجَ شَــطُـّـةُ يعني انّ النبّي كزرع أخرج شطأه و هذا ظاهر لا إبهام فيه.

فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوٰى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ الأزر، القوّة الشّديدة، و أزره أي أعانه و قوّاه و أصله من شَدَّ الازار، يقال أزرته فتّأزر أي شدَّت إزاره و أزرت البناء قوَّيت أسافله، و تأزَّر النَّبات طال و قوي إذا عرفت هذا فقوله: فَ**أْزَرَهُ** أي قوّاه و شدَّه و بعبارةٍ أخرى قوّي الشَّطأ

الزَّرع و قيل بالعكس أي قوّي الزَّرع الشَّطأ فَاسْتَغْلَظَ أي صار غليظاً بإجتماع الفراخ مع الأصول فَاسْتَوٰى أي صار مثل الأمّ و هو الزّرع عَلَى سُوقِه هو جمع ساق و ساق الشَّجرة حاملة الشّجرة و هو عوده الّذي يقوم عليه قصبة كما قوّي النّبي بأصحابه و قوله: يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ يعني الّذين زرعوا ذلك الزَّرع لِيَغيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ أي ليغيظ بالنّبي و أصحابه الكفّار.

قال بعض المفسّرين في وجه ضرب هذا المثل بالزّرع الّذي أخرج شطأه هو أنّ النّبي حين ناداهم إلى دينه كان ضعيفاً ثمّ بعد ذلك كثر جمعه و قوي أمره كالزَّرع.

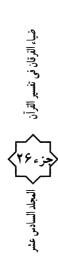
و قال البلخى: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُقُارَ نَبَاتُهُ (١) والمراد بالزُّراع الكُفّار لأنّهم يعجبون ممّا يرونه من كثرة المسلمين في مدّةٍ قليلة و محصل الكلام في الآية أنّ الدّين كان في بدو الأمر ضعيفاً غريباً ثمّ قويت أركانه بحيث كان الكفّار يعجبون من قدرة الإسلام و شوكته كما تشهد به التّواريخ.

قال رسول الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْهِ الله عَلَيْ وَ سيعود غريباً، صدق رسول الله عَلَيْهُ وَاللّه عَلَيْهُ وَاللّه عَلَيْهُ وَاللّه عَلَيْهُ وَاللّه عَلَيْهُ وَاللّه عَلَيْهُ وَاللّه عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَلّا اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ واللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَا عَلَا عَلَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَا عَلَا عَلَالل فَا عَلَا عَلَاللّهُ عَلَا عَلَا عَلَّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَاللّهُ عَلَا عَلَّا عَلَّا عَلّا عَلّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلَا عَلّاللّهُ عَلَّا عَلَا عَلّا عَلَا عَلّا عَلّا عَلَا عَلَا عَلَا عَلّا عَلَا عَلّا عَلّا عَلَا عَلَا عَلّا عَلَا عَلّا عَلّا عَلَ

ورَةُ ٱلْحُجُراتِ ﷺ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

ياً أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى ٱللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيمٌ (١) يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ امْنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَ لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْر بَعْضِكُمْ لِبَعْضَ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ ٱلَّذينَ يَغُضُّونَ أَصْواٰتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولٰٰئِكَ ٱلَّذِينَآمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوٰى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظيمٌ (٣) إِنَّ ٱلَّذينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرِآء ٱلْحُجُراٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١) وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ ٱللَّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ (٥) يَآ أَيُّهَا ٱلَّذينَ اٰمَنُوٓ ا إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَاٍ فَتَبَيَّنُوٓ ا أَنْ تُصيبُوا قَوْمًا بجَهالَةِ فَتُصْبحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (۶) وَ ٱعْلَمُوا أَنَّ فيكُمْ رَسُولَ ٱللهِ لَوْ يُطيعُكُمْ في كَثيرِ مِنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لَكِنَّ ٱللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْايمَانَ وَ زَيَّنَهُ في قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ



إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَ ٱلْفُسُوقَ وَ ٱلْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلرّاٰشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ ٱللَّهِ وَ نِعْمَةً وَ ٱللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ (٨) وَ إِنْ طَآئِفَتٰانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمٰا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدِيْهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرٰى فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغي حَتَّىٰ تَفيٓءَ إِلْى أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِنْ فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) ۚ آ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْم عَسٰيٓ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَ لا نِسْآءٌ مِنْ نِسْآءِ عَسْيَ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَ لا تَلْمِزُوٓا أَنْفُسَكُمْ وَ لا تَـنابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ ٱلْإِسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْايمانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولٰتَكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ (١١) يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذينَ اٰمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنَّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابُ رَحِيمٌ (١٢) يَا ٓ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَر وَ أَنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوۤا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقِيٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) قَالَتِ ٱلْأَعْرِاتُ أَمَنًّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوٓا



أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ آلْإيمَانُ في قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا آللّٰهَ وَ رَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ آللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ شَيْئًا إِنَّ ٱللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ آلَّذَيِنَ أَمَنُوا بِاللّٰهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَ جُاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ في سَبيلِ ٱللّٰهِ جُاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ في سَبيلِ ٱللّٰهِ أُولِيَّكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱلللهَ بِدينِكُمْ وَ ٱللّٰهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمُواتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ ٱللّٰهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمُواتِ وَ مَا فِي عَلَيْكُمْ وَ ٱللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) يَمُنُّونَ اللّهُ عَلَيْكُ أَنْ اللّٰهُ يَعْلَمُ عَلَيْ إِللّٰهِمَانِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ هَديٰكُمْ لِلْايمَانِ إِنْ كُنْتُمْ طَادِقِينَ (١٧) إِنَّ ٱللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمُواتِ وَ طَادِقِينَ (١٧) إِنَّ ٱللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمُواتِ وَ اللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)

◄ اللَّغة

تَحْبَطَ: الحبط البطلان يقال حبط عمله إذا بطل.

آلْحُجُراتِ: بضمّ الحاء و الجيم جمع حجرة، بضمّ الحاء مثل غرفة و غرفات و الحجرة البيت.

لَعَنِتُمْ: يقال أعنتُ فعنت، أعنت الرَّجل إذا حملت عليه عامداً لما يكره، و قيل العنت بسكون النون المشقّة.

فَإِنْ بَغَتْ: البغي طلب التَّجاوز عن الحدِّ و قد يعبّر عنه بالظُّلم.

تُفيَّءَ: أي ترجع، الفيِّ الرّجوع.

فْآءَتْ: أي رجعت.

وَ أَقْسِطُوا: القسط العدل.

وَ لا تَلْمِزُوآ: اللَّمز هو الرَّمي بالعيب لمن لا يجوز أن يؤذي بذكره و أمّا مجرّد ذكر العيب فليس بلمز.

وَ لَا تَنَابَزُ وا: قال أبو عبيدة الإنباز و الألقاب واحد فالنَّبز القذف باللَّقب.

لا يَلِثْكُمْ: أي لا ينقصكم و لا يظلمكم، يقال ألته السُّلطان حقّه أشد الألت و هي لغة غطفان ولغة أسد، و قرئ، و لا يألتكم أيضاً و المعنى واحد.

◄ الإعراب

▶ التّفسير

الخطاب للمؤمنين الذين أمنوا بالله و رسوله و المعنى لا تقدّموا قولاً و لا فعلاً بين يدي الله و رسوله فيما تأخذوه عنه في أمر الدّين و الدُّنيا و من قدَّم قوله أو فعله على الله لأنه و الرّسول و فعله فقد قدَّمه على الله لأنه و الرّسول و فعله فقد قدَّمه على الله لأنه و الرّسول و فعله فقد قدَّمه على الله لأنه و أمرهم أن يتقوا الله بإجتناب معاصيه و أن يفعلوا طاعاته إنَّ ٱلله سَميع عَليم لما يقولونه و يضمرونه.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

ن کی الدجلد السادس ع

يٰا ٓ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَرْفَعُوۤا أَصْواٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَ لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ تَشْعُرُونَ

و نقل الشّيخ مُنْتُئُ في التّبيان عن مجاهد و قتادة، قالا، جماء أعرابٌ أجلاف من بني تميم فجعلوا ينادون من وراء الحجرات يامحمّد أخرج إلينا فنزّلت.

إن قلت أيّ إشكالٍ في رفع الصَّوت عند النّبي و لم نهاهم اللّه عنه علمنا أنّ بعض الأشخاص جهورّي الصَّوت طبعاً.

قلت أنّ العادة جارية أنّ من كلَّم غيره و رفع صوته فوق صوته أنّ ذلك على وجه الاستخفاف به فلذلك نهاهم عنه و أمّا من كان بمقتضى طبعه جهوريّ الصَّوت فهو خارج عن النّهي ثمّ أنّ الجهر ظهور الصَّوت بقوّة الإعتماد و منه الجهارة في المنطق ونقيض الجهر الهمس.

و قوله: أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ أي إن فعلتم ما نهيتكم عنه تبطل أعمالكم من حيث لا تشعرون، و لا تعلمون و ذلك لمخالفتكم أوامر الله و نواهيه و كلّ عمل نهى الشّارع عنه فهو باطل و رفع الصَّوت من هذا القبيل لأنّه غالباً على وجه الإستخفاف كما بيّناه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواٰتَهُمْ عِنْدَرَسُولِ ٱللَّهِ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوٰى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظيمٌ

أى أنّ الّذين يخفضون أصواتهم عند رسول اللّه و الخفض ضدّ الرّفع، أُولٰتِكَ ٱلَّذينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوٰى أَى أَنَّهِم متَّصفونبها، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ من الله وَ أَجْرٌ عَظيمٌ أي و لهم أجرٌ جزيل عنده في الأخرة لكونهم مستحقين للمغفرة و الأجر عند خالقهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَرِ آءِ ٱلْحُجُراٰتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ، وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ ٱللَّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ

قال مجاهد و غيره نزلت الآية في أعراب بني تميم قدم الوفد منهم على النَّبِي ﷺ فَدَخُلُوا المسجد و نادوا النَّبِي اللَّهِ عَالَمُ عَالَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ عَالَمُ العَ إلينا فأنّ مدحنا زينٌ و ذمّنا شينٌ» و كانوا سبعين رجلاً قدّموا الفداء ذراري لهم النبيِّ مَاللَّهُ عَالَمُ نَام للقائلة و روي أنَّ الَّذي نادى الأقرع بن حابس و أنَّـه القـائل، (أَنَّ مدحي زينٌ و أَنَّ ذمَّي شينٌ) فقال النَّبِي وَاللَّهِ عَالَهُ اللَّهِ ذكره التَّرمذي عن البراء بن عازب أيضاً و روي زيد بن أرقم فقال أتىٰ أناسٌ النّبي ﷺ فقال بعضهم لبعضٍ إنطلقوا بنا إلى هذا الرَّجل فأن يكن نبيًّا فنحن أسعد النّاس بأتّباعه و أن يكن ملكاً نعش في جناحه فأتوا النّبي فجعلوا ينادونه و هـو فـي رَءِ ٢٧٤ حجرته يا محمّد، يا محمّد فأنزل الله هذه الآية قيل أنّهم كانوا من بني تميم قال مقاتل كانوا تسعة أو عشرة، قيس بن عاصم، و الزُّبرقان بن بدر، و الأقرع بن حابس، و سويد بن هاشم، و خالد بن مالك، و عطاء بن حابس، و القعقاع بن معبد، و وكيع بن وكيع، و عنيبة بن حصين، و هو الأحقّ المطاع، و كان من الجرّارين يجرّ عشرة آلاف قناة أي يتَّبعه وكان إسمه حـذيفة و سـمّي عـنيبة الشِّتر كان في عينيه.

و أمّا تفسير ألفاظ الآية فنقول إنَّ ٱلّذينَ يُنْادُونَكَ الخطاب للرّسول يعني ينادونك يا محمّد مِنْ وَرْآءِ ٱلْحُجُراتِ أي من وراء البيوت فأنّ الحجرة الرّفعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها و قرأ أبو جعفر القعقاع، الحُجرات بفتح الجيم إستثقالاً للضّمتين، و قريء الحُجرات بسكون الجيم و كيف كان فالمراد بها بيوت النبّي عَلَّالُونَ اللَّوَاللَّ و قوله: أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ فالوجه فيه واضح لأنّ من لا أدب له لا عقل له و أكثر النّاس كذلك حتى في زماننا هذا و هو دليل على جهلهم و إنّما قال أكثرهم لأنّ جميع النّاس ليسوا كذلك ثمّ أشار اللّه تعالى إلى دواء هذا الدّاء.

فقوله: وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ بدون النّداء لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ من النّداء من وراء الحجرات إيذاء من النّداء من وراء الحجرات إيذاء للنّبي و هو من المحَرمات مضافاً إلى أنّه من سوء الأدب فهو شَرٌ و أمّا ترك النّداء و الصَّبر حتّى يخرج النّبي فيه ثوابٌ عند اللّه و شرف و كرامة عند الخلق و هو خيرٌ، و أمّا قوله: وَ ٱللّهُ عَقُورٌ رَحيمٌ ففيه إشارة إلى من فعل ذلك ندم و تاب عمّا فعل فاللّه تعالى يغفر له و يدخله في رحمته الواسعة فأنّ رحمته وسعت كلّ شئ و هو الّذي يغفر الذّنوب جميعاً و هو ظاهرٌ.

يْلَ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوۤا إِنْ جُلَءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَاٍ فَتَبَيَّنُوۤا أَنْ تُصيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمينَ

إتَّفق المفسّرون على أنّها نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط لمّا بعثه رسول اللّه في صدقات بني المصطلق خرجوا يتلقُّونه فرحاً به و إكراماً له فظنّ

ضياء الفرقان في تفسير القرآ

ن تفسير القرآن ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ المجلد الساد،

أنّهم همُّوا بقتله فرجع إلى النَّبِي ثَلَّا اللَّبِي ثَلَا النَّبِي ثَلَا اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ أَنّهم منعوا صدقاتهم و كان الأمر بخلافه قاله إبن عبّاس و مجاهد و قتادة و غيرهم.

و في روايةٍ لمّا أخبر الوليد رسول الله أنّهم قد إرتدُّوا همَّ النبّي بغزوهم فبينما كذلك اذ قدم وفدهم على رسول الله و قالوا يا رسول الله أنّا خرجنا إليه لنكرمه و نؤدّي إليه صدقاتنا فإستَّمر راجعاً فأنزل الله هذه الآية و سمّي الوَليد فاسقاً أي كاذباً، و قيل الفاسق المعلن بالذَّنب، و قيل الذي لا يستحيى من الله.

أقول الفسق خروجٌ عن حجر الشّرع و ذلك من قولهم فسق الرُّطب إذا خرج عن قشره و هو أعمّ من الكفر و الفسق يقع بالقليل من الذّنوب و الكثير لكن تعورف فيما كان كثيراً و أكثر ما يقال الفاسق لمن إلتزم حكم الشّرع و أقرَّ به ثمّ أخلً بجميع أحكامه أو ببعضه قاله الرّاغب في المفردات.

و لمّا نزلت الآية في الوليد و سمَّاه اللّه في الآية فاسقاً إشتهر بذلك في أصحاب الرّسول فكانوا يقولون وليد الفاسق و كان خمّاراً زانياً هتّاكاً و بالجملة ما من فسقٍ إلاّ أنّه إرتكبه و لذلك ولاّه عثمان بن عفّان على الكوفة و صلّى بالنّاس أربع ركعات بالصُّبح ولمّا سئل عن ذلك قال لهم لو شئتم أزيدكم.

و قصّته طويلة و نسبه مخدوشة و هو في الفسق كان أشهر من كفر إبليس و نظائره كثيرة في أصحاب النبّي و لذلك قال القرطبي في تفسيره ما هذا لفظه:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المادة السالة المادة المادة

قلت فالصحابة كلّهم عدول أولياء اللّه تعالى و أصفياءه و خيرته من خلقه بعد أنبياءه و رسله هذا مذهب أهل السّنة و الّذي عليه الجماعة من أئمّة هذه الأمّة و قد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أنّ حال الصّحابة كحال غيرهم فيلزم البحث عن عدالتهم و ساق الكلام إلى أن قال إذا كانت تلك الأمور مبنيّة على الإجتهاد إذ كلّ مجتهدٍ مصيب إنتهى ما أردنا نقله منه (١).

أقول أنظروا يا أهل الإنصاف إلى هذه الكلمات العارية عن المعنى التي لا يقول بها إلا من لا عقل له، فلو كانت الصّحابة كلّهم عدول من أولياء اللّه و أصفياءه و خيرته من خلقه فكيف حكم اللّه تعالى في الآية بفسق الوليد من أولياءه و أصفياءه و خيرته من خلقه بعد أنبياءه، أليس تفسيق العادل الصفّي من الفسق و بعبارةٍ أخرى من حكم بفسق العادل الصفّي فهو فاسق لأنّه كاذبٌ في قوله و الكذب من أظهر مصاديق الفسق نعوذ باللّه من هذه الهفوات الّتي ألقاها الشّيطان في قلبه، اللّهم إلا أن يقال أنّ الآية نزلت في فرعون و نمرود و أمثالهما لا في الوليد الّذي إتفقوا على أنّه من الصّحابة لأنّه كان مجتهداً و كلّ مجتهد مصيبٌ، إلا أنّهم لا يقولون به و للبحث في هذه الأمور مقام أخر و لنرجع إلى تفسير ألفاظ الآية فنقول:

قوله تعالى: يَا آَيُّهَا آلَّذِينَ أَمَنُوۤ الخطاب للمؤمنين بأنّه إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ و هو الخارج عن طاعة الله و الدّاخل في طاعة الشّيطان بِنبَا أي بخبر من الأخبار فَتَبَيَّنُوٓ الي تفحّصوا في حاله لتعلموا صدقه من كذبه أَنْ تُصيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ أي لنّلا تصيبوا، أن، في محلّ النَّصب بإسقاط الخافض، قوما بجهالةٍ أي بخطأ فَتُصْبِحُوا عَلَى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ و النّدامة بعد العمل لا بخهالةٍ أي بخطأ فَتُصْبِحُوا عَلَى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ و النّدامة بعد العمل لا فائدة فيها، و لذلك إشترطوا في الشّاهد أن يكون عادلاً فلو شهد ألف فاسق عند القاضي لا إعتناء بقولهم لأنّ الفسق أخرجهم عن قبول شهادتهم و العجب

أنّ الشّافعي و نظراؤه أجازوا إمامة الفاسق في الصّلاة، لا يؤتمن على حبَّة مالٍ كيف يصحّ أن يؤتمن على قنطار دين.

و الذي يستفاد من الآية أنّ التبيّن لازم في خبر الفاسق و هو الّذي أظهر فسقه في النّاس و أمّا من لم يظهره فيحكم بأنّه عادلٌ فلا يجب التبيّن في خبره أو شهادته و هو كذلك و عليه إجماع الفقهاء و بعبارةٍ أخرى عدم العلم بالفسق يكفي في قبول الخبر و الحكم بعدالة المخبر، و لا يشترط العلم بالعدالة واقعاً لأنّ أحكام الإسلام على الظّاهر كما أنّ عدم العلم بنجاسة الماء يكفي في الحكم بطهارته و هكذا سائر الأحكام و هذا ممّا امتنّ اللّه تعالى على عباده دفعاً للعسر و الحرج.

وَ ٱعْلَمُوۤا أَنَّ فيكُمْ رَسُولَ ٱللهِ لَوْ يُطيعُكُمْ في كَثيرٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَ لَكِنَّ ٱللهُ لَوْ يُطيعُكُمْ في كَثيرٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ ٱللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَلَكِنَّ ٱللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإَلْهُ مُ ٱلرّاشِدُونَ، فَضْلًا مِنَ ٱللهِ وَنِعْمَةً وَٱلله عَليمٌ حَكيمٌ عَليمٌ حَكيمٌ

فضلاً من الله و نعمة و الله عليم حكيم يعني و آعُلَمُوا، معاشر المؤمنين أن فيكُم رَسُولَ ٱلله أي أنه وَالله عليم حكيم يعني و معكم لَو يُطيعُكُم و أن في عناه لو فعل الرّسول ما تريدونه الرّسول في كثير من الأمور لعنتُم أي أصابكم عنت و مكروه و قيل معنى الكلام لو تسارع النبي إلى ما أردتم قبل وضوح الأمر لنالكم مشقة و إثم فأنه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة و أخبر الرّسول بإرتدادهم لكان خطأ و لعنت من أراد إيقاع الهلاك بأولئك القوم لعداوة كانت بينه و بينهم و معنى طاعة الرّسول لهم الإئتمار بما يأمر به فيما يبلّغونه عن النّاس و السّماع منهم قاله بعض المفسّرين.

و قال الزّمخشري في الكشّاف ما هذا لفظه:

ام الفرقان في تفسير القرآن المجلد السادس عشر

أقول أنّ المفسّرين قد أطالوا الكلام في معنى الآية و هـو دليـل عـلى أنّـهم عدُّوها من المعضلات و الَّذي نفهم منها أنَّها ليست كذلك بمعنى أنَّه لا خفاء في معناها و ذلك لأنَّ اللَّه حكم في هذه الآية بوجوب متابعة الرَّسول قولاً و فعُلاً للمؤمنين بالله و رسوله و عدم متابعة الرّسول إيّاهم في الأمور بقولٍ مطلق و لذلك قال في كثيرٍ من الأمر و لم يقل في جميع الأمور فـقوله تـعالى: لَــوْ يُطيعُكُم أي لو يجيئكم الرّسول في كثير من الأمور لعنتُم، و أنّما قلنا ذلك لأنّ الطَّاعة يراعي فيها الرُّتبة فلا يكون المطيع مطيعاً لمن دونه و أنَّما يكون مطيعاً لمن فوقه إذا فعل ما أمره به ألا ترى أنّه لا يقال في اللّه تعالى أنّه مطيعٌ لنا إذا فعل ما أردناه، و يقال فينا إذا فعلنا ما أراده الله أنَّه مطيع و حيث أنَّ النَّبي فوقنا فلا يكون مطيعاً لنا فإطلاق ذلك على الرّسول مجاز و لذلك قلنا معنى يطيعكم يجيئكم، ثمّ أنّ إجابة الرّسول لهم في كثير من الأمور توجب المشقّة لهم و إيذائهم و ذلك لأنّهم لا يريدون إلاّ ما إشتهت إليه أهوائهم و أميالهم النفسانيّة فلو أجابهم الرّسول فيما طلبوه منه أو دعوه إليه لوقعوا في العنت و المشقّة قطعاً و هو خلاف المصلحة فالحقّ متابعتهم إيّاه لا متابعة وَاللَّهُ وَاللَّهُ عِلَيَّا هُم، ففيه حتُّ على الطَّاعة و الإنقياد لهم كما قال تعالى: و مَا أَتيْكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهنكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُو (١).

وأمّا قوله تعالى: لْكِنَّ ٱللّه حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْايِمَانَ وَزَيَّنَهُ في قُلُوبِكُمْ إلى أخر الأية. فمعناه أنّ الله تعالى بلطفه و عنايته جعل الإيمان محبوباً لكم و زينه في قلوبكم كما أنّ الشّيطان حبَّب الكفر إلى الكفّار و زيَّنه في قلوبهم بوسوسته و المراد بتحبيب الإيمان و تزيينه في القلوب أنّه تعالى عرَّفكم محاسن الإيمان و ما يترتّب عليه من الثّواب في الأخرة و لذلك قبلتموه بإختياركم كما هو شأن العاقل و ليس معناه أنّه خلق الإيمان في قلوبكم كما تقول به الأشاعرة القائلين بالجبر و أنّ الإيمان و الكفر مخلوقان في قلوب النّاس بحيث لا يقدر الكافر على الإيمان و لا المؤمن على الكفر فأنّ هذا الكلام مع أنّه مناف للتّكلف، مقالة الحقال.

و إن شئت قلت، المراد بالتَّحبيب و التَّزيين التَّوفيق فالمؤمن يُبُّ الإيمان و يكره الكفر و الفسوق و العصيان بإختياره و توفيق من الله.

و قوله: أُولٰتِكَ هُمُ ٱلرّاٰشِدُونَ يعني أولئك الّذين وفَّقهم اللّه للإيمان و العمل بمقتضاه، هم الرّاشدون المهتدون إلى طريق الحقّ.

و إلى هذا المعنى أشار الله بقوله: فَضْلًا مِنَ ٱللَّهِ وَ نِعْمَةً وَ ٱللَّهُ عَليمٌ حَكيمٌ ففي هذه الآية عرَّف الله الرّاشدين الّذين حبَّب إليهم الإيمان و زيَّنه في قلوبهم أي أنّ الذّي أعطيناهم من التّوفيق إلى الإيمان كان فضلاً و رحمةً من الله و نعمةً أنعمهم الله بها و آلله عليم حكيم أي عالم بالمصالح و الأشياء كلّها، حكيمٌ في جميع أفعاله، و هذا حقّ لا مرية فيه إذ لا نعمة بعد نعمة الإيجاد أفضل و أحسن من نعمة الإيمان بالله و رسوله و العمل بمقتضاه.

وَ إِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدِيْهُمَا عَلَى ٱلْأَخْرٰى فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغى حَتَّىٰ تَفيٓءَ إِلٰىٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَاِنْ فْآءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

الطّائفة تتناول الرّجل الواحد و الجمع و الإثنين، و طائفة الشّئ القطعة منه، قال تعالى: وَ إِنْ طَآئِفَتُانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا قيل نزلت الآية في الأوس و الخزرج و هما طائفتان من أنصار المدينة فعن سعيد بن جبير أنّ الأوس و الخزرج كان بينهم على عهد رسول الله عَلَيْ قَتَال بالسّيف و النّعال و نحوه فأنزل الله هذه الآية فيهم.

و قال الكلبي نزلت في حرب سمير و حاطب و كان، سمير، قتل حاطباً فإقتتل الأوس و الخزرج حتى أتاهم النبي الدي المؤمنين أن يصلحوا بينهما، و الأقوال كثيرة و الحق أن يقال أنّ الآية بصدد بيان حكم كلّي في الإسلام و هو أنّه إذا وقع قتال بينهم بأيّ دليلٍ كان و من أيّة فرقةٍ كانت، فيجب على غيرهم من المؤمنين أن يصلحوا بينهما سواء كان القتال في عهد النبي أم لم يكن و فيه إشعار بأنّ الإصلاح بين المؤمنين من أهم الفرائض و أوجب الواجبات لأنّه يوجب حفظ الدّماء و الأعراض كما أنّ القتال يوجب إراقة الدّماء و إيجاد العداوة و البغضاء و لذلك قال تعالى: وَ إِنْ طَآ يَفَتُانِ مِنَ ٱلمُوْمنين آ قُتَتَلُوا فَأَ صُلِحُوا بَيْنَهُما بأيّ نحوٍ مُمكن فَإِنْ بَعَتْ إِحْديْهُما عَلَى آلْأُخْرى البغي التّعدي و التّجاوز إلى حقّ الغير وأن يطلب ما لا يجوز له، و الإحتمالات في المقام ثلاثة:

الأول: أن يكون الباغي أحدهما.

الثّاني: أن يكون كليهما.

الثّالث: عدم البغي منهما.

لا سبيل إلى الثّالث لأنّ المفروض أنّ القتال وقع بينهما فلو لم يكن البغي فيهما فلم وقعا في القتال فالأمر يدور بين الأوّل و الثّاني.

و الثّاني أيضاً خارج عن البحث و الآية لا تشمله لأنّ البغي إذا كان في الطّائفتين فهما ظالمان معاً كقتال الكفّار مع الكفّار فلا يجب الصُّلح بينهما بـل

ينبغى تركهما و قتالهما كما قيل اللّهم إشغل الظّالمين بالظّالمين و ذلك لأنّ الظَّالم لا قيمة له كما وقع القتال بين أل مروان و بني العبّاس فـلا يـجب عـلى المؤمنين الصُّلح بينهما لأنَّ موت الظَّالم أنفع للنَّاس من حياته و بقاءه بل نقول ذرهم في خوضهم يلعبون، و إذ إنتفي الإحتمالان بقي الأوّل و هو بغي أحدهما على الأخر بمعنى أن تكون إحدى الطّائفتين من البغاة دون الأخرى و هذا معنى قوله: فَإِنْ بَغَتْ إِحْديْهُما عَلَى ٱلْأَخْرَى و ذلك كحرب الجمل و النَّهروان و صفيّن أعنى بهم النّاكثين و المارقين و القاسطين فأنّ الباغي في هذه الحروب إحدى الطَّائفتين قطعاً و أنَّما عبّرنا عنهم بالبغاة، لأنّ أصحاب الجمل نكثوا العهد و نكث العهد ظلم.

و أمّا أصحاب النّهروان فقد مرقوا و خرجوا عن الدّين بتكفيرهم أميرالمؤمنين و هو ظلم، و أمّا معاوية و أصحابه فأنّهم أظهروا كفرهم بـقتالهم أميرالمؤمنين و هو ظلمٌ، فهؤلاء من أظهر مصاديق البغي و أيُّ بغي أفحش و أشنع من بغيهم و هم كانوا يطلبون ما لا يجوز لهم و هو الخلافة و الأمامة.

و أمّا قول علماء العامّة أنّهم إجتهدوا و أخطأوا أحياناً فلا ذنب لهم لأنّ كلّ مجتهدٍ مصيب فهو كلام لا طائل تحته و لا يفيد الخصم لأنّهم لم يفهموا معني الإجتهاد فكيف إجتهدوا مضافاً إلى أنّ الإجتهاد في الأحكام الفرعيّة لا في حرب من قال رسول الله وَاللَّهُ عَلَيْهُ: في حقّه ياعلّى حربك حربي و سلمك يزء ٢٤ ل سلمي إلى أخر ما قال، و أمّا قولهم كلّ مجتهدٍ مصيب، فهو من كلام المجانين لا من كلام العقلاء كما قرَّر في الأصول.

فأن قلت ليس مرادهم من الإجتهاد معناه المصطلح بين الفقهاء من أنَّه عبارة عن إستنباط الأحكام الشرعيّة الفرعيّة عن أدلّتها فأنّ الإجتهاد بهذا المعنى لم يوجد لهؤلاء البغاة الّذين كانوا لا يعلمون الهـرّ مـن البـرّ بـل المراد الإجتهاد بالمعنى اللّغوي و هو الجدّ و الجهد و أن شئت قلت:

بذل الوسع في الوصول إلى المراد و هؤلاء كانوا مجتهدين بهذا المعنى فأنَّهم بذلوا وسعهم و طاقتهم في كيفيّة البلوغ إلى آمالهم فلم يجدوا إلاّ ما فعلوا من إيقاد نار الحرب و إيجاد الفتنة و الفساد في الأرض.

قلت هذا لا يسمَّىٰ بالإجتهاد إذ الإجتهاد بهذا المعنى كان موجوداً في جميع الظَّالمين قبل الإسلام و بعده، فأنَّ أبا جهل حارب رسول الله لإجتهاده فهو مصيب و هكذا عتبة و شيبة و عمرو بن عبدود وأمثالهم كلّهم إجتهدوا فرأوا أنَّ الحرب أولى و هكذا معاوية و أي فرق بين أبو جهل و معاوية إلاَّ أنَّـه لم يسلم أصلاً ومعاوية أسلم ظاهراً و أبطن الكفر واقعاً فـلمًا وجـد أنـصاراً لنفسه أظهر ما في بطنه و هكذا غيره فأنّه قد ثبت عندنا أنّ محاربي علّى كانوا كفرة، لقول رسول الله: حربك حربي و العجب من القرطبي حيث أطنب الكلام في تفسيره لهذه الآية و أتعب نفسه في إثبات عدالتهم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً و لم يعلم أنّ ذنب معاوية و أصحاب النّهروان و الزّبير و طلحة و نظرائهم أعظم من أن يغفر يوم القيامة لأنّ من حـارب عـلّياً عليَّا عليَّا لِ فقد حــارب الرّسول حارب الرّسول فقد حارب اللّه و من حارب اللّه فجزاءه جهنّم و بئس المصير ألم يعلم هذا الرّجل أنّ من رضي بفعل قوم فهو منهم، ألم يعلم من أحبُّ حجراً حشره الله معه، و لولا مخافة الخروج عن موضوع الكتاب لقلنا في جوابه ما يستَّحقه و لكنّا نختم الكلام و نقول اللّهم أحشره معهم بمحمّدٍ و آله الطّاهرين.

و أمّا قوله تعالى: فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما أي بين الطّائفتينِ لأنّ إصلاح ذات البين مرّغبٌ فيه عقلاً و شرعاً فَإِنْ بَغَتْ إِحْديْهُما عَلَى ٱلْأَخْرَى فَقَاتِلُوا ٱلَّتَى تَبْغى حَتّىٰ تَفيٓءَ إِلٰيٓ أَمْرِ ٱللّهِ أي فأن لم يقبل أحداهما الصُّلح و بغت على الطَّائفة الأخرى فقاتلوا الّتي تبغي، لأنّها هي الظّالمة المتعديّة دون الأخرى فيجب عليكم ردعها و منعها عن التَّعدي حتّى تفئي أي ترجع الى أمر اللّه و هو الصُّلح أو ترك القتال فَانْ فَآءَتْ أي رجعت و تابت و أنابت الى طاعة الله و قبول الحقّ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ فلا تميلوا على واحدة منهما دون الأخرى وَ أَقْسِطُوۤا إِنَّ ٱلله يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ يعني العادلين فأنّ العدل أقرب للتقوى.

و محصل الكلام في هذه الآية هو أنّه يجب على المؤمن أن يكون للظّالم خصماً و للمظلوم عوناً و منه يظهر أنّ الّذين قعدوا في بيوتهم و لم ينصروا أميرالمؤمنين علياً في حرب الجمل و النّهروان و صفّين، أمثال سعد و عبداللّه بن عمر و محمّد بن مسلمة و أسامة و غيرهم من القاعدين عن الجهاد و دفع الشّر عن الإسلام و المسلمين، كانوا مذنبين مقصّرين لأنّهم لم يقاتلوا الّتي كانت تبغي حتّى تفئ الى أمر الله بإجتهادهم على قول القرطبي و لم يعلموا أنّ الإجتهاد لا يقابل النصّ و هذا التّقاعد عن الجهاد لدفع شرّ الظّالمين صار باعثاً على تسلّط معاوية و أمثاله على الإسلام و المسلمين.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَ وَاتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ تَرْحَمُونَ

يعني، إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ في الدِّين لأنّ المؤمن أخو المؤمن، و إذا كان كذلك فينبغي لكلّ مؤمنٍ أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه و يبغض له ما يبغض لها كما هو مقتضى الأخوة و أمّا قوله: فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ فهو من ثمرات الأخوة.

وَ ٱتَّـُقُوا ٱللَّـهَ بـإجتناب معاصيه و الإتيان بـالأعمال الصـالحة لعـلّكم ترحمون، أي لكي ترحمون.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

الماكما، المنطقة المن

نهي اللَّه تعالى في هذه الآية عن أمور ينبغي للـمؤمن بـاللَّه و اليـوم الأخـر مراعاتها و الإجتناب عنها فخاطب المؤمنين و قال: لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْم الى قوله: مِنْهُنَّ نهى اللّه المؤمنين و المؤمنات عن السخريّة و الإستهزاء و ذلك لأنّ السخريّة توجب تحقير المؤمن و إيذاءه و قد ثبت أنّ إيذاء المؤمن حرامٌ هذا بالنَّظر الى الشَّرع و أمَّا بالنَّظر الى العقل فلما قال اللَّه تعالى: عَسْسيّ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ عند الله و هكذا في النّساء، و قال بعض المفسّرين يجوز أن يكون خيراً منهم في منافع الدُّنيا و كثرة الإنتفاع بهم.

أقول الآية لا تختصَ بالمؤمن و ذلك لأنَّ إستهزاء المؤمن إستهزاء اللَّه و هو كما ترى و أنمًا الآية بصدد بيان حكم كليّ و لذلك قال لا يسخر قوم من قوم، و على هذا فقوله: عَسٰيَ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ يحتمل أن يكون المرادبه أن يكون في القوم مؤمن و المستهزء لا يعرفه فوقع في المعصية من حيث لا يحتسب و كيف كان لا شكّ في أنّ أصل العمل قبيح لا يصدر من العاقل فضلاً عن المؤمن و المفروض أنّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم فـلا وجـه للإستهزاء و السخريّة لأحدٍ من المسلمين و هذا هو النّهي الأوّل من النّواهي المذكورة فـى الآبة.

الثَّاني: قوله تعالىٰ وَ لَا تَلْمِزُوٓا أَنْفُسَكُمْ واللَّمز بـفتح اللَّم هـو الرَّمـي بالعيب لمن لا يجوز أن يؤذي بذكره و هو المنّهي عنه و أمّا ذكر عيبه فليس بلمز.

و روي أنه المنالج قال: قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره النّاس.

و قال الطبّري، اللّمز يكون باليد و العين و اللّسان و الإشارة و الهمز لا يكون إلاّ باللّسان، و كيف كان فمعنى الأية، لا يعب بعضكم بعضاً، و قال إبن عبّاس و مجاهد و قتادة و سعيد بن جبيرٍ، لا يطعن بعضكم على بعضٍ، و قال الضّحاك لا يلعن بعضكم بعضاً، و قوله: أَنْفُسَكُمْ تنبية على أنّ العاقل لا يعيب نفسه فلا ينبغى أن يعيب غيره لأنه كنفسه.

أقول ما ذكره هذا المفسّر في قوله لأنّه كنفسه، لا يصحّ إلاّ في المؤمنين لما روي أنّ المؤمنين كجسدٍ واحد، و أمّا الآية فتشمل المؤمن و غيره اللّهم إلاّ أن يقال أنّ خطابات القرآن تختصّ بالمؤمنين فقوله تعالى: لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْم يعني لا يسخر قومٌ من المؤمنين من قوم مثلهم، و في المقام، لا تـلمزوا أيّها المؤمنون أنفسكم، يعني لا تلمزوا المؤمنين الّذين هم بمنزلة نفوسكم.

و أمّا إذا قلنا أنّ خطابات القرآن عـامّة لجـميع البشـر بـناءً عـلى أنّ الكفّار مكلَّفون بالفروع أيضاً فقوله تعالى: وَ لا تَلْمِزُوۤ ا أَنْفُسَكُمْ خطابٌ لجميع النَّاس و كيف كان فالأمر سهل بعد وضوح المعنى و أنَّ الأمور الَّتي تعلُّق النَّهي بها في هذه الآية و أمثالها من سنخ الآداب و ليست من سنخ الأحكام المجعولة من الشَّارع بل هي من القبائح العقليَّة بمعنى أنَّ العقول السَّليمة تحكم بقبح السُّخرية و اللَّمز و التَّنابز بالألقاب و أمثالها ممّا هـو مـذكور فـي الأيات و الأخبار فنهي الشّارع عنها تأييداً لنهي العقل عنها و لذلك يعمّ الحكم يزء ٢٤ ل لجميع البشر و الدّليل على ماذكرناه أنّك لا ترى كافراً عاقلاً يحكم بحسن السُّخرية و اللُّمز و أمثالهما.

نعمالمؤمن أولى بترك هذه الصّفات و الأعمال من الكافرلو جود الإيمان فيه. إذا عرفت هذا فأعلم أنّ العيب الموجود في الإنسان يتصوّر على قسمين: أحدهما: العيوب الظّاهرة في جسمه كالعمى، و العرج و أمثالهما، فالظّاهر من العقل و الشّرع أنّ ذكر هذه العيوب لا إشكال فيه إذا لم يكن قصد العائب

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

العبار المراجعة المراجعة التّحقير بل كان قصده التّعريف للمخاطب إذ المفروض أنّه لا يعرف بدون ذكرها.

الثّانى: أن تكون العيوب غير ظاهرة كالبرص في جسمه و أمثاله ممّا ليس بظاهر و لا يراه النّاظر لأنّه مستور تحت لباسه فهذه العيوب لا يجوز ذكرها للمخاطب لأنّ اللّه تعالى ستّارٌ و يجب أن يكون العبد كذلك هذا كلّه في العيوب العارضة على الرّوح كالبخل و العيوب العارضة على الرّوح كالبخل و الحسد و أمثالهما فذكرها منهى عنه و يدخل في باب الغيبة و سيأتي الكلام فيها.

و أمّا العيوب الظّاهرة منها كالظّلم و الكذب و الخيانة و أمثالهما فلا إشكال في ذكرها لأنّ المتصّف بها يكون فاسقاً علناً و هذا القسم هو الّذي يقال أنّه ليس بلمز.

و روي عن النبي الله الله عن النبي الله الله عن الناسق ما فيه كي يحذره الناس.

بل لا يبعد أن يكون تركه في بعض الموارد من مصاديق الإعانة على الإثم، فظهر أن مجرّد ذكر العيب ليس بمنهيّ عنه بقولٍ مطلق بل لابد للعائب أن يعرف موارده.

الثّالث: قوله وَ لا تَنْابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ ٱلْاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْا بِمَانِ قال أبو عبيدة الإنباز و الألقاب واحد، فالنَّبز القذف باللَّقب، قيل معناه، نهاهم الله أن يلقب بعضهم بعضاً.

و قال الضّحاك معناه كلّ إسم أو صفة يكره الإنسان أن يدعى به فلا يدع به و أنّما يدعى بأحبّ أسماءه عليه، و قال الرّاغب في المفردات، النّبز التّلقيب، قال تعالى: وَ لا تَنْابَرُوا بِالْأَلْقابِ إنتهى.

و الإنصاف أنَّ ما قاله الرّاغب من أنَّ النَّبر التَّلقيب، على إطلاقه لا يصحّ لأنّ

التّلقيب بما هو هو لا ذمّ فيه، و أنمّا الذمّ ثابت للتّلقيب الّذي يكره الإنسان أن يدعى به و مع ذلك لا يستحقّ به و لذلك فسّر أبو عبيدة الإنباز، بالقذف باللُّقب لأنَّ القذف عبارةٌ أخرى عن التُّهمة فما قاله الضَّحاك من أنَّه كلِّ إسم أو صفةٍ يكره الإنسان أن يدعى به فلا يدع به و أنمّا يدعى بأحبّ أسماءه علّيه، أيضاً لا يصحّ على إطلاقه نعم هـ وحقّ لمن لا يستحقّ أن يدعى بـ ه و أمّا المستحقّ فتلقيبه لا إشكال فيه، مثلاً إذا قال القائل لظالم فاسق، أنت رأس الظالمين أو أنت أمير الفاسقين، لا شكّ أنّه يكره أن يدعى به مع أنّه يستحقّه فهذا ممّا لا إشكال فيه و لا ذّم فيه لأنّ الصّفة موجودة فيه ظاهرة لكلّ أحدٍ كره أو لم يكره، وأمّا إذا قيل ذلك لمن لا يستحقّه فهو مذمومٌ منهيّ عنه و قد نقل المؤرّخون أنّ عائشة كانت تقول للصّحابة أقتلوا نعثلاً قتله الله، وكان عثمان ملقّباً به أو هي لقّبته به و لم تردّ الصّحابة مع أنّ عثمان كان يكره ذلك قطعاً و هو دليل على أنّ تلقيب المستحقّ بما هو أهله لا إشكال فيه و أن كره ذلك، فأحسن الأقوال في المقام هو قول أبي عبيدة و هو أنّ النَّبز القذف بـاللَّقب، و أمّا قوله تعالى: بنُّسَ ٱلإسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْايمانِ قيل في معناه بئس أن يسمّى الرّجل كافراً أو زانياً بعد إسلامه و توبته، قاله إبن زيد، و قيل معناه، أنّ من لقّب أخاه أو سخر منه فهو فاسق، و قيل من فعل ما نهى الله عنه من السخريّة و الهمز و النَّبز فذلك فسوق، و ذلك لا يجوز، و قال صاحب الكشّاف يزء ٢٤ ﴾ (الإسم) ها هنا بمعنى الذكر من قولهم طار إسمه في النَّاس بـالكرم أو بـاللُّوم، أي ذكره، و على هذا فالمعنى بئس ذكر الفسوق بعد الإيمان، أي أن يصير المؤمن بعد إيمانه مشهوراً بالفسق، أو المعنى بئس الذِّ كر أن تذكروا الرَّجل بالفسق.

أقول ما ذكروه خارجٌ عن مورد البحث لأنّ من تنابز بالألقاب لا يصير فاسقاً به و لا أنّه لقُّب غيره بالفاسق، و النّهي في قوله و لا تنابزوا تنزيهيّ لا تحريميّ حتّى يحكم بفسق المتنابذ و المراد بالإسم الفسوق، الإسم القبيح الذي يكره الإنسان أن يدعى به فمعنى الكلام أنّ المؤمن بعد إيمانه لا يفعل ذلك و اللّه أعلم.

و مَنْ لَمْ يَتُبُ فَأُولَيِّكَ هُمُ ٱلظُّالِمُونَ أي من لم يتب عمّا فعل من القبائح فهو ظالم على نفسه و على غيره و من تاب فأنّ اللّه غفورٌ رحيم.

يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُوا وَ لَا يَغْتَبْ بَعْضًكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُّكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوّاٰبُ رَحِيمٌ

ذكر الله تعالى في هذه الآية أيضاً أموراً ينبغي التَّجنب عنها.

أَوْلِهَا: الإجتناب من الظَّن فقال: يَا أَيُّهَا ٱلَّذَيِنَ أَمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثيرًا مِنَ الطَّنِ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِ إِثْ بَعْضَ ٱلظَّنِ إِثْمٌ قال الرّاغب في المفردات، الظَّن إسمّ لِما يحصل من إمارة و متى قوّيت يؤدّي الى العلم إنتهى.

أقول ما ذكره الرّاغب هو بيانٌ لما يحصل منه الظَّن و أمّا مرتبته في الإعتقاد فلا تستفاد منه و بعبارةٍ أخرى هو معناه اللَّغوي و أمّا في الإصطلاح فهو الإعتقاد الرّاجح، بيانه أنّ المعتقد أعني به ما يعتقده الإنسان و يحتمل فيه الخلاف أمّا أن يكون متساوي الطّرفين نفياً و إثباتاً فهو الشك، و أمّا أن يكون أحد الطَّرفين راجحاً على طرف الأخر فهو الظَّن، و أمّا أن لا يحتمل فيه الخلاف فهو القطع و اليقين.

و بعبارةٍ أخرى، الذي يدركه الإنسان من إمارةٍ أو غيرها، أمّا يحتمل فيه الخلاف أو لا يحتمل، و الثّاني، يعبّر عنه بالعلم، و الأوّل أما أن يكون متساوي الطَّرفين في الإحتمال فهو الشكّ و أمّا أن يكون أحد الطَّرفين راجحاً على الأخر فهو الظَّن إذا عرفت هذا فنقول، لا خلاف في أنّ المقطوع يؤخذ به و لا يتبع لأنّه يتبع لأنّ القطع حجّة، كما لا خلاف في أنّ المشكوك لا يؤخذ به و لا يتبع لأنّه

من التّرجيح بلا مرجحٌ لأنّ المفروض تساوي طرفيه وجوداً و عدماً فالأخذ بـ يوجب ترجيح أحدهما و لا دليل عليه.

و أمّا الظنّ و هو المتوسّط بينهما فلا إشكال في الأخذ به لوجود الرّاجح على الغرض لأنّ أحد طرفيه أقوى من الأخر و هذا ممّا لا إشكال فيه عقلاً و شرعاً إلاّ أنّ إحتمال الخلاف فيه أيضاً موجودٌ فلا إشكال في كشف الخلاف أحياناً و لنضرب لك مثلاً، إذا رأيت كتاباً في زيد فقاعدة اليد إمارةٌ على أن الكتاب له لأنّ اليد من الإمارات فتشتري الكتاب منه فهذا ممّا لا إشكال فيه شرعاً فأنّ هذا الظنّ الحاصل من إمارة اليد حجّة و هكذا إذا شهد الشّاهدان و هذا ممّا لا خلاف فيه و عليه المدار في جميع المعاملات و محصل الكلام أنّ إبّاع الظنّ النّشئ من الإمارات الشّرعية ممّا إتّفق عليه الكلّ فقوله تعالى: أجْتَنَبُوا كَثيرًا مِنَ ٱلظّنِ لا يراد به هذا الظّن لأنّه يوجب إختلال النظام في أكثر المعاملات و أنمّا المراد به الظنّ الحاصل من غير إمارةٍ فأنّه يؤدّي الى الإثم و لعلّه الى هذا ينظر من يقول أنّ الظنّ على قسمين:

خاصٌ و عامٌ ، فالخاصّ ، ما ذكرناه و العّام مطلق الظنّ الحاصل من غير إمارةٍ تدلّ عليه فالخاصّ منه و يتبع و العام الشّامل للخّاص و غيره قد يتبع إذا كان من إمارةٍ و قد لا يتبع إذا حصل من غيرهما، و حيث أنّ الظنّ الحاصل من غير امارةٍ أكثر ممّا يحصل منها، قال: آجْتَنبُو اكثيرًا مِنَ ٱلظّنّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظّنّ إِثْمٌ و قال تعالى في موضع آخر إِنَّ ٱلظّنَّ لا يُغنى مِنَ ٱلْحَقِ شَيئاً (١) و الوجه فيه أنّ هذا الظنّ لا دليل على حجّتيه و أنمّا نشأ من الخيال و الوهم و الوسوسة من الشّيطان فتركه أولى من فعله و على هذا فكأنّه قال لا تتبعوا كثيراً من الظنّ و هو الذي لم يحصل من إمارةٍ شرعية و إجتنبوه لأنّه يؤدّي الى الإثم، و ذلك مثل أن رجلاً و إمرأة يتكلّمان معاً فظنّ أنّهما أجنبيّان فهذا إثمّ أو

قان في تفسير القرآن ﴿ مَمْ ﴾ المجلد الساد كي كي رأى شيئاً في يد غيره فظَّن أنّه سرقه من غيره و هكذا و الأمثلة كثيرة هذا ما فهمناه من هذه الجملة و الله أعلم.

الثانى: من الأحكام الّتي ذكرها اللّه تعالى في هذه الآية قوله: و لا تَجَسَّسُوا قيل في تفسيره أي لا تتبعوا عثرات المؤمن و قال أبو عبيدة التجسُّس و التَّحسس واحد و هو التَّبحث، و قيل للمؤمن حقِّ على المؤمن ينافي التَّجسس عن مساوية و قرأ أبو رجاء و لا تَحَسَّسُوا بالحاء المهملة و الظّاهر أنهما بمعنى واحد كما قال به أبو عبيدة و قيل أنّه بالحاء تطلبه لنفسه و بالجيم أن يكون رسولاً لغير و منه الجاسوس، و المقصود أنّ في الآية نهيً عن تتبع عورات المسلمين.

فقد روى عن رسول الله و الله و

ثمّ نقل عن عبد الرّحمن إبن عوف أنّه قال حرست ليلة مع عمر بن الخطّاب بالمدينة إذ تبيّن لنا سراج في بيتٍ بابه مجافٍ على قومٍ لهم أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر هذا بيت ربيعة إبن أميّة بن خلف و هم الآن، شرب، فما ترى قلت أرى إنّا قد آتينا ما نهانا اللّه عنه (ما نهى اللّه عنه) قال اللّه تعالى: و لا تَجَسَّسُوا و قد تجسَّسنا، فإنصرف عمر و تركهم، أبو قلابه حدّث عمر بن الخطاب أنّ أبا محجن الثقفي يشرب الخمر مع أصحاب له في بيته فأنطلق عمر حتّى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو محجن أنّ هذا لا يحلّ عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو محجن أنّ هذا لا يحلّ لك قد نهاك اللّه عن التجسّس فخرج عمر و تركه إنتهى ما أردنا ذكره.

أقول فيما ذكره القرطبي إقرارٌ على أنّ عمر كان جاهلاً بالحكم و أنّما أعلمه به أبوعبيدة في التّاني و من كان جاهلاً

بالأحكام الأوّلية كيف يليق بالخلافة و الزّعامة بعد رسول اللّه و للقرطبي أن يقول في الجواب أنّا لا نشترط العلم في الخليفة و لا غيره من الصّفات كالعدالة و الأمانة و الصداقة و أمثالها أنّما نشترط نصّ أبي بكر على خلافته حصل.

و محصّل الكلام أنّ التجسّس في عورات المسلمين مذمومٌ محرّمٌ عند العامّة و الخاصّة و لم يقل بجوازه أحد و هذا يكفينا في قبحه و ذمّه و الأخبار في ذمّه أيضاً كثيرة هذا كلّه مضافاً إلى أنّ العقل أيضاً يحكم بأنّ التجسّس في أمور المسلمين و عوراتهم قبيح جدّاً كما أنّ السّتر على أخيه المؤمن حسن حدّاً.

قال الصّادق: من ستر على أخيه المؤمن عورة ستر الله عورته يوم القيامة.

الثّالث: من الأمور المذكورة في الآية الّتي نهى اللّه عنها قوله: وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إلى قوله: فَكَرِهْتُمُوهُ نهى اللّه تعالى عن الغيبة فنقول قال في المفردات الغيبة أن يذكر الإنسان غيره بما فيه من عيبٍ من غير أن أحوج إلى ذكره إنتهى.

و قال الزّمخشري الغيبة من الإغتياب كالغلة من الإغتيال، و هى ذكر السُّوء في الغيبة و سئل رسول الله وَ اللَّهُ عَنها فقال: أن تذكر أخاك بما يكره فأن كان فيه فقد إغتبته و إن لم يكن فيه فقد بهته إنتهى.

و كيف كان لا شكّ في أنّها محرّمةٌ كتاباً و سنّةً و إجماعاً و عقلاً و لم يخالف في هذه المسئلة أحدٌ من المسلمين من جميع الفرق الموجودة في الإسلام.

قال بعض المحقّقين في معناها هي أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء كان ذلك بنقصٍ في بدنه أو في أخلاقه أو في أقواله المتعلّقة بدينه أو دنياه بل و أن كان بنقصٍ في ثوبه أو داره أو دابّته و الدّليل على هذا التّعميم بعد إجماع الأمّة على أنّ من ذكر غيره بما يكرهه إذا سمعه فهو مغتاب:

سياء الفرقان في تفسير القرآن 🍾

يير القرآن كم المجلد السادس عنا

ما روي عن رسول الله، هل تدرون ما الغيبة قالوا، الله و رسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل له، أرأيت أن كان في أخي ما أقول، قال المرابعة إن كان فيه ما تقول فقد إغتبته و إن لم يكن فيه فقد بهته إنتهى.

و ما روي أنّه ذكر رجلٌ عنده فقالوا ما أعجزه فقال الله أعتبتم أخاكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه إنتهى.

و ما روي عن عائشة قالت دخلت علينا إمرأة فلمّا ولَّت أو مأت بيدي أنّها قصيرة فقال مَنْ المُنْكَانَةُ: إغتبتها إنتهى.

و ما روي أنها قالت إني قلت لإمرأة مرَّةً و هى عند النبي سَلَالْ أَن هذه لطويلة الذيل فقال سَلَالْ الله الفظي الفظي الفظي، فلفظت لحم إنتهى. و قد روي أنّ أحد الشَّيخين قال للأخر أنّ فلاناً لنؤمٌ ثمّ طلبا أدماً من رسول الله ليأكلا به الخبز فقال سَلَّ الله المتاهمة فقالا ما نعلمه فقال الله المنافقة بلى إنكما أكلتما لحم صاحبكما إنتهى.

و قال الكاظم عليه السلام، من ذكر رجلاً من خلقه بما هو فيه ممّا عرفه النّاس لم يغتبه، و من ذكر من خلقه بما هو فيه ممّا لا يعرفه النّاس فقد إغتابه إنتهى.

و الحاصل أنّ الإجماع و الأخبار متطابقان على أنّ حقيقة الغيبة هو أن يذكر الغير بما يكرهه إذا سمعه سواء كان ذلك بنقصٍ في نفسه (و بدنه أو دينه أو ديناه أو فيما يتعلق به من الأشياء، ثمّ أنّ الغيبة لا تنحصر باللسان بل كلّ ما يفهم منه نقصان الغير و يعرف ما يكرهه فهو غيبته سواء كان بالقول أو الفعل أو التصريح أو التّعريض أو بالإشارة و الإيماء و أمثالها بل يظهر من الأخبار الواردة في ذمّها أنّه يجب على المستمع ردع المتكلّم بها و منعه بقدرالإمكان.

قال النّبي اللّه الله يوم أذَّل عنده مؤمنُ و هو يقدر على أن ينتصر له فلم ينصره أذَّله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق و من ردَّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة إنتهى.

و قال وَ الله عَلَيْ الله عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى الله أَن يَعْتَلُونَ عَلَى الله أَن يَعْتَقُهُ مِن النّار إنتهى.

و قال الله عنه من رجلٍ ذكر عنده أخوه المسلم و هو يستطيع نصره ولو بكلمة ولم ينصره إلا أذَّله الله عزّ وجلّ في الدّنيا و الأخرة و من ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله في الدّنيا و الأخرة إنتهى.

و الأخبار بذلك أيضاً كثيرة إذا عرفت أنّ الغيبة ذكر الغير بما يكرهه لو سمعه فأعلم أنّ ذلك أنّما يحرم إذا قصد به هتك عرضه و التَّفكر به أو إضحاك النّاس منه و أمّا إذا كان ذلك لغرضٍ صحيح لا يمكن التَّوصل إليه إلاّ به فلا يحرم و الأغراض الصحيحة المرخّصة له أمور نشير إليها:

الأول: التَّظلم عند من له رتبة الحكم و إحقاق الحقوق كالقضاة و المفتين و السلاطين فأن نسبته الظُّلم و السُّوء إلى الغير عندهم لإستيفاء الحق جائز لقول النَّبي عَلَيْهُ عَلَيْهُ الصاحب الحق مقال. و قوله عَلَيْهُ عَلَيْهُ الواجد يحل عرضه و النَّبي عَلَيْهُ عَلَيْهُ الصاحب الحق مقال. و قوله عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ الواجد يحل عرضه و عوبته، و أمثال ذلك من الأخبار.

الشّاني: الإستعانة على رفع المنكر و ردَّ المعاصي إلى الصّلاح و أنّما يستباح بها ذكر مساءة اذا كان بالقصد الصّحيح لا بدونه.

الثّالث: نصح المستشير في التّزويج و إيداع الأمانة و أمثالهما و كذلك جرح الشّاهد و المفتي و القاضي إذا سئل عنهم فله أن يذكر ما يعرفه من عدم العدالة و الأهليّة للإفتاء و القضاء بشرط صحّة القصد و إرادة الهداية و عدم

عا المجلد السادس ء القرقان في تفسير القرآن كالمجلد السادس ء باعث حسدٍ أو تلبيسٍ من الشّيطان و كذلك توقّي المسلمين من الشّر و الضَّرر أو سراية الفسق و البُدعة فأنّ من رأى عالماً أو غيره من المؤمنين يتَّردد إلى ذي شرِّ أو فاسقٍ أو مبتدع و خاف أن يتَضرر و يتّعدى إليه الفسق و البدعة بمصاحبته يجوز له أن يكشف له ما يعرفه من شرّه و فسقه و بدعته، و من جملة ما يدخل في تحذير المسلمين و توَّقيتهم من الشّر و الضّرر إظهار عيب يعلمه في مبيع و أن كرهه البائع حفظاً للمشترى من الضّرر.

الزابع: من إدّعي نسباً ليس له كمن ادعى أنّه سيّدٌ من أل الرّسول و أنت تعلم أنّه كاذبٌ في قوله.

الخامس: القدح في مقالةٍ أو دعوى باطلة في الدّين.

السّادس: الشّهادة على فاعل المحرّم حسبة.

السابع: ضرورة التعريف فأنه إذا كان أحد معروفاً بلقب يحكي عن عيب لكن توقف تعريفه عليه لم يكن إثّم في ذكره بشرط عدم إمكان التعريف بغيره و ذلك كقولهم، روى الأعمش، و الأعرج، و غير ذلك من الألقاب الّتي لا يعرف صاحبه إلاّ بذكره، و من هذا القبيل الأعمى لمن إتّصف به و لا يعرف في النّاس إلاّ بذكر الصّفة.

الثّامن: كون المقول فيه مستحقّاً للإستخفاف لتظاهره و تجاهره بفسق الظّلم و الزّنا و شرب الخمر و غير ذلك بشرط عدم التَّعدي عمّا يتظاهر به إذ لو ذكره بغير ما يتظاهر به لكان أثماً و أمّا إذا ذكر منه مجّرد ما يتجاهر به فلا إثِم عليه.

و إلى هذا المعنى أشار الرّسول اللّ الله بقوله: من ألقى جلباب الحياء من وجهه فلا غيبة له إنتهى.

و قال اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ال بفسقه إختياراً و هو ظاهر.

قال النّراقي مَنْ فَي جامع السّعادات بعد ذكره ما نقلناه عنه من الأخبار ذكره في معنى الغيبة ما هذا لفظه:

و الظّاهر أنّ ذكر ما يتجاهر به من العيوب ليس غيبة لا شرعاً و لا لغةً لا أنّه غيبة أستثنى جوازها شرعاً.

قال الجوهري الغيبة أن يتكلّم خلف إنسان مستور بما يغمّه لو سمعه فأن كان صدقاً سمّى غيبة و أن كان كذباً سمّى بهتاناً إنتهى.

و لنختم الكلام بذكر الغيبة في الباب حذراً من الإطناب و من أراد تفصيل الكلام فيها فعليه بكتب الأخلاق فأنّها موضوعة لهذه الأبحاث.

و أُمّا قوله تعالىٰ: أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخْبِهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ فمعناه أنّ الغيبة كلحم الميتة بل هي هو في الواقع و لا ذمّ لها أشنع و أقبح منه فهو يكفينا في المقام.

الرّابع: من الأمور المذكورة في الآية قوله: وَ ٱتَّقُوا ٱلله َ إِنَّ ٱلله تَوّابُ رَحِيمٌ أمر الله تعالى المؤمنين بمراعاة التَّقوى و هي فعل الطّاعات و إجتناب المعاصى و منه ترك متابعة أكثر الظّن و ترك الغيبة هذا أوّلاً.

ثانياً: أعلمنا بأنّ الله توّابٌ يعني يقبل التّوبة من عباده، و رحيمٌ بهم، لأنّه أرحم الرّاحمين و المقصود إذا عصيتم فتوبوا إلى الله تعالى و تيأسوا من روح الله فأنّ اليأس من رحمته من أعظم الكبائر.

يَّا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبْآئِلَ إِنَّا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبْآئِلَ إِنَّا اللَّهِ عَلَيْمُ خَبِيرٌ إِنَّا ٱللَّهِ عَلِيمٌ خَبِيرٌ إِنَّا اللَّهِ عَلَيْمٌ خَبِيرٌ إِنَّا أَنْ أَنْ أَلِلَّهِ أَنْ أَلِلَّهِ عَلَيْمٌ خَبِيرٌ إِنَّا أَنْ أَلِلَهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ إِنَّا أَنْ أَلِلَهُ عَلَيْمٌ فَا إِنَّا أَنْ أَنْ أَلِلَهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ إِنَّا أَنْ أَلِلْهِ أَنْ أَلِلْهِ أَنْ أَلِلْهِ أَنْ أَلِي إِنَّا أَنْ أَلِلْهِ أَنْ أَلِلْهِ أَنْ أَلِلْهُ إِنَّا أَنْ أَلِنْهُ إِنَّا أَنْ أَلِلْهِ أَنْ أَلِلْهِ أَنْ أَلِنْهُ إِنَّا أَنْ أَلِلْهُ إِنَّالِهُ إِنَّا أَنْ أَلِهُ إِنَّالِهُ إِنَّالِهُ إِنَّالِهُ إِنَّالِهُ إِنَّالِهُ إِنَالِهُ إِنَّالِهُ إِنَّالِهُ إِنَّالِهُ إِنَّا أَنْ أَلِهُ إِنَّالِهُ إِنَّا أَنْهُ إِنَّا أَيْتُهُا لَاللَّهُ إِنَّا أَلُواللَّهُ أَنْ أَنْ أَلِلْهُ إِنَّا أَنْهُ إِنَّا أَنْعُلُومُ اللَّهُ إِنَّا أَنْكُمْ أَلِنَا أَنْ أَلِهُ إِنَّالُهُ إِنَّا أَنْهُ إِنَّالَ أَنْعُلُكُمْ عَلِيمٌ أَلِنَا أَلَالِهُ أَنْ أَلِلْهُ إِنَّا أَلِيلُهُ أَلِنَا أَلِنَا أَلِنَا أَنْهُ إِنَّا أَلَاهُ أَنْهُ أَلِيلًا أَنْ أَلِلْهُ أَلِنَاكُمُ أَلِنَا أُنْكُمْ أَلِنَا أَلَالِهُ أَنْ أَلِنَا أُنْ أَلِنْ أَلِنْ أَلَالِهُ أَنْ أَلِنْهُ أَلِيلًا أَنْكُمْ أَلِنَا أَنْ أَلِنَا أُنْ أَلَالِهُ أَنْ أَلِيلًا أَلْمُ أَلْمُ أَلْمُ أَلِنْ أَلِيلُهُ أَلْكُمْ أَلِنْ أَلِنْ أَلِهُ أَنْكُمْ أَلْمُ أَنْ أَلَالُهُ أَنْ أَنْ أَنْكُوا أَنْ أَنْكُمْ أَلِنَا كُمْ أَنْ أَنْ أَنْ أَلِنْ أَلِنَا أُلْكُوا أَنْ أَلِنَا أَلْمُ أَلِنَا أَلْكُوا أَنْ أَنْكُوا أَلْمُ أَلْمُ أَلِنَالُوالِمُ أَلْلُهُ أَلْمُ أَلْمُ أَلِمُ أَلِنَا أَلْلُهُ أَلْكُولُوا أَنْ أَلْكُولُوا أَلْلُهُ أَلِمُ أَلِمُ أَلْمُ أَلْمُ أَلْكُوا أَلْمُ أَلِمُ أَلْمُ أَلْكُولُوا أَلْمُ أَلْمُ أَلْكُولُوا أَنْ أَلْمُ أَلْمُ أَلْمُ أَلْمُ أَلْمُ أَلْمُ أَلْمُ أَلِلْكُوا أَلْمُ أُلُولُوا أَلْمُ أَلِمُ أَلِمُ أَلِمُ أَلْكُولُوا أَلْمُ أ

الخطاب في الآية عامِّ يشمل جميع أولاد أدم من الذَّكر و الأنثى فأنّ الخلق من الذّكر و الأنثى يعني الأب و الأمّ ليس مختصاً بالذّكور منهم بل الأنثى أيضاً كذلك لدخول الأنثى في النّاس و في الآية إشعارٌ بأنّ اللّه تعالى قد جرت سنتّه به لا أنّه لم يقدر على خلق البشر من غيرهما ألا ترى أنّه خلق أدم من غيرهما وحوّاء أيضاً كذلك و خلق عيسى إبن مريم من الأنثى بغير ذكر.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

لقرآن ﴿ مُحْمُ العجلد السادس

و من المعلوم أنّ حكم الأمثال واحد ففي الآية دلالة على أنّ الله يـفعل مـا يشاء و يقدر على كلّ شئ و يحكم بما يريد لا رادّ لقضاءه و لا مانع لمشيّئته لا يسأل عمّا يفعل و هم يسألون و قوله: وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَقَبْآئِلَ، الشُّعُوبِ بضمّ الشّين رؤوس القبائل مثل ربيعة و مضّر و الأوس و الخزرج، واحدها شعب، بفتح الشّين مثل، دهر و دهور، و عدل و عدول، و قلب و قلوب، سمُّوا به لتَّشعبهم و إجتماعهم كشعب أغصان الشَّجرة، و الشُّعب من الأضداد يقال شعَّبته إذا جمعته، و شعبته إذا فرَّقته.

قال الجوهري الشُّعب ما تشُّعب من قبائل العرب و العجم و الجمع الشُّعوب و الشُّعب أيضاً القبيلة العظيمة و هو أبـو القبائل الّـذي يـنسبون إليـه يجمعهم و يضمّهم.

و قال إبن عبّاس الشُّعوب الجمهور مثل مضّر و القبائل الأفخاذ و قال مجاهد، الشُّعوب البعيد من النَّسب و القبائل دون ذلك، قال الشَّاعر:

رأيت سعوداً من شعوب كثيرةٍ فلم أر سعداً مثل سعد بن مالكِ و الأخر:

قبائل من شعوب ليس فيهم كريمُ قد يعدّ و لا نجيب و قيل أنَّ الشُّعوب عرب اليمن من قحطان و القبائل من ربيعة و مضَّر، أنَّ الشُّعوب بطون العجم و القبائل بطون العرب و الأقوال فيهما كثيرة و لا يهمّنا البحث فيهما أكثر ممّا ذكرناه و المقصود أنّ الله تعالى لم يجعل أولاد أدم على و تيرةٍ واحدة خلقاً و خلقاً بل خلقهم مختلفين فيهما من جيث البِخَلق و الخُلق، فجعل فيهم الأسود و الأبيض و الأحمر و غيرها من الألوان و طويلاً و قصيراً من حيث القامة كلِّ ذلك لِتَعْارَفُوٓ النَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللَّهِ أَتْقيٰكُمْ أَي أَنَّمَا خلقناكم كذلك لتعارفوا و تعلموا أنّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم، عند اللّه توضيح ذلك إجمالاً:

أنّ البشر له جنبتان، ملكّي و ملكوتّي، و ذلك لأنّه معجون مرّكبّ من الرُّوح و البدن، فالبدن من عالم الملك لقوله تعالى: مِنْهَا خَلَقْناكُمْ وَ فَيِهَا نُعيدُكُمْ وَ مِنْهَا فَكُوْبُكُمْ قَارَةً أُخْزى (١).

و الرُّوح من عالم الملكوت لقوله تعالى: فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فَيِهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ (٢) و من المعلوم أنّ الرُّوح المجّرد عن المادّة الذي نسبه الله و أضافه إلى نفسه تشريفاً و تعظيماً ليس من عالم المادّة بل هو من عالم المجّردات إذا عرفت هذا فنقول:

قوله تعالى: إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أَنْثَى أَي خلقنا أبدانكم كذلك لأنها خلقت من تراب، و أمّا الأراوح فلا ربط لها بالأب و الأمّ و أنّما أهبطها الله من عالم الملكوت و جعلها في الأبدان في عالم الرَّحم بعد ما صارت النَّطفة إنساناً سوّياً قابلاً لتعلّق الرُّوح به، و على هذا فلا فضل لأحدٍ على غيره من حيث أنّه بشر من أولاد أدم و مخلوقٌ من التُراب كما نسب إلى أميرالمؤمنين عليم الله قال:

النّاس من جهة التمثال أكفاء أبوهم أدم و الأمّ حوّاء و أنّما الفضل بين أولاد أدم ثابت من جهة المعرفة و العبوديّة للّه تعالى فمن كان منهم أعرف بربّه فهو أعبد و من كان أعبد فهو أتقى و أزهد و من كان أتقى أي أبعد من المعاصي و أقرب إلى الطّاعات للّه تعالى فهو أكرم و أشرف و أفضل من غيره و هذا هو الملاك في الفضيلة، و أنّما قال عند الله و لم يقل أنّ أكرمكم أتقاكم لوجهين:

أحدهما: أنّ أكثر الخلق لا يرون التّقوى فضيلة و كرامة فضلاً عن كونها أكرم و أفضل كما نرى و نشاهد في زماننا هذا في أبناء زماننا أنّهم يستهزؤن المؤمنين المتّقين و يعبّرون بالمتحجّرين.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المجلد السر المجلد السر الثّانى: أنّ في قوله: عِنْد آللّهِ إشارة إلى أنّ اللّه ينصرهم و يثبّت أقدامهم و يجزيهم أحسن الجزاء يوم القيامة كما هو مقتضى مقام العندية و بعد اللّتيا و اللّتي في الآية إشارة بل دلالة على أنّ ملاك الفضيلة في الإنسان هو التّقوى دون المال و المقام و العشيرة اولاد و امثال ذلك، كيف لا و نحن نرى أنّ التّقوى رفعت مقام سلمان و أبى ذرّ و المقداد و أمثالهم و وضع الكفر مقام أبى لهب و هو هو ففي الآية حثّ على الإتّصاف بها و التّجنب عن الكفر و النفاق و الفسق و أمثالها ممّا يوجب سقوط البشر عن مقام الإنسانيّة و أنّ الإسلام دين الفضيلة و الشّرف و الكمالات النّاشئة عن مقام العبوديّة و لمثل هذا فليعمل العاملون.

و أمّا قوله: إِنَّ ٱللَّهَ عَليمٌ خَبيرٌ أي أنّه تعالى عالمٌ بظواهركم و سرائركم و نيّاتكم فلا يخفي عليه شئ.

قَالَتِ ٱلْأَعْرَاٰبُ أَمَنًا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوٓا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ ٱلْايِمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ إِنْ تُطيعُوا ٱللّهَ وَ رَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ ٱللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

هذه الآية مصَّرحة بأنّ الإيمان يغاير الإسلام خلافاً لأكثر العامّة حيث ذهبوا الى أنّهما واحد معنى و أن تغاير لفظاً فكلّ مؤمن مسلم و بالعكس و أمّا الشّيعة فقرقوا بينهما قولاً واحداً و حكموا بتغايرهما و تخالفهما و لم يتخلّف فيه أحد و قليل من العامّة وافقونا على عدم إتّحادهما فعلى مذهب أهل البيت الإسلام يحصل بمجّرد الشّهادتين لساناً و إن لم يعتقد المقر قلباً، و لم يعمل بمقتضى إقراره كأبي سفيان و معاوية و يزيد و أمثالهم فأنّهم لم يكن لهم نصيبٌ من الإسلام إلا الإقرار باللّسان حفظاً لدمائهم و أموالهم و أعراضهم.

و الإيمان عبارة عن الإقرار باللّسان و الإعتقاد بالقلب و العمل بالجوارح فمن لا يعتقد و لا يعمل ليس بمؤمنٍ بل هو مسلمٌ فقط فالمؤمن و المسلم

يشتركان في الإقرار باللّسان و يفترقان في الإعتقاد بالجنان و العمل بالأركان هذا في الدُّنيا.

و أمّا في الأخرة فالثّواب يترتَّب على الإيمان فقط و أمّا أحكام الإسلام من القصاص و الدّيات و الطّلاق و النّكاح و الحدود و التّعزيرات و الإرث و أحكام الغسل و الكفن و الدُّفن و بالجملة جميع أحكام الإسلام من البدو الى الختم فلا فرق في جريانها في حقّهما إذا عرفت هذا فلنرجع الى تفسير ألفاظ الآية و نقول قيل أنّها نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول اللَّهُ وَلَهُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَي سَنَّةٍ بَهِدَيَّةً وَ أَظْهَرُوا الشَّهَادَتِينَ وَ لَمْ يَكُونُوا مؤمنين في السِّر و أفسدوا طرق المدينة بالعذراتِ و أغلوا أسعارها و كانوا يقولون لرسول اللَّهُ وَلَهُ اللَّهِ عَلَيْهُ أَتِينَاكُ بِالْأَثْقَالِ وَ العِيالِ وَ لَمْ نَقَاتَلُكُ كَمَا قَاتَلُكُ بِنُو فَلَانَ فَأَعَطَّنَا مِن الصّدقة.

و قال إبن عبّاس نزلت في أعراب أرادوا أن يسمُّوا بإسم الهجرة قبل أن يهاجروا فأعلم الله أنّ لهم أسماء الأعراب لا أسماء المهاجرين و قيل غير ذلك و بالجملة فالآية خاصّة لبعض الأعراب لا في جميعهم لأنّ منهم من آمن بالله و اليوم الأخرِ حقًّا، فقال الله تعالى لنبيّه أن يقول في جوابهم: لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا أي إستلمنا خوف القتل و السبّي و هذه صفة المنافقين لأنَّهم أسلموا في ظاهر إيمانهم و لم تؤمن قلوبهم و الى هذا المعنى أشار اللَّه بقوله: وَ لَمُّنا يَدْخُل ٱلْايِمَانُ فَى قُلُوبِكُمْ أَي أَنَّه لَم يتجاوز ألسنتكم ثمَّ قال وز على تعالى: وَ إِنْ يُطيعُوا إِللَّهَ وَ رَشُولَهُ يَعنى أَن تخلصوا الإيمان لساناً و قلباً و عملاً لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْتًا أي لا ينقصكم منها شيئاً، و قوله: لا يَلِتَكُمْ بفتح الياء و كسر اللآم مِن «ولت يـليت»، إذا نـقص و قـرأ أبـو عـمر لا يْلِتْكُم من ألت يألت ألتاً و هو إختيار أبى حاتم إعتباراً بقوله تعالى: و ما **أَلتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَمَيْء**ٍ (١) أي ما نقصناهم و المشهور قراءة الأولى و عليها

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ في سَبيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ

لمًا نفى الله تعالى عنهم الإيمان في الآية السّابقة بقوله: قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا بيَّن في هذه الآية أوصاف المؤمنين ليعلم من يدّعي الإيمان أنّه مؤمنٌ أم لا فقال تعالى: إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ على وجه الحصر المستفاد من كلمة (إنمًا) أي أنّ المؤمن ينحصر بمن إتَّصف بهذه الأوصاف.

أحدهما: الإيمان بالله و رسوله، من الإقرار و الإعتقاد و العمل.

الثّانى: عدم الشكّ فيه بأن كان على يقينٍ منه و اليه الإشارة بـقوله: ثُمَّ كَـمْ يَرْتَابُوا فأن الإرتياب الشكّ.

الثّالث: الجهاد بالمال و النّفس في طريق الحقّ و اليه أشار بقوله: وَ جُاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ في سَبيلِ ٱللهِ ثمّ قال تعالىٰ: أُولٰتِكَ هُمُ الصّادِقُونَ في إدّعاءهم الإيمان و قوله: أُولٰتِكَ إشارة الى الموصوفين بالصّفات المذكورة و يظهر من هذا الكلام أنّ من لم يتصّف بها و إدّعى الإيمان فهو كاذبٌ في قوله و من المعلوم أنّهم أعزّ من الكبريت الأحمر.

قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴿ وَءَ؟ وَا وَ ٱللَّهُ بِكُلَّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

تُعلِّمون بضم التّاء من علَّم يعلَّم تعليماً، و التَّعليم تعريض من لا يعلم حتى يعلم بإفهام المعنى أو خلق العلم له في قلبه، و على هذا فالمتعلّم لا بدّ أن يكون جاهلاً محتاجاً الى التَّعلم و إلاّ يلزم تحصيل الحاصل، و حيث أنّ اللّه تعالى عالمٌ بكلّ شي فلا يحتاج الى التَّعلم من غيره إذ لا يخفى عليه شي لا في

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

淎 المجلد السادس عشر

الأرض و لا في السّماء مضافاً الى أنّ العلم صدر منه تعالى الى خلقه فكيف يكون الخلق معلِّماً له لأجل ذلك قال اللّه تعالى: قُلْ يا محمّد للإعراب، أَتُعَلِّمُونَ ٱلله يدينِكُمْ حيث تقولون، آمّنا بالله و رسوله و هو تعالى يَعلَم منكم خلاف ذلك من الكفر و النّفاق فاللّفظ لفظ الإستفهام و المراد به الإنكار إذ كيف تعلَّمون الله و هو يعلم ما في السَّموات و الأرض و هو بكل شي عليم. هذا محصّل الكلام في الآية و المعنى ظاهر.

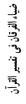
يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَى ٓ إِسْلامَكُمْ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَديٰكُمْ لِلايمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ

المنِّه النِّعمة النَّقيلة و يقال ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك بالعمل و قيل بالفعل فيقال منَّ فلان على فلان إذا أثقله بالنَّعمة و منه:

قال الله تعالى: لَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فَيهِمْ رَسُولًا ١٠). قال الله تعالى: كَذْلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ ٱللهُ عَلَيْكُمْ و ذلك علىٰ الحقيقة لا يكون إلاّ لله تعالى.

الثانى: أن يكون ذلك بالقول و ذلك مستقبحٌ فيما بين النّاس إلاّ عند كفران النّعمة و لقبح ذلك يقال المّنة يهدم الصَّنيعة و لحسن ذكرها عند الكفران قيل إذا كفرت النّعمة حسنت المنّة إذا عرفت هذا فقوله: لا تَمُتُّوا عَلَى إِسْلامَكُمْ فالمنّة منهم بالقول و قوله: بَلِ ٱللّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ و هو هدايته أيّاهم فالمنّة فيه بالفعل إذ لا نعمة أثقل من نعمة الإيمان، أفاد اللّه تعالى في هذه الآية أنّ بعض الأعراب يمنّون عليك بقولهم، أن أسلموا قل يا محمّد لهم لا تمنّوا علّي إسلامكم، إذ نفعه عائد اليكم، بل يمنن اللّه عليكم حيث هداكم للإيمان الّذي

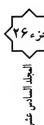




هو من أعظم النِّعم و أشرفها فأنَّ من لا إيمان له فهو أضلَّ من الحيوان و قوله: إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقينَ أي إن كنتم صادقين في إدّعاءكم الإيمان و الإسلام.

إِنَّ ٱلله يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمُواْتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱلله بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ أَلله مَا أَنّه تعالى يعلم غيب السّموات و الأرض، فالوجه فيه أنّه خلقهما و ما فيهما و الخالق لا يكون جاهلاً بما خلق و منه يظهر معنى قوله: وَ ٱلله بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ من طاعةٍ و معصية و إيمانٍ و كفرٍ في باطنٍ أو ظاهرٍ، و هو واضح.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



﴾ النه سُورةُ قَ ﷺ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

قَ وَ ٱلْقُرْانِ ٱلْمَجيدِ (١) بَلْ عَجِبُوٓا أَنْ جٰآءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هٰذاْ شَيْءٌ عَجيبٌ (٢) ءَإِذاْ مِثْنَا وَكُنَّا تُرابًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعيدٌ (٣) قَدْ عَلَمْنَا مَا تَنْقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابُ حَفيظٌ (١) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جآءَهُمْ فَهُمْ فيَ أَمْرِ مَريج (٥) أَفَلَمْ يَنْظُرُوۤ اللَّهِ ٱلسَّمٰآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَأُهَا وَ زَيَّتَّاهَا وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوج (۶) وَ ٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فيهَا رَواٰسِيَ وَ أَنْبَتْنَا فيها مِنْ كُلِّ زَوْجِ بَهيجِ (٧) تَبْصِرَةً وَ ذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنيبٍ ﴿٨) وَ نَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُبارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَتَّاتٍ وَ حَبَّ ٱلْحَصيدِ (٩) وَ ٱلنَّحْلَ باسِقَاتِ لَهَا طَلْعٌ نَضيدٌ (١٠) رزْقًا لِلْعِبادِ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَـٰذَٰلِكَ ٱلْـخُرُوجُ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحَابُ ٱلرَّسِّ وَ ثَمُودُ (١٢) وَ عَادُ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْواٰنُ لُوطِ (١٣) وَ أَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعِ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ

ضياء القرقان في تفسير القرآن للمجلد السادس عث

فَحَقَّ وَعيدِ (١٤) أَفَعَيينا بِالْخَلْقِ ٱلْأُوَّلِ بَلْ هُمْ فى لَبْسِ مِنْ خَلْقِ جَديدٍ (١٥) وَ لَـقَدْ خَـلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْـوَريدِ (١٤) إِذْ يَـتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيانِ عَنِ ٱلْيَمينِ وَ عَنِ ٱلشِّمالِ قَعيدٌ (١٧) مًا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلِ إِلَّا لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتيدٌ (١٨) وَ جْآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ مَاكُنْتَ مِنْهُ تَحيدُ (١٩) وَ نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعيدِ (٢٠) وَ جٰآءَتْ كُلُّ نَفْس مَعَهٰا سٰآئِقٌ وَ شَهيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ في غَفْلَةٍ مِنْ هٰذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطْآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَديدٌ (٢٢) وَ قَالَ قَرينُهُ هٰذا ما لَدَىَّ عَتيدٌ (٢٣) أَلْقِيا في جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارِ عَنيدِ (٢٢) مَنَّاع لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُريبِ (٢٥) ٱلَّذي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلٰهًا اخْرَ فَأَلْقِياهُ فِلَى ٱلْعَذاب ٱلشَّديدِ (٢۶) قَالَ قَرينُهُ رَبَّنَا مَاۤ أَطْغَيْتُهُ وَ لَكِنْ كَانَ في ضَلَال بَعيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَ مٰآ أَنَا بِظَلَّامِ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَــقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ آمْتَلَأَتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزيدٍ (٣٠) وَ أَرْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هٰذا ما تُوعَدُونَ لِكُلَّ أَوَّاٰبِ حَفيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِــىَ ٱلرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وَ جَاءَ بِقَلْبِ مُنيبِ (٣٣)

ياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ كُمْ ﴾ كُا

أُدْخُلُوهَا بِسَلام ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ (٣٢) لَهُمْ مَا يَشْآؤُنَ فيها وَ لَدَيْنَا مَزيدٌ (٣٥) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنِ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحيصِ (٣٤) إِنَّ في ذٰلِكَ لَذِكْرى لمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبُ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَوَ مُا بَيْنَهُما في سِتَّةِ أَيُّام وَ مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب (٣٨) فَاصْبِرْ عَلْى مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَ قَبْلَ ٱلْغُرُوبِ (٣٩) وَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبَّحْهُ وَ أَدْبارَ ٱلسُّجُودِ (٤٠) وَ ٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنادِ ٱلْمُنْادِ مِنْ مَكَانِ قَريبِ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ (٢٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيى وَ نُميتُ وَ إِلَيْنَا ٱلْمَصيرُ (٣٠) يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِراعًا ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسيرُ (٢٢) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَ مَاۤ أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارِ فَذَكِّرْ بِالْقُرْاٰنِ مَنْ يَخَافُ وَعيدِ (٤٥)

◄ اللّغة

ٱلْمَجِيدِ: العظيم الكرم و هو مشتّق من المجد و هو العظمة.

مَربيج: أي مختلطٌ ملتبسٌ و أصله إرسال الشّيئ مع غيره فـي المـرج مـن قولهم مرَّج الخيل الذِّكور مع الأناث.

فرُوج: الفروج الفتوق و الفّتق ضدّ الرَّتق.

مَدَدْنَاهَا: المَّد البسط.

رَوالسِيَ: جمع راسية و هي الثّابتة، كالحواشي جمع حاشية، يقال أرساها إذا أثبتها.

بَهيج: البهجة الحسن الذّي له روعة عند الرُّؤية كالزُّهرة و الأشجار الملتفة و الرّياض الخضرة.

مُّنبِب بضمّ الميم فاعل من الإنابة الرُّجوع أي منيبٌ إلى الله.

ٱلْحُصِيدِ: بفتح الحاء و كسر الصّاد كلّ ما يحصد من الزَّرع.

بْاسِقْاتٍ: أي عاليات و قيل هي طوال النّخل.

نَضيدٌ: أي نضد بعضه على بعضٍ.

ٱلرَّسِّ: البئر.

ثُمُودُ: قوم صالح.

غَادٌ: قوم هود.

أَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ: قوم شعيب.

أَفْعَيَهِنْا: يقال عييت بالأمر إذا لم يعرف وجهه و أعييت إذا تعبت و كلّ ذلك من الطّلب.

لَبْسٍ: اللَّبس منعٌ من إدراك المعنى كالسَّتر له.

تُوَسُّوسُ: الوسوسة حديث النَّفس.

ٱلْوَرِيدِ: الوتين.

عَتِيدٌ: العتيد المعدّ للزوم الأمر.

تَحيِدُ: أي تنفر و تهرب.

غِطْآءَكَ: الغطاء السَّتر.

عَتيدٌ: أي معدٌّ محفوظ.

اء الفرقان في تفسير القرآن 🏻 🗸

أَزْلُفَتِ ٱلْجَنَّةُ: الإزلاف التَّقريب إلى الخير و منه الزُّلفة و الزُّلفيٰ.

أوّاب: من الأوب و هو الرّجوع.

مُحيص: حاص يحيص حيصاً، المحيص المخلص المنجأ المهرب.

لُغُوبِ: اللَّغوبِ الإعياء و هو التَّعبِ.

سراعًا: أي بسرعة.

حَشْرٌ: الحشر الجمع.

وَعِيدٍ: أي وعيد الله بالعذاب.

◄ الإعراب

فَوْقَهُمْ حال من السّماء أو ظرفٌ، لينظروا وَ ٱلْأَرْضَ معطوف على موضع السّماء مَدَدْنَاها حال تَنْصِرَةً مفعول له أو حال من المفعول أو مصدر أي بصرناهم تبصرةً ذِ كُرْى كذلك وَ حَبَّ ٱلْحَصيدِ أي و حبُّ النَّبت المحصود و حذف الموصوف و مثله حَبْل ٱلْمَوريدِ أي حبل العرق الوريـد وَ ٱلنَّـخْلَ معطوف على الحبّ وبالسِقّاتِ حال وَلَها طَلْعٌ حال أيضاً و نَضيدٌ بمعنى منضود رِزْقًا مفعول له وقَعيدٌ مبتدأ و عَن ٱلشِّمالِ خبره مَعَهَا سٰآئِقُ الجُملة صفة لنفسٍ، أو كلّ أو حال من كلّ، هذا مبتدأ و في ما وجهان:

أحدهما: هي نكرة و عتيد صفتها للدي معمول، عتيد.

الثَّاني: أن تكون، ما، بمعنى، الَّذي و على هذا فتكون (ما) مبتدأ و لُـدِّي صلة و عتيدٌ خبر مَنْ خَشِيَ في موضع رفع أي هم من خشي أو في موضع جرّ بدل من المتقين، أو من كلّ أوّاب، أو في موضع نصب أي أعني من خشي فيها يتعلَّق بيشاؤن و يجوز أن يكون حالاً من، ما، أو من العائد المحذوف و كُمّْ نصب بأهلكنا وَهُمْ أشَدُّ صفة لقرن، أو صفة لكم.

▶ التّفسير

قال في التّبيان لم يعدّ أحد ق آأية وكذلك نظائره مثل (ن)و(ص) لأنّه من المفرد و أمّا المرّكب فما أشبه الجملة و وافق رؤوس الأي، مثل (طه)و (حم) و (الم) و ما أشبه ذلك إنتهى كلامه.

أقول فعلى هذا هو إسمٌ للسُّورة و آلْقُرْأنِ ٱلْمَجيدِ قيل الواو للقسم أقسم الله تعالى بالقرأن و جواب القسم محذوف و تقديره لحقّ الأمر الّـذي وعـدتم به أنَّكم لمبعوثون، و كيف كان فالقرأن إسم لما بين الدُّفتين و المجيد صفة وصفه اللَّه تعالى بالمجد و العطمة و الكرم، و القدر و امثال ذلك كلُّه هذه الأوصاف حقّ ثابت له كيف و هـو كـلام اللّـه و الصّـفة تـابعة للـموصوف فـي المجد و العظمة و لا شكّ أنّ الله تعالى واجب الوجود مستجمعٌ لجميع الصَّفات الكماليّة فما من صفة كمالٍ إلاّ و هي موجودةٌ له تعالى بـالفعل و إذا كان المتكلّم كذلك فكلامه أيضاً منّزة عن النّقص و العيب و القرأن كلام اللّه تعالى فهو أيضاً متّصفٌ بالمجد و العظمة فثبت المطلوب.

بَلْ عَجِبُوٓا أَنْ جٰآءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجيبٌ المنذر هو رسول الله و المعنى أنّ الكفّار و المشركين عجبوا أن جاءهم منذر منهم، أي من بينهم لأنّ النّبي نشأ بينهم، فقال: ٱلْكَافِرُونَ هذا شيِّ عجيب، أن يكون المنذر من بين القوم و لعلَّ الوجه في تعجُّبهم أنَّ البشركيف يكون منذراً لبشر أخر و هو مثله يأكل و يشرب و ينكح و يمشى في الأسواق كانوا يقولون ماهذا إلا بشر مثلنا يأكل الطّعام و يمشى في الأسواق و لم يعلموا أنَّ النَّبي و أن كان في الظَّاهر في قالب البشر إلاَّ أنَّه في الواقع أعلى و أشرف من الملك لمكان الوحى و أنّه واسطة بين الخلق و الرَّب فهو إنسانٌ ملكوتي في قالب البشر الملكي صورته صـورة البشـر و سـيرته سـيرة المـلك لا يـقول إلاّ

ضياء الفرقان في تفسير القرآر

من الله تعالى لقوله: و مَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوْيَ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحِيُ) و على هذا فالمنذر في الواقع هو الله على لسان رسوله.

ءَإِذاْ مِثْنَا وَكُنَّا تُراٰبًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعيدٌ

جواب الشّرط محذوف لدلالة الكلام عليه و تقديره، ءإذا متنا و كنّا تراباً بعد الموت، يبعثنا اللّه، ذلك، أي ذلك البعث بعد الموت رجعٌ بعيدٌ عند العقول غير ممكن، إذ كيف يعقل ذلك فقال اللّه تعالى في جواب الكفّار المنكرين للبعث.

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفيظٌ

يظهر من الجواب أنّهم أنكروا البعث لأنّ البدن بعد الموت صار تراباً في القبر و لم يبق من اللّحم و العظم و سائر الأجزاء شيّ ظاهراً و إذا كان كذلك فلازم البعث أن يرجع ما نقص منه إلى ما كان أوّلاً و هو غير معقول للزومه إعادة المعدوم و الإعادة محال، فأجاب اللّه تعالى بما حاصله أنّا نعلم ما نقص من البدن في القبر و صار تراباً و إليه الإشارة بقوله: و عِنْدَنْا كِتَابٌ حَفيظٌ، وهو اللّوح المحفوظ و قيل الكتاب عبارة عن العلم و الأحصاء و الجامع أنّ اللّه لا يخفى عليه شيّ.

بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمًّا جُآءَهُمْ فَهُمْ فَيَ أَمْرٍ مَريج

كلمة، بل للإستدراك أي ليس منشأ إنكارهم البعث ما ذكروه بل انهم كذبوا النبي و القرأن الذي جاء به دالاً على صدقه و بعبارة أخرى إنكارهم غير منحصر بالبعث بل أنكروا جميع ما جاء به الرسول من عند الله فهم في أمر مريح، أي مختلط ملتبس في اصل النبوة فتارة يقولون أنّه ساحرٌ و تارة يقولون

أَنّه كاذبٌ و تارةً يقولون أنّه مجنون، و تارةً يقولون أنّه كاهنّ، و من أنكر النّبوة أنكر ما جاء به النّبي بطريق أولى.

و قال إبن عبّاس، المريج الأمر المنكر و قال بعضهم، أصل المرج الإضطراب و القلق و قيل غير ذلك و أنت ترى أنّ الوجوه المذكورة متقاربة المعنى.

أَفَلَمْ يَنْظُرُوۤ اللَّهَ السَّمٰآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيَّنَّاهَا وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوج

الإستفهام للتَّوبيخ و فيه التّهديد و المعنى أفلم ينظروا هؤلاء الكفّار المنكرين للبعث الى اسّماء فوقهم كيف بنيناها، أي خلقناها، و زيَّناها بأنواع الكواكب و لا سيّما بوجود الملاتكة و ما لَها مِنْ فُرُوجٍ أي ليس فيها فتوق يمكن السّلوك فيها، و الفروج جمع فرج و هو الشقّ.

و قال الكسائي معنى الآية ليس فيها تفاوت و لا إختلاف و لا فتوق، تقريب الإستدلال بالآية على إثبات المدّعى و هو البعث و الخلق بعد الموت، هو أنّ الله الّذي و أوجد السّماء و رفعها فوقنا بلا عمد و زيّنها بأنواع النّجوم الثّابتة فيها، قادرٌ على إحياء الخلق بعد الموت، لأنّه أي الخلق بعد الموت أسهل من خلق السّموات و ما فيها و ذلك لبقاء المادّة في البدن بعد صيرورته تراباً و هذا بخلاف خلق السّماء إذ لم تخلق من مادّةٍ بل خلقها كان إبداعياً و لذلك يقال أنّه تعالى بديع السّموات و الأرض و لا شكّ عند ذوي العقول أنّ الخلق الإبداعي أصعب من الخلق عن مادّةٍ موجودة و سيأتي منّا البحث في هذا الباب بوجه أبسط في المستقبل إن شاء الله.

وَ ٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فيهَا رَواٰسِىَ وَ أَنْبَتْنَا فيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المجلدالا

الواو للعطف فالآية معطوفة على الآية السّابقة أي أفلم ينظروا إلى الأرض مددناها أي بسطناها و ألقينا فيها، أي في الأرض، رواسي، و هى الجبال الثّابتة عليها و أمّا أنّها أي الجبال تمنع الأرض عن الحركة ليتّمكن إستقرار الحيوان عليها، كما فسَّروا الرَّواسي به فلا يستفاد ذلك لا من الآية و لا من الرّواسي هو ظاهر و قد مرَّ الكلام منّا في هذا الباب و سيأتي بعد ذلك إن شاء اللّه.

و أمّا قوله: وَ أَنْبَتْنَا فَيَهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ فهو مشهودٌ محسوس لا يحتاج إلى الإثبات و المعنى أنبتنا في الأرض من كلّ زوج أي من كلّ صنفٍ أو نوع من النّبات ما يتهيج الإنسان به و لنعم ما قال الشّاعر فيه:

إلى أثار ما صنع المليك بأنّ اللّــه ليس له شــريكُ

تفَّكر في نبات الأرض و أنظر ففي رأس الزُّبرجد شــاهداتُ

تَبْصِرَةً وَ ذِكْرٰى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنيبٍ

قال في التّبيان، أي فعلنا ذلك و خلقناه علىٰ ما وصفناه ليتّبصر به و يتّفكر كلّ مكلّفٍ كامل العقل يريد الرّجوع الى اللّه و الإنابة اليه، و قال بعضهم قوله: تَبْصِرَةً نصب على المصدر يعني جعلنا ذلك تبصيراً و تنبيهاً على قدرتنا.

أقول ما ذكروه لا بأس به فأنّه حقّ يرجع معنى الكلام اليه، و الّذي يختلج بالبال أنّ في التعبير بقوله: تَبْصِرَةً وَ ذِكْرَى نكتة خفيّة و هي أنّ التّفكر، في النّباتات فرعٌ على رؤيتها بالبصر فأنّ الإدارك مقدّم على التّعقل و التفكر فمن لا يدرك شيئاً ببصره كالأعمى كيف يتفكّر فيه و على هذا فقوله: تَببْصِرةً إشارة الى الرّؤية بالبصر، و قوله: وَ ذِكْرى إشارة الى التّعقل بالقلب، أنّ في ذلك ذكرى لمن كان له قلب، ولذلك قدّم التّبصر على التّذكر في اللّفظ كما هو كذلك في المعنى، فيصير مفاد اللّفظ أنظر بالبصر و تذّكر أو تفكّر بالقلب.

وَ نَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ ٱلْحَصيدِ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

يعني نزّلنا من السّماء مطراً و غيثاً، و وصفه بالبركة و قال، مباركاً، لأنّ في المطر و الغيث من البركات ما لا يحصى و كفى في اثبات ذلك قوله: و جَعَلْنا مِنَ الْماآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيِّ (١) فحياة الأرض و ما عليها ببركة الماء و أيُّ شيئ أعظم بركة من الماء الذي بقاء الأرض و ما فيها و ما عليها، عليه و من آثاره و بركاته قوله: فَأَنْبَتْنا به أي، بسبب الماء جنّاتٍ و حبّ الحصيد، أي بساتين فيها أشجار و حبّ الحصيد من أنواع أشجار و حبّ الحصيد من أنواع النّات.

قال قتادة الحبّ هو الحصيد أنمّا أضافه الى نفسه كما قال، حقّ اليقين، و قيل التّقدير و حبَّ النبت الحصيد، و الأصل الحبُّ الحصيد فحذِفت الألف و اللّم و أضيف المنعوت الى النّعت.

وَ ٱلنَّخْلَ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضيدٌ

قيل باسقات أي عاليات، و قال أبن عبّاس، باسقات طوال النّخل و به قال مجاهد و قتادة، و قال سعيد بن جبير، باسقات أي مستويات و به قال الحسن و عكرمة و الفرّاء، و الأوّل أعني به قول إبن عبّاس، في اللُّغة أكثر و أشهر يقال نسق النّخل نسوقاً إذا طال و الى هذا المعنى أشار الشّاعر بقوله حيث قال:

لنا خمرُ و ليست خمر كرم ولكن من نتاج الباسقات

كرامُ في السَّماء ذهبن طولاً وفات ثمارها أيدي الجناة

يقال، نسق فلان على أصحابه أي علاهم، والطّلع بفتح الطّاء و سكون اللاّم و العين أوّل ما يخرج من ثمر النَّخل و منه الطُّلوع، يقال طلعت الشَّمس و يقال عند طلوع الشَّمس كلّ ذلك مشتّق من الطَّلع يقال طلع طلعاً و طلوعاً، و النَّضيد يقال لما نضد بعضه على بعضٍ، قال بعضهم أي متراكبٌ قد نضّد



ضياء الفرقان في تفسير القرآز

بعضه على بعض، و نقل القرطبي في تفسيره لهذه الآية عن البخاري، النَّضيد الكفُّري ما دام في أكمامه و معناه منضودٌ بعضه على بعضه فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد إنتهى.

رِزْقًا لِلْعِبْادِ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ

أي رزقناهم رزقاً أو على معنى أنبتناها رزقاً لأنّ الإنبات في معنى الرّزق و المعنى خلقنا ما ذكرناه من حبّ الحصيد و الطّلع النّضيد رزقاً للعباد و غذاءً لهم، في تفسير الرّزق، هو ما للحيّ الإنتفاع به على وجه ليس لغيره منعه منه، قالوا الحرام ليس برزقٍ لأنّ الله منع منه بالنّهي و الحظر و هذه المذكورات في الأيات من بركات الماء و لذلك قال ماء مباركا، و قوله: و أَحْيَيْنا بِه بَلْدَةً مَيْتًا أي بالماء الذي أنزلناه من السّماء أحيينا بلدة ميتاً، أي جدباً قحطاً لا تنبت شيئاً فأنّ حياة كلّ شيّ بحسبه، كذلك الخروج، من القبور، أي مثل ما أحيينا الأرض بسبب الماء بعد موتها كذلك نحيي الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم ومن قدر على إحياء الأرض الميتة قدر على إحياء الموتى فأنّ حكم الأمثال واحد.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحابُ ٱلرَّسِّ وَ ثَمُودُ، وَ عَادُ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوَانُ لَا يَخْوَانُ لُوطٍ، وَ أَصْحَابُ ٱلأَيْكَةِ وَ قَوْمُ تُبَّعٍ كُلُّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ إِخْوَانُ لُوطٍ، وَ أَصْحَابُ ٱلأَيْكَةِ وَ قَوْمُ تُبَّعٍ كُلُّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعيد

أي أنّ تكذيب الأنبياء غير مختّص بهؤلاء الكفّار من قومك و ذلك لأنّه كذّبت قبلهم قوم نوحٌ نبوّته و هكذا أصحاب الرَّس و ثمود و عاد و فرعون و إخوان لوط و أصحاب الأئيكة و قوم تبَّع كلّهم كانوا من المكذّبين لأنبياءهم و رسلهم فحقّ وعيد، أي فأستَّحقوا بما وعدناهم من العذاب و قد مرَّ الكلام في هؤلاء الأقوام فيما مضى عند الأيات النّازلة فيهم مفصّلاً فلا نطيل الكلام بذكرهم ثانياً ثمّ قال اللّه تعالى على وجه الإنكار عليهم بلفظ الإستفهام.

المجلدال

أَفَعَيينا بِالْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ في لَبْسِ مِنْ خَلْقِ جَديدٍ

المراد بالخلق الأوّل آدم أبو البشر يقال عييت بالأمر إذا لم يعرف وجهه، و أعييت اذا اتعبت، و ألغى، بفتح العين التعب و المشقّة و المعنى إنّا كنّا لم نعي و لم نتعب بالخلق الأوّل فكذلك لا تفيا بخلقهم على وجه الإعادة فأنّ حكم الأمثال واحد و المحيي واحد و القدرة واحدة، و بعبارةٍ أخرى، أفعيينا بالخلق الأوّل فنعيا بالبعث و هذا في الحقيقة جواب قولهم: ذلك رَجْعٌ بَعيدٌ.

بَلْ هُمْ في لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَديدٍ أي بل هؤلاء الكفّار في حيرةٍ و شكّ من البعث مصدّق و منهم مكذّب و ليس ذلك إلاّ لإلتباس الأمر عليهم في الخلق بعد الموت، و أن شئت قلت لم يلتبس عليهم الخلق الأوّل، و أنّما إلتبس الأمر عليهم في الخلق الثّاني و هو البعث مع أنّ الخليقتين حكمهما واحد من حيث الإمكان و عدمه و حيث أنّ ذلك من وساوس الشّيطان بتوسّط النّفس الأمّارة.

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْل ٱلْوَريدِ

قيل المراد بالإنسان في الآية النّاس المراد به أدم، فمعنى الآية على الأوّل أنّا خلقنا النّاس و نعلم ما توسوس به نفسه، فأنّ الخالق أعرف بمخلوقه منه نفسه و ذلك لأنّ النّفس الّتي توسوس مخلوقه له لمصلحة لا يعلمها إلاّ هو و فى قوله: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَريد إشارة إلى ما ذكرناه و الحبل الوريد هو حبل العاتق يقال له بالفارسيّة (رگ گردن) و إذا كان كذلك فلا يخفى علينا ما توسوس به نفسه.

و المقصود من الآية أنّ إنكارهم البعث ليس إلا من قبيل الوساوس النفسانية الّتي لا أصل لها و ليس مستنداً إلى علم و دراية إذ لو كانوا من أهل العلم و الفهم و الفكر لم ينكروا البعث و علموا أنّه على الخالق القادر على كلّ شئ سهلٌ يسيرٌ، و لكنّ الوساوس منعتهم عن ذلك.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

آن ﴿ المجلدالساد

إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَ عَنِ ٱلشِّمَالِ قَعيدٌ

إذ، متعلّقة بقوله: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ و المتلقّيان هما الملكان الموَّكلان على الإنسان أحدهما عن يمينه و الأخر عن شماله يقال لهما رقيب، و عتيد، و كلَّهما الله تعالى على الإنسان ليكتبا ما يقول و ما يفعل في صحيفة أعماله، و معنى الآية نحن أقرب إليه من حبل وريده و إذا كان كذلك فنحن أعلم بأحواله فلا نحتاج إلى ملكِ يخبرنا و لكنّهما وكلابه إتماماً للحجّة و توكيداً للأمر عليه

و قال مجاهد وكَّل الله بالإنسان مع علمه بأحواله ملكين باللّيل و ملكين بالنّهار يحفظان عمله و يكتبان أثره إلزاماً للحجّة:

أحَدهما: عن يمينه يكتب الحسنات و الأخر عن شماله يكتب السيئات فذلك قوله تعالى: عَن ٱلْيَمينِ وَعَنِ ٱلشِّمالِ قَعيدٌ.

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتيدٌ

أي لا يتكلّم بشيّ من القول إلاّ و عنده حافظ يحفظ عليه، فالرَّقيب الحافظ، و العتيد المعدَّ، للزوم الأمر، ما يلفظ، مأخوذ من لفظ الطّعام و هو إخراجه من الفم.

قال بعض المفسّرين، في الرَّقيب ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّه المتبع للأمور.

الثّاني: أنّه الحافظ.

الثّالث: أنّه الشّاهد.

و في العتيد وجهان:

أحدهما: أنّه الحاضر الذّي لا يغيب.

الثَّاني: أنَّه الحافظ المعدّ إمّا للحفظ و إمّا للشَّهادة.

و قال الجوهري العتيد الشّي الحأظم المهيأ، ثمّ مال وكَّله يرجع إلى معنى الحضور و منه قول الشّاعر:

لئن كنت منّي في العيان مغيباً فذكرك عندي في الفؤاد عتيدُ

وَ جْآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحيدُ

سكرة الموت غمرته و شدّته فأنّ الإنسان مادام حيّاً تكتب عليه أقواله و أفعاله ليحاسب عليها يوم الحساب ثمّ يجيئه الموت و هو يراه عند المعاينة من ظهور الحقّ فيما وعد الله و أوعده، و قيل الحقّ هو الموت سمّي حقّاً إمّا لإستحقاقه و إمّا لإنتقاله إلى دار الحقّ و هو الأخرة فعلى هذا في الكلام تقديم و تأخير و تقديره جائت سكرة الحقّ بالموت.

و قيل الحقّ هو الله تعالى و المعنى جائت سكرة أمر الله بالموت.

و قيل الحقّ هو الموت و المعنى و جائت سكرة الموت بالموت هذا ما قالوه في معنى الآية و الذّي يختلج بالبال في معنى الآية هو أنّ المراد بالحقّ معناه المتعارف عند النّاس الّذي نعبّر عنه بضدّ الباطل ففي الآية إشارة إلى أنّ الموت حقّ لكلّ مخلوقٍ أي كلّ مخلوقٍ يستَّحقه لقوله تعالى: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلالِ وَ ٱلْإِكْرامِ (٢) والسِّر فيه أنّ الوجُود للمخلُوق عارية عارضة على ماهيّته و ليس عين ذاته كما هو كذلك في الواجب، و كلّ عارضٍ فهو قابلٌ للزّوال عن معروضه لا محالة و إلاّ لا يكون عارضاً و لا نعني بالموت إلاّ هذا أي زوال العارض عن المعروض.



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

و أن شئت قلت زوال الوجود عن ماهية و قد فسر الحق بأنّه النّابت الّذي لا يتَّغير فالموت حقِّ بهذا المعنى لكلّ مخلوق و هذا معنى قوله: وَ جَآءَتْ سَكُرَةُ ٱلْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحيدُ أي يقال له عند المَوت ذلك الذّي كنت منه تهرب و تروع، يقال حاد يحيد حيوداً، مال عنه و عدل، و إلى هذا المعنى أشار الله تعالى:

قال الله تعالى: قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ (١). قال الله تعالى: قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ (٢). قال الله تعالى: أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ ٱلْمَوْتُ وَ لَـوْ كُنْتُمْ فَي بُرُوجٍ مُشَيِّدَةٍ (٣).

و غيرها من الأيات الدالَّة على أنَّ الموت لابدِّ منه لكلِّ مخلوقٍ.

وَ نُفخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعيدِ

ذكروا في الصُّور وجهين:

أحَدهما: أنه جمع صورة.

الثّانى: أنّ الصُّور قرنٌ ينفخ إسرافيل فيه النَّفخة الأولى فيموت الخلق، و النَّفخة الثّانية فيحيون يوم القيامة و هو يوم الوعيد الّذي وعد اللّه أن يعاقب فيه من يكفر به و يعصي أمره و يثيب من يؤمن به و يمتثل قاله الشّيخ في التّبيان، و هو حقٌ.

و أمّا الوجه الأوّل ممّا ذكره و هو أنّ الصُّور جمع صورة ينفخ اللّه في الصُّور بأن يحيها يوم القيامة، فلا نفهم معناه و ذلك لأنّ الصُّورة يجمع على صُوْر بضّم الصّاد و سكون الواو هذا أوّلاً.

ثانياً: نقول لا معنى للنَّفخ في الصُّور، فأنّ الصُّورة من الأعراض و العرض لا

ر کی المجلد السادس کی دیا

١- الاحزاب = ١٤

يوجد في الخارج بدون الموضوع بل وجوده في نفسه وجوه لموضوعه في الخارج.

نعم لو قلنا بأنّ صور الخلائق موجودة في الصُّور مع معروضاتها وجـوداً عقليًا فإذا نفخ إسرافيل في الصُّور فكأنِّما نفخ في الصُّور القائمة بـذواتها فيحيون بأذن الله، فله وجه و لم نعلم من قال به.

أمًا الوجه الثّاني: ممّا ذكره مَنْزَنَّ فهو المشهور المؤيّد بالأيات و الأثار كلام لأحد فيه.

وَ جٰآءَتْ كُلُّ نَفْسِ مَعَهٰا سٰآئِقٌ وَ شَهيدٌ

أي و جائت يوم الوعيد يوم القيامة كلِّ نفس من المكلِّفين و معها سائقٌ يسوقها، و شهيدٌ يشهد عليها إختلف المفسّرون فيهما، فقال بعضهم أنّهما ملكان أحدهما يسوقه و الأخر يشهد عليه بما يعمله من حاله.

و قال إبن عبّاس السّائق من الملائكة و الشُّهيد من أنفسهم الأيدي و الأرجل، و قيل السّائق الملك و الشُّهيد العمل، و الأقوال كثيرة نقلوها في تفاسيرهم.

و الحقّ أنّ السّائق ملكٌ يسوقه و الشَّهيد من أنفسهم الأيدي و الأرجل كما قال إبن عبّاس و الدلّيل على ذلك:

قال الله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا ىغمَلُونَ ^(١).

قال الله تعالى: ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفُواهِهِمْ وَ تُكَلِّمُناۤ أَيْديهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^(٢).

لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذا فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطْآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَديدٌ

الغفلة ذهاب المعنى عن النفس و ضدّه اليقظة و المعنى، يقال له، يمكن أن يكون القائل هو السّائق الذي يسوقه إلى النّار، و يمكن أن يكون ملكاً أخر و كيف كان يقال له لقد كنت في غفلة أي في سهو و نسيان في الدّنيا، من هذا، أي من هذا اليوم فَكَشَفْنا أي أزلنا و رفعنا عَنْكُ غِطْآءَكَ الغطاء السّتر أي و أزلنا عنك السّتر حتّى ظهر لك الأمر.

فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَديدٌ أي بصرك اليوم قوّيٌ ناخذ يرى ما كان محجوباً عنك في الدّنيا.

و قال بعضهم معناه نظرك إلى لسانٍ ميزانك حين توزن حسناتك و سيئاتك، و قيل المراد بالبصر بصر القلب كما يقال هو بصير بالفقه فبصر القلب و بصيرته و تبصرته شواهد الأفكار و نتائج الإعتبار كما تبصر العين ما قابله من الأشخاص و الأجسام.

أقول قرأ المشهور لَقَدْ كُنْتَ في غَفْلَةٍ مِنْ هٰذا فعلى هذه القراءة الخطاب في كنت، للإنسان شخصه و عليها فالمراد بقوله: فَبَصَرُكَ البصر المحسوس و هو العين النّاظرة، و قرأ بعضهم بكسر التّاء في، كنت، و هكذا في غطانك، و عنك و بصرك اليوم حديد و على هذه القراءة فالمخاطب في، كنت و أخواتها، هو النّفس لا الشّخص.

و من المعلوم أنّ النَّفس لا عين لها ظاهراً لتبصر بها و أنّما بصرها بصيرتها و عندي أنّ هذه القراءة أولى من الأولى و ذلك لأنّها أوفق بسياق الآية و الّتي قبلها فأنّ اللّه تعالى في الآية السّابقة و جائت كلّ نفسٍ و لم يقل كلّ إنسانٍ أو كلّ شخصٍ مثلاً، ثمّ قال في هذه الآية لَقَدْ كُنْتَ في غَفْلَةٍ فالخطاب للنّفس بقرينة السّياق و إذا كان كذلك فالأحسن أن يقال فبصرك اليوم حديد، أي بصيرتك و الله أعلم.

 الانسان مادام كونه في الدُّنيا مشغولٌ بما فيها غافلٌ عمّا ورائها من الأفات و البليّات.

فعن الفقيه في رواية السَّكوني أنَّه قال:

قال علّي عليّ الله ذلك اليوم أنا يوم يمُّر على إبن أدم إلاّ قال له ذلك اليوم أنا يوم جديد و أنا عليك شهيد فأفعل فيّ خيراً و أعمل فيّ خيراً أشهد لك به يوم القيامة فأنك لن تراني بعد هذا أبداً إنتهى (١).

وَ قَالَ قَرِينُهُ هٰذا ما لَدَى عَتيدٌ، أَلْقِيا في جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنيدٍ، مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُريبِ

قيل المراد بالقرين الملك الشَّهيد عليه، و قيل، قرينه من الشَّياطين، و الحَّق أَن القرين الملك الشَّهيد عليه بدليل قوله: هٰذا ما لَـدَى عَـتيد أي هذا ما عندي من كتابة عمله معَّد محفوظ، و من المعلوم أنَّ الكاتب الملك لا الشيطان فلما قال الملك هذا الذي وكلني به من بني آدم قد أحضرته و أحضرت ديوان عمله.

يقول الله تعالى: أَلْقِيا في جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنيدٍ و إنّما قال ألقيا لأنّ المأمور بالإلقاء هو الملكان الموكَّلان عليه و قيل يجوز أن يكون على لفظ الإثنين و المأمور واحد لأنّه بمنزلة إلقاء إثنين في شدَّته و نقل عن الخليل و الأخفش أنّهما.

قالا هذا كلام العرب الفصيح أن تخاطب الواحد بلفظ الإثنين إنتهي، ما قالاه.

و أنا أقول لا أعلم وجهه، و على فرض صحَّة النّقل و إستقامته المعنى لا ربط له بما نحن فيه لأنّ المخاطب ليس بواحدٍ.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿

و قال المازني، قوله: أَلْقِيا يدُّل على، ألق ألق و قال المبرد هي تثنية على التوكيد و الحقّ ما ذكرناه فأنّ هذه الوجوه ضعيفة جدّاً، و قوله: عَنهدٍ أي معاند فأنّ العناد وراء الكفر.

و قوله: مَثَّاعِ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُريبٍ أيضاً من أوصاف الكفّار لأنّهم لا يعلمون الخير بل يمنعون عن العمل به أيضاً.

و قال بعضهم في قوله: مَنّاعِ لِلْخَيْرِ يعني الزّكوة المفروضة و كلّ حقّ واجب و أنت ترى أنّ حمل اللّفظ على معناه العامّ الشّامل لكلّ خير أولى من حمله على معنى خاصّ من غير دليل، و أمّا قوله: مُعْتَدٍ أي أنّه معتد في منطقه و سيرته و أمره فهو ظالمٌ من جميع الجهات و قوله: مُعْتَدٍ أي الشّاك في التّوحيد و قيل هو المشرك و يدُّل عليه قوله تعالى بعد ذلك.

ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلٰهَا أَخَرَ فَأَلْقِياهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّديدِ

كأنّه قيل من المريب فقال تعالى في الجواب، الذّي جعل مع اللّه إلها أخر، و لا نعني بالمشرك إلا هذا و الشّرك من أعظم الذّنوب و قد ثبت أنّ الظّلم الذي لا يغفر أبداً هو الشّرك و لذلك قال تعالى: فَأَلْقِياهُ فِي الْعَذَابِ الشّديد، و الإنصاف أنّ العذاب أمر اللّه تعالى بإلقاء المشرك في العذاب الشّديد، و الإنصاف أنّ العذاب الشّديد حقِّ له لأنّه عبد في الدُّنيا الأصنام و الأوثان التي لا شعور لها و لا عقل و ترك المعبود بالحقّ الذي خلقه و خلق السَّموات و الأرض و ما بينهما و من كان كذلك فهو مستّحقّ للعذاب بلاكلام.

قَالَ قَرينُهُ رَبَّنا مَا أَطْغَيْتُهُ وَ لَكِنْ كَانَ في ضَلَالٍ بَعيدٍ

إتَّفق المفسّرون على أنّ المراد بالقرين في هذه الأية، الشّيطان الّـذي أغواه و أضلّه و على هذا فمعنى الآية أنّ قرين المشرك و هو شيطانه الّذي أغواه في الدُّنيا، يقول يوم القيامة ربّنا ما أطغيته، أي ما أخرجته إلى الطُّغيان و هو تجاوز

الحدّ في الفساد وَ لُكِنْ كَانَ هو بسوء إختياره في ضَلالٍ عن الإيمان بَعيدٍ عن إتّباعه.

و أنا أقول أيُّ إشكالٍ يلزم إذا قلنا المراد بالقرين الملك كما حملنا القرين في أية (٢٣) عليه، و توضيح ذلك إجمالاً، أنّ الملكين الموكّلين على الإنسان أحدهما مأمور أن يكتب سيّئاته، و الأخر مأمورٌ أن يكتب حسناته، و قد ورد أنّ الكافر يقول يوم القيامة ربّ أنّه زاد علّي في الكتابة فيقول الملك ما أطغيتُه أي ما زدت عليه في الكتابة، و أنّ الوليد بن المغيرة يقول للملك الذّي كان يكتب سيّئاته ربّ أنّه أعجلني فيقول الملك ربّنا ما أطغيته أي ما أعجلته و عند ذلك يقول اللّه تعالى:

قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعيدِ

الخطاب في قوله: لا تَخْتَصِمُوا للكافر و قرينه نهاهما الله عن المخاصمة فيمكن الإستدلال بهذه الآية على أنّ المراد بالقرين هو شيطانه الّذي أغواه في الدّنيا و ذلك لأنّ قوله و قد قدَّمت إليكم بالوعيد، معناه قدَّمت إليكم به في دار التّكليف فلم تنزجروا و خالفتم أمرى.

و من المعلوم أنّ الملك لا يخالف أمر الله لعصمته و الذي يخالفه هو الشيطان اللهم إلا أن يقال الخطاب لجميع الكفّار و الملك خارج عن الخطاب و المعنى لا تختصموا أيّها الكفّار لدَّي و قد قدَّمت إليكم بالوعيد في الدّنيا بتَّوسط الأنبياء ثمّ قال تعالى:

مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبيدِ

معناه أنّ الّذي قدَّمته إليكم في الدُّنيا مِّن الوعيد و هو العقاب على من أنكرني و كذَّب رسلي لا يبَّدل بغيره أي بعدم العقاب و بعبارةٍ أخرى أنّي قدَّمت إليكم أن أعاقب من خالفني و كذَّب رسلي و هذا الحكم لا يتغيّر و لا

ياء الفرقان في تفسير القرآن



، الفرقان في تفسير القرآن ﴿ مَمْ ﴾ المجلدال

يتبدّل فأنّي لست بظالم على أحدٍ من خلقي بل العبد هو الظّالم على نفسه فلا يلوَّمن إلاّ نفسه فأنّي قد أتَّممت عليه حجّتي في الدّنيا بإعطاء العقل و إرسال الرُّسل و جعلته مختاراً في أفعاله و أقواله ليهلك من هلك عن بيّنةٍ و يحيا من حيّ عنها.

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ آمْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزيدٍ

قرأ نافع و أبوبكر، و يوم يقول بالياء إعتباراً بقوله: لا تَخْتَصِمُوا لَدَى و قرأ الباقون بالنُّون نُون العظمة.

و قرأ الحسن، يوم أقول، و عن إبن مسعود يوم يقال، و قيل تقدير الكلام و أنذرهم يوم نقول لجهنّم هل إمتلأت، و هذا الإستفهام على سبيل التصديق لخبره و التّحقيق لوعده و التّقريع لأعداءه و التّنبيه لجميع عباده (وتقول) جهنّم هَلْ مِنْ مَزيدٍ فيه وجهان:

الثّانى: أن يكون الإستفهام بمعنى الإستزادة أي هل من مزيدٍ فأزداد، و أنّما صلح هذا للوجهين، لأنّ في الإستفهام ضرباً من الجحد، و من المعلوم أنّه ليس هناك قولٌ باللّفظ و أنّما هو على طريق المثل أي أنّ جهنّم فيما يظهر من حالها بمنزلة النّاطقة بذلك كما قال الشّاعر:

إمتلاً الحوض و قال قطن مهلاً رويداً قد ملأت بطني

و قيل ينطق الله النَّار حتَّى تقول هذا كما تنطق الجوارح يوم القيامة.

فعلى الأول: تقول جهنّم بلسان الحال.

علىٰ الثّانى: بلسان المقال و لا شك أنّ الله على كلّ شيّ قدير فهذا تفسير ألفاظ الآية و ما يعجبني في المقام ما نقله القرطبي في تفسيره لهذه الآية قال ما هذا لفظه.

و في صحيح مسلم والبخاري و التّرمذي عن أنس بن مالك عن حتّى يضع فيها ربّ العزّة قدمه فينزوى بعضها إلى بعض و تقول قطّ قطّ بعزّتك و كرمك و لا يزال في الجنّة فضل حتّى ينشئ الله فيها خلقاً فيسكنهم فضل الجنّة إنتهى.

و في رواية أخرى من حديث أبوهريرة و أمّا النّار فلا تمتلئ حتّى يضع اللّه فيها رجله يقول لها، قطّ قطّ، فهناك لك تمتلئ و ينزوي بعضها إلى بعضٍ فلا يظلم الله من خلقه أحداً و أمّا الجنّة فينشئ الله لها خلقاً، ثمّ أطال الكلام بما لا نحتاج إلى نقله و من أراد الوقوف عليه فعليه بكتابه.

وأنا أقول أنظروا يا أهل العلم و الإنصاف إلى هذه الأخبار الموصوفة المجعولة الّتي وضعها شياطين الإنس أمثال أنس خادم رسول الله و أبي هريرة الدُّوسي الكذّاب الجاهل و نسبوها إلى رسول الإسلام الّذي قال اللّه تعالى فيه وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوٰى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيَ يُوحَى (١) و ما أقبح بالرَّجل الَّذي يدّعي العلم و يفسر كلام الله أن يكتب أكاذيب أنس و أمثاله في كتابه يفسر به كلام الله و لم يعلم أنّ هذا من أظهر مصاديق التَّفسير بالرّأي الّذي قال رسول الّله فيه، من فسَّر القرأن برأيه فليتَّبوأ مقعده من النّار و نحن نسأل القرطبي و نقول أيّها الرّجل ما ذنب نبّي الإسلام حتّى ينسب إليه هذه الأكاذيب التي يستحي القلم عن تحريره و اللّسان عن ذكره و بيانه أتزعم أنّ الرّسول كان مبعوثاً إلى الخلق من المرسل الّذي له رجل و يضع رجله في النّار و إذا كان كذلك فأيُّ فرقِ بين الخالق و المخلوق ألم تعلم أنَّ الَّذي له رجل و يد و أمثال ذلك فهو مرّكبٌ من الأجزاء وكلّ مرّكبِ يحتاج في وجوده و بقاءه إلى أجزاءه بل المرّكب لا وجود له في الحقيقة إلاّ وجود الأجزاء، و كلّ محتاج فهو ممكن

الوجود و كلّ ممكن فهو مخلوق لغيره و كلّ مخلوق لغيره لا يكون واجب الوجود فينتج أنّ الخالق مخلوق محتاج إلى غيره و العاقل لا يتّفوه بهذا الكلام فضلاً عمّن يدّعي الإسلام و أمّا نحن فنقول، لعنة اللّه ولعنة ملائكته و رسله على من عبد إلهاً له رجلٌ و يدّ و امثال ذلك من الأعضاء و صلوات اللّه و سلامه على من وصف اللّه معبوده بقوله:

آوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتِهِ، وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وَ كَمَالُ التَّصدْيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلاَصِ لَهُ نَفْى الصِّفَاتِ عِنْهُ، تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلاَصِ لَهُ نَفْى الصِّفَاتِ عِنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ اَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ لِشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ اَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ اَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ الله سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، وَ مَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَرَّاهُ فَقَدْ جَوْاهُ، وَمَنْ جَرَّاهُ فَقَدْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ و... .

الى آخر الكلام الموجود في نهج البلاغة لمولانا أميرالمؤمنين.

و أن شئت الوقوف على معنى هذه الكلمات و غيرها ممّا هو مسطورٌ في الكتاب فعليك بمراجعة شرحنا الموسوم بمفتاح السّعادة في شرح نهج البلاغة فأنّك تجده بحراً لا ساحل له.

و محصل الكلام أنّ اللّه لا يعرف إلاّ من طريق أهل البيت الّذين هم أدرى بما في البيت و قد عصمهم اللّه عن الزَّلل و الخطأ في القول و الفعل و طهّرهم تطهيراً فنقول:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع ثم أنّ القرطبي زاد في الطّنبور نقمةً أخرى و قال ما هذا لفظه، و قال علماؤنا رحمهم الله أمّا معنى القدم هنا، فهم قومٌ يقدّمهم الله الى النّار و قد سبق في علمه أنّهم من أهل النّار و كذلك الرّجل و هو العدد الكثير من النّاس و غيرهم يقال رأيت رجلاً من النّاس و رجلاً من جراد الى آخر ما قال إنتهى.

أي يقال لهؤلاء المتقين اللذين أزلفت الجنّة لهم، أَدْخُـلُوهُا أي أدخلوا الجنَّة، بسلام، أي بأمانٍ من كلِّ مكروهٍ و سلامةٍ من جميع الأفات ذٰلِكَ يَــوْمُ ٱلْخُلُودِ في الجنّة الى الأبد فلا تخرجون منها أصلاً، ثمّ قال تعالى: لَـهُمْ مُـا يَشْآوُّنَ فيها أي للمتقين ما يشاؤن في الجنّة من أنواع النّعم، ولدينا مزيدٌ، لهم زيادةٌ على مقدار لمِنتّحقاقهم بعملهم، و نحن نقول ولمثل هذافليعمل العاملون.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحيص

كم، تفيد الكثرة و المعنى و كثيره أهلكنا قبلهم، من الكفّار في الأمّم السّالفة كقوم نوح و عاد و ثمود و غيرهم بسبب كفرهم و عنادهم و صدَّهم عن سبيل اللَّه، و انمَّا قلنا، كم، تفيد الكثرة لأنَّ، كم، تكون إستفهاماً تارةً في معنى الخبر للتّكثير و أنمًا خرجت من الإستفهام الى التّكثير لتكون نـقيضة (ربّ) فـي التّقليل و كانت أحقّ به لأنّها (إسم) مع إحتمالها للتّقليل فأمّا، ربّ، في الكلام فهي حرف يجري مجرى حرف النّفي لأنّ التّقليل أقرب الى النّفي هكذا قرّره في التّبيان و أمّا قوله: مِنْ قَرْنِ فالقرن المقدار من الزّمان الّذي يقترن بالبقاء فيه أهله على مجرى العادة و قال قوم هو مائة و عشرون سنة، و قيل ثمانون سنة، و قيل سبعون سنة، و قيل أربعون سنة، هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا أي الّذين - معلى الكفّار في الأمم السّالفة كانوا أشدَّ قوّةً و هيّبةً و سطوةً من هؤلاء الكفّار في عهد النّبي و مع ذلك أهلكناهم و لم يتعذّر علينا ذلك و في قوله فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلادِ إشارة الى قوتهم و شدّة بأسهم فأنّ التَّنقيب التَّفتيح بما يصلح للسّلوك و منه النَّقب و هو الفتح الّذي يصلح للمسلك في أعماق الأرض و بطون الأودية و الجبال و مع ذلك لم يقدروا على دفع العذاب من أنفسهم و إلى هذا أشار الله بقوله: مِنْ مَحيصٍ و هو الفرار، أو الذُّهاب في

ناحيةٍ عن الأمر للهرب منه كل ذلك لدفع العذاب عن النّفس و لات حين مناص و إذا كان الأقوى عاجزاً عن دفع العذاب عن نفسه فالأضعف بطريقٍ أولى.

قال الزّجاج هؤلاء الكفّار طوفوا في البلاد فلم يجدوا مخلصاً من الموت ثمّ قال تعالى:

إِنَّ في ذَٰلِكَ لَذِكْرِى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبُ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ وَ المعنى أَنَ في ذلك، القصص التي ذكرناه في القرأن من هلاك الأقوام و نزول العذاب إليهم (لذكري) أي فيما ذكرناه موعظة و تذكيه لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبُ اي عقل يتدبّر و يعتبر به أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ أي إستمع القرأن تقول العرب (ألق إلَّى سمعك أي إستمع).

قال إبن عبّاس معناه، إستمع و لم يشغل قلبه بغير ما يستمع فهو شهيد لما يسمع و يفقهه غير غافل عنه و به قال مجاهد والضّحاك أيضاً و محصل الكلام أنّ فيما ذكرناه في هذه السُّورة و غيرها من السُّور من قصص الأنبياء و أممهم عظة لمن إتّعظ به و عبرة لمن إعتبر أن كان له عقل و فهمٌ و أمّا من ليس له عقل و فهمٌ فلاملام لنا معه لأنّه كالأنعام بل أضَّل منها.

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَوَ مَا بَيْنَهُمَا فَي سِتَّةِ أَيُّامٍ وَ مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبِ

أقسم الله تعالى أنه خلق السموات و الأرض و ما بينهما من الموجودات في ستة أيّام، و قد تقدَّم تفسير هذه الآية في سورة الأعراف و غيرها و فسَّرنا قوله في ستّة أيّام و ذكرنا الأقوال فيها فلا نطيل الكلام بذكره في المقام.

و أمَّا قوله: وَ مَا مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ فاللَّغوب الإعياء والتَّعب، قيل هذه الآية نزلت في يهود المدينة زعموا أنّ الله خلق السّموات و الأرض في ستّة أيّام

الإحياء وإحتمل بعضهم أن يكون المراد بالمنادي الكفّار ينادون بالويل و الثُّبور من مكانٍ قريبٍ أي يسمع الجميع فلا يبعد أحد عن ذلك النّداء، إنتهى. و الإنصاف أنّ هذا الإحتمال بعيدٌ غاية البعد و الحقّ أنّ الآية إشارة إلى المحشر أو المنادي هو منادي الله و يؤيّده قوله تعالى بعد ذلك.

يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ

كأنّه قال قائل أيُّ يوم من الأيام ينادي المناد من مكان قريب، فقال اللّه تعالى في الجواب يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ وصفها بالحقُّ لأنّ الصَّيحة من جانب اللّه تعالى و في قوله: ذلك يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ إشارة إلى أنّه يوم الخروج من القبور فهى النَّفحة الثّانية.

ثمّ أشار الله تعالى إلى أنّ الإحياء و الإماتة بيده فقال:

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُميتُ وَ إِلَيْنَا ٱلْمَصيرُ

و هذا ممّا لأكلام فيه لأحدٍ فأنّ الخالق هو الله و المحى و المميت هو الله و رجوع الخلق إلى الله فالخلق مقهورٌ تحت قدرته لا يمكن له الفرار من حكومته و لابدّ له من التّسليم إلى قضاءه و قدره إنّا لله و إنّا إليه راجعون، فأين المفرّ. ثمّ أشار الله تعالى إلى علائم ذلك اليوم و ذكر منها تشقّق الأرض فقال:

يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِراْعًا ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسيرٌ

تشقّق الأرض كناية عن شقّ قبورهم و خروجهم منها (سراعاً) أي بسرعةٍ لا تأخير فيها ذٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنا يَسيرٌ أي هو سهلٌ علينا و الحشر الجمع بالسَّوق من كلّ جهةٍ.

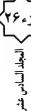
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْانِ مَنْ يَخَافُ وَعيدِ ضياء الفرقان في تفسير القرآن



أي نحن أعلم بما يقولون هؤلاء الكفّار المنكرين للبعث وَ مَلَ أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبُّارٍ أي بمسلّطِ تجبرهم على الإسلام، و قيل معناه ما أنت بربّ تجازيهم على أعمالهم و أنّما أنا المجازي لهم، و قيل معناه ما أنت عليهم بفظً في دعائهم إلى توحيد الله و إخلاص عبادته.

أقول الحقّ في معنى الجبّار ما ذكرناه و المقصود أنّك لا تجبرهم على قبول الحقّ و ليس عليك إلاّ البلاغ و الدّليل على ما ذكرناه فسّرنا الكلام به هو قوله بعد ذلك فَذَكّرْ بِالْقُرْانِ مَنْ يَخَافُ وَعيدِ أي ذكّرهم يوم الحشر بالقرأن إتماماً للحجّة عليهم و قوله من يخاف وعيد، معناه أنّ التّذكّر لا ينفع إلاّ لمن يخاف وعيد الله و عذابه و أمّا من لا يخاف فلا ينفعه الوعظ و النّصيحة أصلاً.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🕏

هَلْ أَتيٰكَ حَديثُ ضَيْفِ إِبْراهيمَ ٱلْمُكْرَمينَ (٢٢) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقٰالُوا سَلامًا قٰالَ سَلامٌ قَـوْمٌ لِإِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقٰالُوا سَلامًا قٰالَ سَلامٌ قَـوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَراغَ إِلٰي أَهْلِه فَجْآءَ بِعِجْلِ سَمينٍ (٢٤) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلام عليم (٢٨) فَأَقْبَلَتِ آمْرَأَتُهُ في صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجُهَهٰا وَ اللهُ عَليم قَالَتْ عَجُوزٌ عَقيمٌ (٢٨) قَالُوا كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُو ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَليمُ (٣٠)

◄ اللَّغة

وَ ٱلذَّارِيْاتِ ذَرْوًا: ذروة السّنام أعلاه و ذرته الرّيح تذروه و تذريه، و ذرواً، بفتح الذّال مصدر منه و المراد بالذّاريات الرّياح سميّت بها لأنّها تذروه الرّياح.

فَالْحْامِلَاتِ: جمع حاملة و هي مشتقة من الحمل و المراد بها هاهنا السّحاب لكونها تحمل المطر.

وِقْرًا: بكسر الواو و ثقل الحمل على ظهر أو في بطن و أكثر ما يستعمل في حمل البغل و الحمار، و أمّا الوَقر بفتح الواو فهو ثقل الأذن.

فَالْجَارِياتِ: جمع جارية و المراد بها السُّفن الجارية على الماء.

يُشْرًا: أي سهلاً و هو ضدّ العسر.

ٱلْحُبُكِ: هي جمع حباك بكسر الحاء و الحباك الطّريقة.

يُؤْفُكُ: الأفك الصَّرف و المنع.

ٱلْخَرّاْصُونَ: خراصُون جمع خرّاص الكذّاب.

غُمْرَةٍ: بفتح الغين و سكون الميم الغفلة و السَّهو، و قيل الغمرة ما ستر الشَّئِ و غطاه و منه غمرات الموت.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

٠٠ ۲۶۰;۶ امار يَهْجَعُونَ: الهجوع النّوم.

فَراْغَ: الرَّوغ الذِّهاب في خفاء.

بِعِجْل: العجل واحد البقر الصَّغير.

سَمين: الكثير الشَّحم على اللَّحم و نقيضه الهزال.

صَرَّةِ: الصَّرة الصَّيحة.

فَصَكُّتْ: أي لطمت أو ضربت.

◄ الإعراب

ذُرُوًا مصدر العامل فيه إسم الفاعل وِقْرًا هو مفعول الحاملات و يُسْرًا مصدر في موضع الحال و أُمْرًا مفعول المقسّمات يَوْمَ هُمْ هو مبّنيّ على الفتح الإضافته إلى الجملة أو موضعه الرّفع أي هو يومهم (هم) مبتدأ ويُفْتَنُونَ الخبر الْخِذينَ حال من الضّمير في الظّرف كَانُوا قَلِيلًا في خبر كان وجهان:

أحدهما: ما يَهْجَعُونَ و في، ما، وجهان:

أحدهما: هي زائدة.

الثَّاني: هي نافية و الوجه الثَّاني في خبر، كان، أنَّ قليلاً خبره و، ما مصدريّة.

وَ فَيَ أَنْفُسِكُمْ المبتدأ محذوف أي و فى أنفسكم أيات مِثْلَ مَآ يقرأن بالرّفع على أنّه نعت لحق أو خبر ثان في صَرَّةٍ هو حال من الفاعل كَذْلِكِ في موضع النّصب بقال الثانيّة.

◄ التّفسير

وَ ٱلذَّارِياتِ ذَرْوًا، فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا، فَالْجَارِياتِ يُسْرًا، فَالْمُقَسِّماتِ أَمْرًا

ام الدرقان مهارالقرقان مارا

هذا جواب القسم اللذي هو (و السّماء) فأنّ الواو للقسم فالمعنى أقسم بالسّماء ذات الحبك أنكُم في قولٍ مختلف، أي أنكُم يا أهل مكّة في الحَّق لفي قولٍ مختلف لا يصَّح إلا واحدٍ منه و هو أمر النّبي و ما دعاكم إليه و ذلك لأنّ أحد الفريقين في هذا الإختلاف على الباطل لا محالة وتوضيح ذلك إجمالاً أنّ فيكم قولين:

أحدهما: قول النَّبى: و ما دعاكم إليه.

الثّانى: قولكم بتكذيب النّبي و ما جاء به من عند الله و الشُّقوق المحتملة في المقام أربعة: صدق القولين معاً و كذبهما كذلك و صدق قول النّبي و كذب قولهم، و بالعكس، لا سبيل إلى الأوّل و هو صدق القولين لأنّه من إجتماع النَّقيضين و هو محال وجه التَّناقض ظاهر لأنّ إنكار الحَّق و الإقرار به لا يجتمعان و الكفّار أنكروا التوحيد و النّبق و النّبي أثبتهما و أقرّ بهما و الإنكار و الإقرار متناقضان لا سبيل إلى الثّاني أيضاً لأنّ القول في الواقع أمّا حقٌ أو باطل لا يخلو منهما و الحصر عقلي فالقول بكذبهما يلزم أن يكون الأقوال كلّها، باطلة و هو من إرتفاع النّقيضين الذي يحكم العقل بإستحالته كالإجتماع.

لا سبيل إلى القول الرّابع و هو صدق قول الكفّار و كذب قول النّبي لأنّ كذب قول النّبي لأنّ كذب قول النّبي معناه كذب قول الله لأنّه وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوْق، إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيُ كذب قول الله لأنّه وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوْق، إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيُ كُذب قول الله تعالى منّزه عن القبائح و من أصدق من الله قيلاً.

فَالقَول الثّالث: هو الحَّق و هو أنّ النَّبي صادق في قوله و الكفّار كاذبون فيه و هو المطلوب.

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ

الافك الصَّرف و المنع و المعنى يصرف عنه من صرف، أي يصرف و يمنع عن محمد الله الصَّرف و المنع و المعنى عن محمد الله الله الله الله من صرف عن الإيمان بسبب قولهم هو أي القرآن سحرٌ و كهانة و أساطير الأوّلين و محمّد الله الله الله الله المعنون أو غير

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

ذلك ممًا يمنع من أراد الإيمان عن قبوله و فيه إشارة إلى أنّهم مضافاً إلى كفرهم كانوا صادّين عن الحقّ و متابعته.

قُتلَ ٱلْخَرّاطُونَ

الخرّاص، الكذّاب و أصله الخرص و هو القطع مـن قـولهم خـرص فـلان كلامه إذا قطعه، و أخترصه إذا إفتراه لأنّه إقتطعه من غير أصل.

قال المفسّرون، قتل، في المقام بمعنى، لعن، و المعنى لعن الخّراصون الكاذبون، و قال إبن عبّاس، الخرّاصون المرتابون يعني الكهنة، و قال الحسن، هم الّذين يقولون لسنا نبعث و معنى، قتل، أي هؤلاء ممّن يجب أن يدعى عليهم بالقتل على أيدي المؤمنين، و قال الفّراء من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك هذا ما قالوه في تفسير الكلام.

و أنا أقول أمّا الخرّاصون فلاكلام لنا فيه لظهور معناه، و أمّا قوله: قُـتِلَ فلا يبعد أن يكون معناه أنّهم سيقتلون في غزوة بدر و أحد و خندق و غيرهما و لمّا كان قتلهم محقّق الوقوع فكأنّهم قتلوا في الماضي فقال، قتل، و هذا كقوله تعالى: أقْقَرَبَتِ ٱلسّاعَةُ بصيغة الماضي و أمثاله كثيرة في القرآن.

ٱلَّذينَ هُمْ في غَمْرَةٍ سَاهُونَ

صفة للخَّراصون و الغمرة ما ستر الشَّئ و غطّاه و منه نهرٌ غمرٌ أي يغمر من دخله و منه غمرات الموت و قوله: ساهُونَ أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة، و معنى الآية أنّ هؤلاء الكفّار لجهلهم كأنّهم في سترٍ و غطاء عمّا يجب عليهم من التَّوحيد و الإنقياد بالبعث ساهون أي غافلون عن الحقّ و أمر الآخرة و الدّليل على ذلك أنّهم.

يَسَــُـلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ

آن کا کا المجلدالسادس عنا فيقولون ذلك إستهزاء و شكّاً منهم في القيامة و هذا معنى كونهم في غمرةٍ ساهون.

يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ

أي يقال في جوابهم أي هذا الجزاء يوم هم على النّار يحرقون، فنصب يوم على تقدير الجزاء أي جزائهم ذلك اليوم و على هذا فالدّين في الآية بمعنى الجزاء كما هو أحد معانيه.

يقال فتنت الذَّهب أي أحرقته لتختبره فأنّ أصل الفتنة الإختبار ثمّ يقال لهم كما قال الله تعالى:

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ

أي ذو قوا عذابكم و منه قول الشّاعر:

كلّ إمريً من عباد الله مضطهد ببطن مكَّة مقهورُ و مفتونُ أي مقتول أو معذّبٌ، هذا أي هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون في الدّنيا و قلتم أيّان يوم الدّين، فهذا يوم الجزاء الّذي لا محيص لكم عنه أبداً فقد وقعتم الآن فيه و عرفتم صحَّته إلاّ أنّ النَّدم يوم القيامة لا فائدة فيه لأنَّهم في الصَّيف ضيَّعوا اللَّبن.

جزء ٢٤ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ

لمّا بيَّن فيما مضى أحُوال الكفّار و سوء عاقبتهم، أشار الله في هذه الآية و ما يليها إلى أحوال المتقين و حسن عاقبتهم بعد الموت فقال: إِنَّ ٱلْمُتَقينَ و هم الّذين فعلوا الطّاعات و إجتنبوا المعاصي خوفاً من عقابه في جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ أي في بساتين تحتها الأشجار و عيون، جمع عين و هو الماء يجري لهم في جنّة الخلد على نهاية ما يتنزّه به.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

کی العجلد السادس عشر عنائم

أُخِذينَ مَا أَتِنْهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ مُحْسِنينَ

قوله: أُخِذينَ نصب على الحال أي أنّهم في جَنّاتٍ و عيُونٍ حال كونهم أخذين ما أتاهم ربّهم، من الثّواب وأنواع الكرامات والمقام في الجنّة الّتي تجري من تحتها الأنهار إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ أي في دار التّكليف مُحْسِنينَ يفعلون الطَّاعات و يجتنبون المعاصي و ينعمون على غيرهم بضروب الإحسان ثمّ عدُّ اللّه تعالى من إحسانهم أنّهم:

كِانُوا قَليلًا مِنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ، وَ فَيَ أَمْواٰلِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَ ٱلْمَحْرُوم

ذكر الله تعالى لهم من أنواع إحسانهم ثلاثة هي الأصول:

الأوّل: قوله كَانُوا قَليلًا مِنَ ٱللَّيْل مَا يَهْجَعُونَ أي أنّهم كانوا قليل النّوم فى الدُّنيا و الهجع النَّوم و أنَّما كانوا قليل النَّوم في اللَّيل لأجل العبادة و التَّهجد فيه فأنَّ صلاة اللَّيل من أفضل العبادات و قد روي أنَّ عزَّ المؤمن في قيامه باللَّيل و الصَّلاة فيه و قراءة القرأن و الدُّعاء.

الثَّاني: قوله وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ.

إن قلت أليست الآية الأولى مغنية عن التَّانية.

قلت لا، و ذلك أنّ الآية الأولى أشارت إلى مدح قلّة النّوم في اللّيل و الثّانية أشارت إلى الإستغفار بالأسحار و بعبارةٍ أخرى الإستغفار بـالأسحار ليس مـن لوازم قلّة النّوم باللّيل و قد ورد أنّ المؤمن قليل النّوم فهو مدحّ له.

و محصل الكلام أنّ قوله: كَانُوا قَليلًا مِنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ فيه مدح قلّة النُّوم باللَّيل بقولٍ مطلق، و في قوله: وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ مَدحٌ لهم لأجل الإستغفار بالأسحار و بينهما بونٌ بعيد.

الثَّالث: قوله وَ فيَ أَمْو اللهِمْ حَقٌّ لِلسُّآئِلِ وَ ٱلْمَحْرُوم يؤدُّونه إليهم سواء

كان من الواجبات كالزّكوة و الخمس و الصّدقات الواجبة، أم من المندوبات كمطلق الصّدقات و الخيرات و الجامع أنّهم لا يبخلون بالإنفاق و الإطعام بل ينفقون من أموالهم بقدر الإمكان و هذه الأمور المذكورة في الأيات من محاسن الصّفات و مكارم الأخلاق إذا حصلت مع شرائطها.

وَ فِي ٱلْأَرْضِ أَيَّاتٌ لِلْمُوقِنينَ

الأيات العلامات و المعنى في الأرض دلالات واضحات على التوحيد و أنّه لا شريك له تعالى في الملك و هو الّذي يستّحق أن يكون معبوداً لا غيره للموقنين و هم الّذين يريدون الوصول إلى مقام اليقين في باب المعرفة و لا يقنعون بالظنّ لأنّهم علموا أنّ الشك و الظنّ لا يغنيان من الحقّ شيئاً و لا سيّما في باب الإعتقادات الّتي لا يجوز التّقليد فيها، و لنعم ما قيل:

تدلّ على أنّه واحدُ

وفي كـلّ شـئي له أيـةُ

و قال الأخر:

إلى أثرار ما صنع المليك بأنّاللّهم ليس له شريكُ

تفَّكر في نبات الأرض و أنظر ففي رأس الزَّبرجد شاهداتُ

وَ فَيَ أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ

قال بعض المفسّرين معناه و في أنفسكم أفلا تتفكّرون بأن تروها مصرفة من حالٍ إلى حالٍ و منتقلة من صفةٍ إلى أخرى فكنتم نطفاً فصرتم أحياء ثمّ كنتم أطفالاً فصرتم شباباً ثمّ صرتم كهولاً و كنتم ضعفاء فصرتم أقوياء فهلا دلّكم ذلك على أنّ لها صانعاً صنعها و مدبّراً دبّرها يصرفها على ما تقتضيه الحكمة و يدبّرها بحسب ما توجبه المصلحة، المعنى، أفلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنّه يرى الحقّ بعينه إنتهى ما ذكره في التّبيان.

ان فی تفسیر القرآن کی کم المجلد السادس و قال الزّمخشري في الكشّاف و في أَنْفُسِكُم في حال إبتدائها و تنقلها من حالٍ إلى حالٍ و في بواطنها و ظواهرها من عجائب الفطر و بدائع ما تتحيّر فيه الأذهان و حسبك بالقلوب و ما ركز فيها من العقول و خصّت به من أصناف المعاني و بالألسن و النّطق و مخارج الحروف و ما في تركيبها و ترتيبها و لطائفها من الأيات السّاطعة و البيّنات القاطعة على حكمة المدبّر دع الأسماع و الأبصار و الأطراف و سائر الجوارح و تأثّيها لما خلقت له و ما سوّى في الأعضاء من المفاصل للإعطاف إلى أخر ما قال إنتهي.

و قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية وَ فَيَ أَنْفُسِكُمْ أي في حياتكم و موتكم و فيها يدخل و يخرج من طعامكم.

و نقل عن الحسن أنّه قال و فى الهرم بعد الشّباب و الضَّعف بعد القوة و الشَّيب بعد السّواد، و قيل المعنى و فى خلقكم أنفسكم من نطفة و علقة و مضغة و لحم و عظم إلى نفخ الرُّوح و فى إختلاف الألسنة و الألوان و الصُّور إلى غير ذلك من الأيات الباطنة و الظّاهرة ثمّ نقل كلام الزّمخشري و حسبك بالقلوب إلى أخر ما قال إنتهى.

و قال الرّازي في تفسيره و في أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ إشارة إلى دليل الأنفس و هو قوله تعالى: سَنُربِهِمْ أَيَاتِنا فِي الْافاقِ وَ فَيَ أَنْفُسِهِمْ () و أنّما إختار من دلائل الأفاق ما في الأرض لظهورها فأنّ أطرافها و أكنافها لا يمكن عدً أصنافها، فدليل الأنفس في قوله: و في أَنْفُسِكُمْ عامٌ و يحتمل أن يكون مع المؤمنين و أنّما أتى بصيغة الخطاب لأنّها أظهر لكون الإنسان علمه بما في نفسه أتم، و قوله تعالى: و في أَنْفُسِكُمْ يحتمل أن يكون المراد و فيكم، يقال الحجارة في نفسها صلبة و لا يراد بها النفس الّتي هي منبع الحياة و الحسّ و الحركات و يحتمل أن يكون المراد في نفوسكم الّتي بها حياتكم أيات و قوله أفكل تُبْصِرُونَ بالإستفهام إشارة إلى ظهورها إنتهى.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

أقول أنّما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية لتعلم أنّهم إمّا أن لم يتدبّروا في كلام الله حقّ التدبّر أم على قلوبٍ أقفالها و ذلك لأنّهم حملوا النَّفس في الآية على الذّات أعني به الهيكل و الجسد الّذي يقال له هذا إنسانٌ أو زيدٌ أو عمروٌ و بالجملة ما يشار إليه في الخارج و لذلك قالوا، فكنتم نطفاً فصرتم أحياءً ثمّ كنتم أطفالاً فصرتم شبّاناً و هكذا، و نحن لا ننكر أنّ ما ذكروه يدلّ على وجود الخالق الخالق البصير المدّبر، إلاّ أنّ البحث ليس في مطلق ما يدلّ على وجود الخالق بل البحث في كون الأنفس كذلك و بعبارة أخرى كلامنا في معنى الأنفس و كفيّة دلالتها على وجود خالقها و أنّه ما المراد بالأنفس في قوله تعالى: و في كفيّة دلالتها على وجود خالقها و أنّه ما المراد بالأنفس في قوله تعالى: و في أنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ فنقول مستعيناً باللّه و متوكّلاً عليه لا شكّ أنّ الأنفس في قوله: و في أَنْفُس تارةً يراد بها الرُّوح و تارةً يراد بها الذّات.

فَمن الأوّل:

قال الله تعالى: أُخْرجوا أَنْفُسِكُمْ أَي أَرواحكم من أبدانكم. قال الله تعالى: وَ آغْلَمُوۤا أَنَّ ٱلله يَعْلَمُ مَا فِيۤ أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ.

من الثّاني:

قال الله تعالى: تَعْلَمُ مَا فَي نَفْسِي وَ لَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ $^{(1)}$. قال الله تعالى: وَ يُحَذِّرُكُمُ اَللهُ نَفْسَهُ $^{(7)}$.

فنفسه ذاته إذا عرفت هذا فقوله تعالى: وَ فَيَ أَنْفُسِكُمْ مَن قبيل الأوّل و المعنى في أرواحكم دون الثّاني، و ذلك لأنّ الإنسان مركّبٌ من الرُّوح و الجسد و هو الذّي يعبّر عنه بالبدن.

و الجسد و أن كان فيه دلالة على الخالق الحكيم حيث جعل فيه من الأعضاء و الجوارح ما لا يحيط بأسراره و لطائفه إلا خالقه الذي خلقه، إلا أنّ



دلالة الرُّوح أتم و أدق من دلالة الجسد و ما فيه من الأعضاء و ذلك لأنّ دلالة الجسد على المدّعي ليس إلاّ كدلالة سائر الموجودات من الحيوان و الجماد و النبّات فأنّ عجائب الخلقة فيه ليس أكثر من عجائب الخلقة في الحيوان و غيره من الموجودات الخارجيّة أن لم يكن بأقل منها ألا ترى أنّ الّله تعالى جعل في جسد الحيوان من اللّحم و العظم و الدَّم و الشّرايين و الأوردة من الأجزاء مثل ما جعله في بدن الإنسان و من القوى الحيوانيّة أيضاً كذلك و حاصل الكلام أنّ حال بدن الإنسان حال بدن الحيوان في أسرار الخلقة و الودائع المودّعة فيه، و هذا بخلاف الرُّوح و النّفس فيه فأنّ مظهريّة الرُّوح نظالةها أتّم و أكمل و أعظم من جميع الموجودات الخارجيّة و لأجل هذا نسبها الله تعالى إلى نفسه تشريفاً و تعظيماً فقال: و نقَفْتُ فيه مِنْ رُوحي.

و من المعلوم أنّ اللّه تبارك و تعالى لا روح له و أنّما قال ذلك من جهة التّشريف و الكرامة و ليس هذا إلاّ من جهة أنّ الرّوح أشرف و أكرم من كلّ مخلوق خلقه اللّه لأنّه تعالى أودع فيها ما لم يودع في غيرها و لذلك يقال أنّ الإنسان أشرف المخلوقات و هى الّتي يعبّر عنها بتاج الكرامة في قوله تعالى: و لَقَدْ كَرَّمْنا بَنَى أَدَمَ و محصل الكلام أنّ شرف الإنسان بروحه لا بجسده و بدنه بل الإنسان في الحقيقة ليس إلاّ الرّوح و النّفس النّاطقة أو ما شئت فسمة كما ثبت ذلك بالأدلّة العقليّة و النقليّة و لأجل ذلك صار الإنسان مسجوداً للملائكة في قوله تعالى: وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلْآئِكَةِ اَسْجُدُوا لِانَمْ (١) فليس في عالم الوجود أية و علامة لمعرفة الخالق أكبر و أعظم من الرّوح و إلى هذا المعنى أشار على من الرّوح و إلى هذا المعنى أشار على مانسب إليه:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

الموجلة الس

دوائك فيك و لا تبصر و داءك منك و لا تشعر و أنت الكتاب المبيبن الذي بأحرفه يظهر المضمر أنك جرمُ صغيرُ و فيك إنطوى العالم الأكبر

و إليه الإشارة في قوله تعالى: سَنُريهِمْ أَيَاتِنا فِي الْأَفَاقِ وَ فَيَ أَنْفُسِهِمْ حَتّىٰ يَتَبَيّنَ لَهُمْ أَنّهُ الْحَقُّ(1) وليس تقديم الأفاق في الآية لأجل أنّ الأيات الأفاقية أدلّ على معرفة الله من الأيات الأنفسيّة بل الوجه في تقديمها عليها أنّ الأيات الأفاقية تفصيل مرتبة الإنسان في الوجود العيني و أيضاً رؤية الأيات مفصّلاً في العالم الكبير لأهل الظّاهر و المحجوب عن رؤية الحقّ أهون و أسهل من رؤيتها في نفسه لأنّها من المحسوسات و المحسوس مقدّمٌ على المعقول و أمّا عند العارف النّاظر إلى حقيقة الأشياء و باطنها فالأمر بالعكس لأنّه يرى المؤثّر في أثره و حيث إنجَّر الكلام إلى هذا المقام فلا بأس بالإشارة إلى شطرٍ ممّا لابدّ من ذكره توضيحاً للبحث فنقول:

و أيضاً قد ثبت عقلاً و نقلاً أنّ اللّه تعالى لا مكان له و مع ذلك هو موجودٌ في كلّ مكان، إمّا أنّه لا مكان له فلكونه منزّهاً عن الجسم و الجسمانيّة و أمّا أنّه في كلّ مكان فلاتّه خالق لجميع الأشياء و منها الأمكنة و قد ثبت عقلاً أنّ العلّة محيطة بالمعلول بل هو رشحٌ من رشحات العلّة و فيضٌ من فيوضاته قال تعالى: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَربِدِ (١) و قد جعل اللّه النّفس أيضاً كذلك فهي في البدن و لا مكان له بحسب الإشارة و بعبارة أخرى هي داخلة في البدن لا كدخول شيّ في شيّ و خارجة عنه لا كخروج شيّ عن شيّ فهي مع جميع الأعضاء و الجوارح و مع ذلك خارجة عنها أي ليست من سنخها.

و أيضاً لا شك أنّ بقاء الموجودات و حياتها ببقاء الله و حياته لأنّ المخلوق كما يحتاج في وجوده إلى الموجد و المؤثّر كذلك يحتاج في بقاءه إلى موجده و هذا أيضاً ثابت عقلاً، فأنظر كيف جعل الله حياة البدن و بقاءه بروحه و نفسه و الفرق بين المقامين، أنّ الله تعالى علّة الإيجاد و علّة البقاء، و أمّا النّفس فهي علّة البقاء فقط بجعل خالقه لا من قبل نفسه و بعبارة أخرى بقاء عالم الكبير ببقاء الله و بقاء عالم الصّغير ببقاء النّفس بأمرٍ من الله.

و أيضاً، أنّ اللّه تعالى لا يرى بالأبصار لأنّه منّزة عن الموضع، و الجهة و الحيّز و غيرها ممّا هو من شئون الجسم، و قد جعل اللّه الرُّنوح أيضاً كذلك فأنّها لا يرى بالبصر لتَّجردها و تنَّزهها عمّا لا يليق بها و هذا دليل على بطلان قول من قال كلّ موجود لابد من أن يرى فما لا يرى ليس بموجود ثمّ حكم بأنّ اللّه ليس بموجود لأنّه لا يرى، إذ يقال للمتدلّ أنت لا تشكّ في وجود نفسك في بدنك فلم لا تراها، و مراتب دلائل النَّفس على وجود خالقها كثيرة و بالتَّدبر و التَّعمق فيها ترتفع الشُّبهات و هذا معنى قوله تعالى: و فَي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تَبْصِرُونَ و هذا القدر في الإستدلال بالآية الشريفة على إثبات المدّعى يكفى لمن كان له قلبٌ و اللّه أعلم.

وَ فِي ٱلسَّمٰآءِ رِزْقُكُمْ وَ مَا تُوعَدُونَ

إختلف المفسّرون في معنى الآية على أقوالٍ:

فقال بعضهم معناه ينزل الله إليكم بأن يرسل إليكم الغيث و المطر فيخرج به من الأرض أنواع ما تنتفعون به من الملبوس و المأكول، و المشروب ذلك وَ ما تُوعَدُونَ من العذاب ينزله الله عليكم إذا استحققتموه و قيل المراد بالسّماء المطر و المعنى و في المطر رزقكم لأنّه سبب كلّ خيرٍ و هو من الرّزق الذِّي قسَّمه اللَّه و كتبه للعبد في السّماء.

و قال مجاهد وَ مَا تُوعَدُونَ من خيرِ أو شُرِ، و قيل المراد به الجنَّة لأنَّها في السّماء الرّابعة و قال إبن كيسان يعني و على ربّ السّماء رزقكم، و قيل أي عند الله في السّماء رزقكم، و قيل معناه و في السّماء تقدير رزقكم و ما فيه لكم مكتوبٌ في أمّ الكتاب و هو اللّوح المحفوظ و الأقوال و الإحتمالات كثيرة و أحسن الأقوال أنّ المراد و تقدير الرِّزق في السّماء و هكذا ما تـوعدون مـن الثَّواب و العقاب يوم القيامة كلّ ذلك مكتوب في أمّ الكتاب و اللّه أعلم.

فَوَرَبِّ ٱلسَّمٰآءِ وَ ٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَاۤ أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ

الواو للقسم أقسم الله في هذه الآية بربّ السّماء و الأرض إِنَّهُ أي أنّ ما ذكره من الرّزق و الوعد أو جميع ما ذكره في الأيات السّابقة لَحَقٌّ لا سبيل للبطلان إليه، أو أنّه ثابتٌ لا يتَّغير أن أنّه مطابق للواقع فهو صدقٌ محض لا كذب فيه بزء ٢٤ ﴾ مِثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ بألسنتكم فكما لا تشكّون فيما تنطقون فكذلك لا تشكُّوا في صدق ما وعدتكم به و حصوله، و قيل مرجع الضَّمير في (إنَّه) البعث و ما يتبعه من الثّواب و العقاب و الحساب و المعنى أنّ البعث حقٌّ لا شكّ فيه، أو لا تشّكوا فيه كما لا تشّكون فيما تنطقون، و الحقّ ما ذكرناه إذ لا دليل على إختصاص الضّمير بالبعث فقط مع أنّ ما ذكرناه يشمله أيضاً وكيف كان فالأمر سهل بعد وضوح المعنى.

و من المعلوم أنّ الأخذ بالعموم أولى، و أنّما خصَّ النُّطق من بين سائر الحواسّ لأنّ ما سواه من الحواسّ يدخله التَّشبيه كالذّي يرى في المرآة و إستحالة الذَّوق عند غلبة الصّفراء و الدَّوي و الطَّنين في الأذن، و هكذا، و النُّطق سالم من ذلك و لا يعترض بالصَّدى لأنّه لا يكون إلا بعد حصول الكلام من النّاطق غير مشوب بما يشكل به قاله بعض المفسّرين.

و قال بعضهم كما أنّ كلّ إنسانٍ ينطق بنفسه و لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كلّ إنسانٍ يأكل رزقه و لا يمكنه أن يأكل رزق غيره.

أقول ما ذكروه لا بأس به إلا أنّه من الإستخراجات الظنيّة الّتي لا إعتبار لها فلا يصحّ حمل كلام اللّه عليه و الّذي يختلج بالبال في وجه تخصيص النُّطق بالذّكر من بين سائر الحواس و الصّفات هو أنّ النُّطق للإنسان ليس من قبيل الأكل و الشُّرب و المشي و غيرها فأنّ هذه الصّفات موجودة في الحيوان أيضاً و ليست من قبيل اللّوازم التّي لا تنفّك عن الإنسان و هذا بخلاف النُّطق لأنّه فصل يميّزه عن أنواع جنسه الّذي هو الحيوانيّة و لذلك يقال في تصريف الإنسان أنّه حيوان ناطق فالإنسان مع قطع النَّظر، عن النُطق هو حيوان و إذا كان كذلك فهو لا ينّفك عن النُطق أبداً إذا عرفت هذا فنقول:

وعد الله و وعيده حقّ له تعالى كما أنّ النّطق حقّ للإنسان فكما أنّ الإنسان لا يخلو عن الحقّ يتّصف لا يخلو عن النّطق أعني به النفس الناطقة كذلك الله لا يخلو عن الحقّ يتّصف بالباطل فكأنّ الحقّ من لوازم ذاته بحيث لا يمكن إنفكاكه عن الذّات كما أنّ النّطق كذلك بالنّسبة إلى الإنسان، وكما أنّ الموجود الّذي ليس له النّطق ليس بإنسان كذلك الموجود الذّي لا يقول حقّاً ليس خالقاً و معبوداً بل هو كسائر الخلق هذا ما خطر ببالي في وجه الشّبه و لا أقول أنّه المراد من كلام الله و الله أعلم بما قال و أراد من كلامه.

هَلْ أَتيٰكَ حَديثُ ضَيْفِ إِبْراهيمَ ٱلْمُكْرَمينَ

الخطاب للنّبي يقول اللّه تعالى لنبيّه، هل أتاك، يا محمّد حَديثُ ضَيْفِ إِبْراْهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ أي المكرمين عند الله لكونهم من الملاتكة المقرّبين، أو عند إبراهيم لأنّه أكرمهم و أعظمهم بالإحسان.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ

يعني إذ دخلوا على إبراهيم فقالوا له سلاماً، على وجه التحيّة له أي أسلم سلاماً قال إبراهيم في الجواب سَلامًا ثمّ قال إبراهيم قَوْمٌ مُنْكَرُونَ و أنّما قال ذلك لأنّه لم يكن يعرف مثلهم في أضيافه قيل و سمّاهم الله أضيافاً لأنّهم جاؤه في صفة الأضياف بصورة البشر، و قيل أنّه رأهم على غير صورة البشر و لذلك قال أنتم قومٌ منكرون أي غرباء لا نعرفكم قيل كان جبرئيل و معه تسعة، و قيل كانوا ثلاثة، جبرئيل و ميكائيل و معهما ملك أخر.

فَراْغَ إِلٰى أَهْلِه

أي عدل إلى أهله و قيل أي ذهب إلى أهله خفيًا فالرَّوغ الذَّهاب في خفي فَجْآءَ بِعِجْلِ سَمين العِجل بكسر العَين واحد البقر الصّغير، و السَّمين بفتح السّين الكثير الشَّحم على اللّحم و نقيض السّمن الهزال.

مِنْ ٢٤ كُلُونَ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ

أي أنّ إبراهيم بعد ذبحه العجل شوّاه لهم ثمّ قرَّبه أي أدناه لهم و قدَّمه بين أيديهم فلمّا رأهم لا يأكلون منه قال لهم أَلا تَأْكُلُونَ من هذا الطّعام فلمّا رأهم إمتنعوا من الأكل خاف منهم كما قال تعالى:

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خَيِفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَليمٍ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



الإيجاس الإحساس بالشّئ خفيّاً، و منه قوله تعالى في قصّة موسى عليّاً فَالْوَجَسَ في نَفْسِهِ خيفةً مُوسَى الله أوجس إبراهيم منهم و ظنّ أنّهم يريدون به سوء، قالوا له.

«لا تخف ياابراهيم و بشَّروه عند ذلك بغلام عليم» و هو إسحاق نبّي اللّه بعد أبيه فأنّه كان عالماً بعد كبره و بلوغه و أمّه سارة و هذه القصّة لسارة لا لهاجر أمّ إسماعيل فقول مجاهد أنّ المبشر هو إسماعيل لا يصحّ، فلمّا سمعت البشارة إمرأته سارة.

فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فَي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَ قَالَتْ عَجُوزٌ عَقيمٌ

الصرّة بفتح الصّاد الصَّيحة و الضَّجة و منه أخذ صرير الباب و هو صوته، و قيل، أقبلت في صرَّةٍ، أي في جماعةٍ من النّساء تسمع كلام الملائكة، و قيل في صَرَّةٍ أي في شدّةٍ وكربٍ.

أقول قال الجوهري الصرّة الصيّحة و الضجّة، و الصرّة الجماعة، و الصرّة الشدّة من كرب و غيره و على هذا فالكلّ محتمل، قال إمرؤ القيس:

فألحقه بالهاديات و دونه جواهرها في صرَّةٍ لم تزيّل و قوله: فَصَكَّتْ وَجُهها قيل معناه لطمت وجهها و قيل ضربت وجهها تعجّباً و قالت عَجُوزٌ عَقيمٌ و التقدير أنا عجوزٌ عقيمٌ، و العقيم الممتنعة من الولادة لكبر أو أفةٍ و قال الحسن العقيم العاقر و أصل العقم الشدّة.

قَالُواكَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ

أي قالت الملائكة كذلك قال ربّك، أي لا نتكلّم من عند أنفسنا بل نتكلّم عن الله أنّه قال كذلك و لا شك أنّه تعالى عليم بالخفايا لا يخفى عليه شئ، حكيمٌ في أفعاله على ما تقتضيه المصلحة.

هذا تمام الكلام في تفسير الجزء السّادس و العشرين و يتلوه الجزء السّابع و العشرون و الحمدللّه ربّ العالمين و صلى اللّه على محمّد و أله الطاهرين.

ضياء الفرقان في تفسير



الجزء السابع و العشرون

حِجارَةً مِنْ طَينِ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٢) فَأَخْرَجْنا مَنْ كَانَ فيها مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتِ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣۶)وَ تَرَكْنَا فِيهَآ أَيَّةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَاٰبَ ٱلْأَلْيِمَ (٣٧) وَ فَى مُوسٰيَ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانِ مُبينِ (٣٨) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَ قَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمَّ وَ هُوَ مُليمٌ (٤٠) وَ في عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقيمَ (٢١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّميم (٢٢) وَ في ثَمُودَ إِذْ قيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتّىٰ حين (٢٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَ تُهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (٢٤) فَمَا ٱسْتَطَاعُوا مِنْ قِيام وَ مُا كُانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٥) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٤۶) وَ ٱلسَّمَا ءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدِ وَ إِنَّا لَــمُوسِعُونَ (٤٧) وَ ٱلْأَرْضَ فَـرَشْنَاهَا فَـنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ (٤٨) وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْن

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوٓا إِنَّا

أَرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ

تياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴾ } المجلد السادس عثد

مِنْهُ نَذیرٌ مُبینُ (۵۰) و لا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللّهِ إِلٰهَا اَخَرَ إِنّی لَکُمْ مِنْهُ نَذیرٌ مُبینُ (۵۱) کَذٰلِكَ مَا أَتَی اَلّذینَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولِ إِلّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونُ (۵۲) أَتُواصَوْا بِه بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ مَجْنُونُ (۵۲) أَتُواصَوْا بِه بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (۵۳) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (۵۴) وَ ذَكِرْ فَإِنَّ اللّذِكْرٰی تَنْفَعُ ٱلْمُؤْمِنِینَ (۵۵) وَ مَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَ اللّهِمْ مِنْ اللّهَ مُونِ وَمَا أَرْبِدُ مِنْهُمْ مِنْ رَرْقِ وَ مَا أَرْبِدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (۵۷) إِنَّ ٱللّهَ هُو رَرْقِ وَ مَا أَرْبِدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (۵۷) إِنَّ ٱللّهَ هُو رَرْقِ وَ مَا أَرْبِدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (۵۷) إِنَّ ٱللّهَ هُو رَرْقِ وَ مَا أَرْبِدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (۵۷) فَإِنَّ لِلّذَينَ ظَلَمُوا رَرْقِ وَ مَا أَرْبِدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (۵۷) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ (۵۹) فَوَيْلُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي وَكُونَ وَمُهُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي وَعَدُونَ (۶۰)

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوۤا إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ

◄ اللّغة

خَطْبُكُمْ: الخطب بفتح الخاء و سكون الباء الأمر الجليل. مُسَوَّ مَةً: أي معلّمةً، و قيل مخطّطةً و السّيماء و السّيمياء العلامة. فَتَوَلِّيْ: التولّي الإعراض.

بِرُ كُنِه: أي بقوّته و قدرته فالرُّكن القوّة.

فَنَبَذْنْ اهُمْ: النَّبذ الطَّرح.

فِي ٱلْيَمِّ: اليمّ بفتح الياء و تشديد الميم البحر. مُلهِمٌ: الّذي أتى بما يلام عليه و الملوم الّذي وقع به اللّوم.



ٱلْعَقيِمَ: أصل العقم اليبس المانع من قبول الأثر يقال عقمت مفاصله وداء عقام لا يقبل البرء و العقيم من النّساء الّتي لا تلد.

ما تَذَرُ: أي ما ترك يقال ذره أي أتركه.

الرَّميم: الهشيم يقال للنَّبت إذا يبس و تفتَّت، رميمٌ و هشيمٌ.

فَعَتُو الله العتو الإمتناع عن الحقّ.

ٱلصُّ اعِقَةً: الموت و الباقي واضح.

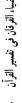
◄ الأعراب

وَ في مُوسٰى أي و تركنا في موسى آية و إِذْ ظرف لأية أو نعتٌ لها و بِشُلْطَانَ حال من موسى أو من ضميره و بِرُ كُنِه حال من ضمير فرعون و قُوْمَ نُوح بالجرّ عطفاً على ثمود و بالنَّصب على تقديره و أهـلكنا، و بـالرّفع عـلى الإبتَّداء، و الخبر ما بعده وَ ٱلسَّمٰآءَ منصوبة بفعل محذوفٍ أي و رفعنا السّماء و الأرض، مثله و بِأَيْيدٍ حال من الفعل وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ متعلَّق، بخلقنا، أن يكون نعتاً زَوْجَيْن قدّم فصار حالاً ٱلْمَتينُ بالرّفع على النَّعت للَّه سبحانه أو خبر مبتدأ محذوف أي هو المتين.

التّفسير

قَالَ فَما خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ

لمّا ذبح إبراهيم العجل و شوّى من لحمه للضُّيوف و قرَّبه اليهم ليأكلوه و امتنعوا من الأكل و بشُّروه بغلامِ عليم، علم أنَّهم رسل ربَّه و ليسوا من جنس البشر و لا أضياف قال لهم فما خطبكُم أيّها المرسلون من عند اللّه أي ما شأنكم و الخطب هو الأمر الجليل فكأنّه قال قد بعثتم لأمرٍ جليلٍ فما هـو فأجابوه و قالوا:



قَالُوٓ ا إِنَّا أُرْسِلْنَاۤ إِلٰى قَوْمِ مُجْرِمينَ

أي أرسلنا الله تعالى الى قوم عاصين الذين إستحقوا العقاب و الهلاك لتمرِّدهم و عصيانهم وتكذيبهم النَّبي و إعراضهم عن الحقّ.

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طينٍ

اي لنرجمهم بها و نهلكهم ثمّ وصفوا الأحجار بقولهم:

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفينَ

أي معلَّمةً، و قيل مخطَّطةً بسوادٍ و بياضٍ، و قيل بسوادٍ و حمرة، معروفة بأنها حجارة العذاب و المقصود أنها لم تكن مثل سائر الأحجار بل لها علائم العذاب و العقاب و قيل على كلّ حجرٍ إسم من يهلك به و قد مضى الكلام فيها في سورة هود فجعلت الحجارة تتبع مسافريهم فلم يفلت منهم مخبر و قوله: عند كلّ من يبلك لِلْمُسْرِفينَ معناه أنها كانت مسوَّمة عند الله و قد أعدَّها لرجم من قضى برجمه و قيل كانت مطبوخة طبخ الآجر و هو معنى قوله: حِجارةً مِنْ سيجيلٍ و في قوله: لِلْمُسْرِفينَ إشارة الى أنهم كانوا كثير المعاصي فأن الإسراف التجاوز عن حدّ الإعتدال فالمسرف المكثر من المعاصي و هو صفة ذم ً لأنه خروج عن الحق.

فَأَخْرَجْنا مَنْ كَانَ فيها مِنَ ٱلْمُؤْمِنينَ

و الضّمير في قوله: فيها راجع على القرية أي قرية قوم لوط و ذلك لأنّ الملائكة أمروا بالمصير الى قوم لوط لإهلاكهم فلما وصلوا اليها و أرادوا إهلاكهم بأمرٍ من الله تعالى أخرجوا من كان في القرية من المؤمنين و هم لوط النّبي و من تبعه حقاً و آمن به فخلّصوهم من العذاب.

فَمَا وَجَدْنَا فَيِهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ

ضياء الفرقان في تفسير القرآز



أي فما وجدنا في القرية إلا بيت لوط و من تبعه من المسلمين و المراد بالمسلمين الذين أطاعوا الله و آمنوا به و إنقادوا لإوامره و نواهيه و هذا هو الايمان بعينه.

وَ تَرَكْنَا فِيهَا أَيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلْبِمَ

الترك في الأصل ضدّ الفعل و المعنى أبقينا فيها، أي في القرية، آية و علامة لللّذين يَخافُونَ ٱلْعَدْاٰبِ ٱلْأَلِيمَ أي أبقينا آية للناظرين فيها ليعتبروا بها و أمّا الّذين لا يعتبرون بها و لا يخافون عذاب اللّه فحكمهم حكم قوم لوط فأن حكم الأمثال واحد، روي أنّ جبرئيل أخذ كفّاً من ترابٍ و ضرب به وجوه أهل المدينة فعميت عيونهم كلّهم فلمّا إنتصف اللّيل سار لوط ببناته و لم يرهم أحد من القوم و لم يعلم بهم إلا إمرأته و لمّا حان الفجر نزل جبرئيل بأمر ربّه و ضرب بجناحه الأيمن ما حوى شرقيّها و بجناحه الأيسر على ما حوى غربيّها فاقتلعها من الأرض و عرج بها حاملاً لها بين جناحيه و رفعها في الجوّ ثمّ قلّبها فجعل عاليها سافلها و أمطر اللّه عليهم من حجارة سجّيل و هلك القوم عن أخرهم أجمعين و هذا هو الآية الّتي أبقاها للذّين يخافون العذاب الأليم، و أنّما إكتفينا بتفسير ألفاظ الآية و لم نذكر قصّة قوم لوط تفصيلاً لما مرّ ذكرها في سورة هود مفصّلاً و هكذا الأيات الّتي تتّلوها كما قال تعالى:

وَ فَي مُوسٰى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبينٍ

فالسُّلطان، الحجّة و البرهان و هي العصا و اليد البيضاء و غيرهما من الأيات التي مرَّ ذكرها غير مرَّق، أرسله الله الى فرعون ليرشده، و يهديه الى طريق الحقّ فلم يقبل فرعون و أعرض عن الحقّ كما قال تعالى:

فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَ قَالَ سَاحِرُ أَوْ مَجْنُونٌ

أي أعرض فرعون عن الحقّ بتمام قوّته و قدرته و جنوده و قال أنّ موسى ساحرٌ أو مجنونٌ.

فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمّ وَ هُوَ مُليِمٌ

أي فأخذنا فرعون و جنوده أخذ عزيزِ مقتدرِ فطرحناهم و ألقيناهم في البحر كما يلقي الشّي في البرّ و هو مليمٌ، أي آتٍ بما يـلام عـليه مـن الكفر و الجحود و التجبُّر و التكبُّر، و الملوم الّذي وقع به اللُّوم و المليم الّذي أتى بما يلام عليه و فرعون كان كذلك لأنّه إدّعي الربوبيّة و الألوهيّة و بـذلك إسـتحقّ اللُّوم أين التُّراب و ربّ الأرباب. ثمّ أشار اللّه تعالى الى قصّة عاد فقال:

وَ فَى عَادِ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقيمَ

و هم قوم هود النّبي و قد مرَّ قصتّهم في سورة الأحقاف مفصّلاً و قلنا أنّـه بعث بعد نوح النّبي و أنّ قومه كذّبوه و لم يؤمنوا به، و بذلك إستحقّوا العقاب و العذاب في الدُّنيا و الأخرة فلمّا حان اليوم الموعود من اللّه تعالى لإنزال العذاب عليهم أذن الله سبحانه بإنطلاق الرَّيح العقيم الَّتي هي تحت الأرض و لمًا أذن الله لها بالخروج أوحى الى هود بذلك و أمره و من آمن بـه بـالإعتزال عن المشركين و الخروج عن بلادهم فأعتزل هود و من معه كما أمرهم ربّهم و لمّا أحسَّ قوم هود بالرّيح و كان قد وعدهم هود بها أقبلوا عليه يـقولون له يـا مزء٧٧ مود أتخوّفنا بالرّيح ثمّ جمعوا ذراريهم و أموالهم و أهاليهم في شعب من تلك الشُّعابِ الَّتِي فيها القصور الشَّاهقة و أقاموا على أبوابـها يـردُّون الرّيح عـنها و عمًا فيها فأشتدّت الرّياح حتّى قلعتهم عن الأرض و هبَّت بهم تحملهم إلى اللُّجوء إلى تلك القصور ثمَّ أزدادت الرّياح عليهم حتَّى طحنت تلك القصور و الحصون و الأشجار و الزُّروع و صارت كلّها رمـلاً دقيقاً تسفيها أقَّل ريح و عصفت بها سبع ليالٍ و ثمانية أيّام حسوماً:

قال اللّه تعالى: وَ أَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِربِحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ تَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فَيِهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ، فَهَلْ تَرى لَهُمْ مِنْ باقِيَةٍ (١).

و إلى ما ذكرناه أشار اللّه تعالى بقوله:

مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّميم

أي ما ترك الرّيح العقيم شيئاً من القصور و الأموال الّتي عصفت عليها إلاّ جعلته كالرّميم، و هو العظم البالي المنسحق:

كأنّ لم يكن بين الحجون إلى الصّفا

أنــــيسُ و لم يســـمر بـــمكّة ســـامرُ ثمّ أشار اللّه تعالى إلى قصَّة قوم ثمود وكان بينهم صالحٌ عليُّلاِ.

وَ فَي ثَمُودَ إِذْ قَيِلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حَيْنٍ

كان بنو ثمود بوادي القرى بين المدينة و الشَّام و قد أرسل الله تعالى إليهم صالحاً و هو إبن ستَّة عشرة سنة يدعوهم إلى التوّحيد و رفض الأصنام و كانوا في العدد كالذّر و الحصى و في الغنى و الثّروة و طول أعمارهم أكثر ما يكون و كانوا يبنون في السَّهول قصوراً عالية مزخرفة و ينحتون الجبال بيوتاً لأيّام شتائهم:

قال الله تعالى: وَ ٱذْكُرُوۤا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفۡآءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَ بَـوَّأَكُمْ فِى اللهِ تَتَّذِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَ تَنْحِثُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا (٢٠).

و قد ذكرنا قصّتهم هناك فلا نطيل الكلام بذكرها ثانياً و حاصل الكلام في المقام أنّهم عتوا عن أمر ربّهم و كذَّبوا نبيّهم الّذي أرسله اللّه إليهم و فعلوا ما فعلوا من القبائح و المعاصي حتّى عقروا النّاقة الّتي كانت من آيات اللّه على ما

مرَّ شرحه و بيانه فلَّما فعلوا ذلك إقتسموا لحمها و أكلوه و عند ذلك أوحي اللَّه تعالى إلى صالح أنّ قومك قد طغوا و بغوا و قتلوا النّاقة الّتي جعلها حجّة عليهم و لم يكن عليهم فيها ضررٌ بل كان لهم فيها أعظم النَّفع فقل لهم إنَّى ممهلهم ثلاثة أيّام فأن تابوا و رجعوا قبلت توبتهم و إن لم يتوبوا و لم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثّالث فأقبل صالح على قومه مغضباً و قال يا قوم ما دعاكم إلى ما فعلتم ثمّ قال لهم إنّي رسول ربّكم إليكم و هو يقول لكم أن أنتم تبتم و رجعتم و استغفرتم غفرت لكم و تبت عليكم و ألاّ بعثت عليكم عذابي في اليوم الثَّالث فلم يزدد القوم في جوابه إلاّ خبثاً و إنكاراً قال لهم صالح يا قوم أنَّكم تصبحون غداً و وجوهكم مصفرّة و في اليوم التألى محمرّة و في اليوم النَّالث مسودَّة و هذا معنى قوله تعالى: إِذْ قيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَـتَّىٰ حينِ و القائل صالح النّبي بوحي من اللّه إليه و قوله: حَتّىٰ حينِ معناه إنقضاء الأيّام الثّلاثة، و إليه الإشارة بقوله:

قال الله تعالى: فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا في دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيّٰام ذٰلِكَ وَعْدٌ

و لكن قوم صالح أصرّوا على إنكارهم و كفرهم و عصيانهم كما قال تعالى:

فَعَتَوْا عَنْ أَمْر رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ

فلمًا إنقضت المدّة المضروبة و هم عتوا عن أمر ربّهم أي إمتنعوا عن متابعة جزء ٢٧ الحقّ عناداً و إستكباراً فأخذتهم الصّاعقة أي أرسل اللّه إليهم الصّاعقة التّي أهلكتهم و أحرقتهم و هم يبصرونها و لكن لم يقدروا على دفعها و رفعها كما قال تعالى:

فَمَا ٱسْتَطَاعُوا مِنْ قِيام وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِرينَ



ضياء الفرقان في تفسير القرآن

أي أنهم لم يقدروا على القيام فضلاً عن دفع العذاب و لم يكن لهم معينٌ و لا ناصر، و ليس هذا من الظّالمين ببعيدٍ، ثمّ أشار اللّه تعالى إلى قوم نوح النّبي فقال:

وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقينَ

أنّما قال: مِنْ قَبْلُ لأنّه كان قبل هود و صالح و هو أوّل نبّي بعد جدّه إدريس و كان إسمه عبد الغفّار و سمّي نوحاً لكثرة نواحه و بكاءه مدّة خمس مائة سنة خوفاً من اللّه ثمّ تحسّره على ضلال أمّته و هو أوّل الأنبياء الخمسة أولي العزم المبعوثين إلى الجنّ و الإنس كافّة و هم أفضل الأنبياء و الأربعة بعد نوح، إبراهيم و موسى و عيسى و محمّد عليهم السّلام.

و المشهور أنّه عاش في الدّنيا (٢٥٠٠) سنة و قد مرَّت قصّته مفصّلاً فيما مضى أيضاً أهلك الله تعالى قومه بالطُّوفان لكفرهم و فسقهم كما مرَّ.

وَ ٱلسَّمٰآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ

الأيد القوّة و المعنى بنينا السّماء بقوّة و قدرة و قوله: وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ قال إبن عبّاس أي لقادرون، و قيل معناه أنّا لذو سعة بخلقها و خلق غيرها لا يضيق علينا شئ نريده.

و قيل معناه أنّا لموسعون الرّزق على خلقنا و قيل المراد التَّوسعة في الرّزق بالمطر و قال إبن زيد معناه أنّا لموسعون السّماء و الأقوال كثيرة متقاربة المعنى و الجامع بين جميع الأقوال أنّه لا يضيق علينا شيّ فلو أردنا خلق سماء أوسع و أعظم منها لخلقناها ففيه إشارة إلى أنّ اللّه قادرٌ على كلّ شيّ و أنّه ذو القوة المتين.

کے کہ کے العجلدالسادس عشر کے بیا

وَ ٱلْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ

الفرش البسط و المعنى كما أنّ السّماء بنيناها كذلك الأرض فرشناها و بسطناها كالفراش على الماء و مددناها فنعم الماهدون نحن لهم يقال مهدت الفراش مهداً بسطته و وطأته.

وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ أي صنفين و نوعين مختلفين، أي ذكراً و أنثى و حلواً و حامضاً و نحو ذلك قاله إبن زيد.

و قال مجاهد، الذّكر و الأنثى، و السّماء و الأرض و الشَّمس و القمر و النّسر و النّهار و النّور و الظّلام و السّهل و الجبل و الجنّ و الإنس، و الخير و الشّر و العلم و الجهل و كالأشياء المختلفة الألوان من الطّعوم و الأصوات أي جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا و من قدر فقد يقدر على الإعادة، و قيل قوله و من كلّ شيّ خلقنا زوجين، لتعلموا أنّ خالق الأزواج فرد لا مثل له و لا شبه له و لا نظير له فلا يقدّر في صفته حركة و لا سكون و لا ضياء و لا ظلام و لا قعود و لا قيام إبتداء و لا إنتهاء إذ هو عزّ وجلّ وترّ ليس كمثله شئ لَعَلَّكُمْ تَذَكّرُونَ أنْ خالق الأزواج لا زوج له، و يحتمل أن يكون المراد أنّ ما سوى اللّه زوج كائناً ما كان و الموجود الفرد الذي لا يوجد مثله و لا شبيهه هو اللّه تعالى و هو قريبٌ ممّا ذكرناه من حيث المعنى و إذا كان كذلك.

فَفِرُّوٓ اللَّهِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذيرٌ مُبينٌ

لمّا ذكر اللّه تعالى في الأيات السّابقة أنّ الأمم كذّبوا أنبيائهم و لم يؤمنوا بهم و لذلك أهلكهم اللّه بالصّاعقة و الطّوفان و الغرق و غيرها من أنواع العذاب أشار في هذه الآية إلى دواء هذا الدّاء أعني به داء الكفر و العصيان و التّمرد و الطّغيان و قال: فَفِرُ وَ اللّهِ الله الله الله الله الماء للتّفريع أي إذا كان كذلك فليس العلاج البقاء على الكفر و الإلحاد بل العلاج الفرار من المعاصي إلى الطّاعة و من الذّنب إلى التّوبة و من الباطل إلى الحقّ و من متابعة الشّيطان إلى متابعة

لياء الفرقان في تفسير القرآن

آن کی المجلد السادس :

الله بتصدّيق أنبيائه فلادواء لهذا الدّاء إلاّ هذا فالمعنى قل لهم يامحمّد توبوا إلى الله و بدّلوا الكفر بالإيمان إِنّى لَكُمْ مِنْهُ نَدْيِرٌ مُبِينٌ أي إنّي لكم، منه، أي من قبل الله، نذيرٌ، أي منذرٌ ظاهر أخوّفكم من عذاب الله في الدّنيا و الأخرة.

تنسه "

إعلم أنّ هذا الكلام أعني قوله تعالى: فَفِرُّوا إِلَى ٱللهِ من إعجاز الكلام و ذلك لأنّ العبد و ما في يده كان لمولاه فالإستعانة و الإستمداد من غير الله خارج عن وظائف العبوديّة مضافاً إلى أنّه لا ينفع له أي للعبد لأنّه التجأ بمن هو مثله في الضّعف و الفقر و ذلك لأنّ المخلوق كائناً ما كان محتاج إلى خالقه فقير في ذاته فالإلتجاء و الإستمداد من الخلق غير معقول فإذا فرضنا أنّ العبد ندم و تاب عمّا عليه لا ملجأ له إلاّ خالقه إذ لا يمكن لأحدِ الفرار من حكومته و لا يقدر أحد على قضاء حاجته إلاّ خالقه و مع ذلك و هو تعالى أرحم بعباده من الأمّ إلى ولدها الرّضيع و لنعم ما قيل بالفارسيّة:

دست حاجت چو بری پیش خداوندی بر

که کریم است و رحیم است و غفور است ودود

از ئــــرى تـــابه ئـــرّيا بــعبودّيت او

همه در ذكر مناجات و قيامند و قعود

ففي هذا الكلام إشارة إلى كمال شفقة الرَّب إلى عبده و أنَّ رحمته سبقت غضبه و أنّه يغفر الذَّنوب جميعاً.

وَ لَا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللَّهِ إِلْهًا أُخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذيرٌ مُبينٌ

هذه الآية في الحقيقة تفسير و توضيح للأية السّابقة كأنّه قيل كيف نفر إلى الله و ما معنى الفرار إلى الله أن لا تجعلوا مع الله إن الشرك بالله ينافي الإخلاص في التّوحيد و بعبارة أخرى معنى الفرار إلى الله هو الإخلاص في التّوحيد و الإعراض عمّا سواه فمن

جعل مع الله إلها أخر فلم يفُّر إلى الله واقعاً بل فرَّ إلى الكفر و الشُّرك، و لذلك قال: وَ لا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إلها أخَرَ وحيث أنَّ الشَّرك بالله من أعَظم الذّنوب قال إنّى لكم منه نذيرٌ مبين، و قد مرَّ معناه.

كَذَٰلِكَ مَا آَتَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ مَا كَذَٰلِكَ مَا كَذَٰلِكَ مَا كَذَٰلِكَ قومك و قالوا ساحرٌ أو ما، نافية، و في الآية تسلية للنّبي الله الله الله عمل و محنون كذلك من قبلهم و قالوا مثل قولهم فأنهم كذّبوا الأنبياء في كل عصرٍ و زمانٍ و نسبوهم إلى السّحر و الجنون فليس هذا أوّل قارورةٍ كسرت في الإسلام.

أَتَواٰصَوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ

أي أنّهم لم يقنعوا بتكذيبهم أنبيائهم في زمانهم بل أوصى أوَّلهم أخرهم بالتّكذيب و بعبارةٍ أخرى أوصى السَّلف أخلافهم بذلك فكأنّهم تواطئوا على تكذيب الأنبياء و البقاء على الكفر و على هذا فالهمزة في أَتُواصَوْ اللتَّعجب و التّوبيخ ثمّ إستدرك و قال: بَلْ هُمْ، أي الأمم السّالفة الذّين كذّبوا الأنبياء كانوا من أهل الطّغيان و العصيان، أي لم يوص بعضهم بعضاً بالكفر بل جميعهم على الطّغيان و الكفر ثمّ أمر اللّه نبيّه بالإعراض عنهم فقال:

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمٰآ أَنْتَ بِمَلُومٍ

أي أعرض عنهم و أصفح فمًا أنت بملومٍ عند اللّه لأنّك بـلّغت رسالتك و أدّيت ما عليك و ما على الرّسول إلاّ البلاغ.

وَ ذَكِّرْ فَاإِنَّ ٱلذِّكْرٰى تَنْفَعُ ٱلْمُؤْمِنينَ

قال بعضَ المفسّرين من العامّة أنّ قوله فتّول عنهم، نسخ بقوله: وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَى تَنْفَعُ ٱلْمُؤْمِنينَ. ضياء الفرقان في تفسير القرآن



أقول ما ذكره من النسخ لا دليل عليه بل لا وجه له فأنّ الأمر بالتَّولي باقٍ على حاله إلى يوم القيامة و ليس قابلاً للنسخ أصلاً و ذلك لأنّ العقل الّذي يحكم بالإعراض عن الكافر المعاند الّذي لا يقبل الحقّ و الشّرع أيضاً يحكم به فلاموضع للنسخ في الآية.

و أمّا الآية النّانية و هي التّي نبحث فيها الأمر تعلَّق بالتذكّر لأجل المؤمنين لا للكافرين لقوله تعالى: قَإِنَّ ٱلذِّكْرى تَنْفَعُ ٱلْمُؤْمِنينَ و أين هذا من ذاك نعم لو قال ذكّر فأنّ الذّكرى تنفع لهم أي للكفّار صحَّ ما ذكره من النّسخ و حاصل الكلام أنّ مورد الأمرين مختلفين و هو واضح و هكذا القول في ردّ من قال أنّها نسخت بآية السّف.

وَ مَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَ ٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

الأصل ليعبدُوني حذفت الياء و بقيت الكسرة للدّلالة على حذف الياء و هذا ممّا لا خلاف فيه ثمّ أنّ اللاّم في، ليعبدون، قيل أنّها لام الغرض، و قيل لام العاقبة، و قيل لام التّعليل.

قال الشّيخ في التّبيان أنّها لام الغرض و لا يجوز أن يكون لام العاقبة لحصول العلم بأنّ كثيراً من الخلق لا يعبدون اللّه و في الآية دلالة على بطلان مذهب الجبّرية القائلين بأنّ اللّه خلق كثيراً من خلقه للكفر به و الضّلال من دينه و خلقهم ليعاقبهم بالنّيران إنتهى.

و قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية ما لفظه قيل أنّ هذا خاصّ فيمن سبق في علم الله أنّه يعبده فجاء بلفظ العموم و معناه الخصوص و المعنى خلقت أهل السّعادة من الجنّ و الإنس إلاّ ليوحدون.

و قال القشيري و الآية دخلها التّخصيص على القطع لأنّ المجانين و الصّبيان ما أمروا بالعبادة حتّى يقال أراد منهم العبادة و قد قال اللّه تعالى: و لَقَدْ

ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثْيِرًا مِنَ ٱلْجِنِّ وَ ٱلْإِنْسِ(١).

و من خلق لجهنّم لا يكون ممّن خلق للعبادة فالآية محمولة على المؤمنين منهم و ساق الكلام، إلى أن قال فأن قيل كيف كفروا و قد خلقهم للإقرار بربوبيّته و التّذلل لأمره و مشيئته، و قيل قد تذلّلوا لقضاءه عليهم لأنّ قضاءه جارٍ عليهم لا يقدرون على الإمتناع منه و أنّما خالفهم من كفر في العمل بما أمره به فأمّا التذلّل لقضاءه فأنّه غير ممتنع منه و قيل إلاّ ليعبدون، أي إلاّ ليقرّوا لى بالعبادة طوعاً أو كرهاً إنتهى.

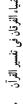
و قال صاحب الكشّاف: وَ مَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَ ٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ قال فيه، إلاّ لأجل العبادة و لم أرد من جميعهم إلاّ إيّاها.

فأن قلت لو كان مريداً للعبادة منهم لكانوا عبّاداً.

قلت أنّما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرّين إليها لأنّه خلقهم ممكّنين فإختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها ولو أرادها على القسر و الإلجاء لوجدت من جميعهم يريد أنّ شأني مع عبادية ليس كشأن السّادة مع عبيدهم فأنّ ملاّك العبيد أنّما يملكونهم ليتعينوا بهم في تحصيل معايشهم و أرزاقهم، فإمّا مجّهز في تجارةٍ ليفيّ به ربحاً أو مرتب في فلاحة أو مسلم في حرفة لينتفع بعمله و أجرته إلى أخر ما قال إنتهى.

أقول الأقوال حول الآية كثيرة، و ذلك لأنّ كلّ واحدٍ من المفسّرين يجرَّ النّار الى قرصته و يقول فيها بما يقتضيه مذهبه و إعتقاده و نحن لسنا بصدد جرح كلماتهم و تعديلها لأنّ المقام لا يقتضى الإطالة و على هذا فنقول:

و لا شكّ لنا أنّ اللّه تعالى غنّيٌ عن جميع ما سواه بقولٍ مطلق لأنّ الإحتياج مساوقٌ للإمكان و هو ينافي الوجوب فأنّ كلّ محتاج ممكن إذ لا نعني بالإمكان إلاّ الفقر كما لا نعني بالوجوب إلاّ الغنى فالواجب غنّيٌ بقولٍ مطلق و





الممكن فقيرٌ كذلك إذا عرفت هذا فقد علمت أنّ اللّه تعالى لا يحتاج إلى عبادة الخلق كما لا يحتاج إلى خلقهم و إيجادهم و هذا أصل أصيل من الأصول الإعتقاديّة التّي لا كلام لأحدٍ من العقلاء فيه و من قال أو يقول غير ذلك فهو لم يعرف خالقه قال الله تعالى: يَآ أَيُّهَا اَلنّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرْآءُ إِلَى اللّهِ وَ اللّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْمُصَيدُ (١).

فقوله: و الله هُو الْغَنِيُ بتقديم المسند إليه يفيد حصر الغنى فيه بمعنى أنه لا غنّي في الوجود إلا الله تعالى و ما سواه محتاج إليه و على هذا فلو فرضنا أنه خلق الخلق ليعبدوه بمعنى أنّه كان محتاجاً إلى عبادتهم و لذلك خلقهم للزم منه خروج الواجب عن كونه واجباً و دخولهم في سلسلة الممكنات إذ لا نعني بالممكن إلا المحتاج و هو كما ترى لا يساعده العقل و لا النقل اللهم إلا أن يقال أنّ الله لم يخلقهم لأجل الإحتياج إلى عبادتهم بل خلقهم بمقتضى جوده و كرمه و نفع العبادة عائد إليهم لا إليه تعالى و توضيحه يستدعي التكلم فيه إجمالاً:

فنقول لا شكّ أنّ اللّه تعالى متصفّ بالجود لكونه دائم الفضل على البرية و من أسماءه الجواد بل الجواد بقول مطلق هو اللّه تعالى لا غيره و ذلك لأنّ الجود إفادة ما ينبغي لا لعوض و لا لغرض، و الجود بهذا المعنى لا يعقل في حقّ غيره حتّى في الأنبياء لأنّهم كانوا يبتغون العوض من اللّه تعالى في إنفاقهم على الغير و إذا كان كذلك فالجواد المطلق هو اللّه لا غيره.

أمّا عدم العوض فلأنّه غير محتاج إلى الغير و أمّا عدم الغرض فلأنّه لا نقص في ذاته حتّى يكمل بالخلق و هذا بخلاف المخلوق فأنّه محتاج في فعله ناقصٌ في ذاته فلا يعقل أن يكون جواداً مطلقاً و على هذا فإيجاد الخلق كاشف عن جوده و لطفه و عنايته لا عن فقره و إحتياجه و هذا ظاهرٌ لا كلام فه.

إن قلت إذا ثبت عدم الإحتياج فما الذي دعاه إلى إيجاد الخلق و المفروض أنّه غير محتاج.

قلت دعاه إلى ذلك حبّه لذاته و أثاره فأنّ من أحبّ شيئاً أحبّ أثاره و اللّه تعالى أحبّ ذاته فأحبّ أثاره أن توجد في الخارج فخلق الخلق ليعرفوه كما ورد في الحديث، كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف فخلق الله الخلق لأجل المعرفة و من عرفها عبده و لذلك فسرّت الآية في الأخبار الواردة عن أهل البيت بالمعرفة فقالوا معنى لِيَعْبُدُونِ أي ليعرفون، و الدّليل على ذلك أنّ العبادة فرعٌ على المعرفة فمن لا يعرف شيئاً لا يعبده بل الحقّ أنّ العبادة لا تتّحقق إلاّ بعد المعرفة فالمعرفة حصل و العبادة فرعٌ عليها تدور مدارها قلة و كثرة و قد أشار إلى هذه النّقطة أبو عبد الله الحسين المنظلة في بعض كلماته حيث قال المنظلة؛ أنّ اللّه تبارك و تعالى ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه و إذا عبدوه إستغنوا بعبادته عن عبادة ماسواه الخ.

يظهر من الكلام أنّ المعرفة علّة للعبادة بمعنى أنّها إذا وجدت وجدت العبادة قطعاً فهي مترتّبة عليها ترتُّب المعلول على علّته و على هذا فذكر العبادة في الآية من قبيل ذكر المسبّب و إرادة السّبب و يدلّ على ذلك.

ما رواه أبو بصير بأسناده عن أبي عبد الله عليه قال سألت أبا عبد الله عن قول الله عزّ وجلّ: وَ مَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَ ٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ قال عليهِ خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ ٱلْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ قال عليهِ خَلَقهم ليأمرهم بالعبادة إنتهى.

كيفيّة الإستدلال أنّه عليه لل لل الله الم يقل خلقهم للعبادة بل قال خلقهم ليأمرهم بالعبادة و من المعلوم أنّ الأمر بالعبادة لا يعقل إلاّ بعد المعرفة ألا ترى أنّ دعوة الرّسول في بدو البعثة كانت الى المعرفة لقوله تعالى: قُولُوا لا إله إلاّ الله تُقلِحُوا و هكذا كانت دعوة جميع الأنبياء ضرورة أنّ عبادة المجهول غير معقول و الله أعلم بما قال:



هذه الآية دليل على ما حققناه و هو أنّ نفع العبادة بعد المعرفة يرجع اليهم لا الى الله و أنّه لم يخلقهم إلاّ على قاعدة اللَّطف بمقتضى جوده و كرمه و لذلك قال: مَا أُريدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقِ وَ مَا أُريدُ أَنْ يُطْعِمُونِ أي يطعموني لأنّي غير محتاج و منزة عن الأكل و الشُّرب و غيرهما ممّا هو من شئون الجسم و إذا كان كذلك فلا أنتفع بهم.

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاٰقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتيِنُ

لمّا قال في الآية السّابقة، ما أريد منهم الرّزق، الآية علَّل ذلك بقوله: إِنَّ اللّه هُو الرَّزِقُ الآية علَّل ذلك بقوله: إِنَّ اللّه هُو الرَّزِقُ و هو صاحب القدرة الّتي يستحيل عليه العجز، و ما سواه كائناً ما كان مرزوقٌ له و المرزوق لا يكون رازقاً كما أنّ الرزّاق لا يكون مرزوقاً فثبت و تحقَّق أن فائدة الخلق عائدً اليهم لا اليه و هو المطلوب.

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ

ثمّ أخبر الله تعالى بأنّ للذّين ظلموا على أنفسهم بإرتكابهم المعاصي ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم أي نصيبهم أي لهؤلاء الكفّار من أهل مكّة نصيبٌ من العذاب مثل نصيب الكفّار من الأمم السّالفة، و أصل الذُّنوب في اللّغة الدَّلو العظيمة و كانوا يستقون الماء فيقسمون ذلك على الأنصباء فقيل الذُّنوب نصيب من هذا:

قال الراجز:

لنا ذنوبُ و لکم ذنوبُ

و قال آخر:

لعمرك و المنايا طارقات

رقان می مسیر اهران کریکی اسجلد الساد برگان

فأن أبيتم فلنا القليب

لكلّ بني أبٍ منها ذنوبُ

و عن الجوهري، الذُّنوب الفرس الطّويل، و الذُّنوب النَّصيب، و الدُّنوب النَّصيب، و الدُّنوب للحم أسفل المتن، و الذُّنوب الدَّلو الممتّليُّ من ماء، و أمّا قوله تعالى: فَلا يَسْتَعْجِلُونِ فمعناه لا يستعجلون العذاب هؤلاء الكفّار من أهل مكّة فأنّ المستقبل المحقّق الوقوع في حكم الماضي و الى هذا المعنى أشار تعالى بقوله:

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ

و هو يوم القيامة الّذي لا شكّ في مجيئه و قد يعبّر عنه بيوم الحساب و يوم تبلى السّرائر و يوم الجزاء و يوم الموعود و هكذا:

عباراتنا شتّی و حسنك واحد و كلّ الى ذلك الجمال يشير

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



ورَّهُ ٱلطُّورِ ﷺ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

وَ ٱلطُّورِ (١) وَ كِتَابِ مَسْـطُورٍ (٢) في رَقٍّ مَنْشُور (٣) وَ ٱلْبَيْتِ ۗ ٱلْمَعْمُور ۚ (١) وَ ٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوع (٥) وَ ٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ (۶) إِنَّ عَذاٰبَ رَبُّكَ لَواَقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دافع (٨) يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمٰآءُ مَوْرًا (٩) وَ تَسيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذِ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) أَلَّذينَ هُمْ في خَوْض يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (أً ١٠) هٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٢) أَفَسحْرٌ هٰذَآ أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) ٱِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوٰآءٌ عَـلَيْكُمْ إِنَّـمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ في جَتَّاتٍ وَ نَعيم (١٧) فَاكِهينَ بِمَاۤ أَتَيْهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقِيْهُمْ رَبُّهُمْ عَّذاٰبَ ٱلْجَحِيم (١٨)كُلُوا وَ ٱشْرَبُوا هَنيَّتًا بِمَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئينَ عَلَى سُرُر مَصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورِ عينِ (٢٠) وَ ٱلَّذينَ اْمَنُوا وَ ٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِأَيمَانِ أَلْحَقْنَا بِهِمْ



ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا ٓ أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ آمْرِيُّ بِمَاكَسَبَ رَهِينُ (٢١) وَ أَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَة وَ لَحْم ممًّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فيها كَأَسًا لا لَغْوُّ فيها وَ لا تَأْثِيمُ (٢٣) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غَلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُو مَكْنُونٌ (٢٢) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض يَتَسْآءَلُونَ (٢٥) قَالُوٓ ا إِنَّاكُنَّا قَبْلُ فَيَ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢۶) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَ وَقَيْنًا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِـنْ قَـبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْبُرُّ ٱلرَّحِيمُ (٢٨) فَذَكِّرْ فَمَآ أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنِ وَ لَا مَـجْنُونِ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونَ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَانِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُتَرَبِّصينَ (٣١) أُمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلامُهُمْ بِهٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلَيْأَتُوا بِحَديثٍ مِثْلِمَ إِنْ كَانُوا صَادِقينَ (٣٢) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمٰواٰت وَ ٱلْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣۶) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزْآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمُ يَسْتَمِعُونَ فيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بسُلْطان مُبين (٣٨) أَمْ لَهُ ٱلْبَنَاتُ وَ لَكُمُ ٱلْبَنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْلَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَم مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْ تُبُونَ (٤١) أُمْ

ياء الفرقان في نفسير القرآن ﴿ كَمْ ﴾ العج

باء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 😽

يُريدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُّ ٱلْمَكيدُونَ (٢٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهُ غَيْرُ ٱللهِ سُبْحانَ ٱللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ ٱلسَّمَآءِ سٰاقِطًا يَقُولُوا سَحابٌ مَرْكُومٌ (٢٢) فَذَرْهُمْ حَتّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فيهِ يُصْعَقُونَ (٢٥) يَوْمَ لا يُغْني عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَ لا هُمْ يُنْصَرُونَ (٢٤) وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يُعْني بَعْمُونَ (٢٤) وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٢٢) وَ إِنَّ لِلَّذِينَ عَلَمُونَ (٢٤) وَ إِنَّ لِلَّذِينَ عَلَمُونَ (٢٤) وَ إِنَّ لِلَّذِينَ لَعْلَمُونَ (٢٤) وَ إِنَّ لِلَّذِينَ لَعْلَمُونَ (٢٤) وَ أَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَ سَبِحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حينَ تَقُومُ (٢٨) وَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِحْهُ وَ إِذَبْارَ ٱلنَّجُومِ (٢٩)

◄ اللّغة

وَ ٱلطُّورِ: هو الجبل الَّذي كلَّم اللَّه عليه موسى و الواو للقسم. مَسْطُور: أي مكتوب.

رَقٍّ مَنْشُورِ: الرّق جلدٌ رقيق يصلح للكتابة و قيل هو الورق. وَ ٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ: المعمور هو بيت في السّماء الرّابعة بحيال الكعبة. وَ ٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْ فُوع: هو السّماء.

آلْمَسْجُورِ: المسجور المملّوء و منه سجرت التَّنور إذا ملئمه ناراً. تَمُورُ: المور تردُّد الشّئِ ذهاباً و أياباً و قيل معناه يموج موجاً. خَوْضٍ: الخوض بفتح الخاء الدِّخول في الماء بالقدم. دَعًا: دعَّه يدعّه إذا دفعه.

إَصْلُوْهَا: المصلي الّذي يجئي في أثر السّابق على لزوم أثره و الأصل لزوم الشّيّ.

وَقَيْهُمْ: الوقاية الحفظ.

سُرُرٍ: بضمّ السّين و الرّاء جمع سرير.

مَصْفُوفَةٍ: أي مصطَّفة مأخوذة من الصَّف.

ألتناهم: يقال ألته إذا أنقصه.

مُشْفِقينَ: الإشفاق رقّة القلب عمّا يكون من الخوف على الشّئ.

نَتَرَبُّص: التربُّص الإنتظار بالشئ.

رَيْبَ ٱلْمَنُونِ: حوادث الدّهر.

تَقَوَّلُهُ: أي إخترعه و إفتعله.

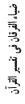
ٱلْمُصَيْطِرُونَ: المسلّطون، و قيل هو الملك القاهر و قيل هو الجبّار المتسلّط.

كِسْفًا: الكسف القطعة من الغيم.

مَرْ كُومٌ: المركوم الموضوع بعضه على بعض.

◄ الإعراب

وَ ٱلطُّورِ الواو للقسم و ما بعدها للعطف في رَقِّ في تتعلّق بمسطور و يجوز أن يكون نعتاً آخر و جواب القسم إنّ عذاب ربّك ما لَهُ مِنْ الجملة صفة لواقع و يَوْمَ ظرف لدافع أو لواقع يَوْمَ يُدَعُونَ هو بدل من يوم تمور أَفَسِحْرٌ هو خبر مقدم و سَواءٌ خبر مبتدأ محذوف أي صبركم و تركه سواء فا كِهينَ حال و مُتَّكِئِنَ حال من الضّمير في، كلوا أو من الضّمير في وقاهم أو من الضّمير في أتاهم أو من الضّمير في، فاكهين، وَ ٱلَّذِينَ المَنُواهو مبتدأ و أَلْحَقْنَابِهمْ خبره و يَتَنَازَعُونَ حال بِنعْمَتِ رَبِّكَ الباء في موضع الحال و العامل فيه، بكاهن، يَتَنَازَعُونَ حال مِن يومهم.





◄ التّفسير

وَ ٱلطُّور

الواو للقسم و الطُّور بضم الطّاء إسم الجبل الّذي كلَّم اللّه عليه موسى، و قال المبرّد يقال لكلّ جبلٍ طور فإذا أدخلت عليه الألف و اللاّم كان معرفة الشّئ بعينه و منه قوله تعالى: و رَفَعْنا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورُ (١) و قيل أنّه سرياني و كيف كان فاللّه تعالى أقسم به تشريفاً له و تكريماً و تذكيراً لما فيه من الأيات و قد مرّ الكلام في سورة الذّاريات بما ينفعك في المقام و هو أنّ اللّه تعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه و ليس للعباد أن يقسموا إلا به تعالى:

وَ كِتَابٍ مَسْطُورٍ

الواو للعطف أي و أقسم بكتابٍ مسطور أيضاً إختلف المفسّرون في هذا الكتاب فقال بعضهم هو الذى كتبه على خلقه من الملائكة في السّماء يقرؤون فيه ما كان و ما يكون و قيل هو القرآن مكتوب عند الله في اللّوح المحفوظ، و قيل هو صحائف الأعمال، و قيل سائر الكتب المنزلة على الأنبياء و أنمًا وصف الكتاب بكونه مسطوراً لأنّ المسطور المرتّب الحروف على وجه مخصوص يقال سطرته سطراً و ذلك مسطور ثمّ وصفه.

ثانياً بقوله: في رَقٍّ مَنْشُورٍ

الرّق بفتح الرّاء قيل أنّه جلد رقيق يصلح للكتابة و عن أبي عبيدة أنّ الرَّق هو الورق و المنشور المبسوط من نشر إذا بسط قيل إنّ المنشور أبهى في العيون قال الله تعالى: وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيْمَةِ كِتَابًا يَلْقَيْهُ مَنْشُورً (٢) و منه قول الشّاعر:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

کم کم المجلد السادس عثد ب و أنمًا وصف الرَّق بالنَّشر و قال منشور لأنَّ كلِّ كتاب يكون في رقُّ ينشره أهله لقرائته و كان في الأزمنة السّالفة كلّ كتاب مكتوباً على الجلود.

وَ ٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُور

الواو للعطف أي و أقسم بالبيت المعمور قالوا هو في السّماء الرّابعة حيال الكعبّة يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملكٍ ثمّ يخرجون منه فلا يعودون اليه أبداً، و قيل هو في السّماء السّادسة.

و عن إبن عبّاس أنّه في السّماء الدُّنيا، و قيل أنّ إبن الكّوا سأل علّياً المُثِلِّا عنه فقال التَّلِلِ هو بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له الضّراح.

و عن الزُّهري عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة، عن الرّابعة نهرٌ يقال له الحيوان يدخل فيه جبرئيل كلّ يـوم طلعت الشَّمس و إذا خرج إنتفض إنتفاضة جرت عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كلّ قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيفعلون ثمّ لا يعودون اليه أبداً إنتهى.

و الأخبار بهذه المضامين كثيرة من العامّة و الخاصّة و كيف كان لا شكّ في وجودها لدلالة نصّ القرآن عليه و أمّا كيفيّته و مكانه و سائر خصوصيّاته فـاللّه أعلم بها و القدر المسلّم أنّه بحيال الكعبّة لطواف الملائكة حوله.

وَ ٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ

هو السّماء بإجماع المفسّرين أي أقسم بالسَّقف المرفوع.



أي أقسم بالبحر المسجور، و المسجور المملّوء و منه سجرت التّنور إذا ملئته ناراً، و قال مجاهد و إبن زيد البحر المسجور، الموقد و قال قتادة هو المملّوء و عن إبن عبّاس، المسجور الّذي ذهب ماؤه و عنه أيضاً أنّه قال خرجت أمّة لتستقي فقالت أنّ الحوض مسجوراً أي فارغٌ، و قيل المفجور، و قيل هو بحرّ دون العرش أو تحته و فيه ماءٌ غليظ يقال له بحر الحيوان و قيل غير ذلك و اللّه أعلم بما أراد.

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاْقِعٌ

هذا جواب القسم أي أقسم بهذه الأشياء المذكورة الّـتي تـقدَّم ذكرها، أنّ عذاب ربّك، يوم القيامة لَو أقعٌ لا محالة على رغم أنوف الكافرين المنكرين.

مًا لَهُ مِنْ دَأْفِع

أي ليس لعذاًبه دافع يدفعه عن أهله و الوجه فيه ظاهر لأنّ قدرة اللّه إذا تعلّقت بشئ لا مردّ لها و ذلك لأنّ الدّافع لا بدّ من أن يكون أقدر من اللّه و لا قدرة فوق قدرة الخالق. ثمّ أشار اللّه تعالى الى وقت العذاب و زمانه فقال:

يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَاءُ مَوْرًا، وَ تَسيِرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا

العامل في يَوْمَ قوله: لَو أَقِعُ أي يقع العذاب بهم يوم القيامة و هو اليوم الّذي تمور فيه السّماء و تسير الجبال، قال أهل اللّغة، مار الشّي يمور موراً أي تحرّك و جاء و ذهب، و قال الضّحاك يموج بعضها في بعضٍ و قال مجاهد، تدور دوراً، و قيل تجرى جرياً و منه قول جرير:

و ما زالت القتلى تمور دماؤها بدجلة حتى ماء دجلة أثكل و عن إبن عبّاس تمور السّماء يومئذٍ بـما فيها و تضطرب و مـور السّـماء

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المجلد السادس

إضطراب نظمه و إختلاف سيره و أمّا قوله: وَ تَسيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا فقال مقاتل أي تسير كسير السّحاب اليوم في الدُّنيا. الدُّنيا.

قال اللّه تعالى: وَ تَرَى ٱلْجِبْالَ تَحْسَبُهٰا جَامِدَةً وَ هِـىَ تَـمُرُّ مَـرَّ السَّحْابِ (١).

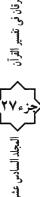
و قد مضى هذا المعنى في سورة الكهف:

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبينَ

قيل، الويل واد في جهنم و قيل بئرٌ فيها أخبر الله تعالى أنّ الويل يوم القيامة للمكذّبين الّذين ينكرون أخبار الله تعالى بواسطة أنبياءه و ينسبونهم الى الكذب و الجنون و يتبعون الشّهوات و الأميال النفسانيّة كما قال تعالى:

ٱلَّذينَ هُمْ في خَوْضٍ يَلْعَبُونَ

المخوض بفتح الخاء الدّخول في الماء بالقدم و شبّه به الدّخول في الأمر بالقول و بعبارة أخرى هو الإنغمار في الباطل و الإعراض عن الحقّ قال اللّه تعالى: ذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٢) أي في باطلهم، و اللَّعب طلب الفرح كالصَّبي في إنتفاء العمل على مقتضي العقل، و حيث أنّ الخوض و العمل باللَّعب و العبث من شئون الطّفل و الصبيّ الذي لا يميّز الحقّ من الباطل و هؤلاء الكفّار المشتغلين بالأباطيل أيضاً يعملون في الدُّنيا على خلاف حكم العقل عبَّر الله عن أفعالهم و أعمالهم باللَّغو و اللَّعب و العبث فكما أنّ الصَّبي لا ينتفع بما يفعل و يصنع غير تضييع العمر كذلك هؤلاء الكفّار و الفرق أنّ الصّبي لا يعذّب بفعله و هؤلاء يعذّبون يوم القيامة ثمّ أخبر الله تعالى عن اليوم الذي حكم بالويل و العذاب فيه فقال:



لدُّفع يقال دعَّه يدعّه دعًا إذا دفعه و قيل الدعّ الدَّفع بـإنزعاج وإرهـاقٍ، و المقصود أنَّهم يدَّعون الى جهنَّم بشدَّةٍ و عنفٍ، و ذلك لأنَّ خزنة جهنَّم يغلُّون أيديهم الى أعناقهم و يجمعون نواصيهم الى أقدامهم ثمّ يدفعونهم فيي النّار دفعاً على وجوههم و زحفاً في أعناقهم حتّى يردُّوا النّار، و منهم من قرأ الآيـة بالتَّخفيف من الدَّعاء و كيف كان فإذا دنوا من النَّار قالت لهم الخزنة.

هٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ

في الدُّنيا و قلتم لا حساب و لا كتاب و لا ثواب و لا عقاب و يقال لهم على وجه التَّوبيخ و التَّقبيح أو على وجه الإنكار.

أَفَسِحْرٌ هٰذٰآ أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ

و أنَّما يقال لهم ذلك لأنَّهم كانوا ينسبون معجزات الأنبياء إلى السُّحر و يعبّرون عنهم بالسّاحر.

ٱِصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوٰآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

إصلوها، الضّمير عائد على النّار و الفعل أمرّ من، أصلى يصلى، و معناه اللَّزوم و منه الصّلاة للزوم الدُّعاء فيها، فمعنى قوله: ٱصُّلَوْهَا إلزموا النّار فأصبروا أو لا تصبروا، على شدّتها و حرارتها، سواءٌ عليكم، فلا يخفف عنكم العذاب و لا تخرجون منها لانّها جزاء أعمالكم و ذلك لأنّ الجزاء على العمل خيراً كان أو شُراً فهو بمنزلة المعلول و العمل بمنزلة العلَّة أو أنَّ العمل سببٌ و الجزاء مسبّبٌ عنه و لذلك أتى بكلمة أنّما، التّي تفيد الحصر ففيه إشارة إلى أنّ عملكم في الدُّنيا يعذّبكم في الأخرة و أنّ اللّه ليس بظلاّم للعبيد و إذا كان

كذلك فالصّبر و عدمه سيّان لا ينفع واحد منهما في رفع العذاب من أهل النّار لأنَّ المسبِّب يترتَّب على سببه و هو موجود ثمَّ بعد ما أخبر اللَّه تعالى عن أحوال الكفّار يوم القيامة و أنّهم في العذاب، أشار إلى أحوال المتّقين المطيعين لله و رسوله فقال:

إِنَّ ٱلْمُتَّقينَ في جَنَّاتٍ وَ نَعيم

أخبر الَّله تعالى أنَّ المتَّقين وُّ هم الَّذين يجتنبون المعاصي و يفعلون الطَّاعات و يعتقدون بالتّوحيد و النّبوة و المعاد، في جنّاتٍ و نعيم، أي مقرّهم الجنَّة يلتذُّون فيها بأنواع النِّعم و يسكنون في أعلى القصور و يأنسون بالأولياء و الصُّلحاء و ذلك لأنّ نعيم الجنَّة لا تنحصر بالمأكول و المشروب و غيرهما من اللّذات الجسمانيّة بل تعمّ المحسوسات و المعقولات و أن شئت قلت الجسمانيّات و الرّوحانيات.

فْاكِهِينَ بِمْ ٓ أَتَيْهُمْ رَبُّهُمْ وَ وَقَيْهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ

ثمّ فسَّر الله تعالى نعيم الجنَّة و بيَّنها فقال، فاكهين بما أتاهم اللَّه، أي ذوي فاكهةٍ كثيرةٍ يقال رجلٌ فاكهٌ أي ذو فاكهة كما يقال، لابن و تامر، أي ذو لبن و تمر، و قرأ الحسن، فكهين، بغير ألف و معناه معجبين، يقال فكه الرَّجل بالكسر فهو فكه إذا كان طيّب النَّفس مزّاحاً، و فيه إشارة إلى سرورهم و نشاطهم في الجنَّة بما آتاهم اللَّه من أنواع النِّعم، و حيث أنَّ السُّرور و الرَّاحة و النَّشاط و جزء ٢٧ اللّذة مع الدهشة و الخوف لا يجتمعان.

قال تعالى: وَ وَقَيْهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ أي منع عنهم العذاب إتماماً للنّعمة التّي أنعمهم الله بها قال الشّاعر:

لا طيب للعيش ما دامت منقضة لنّات بإدكار الموت و الهرم و النَّعم الدُّنيوية هكذا و هذا هو الفرق بين النَّعم الدُّنيوية و النَّعم الأخرويَّة و لذلك قال أهل المعرفة لا عيش إلاّ عيش الأخرة و لا لذّة إلاّ لذّاتها.

كلوا و ٱشْرَبُوا هَنيَـًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

الهنئ ما لا تنغيص فيه و لا نكد و لا كدر أي متنعّم بنعيم الجنّة إمتاعاً هنيئاً، و قيل معناه لا أذى فيه و لا غائلة، و معنى الآية كلوا من غذاء الجنّة و أشربوا من مائها حلالاً طيّباً لا أذى فيه غائلة و لا فناء و لا نقص و لا دثور و لا زوال بّما كنتم تعلمون في الدُّنيا فالباء للسَّبب أي أعمالكم في الدِّنيا صارت سبباً لهذه النَّعمة التّي لا زوال لها و لمثل هذا فليعمل العاملون.

مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَ زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ

الإتّكاء الإعتماد و سرر جمع سرير و المعنى حال كونهم متّكئين أي معتمدين على سرر مصفوفة أي موصولة بعضها إلى بعض حتّى تصير صفاً قيل في وصفهما هي سرر من ذرهب مكلّلة بالزَّبرجد و الدرّ و الياقوت و قوله: و زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عينٍ قيل، الحور، البيض النّقيات البياض في حسنٍ و كمالٍ و العين، الواسعة الأعين في صفاء و بهاء و المعنى، قرنا هؤلاء المتّقين بالحور العين على وجه التّنعيم لهم و التّمتيع.

أقول اللّهم إرزقنا بمحمّدٍ و أله.

وَ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا وَ ٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِايِمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَاۤ أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِئَ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ

قرأ العامّة وَ آتَبُعَتْهُمْ بوصل الألف و تشدّيد التّاء و فتح العَين و إسكان التّاء الثّانية من الإتّباع، و قرأ أبو عمرو (و أتبعناهم) بقطع الألف و إسكان التّاء و العَين و نون إعتباراً بقوله. و أَلْحَقْنًا بِهِمْ ليكون الكلام على نسقٍ واحدٍ.

و أمّا قوله: ذُرِّيَّتهُم الأولى فقرأها إبن عامر بالجمع و نبعه أبو عمرو و يعقوب و رووها عن نافع إلا أنّ أبا عمرو و كسر التّاء على المفعول و ضمَّ التّاء باقيهم و قرأ الباقون (ذريّتهم) على التّوحيد و ضمّ التّاء و هو المشهور عن نافع

و أمّا ذريّتهم، النّانية فقرأها نافع و إبن عامر و أبو عمرو و يعقوب بكسر التّاء على الجمع و قرأ الباقون على التّوحيد و فتح التّاء هذا كلّه في قراءة الآية إذا عرفت هذا فنقول:

لمًا بيَّن اللّه تعالى في الأيات السّابقة أحوال المتّقين و ما أعطاهم من النّعم في الجنَّة من أنواع الفواكه و جلوسهم و إتّكائهم على سرر مصفوفة و تزويجهم بحور عين و منع العذاب عنهم، ليتمّ بهم العيش و السُّرُور و بقي شيِّ واحد فراق الأحبَّة فأنّه من أعظم الهموم أخبر اللّه تعالى في هذه الآية بإلحاق ذريّتهم إليهم يوم القيامة إتماماً للعيش و إكمالاً للنّعمة بشرط متابعتهم أبائهم في الإيمان و ذلك لأنّ الجنَّة و ما فيها من النّعم حرامٌ على الكافرين فقال و آلّذين أمنوا أمنوا باللّه و رسوله و عملوا الصّالحات و آتّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِايمان أمن أسلافهم من باللّه و رسوله و عملوا الصّالحات كما هو مقتضى الإيمان كما أمن أسلافهم من قبل و بعبارةٍ أخرى متابعة الخلف عن السّلف في الإيمان ألْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ في الإيمان ألولاد عن أعمال الأولاد عن أعمال الأباء إذا أمنوا من أجل إيمان الأباء و إن قصرت أعمال الأولاد عن أعمال الأباء تكرمة لأبائهم.

و في رواية أخرى عنه أنّ اللّه ليرفع ذريّة المؤمن معه في درجته في الجنّة و أن كانوا دونه في العمل لتقرّبهم عينه و تلاهذه الآية.

قد روى القرطبي في تفسيره لهذه الآية عن إبن عبّاس أنّ رسول الله عن الله عن الله عن وجبّل ليرفع ذريّة المؤمن معه في درجته في الجنّة و أن كان لم يبلغها بعمله لتقر بهم عينه ثمّ قرأ و ٱلّذينَ أمنوا و ٱتّبَعَتْهُمْ ذُرّيّتُهُمْ بايمان.

قال أبوجعفر فصار الحديث مرفوعاً عن النّبي الله الله عن النّبي الله عن و كذا يجب أن يكون لأنّ إبن عبّاس لا يقول هذا إلا عن رسول الله لأنّه إخبارٌ عن الله عزّ وجلّ بما يفعله و بمعنى أن أنزلها جلّ ثناؤه إنتهى.





و قوله تعالى: وَ مَا ٓ أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ معناه ما نقصنا الأبناء من ثواب أعمالهم و ما نقصنا الأباء أيضاً من ثواب أعمالهم شيئاً بإلحاق الذّريات بهم هكذا فسَّروا الكلام و الحقّ أنّ الضّمير في قوله: وَ مُلَّ أَلَتْنَاهُمْ و في قوله: مِنْ عَمَلِهِمْ عائد على الأباء و المعنى ما نقصنا الأباء من عملهم من شئ، لأجل إلحاق الذريّة بهم و فيه إشارة إلى أنّ الأبناء كانوا مستحقّين لدخُول الجنَّة بأعمالهم إلاَّ أنَّهم لم ينالوا مرتبة الأباء حتَّى لحقوا بهم و أنَّما ألحقهم اللَّه بهم لتقرّعين الأباء بهم، تفضّلاً منه تعالى و إليه الإشارة بقوله: كُلُّ ٱمْرِئُ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ أي أنّا لا ننقص من عمل العامل شيئاً من النّواب فأنّ كلّ إنسان يثاب أو يعاقب بما يستحقّه و بعبارةٍ أخرى لا يجوز عليه نقصان شئ من عمله و جزاءه لأنّه لا يجوز عليه الظّلم لا قليله و لا كثيره و لا صغيره و لا كبيره، و الرَّهين و المرهون و المرتهن هو المحتبس على أمر يؤدّي عنه بحسب ما يجب فيه فلمّا كان كلّ مكّلف محتسباً على عمله فأن صحّ له أداؤه على الواجب فيه تخلُّص و إلاَّ هلك فلهذا قال تعالى: كُلُّ أَمْرِيٌّ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ قاله الشّيخ مَنْ أَنَّ في التّبيان إنتهي.

و نعم ما قال، هذا ما إستفدناه من الآية و الله أعلم.

وَ أَمْدَدُنْاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ

الأمداد هو الإتيان بالشّي بعد الشّي و الفاكهة هي الثّمار و المعنى أكثرنا لهم أي للمتّقين، و ذراريهم من النّعم زيادة على ما أنعمنا عليهم من قبل و بعبارة أخرى أمددنا لهم غير الّذي كان لهم تفضّلاً منّا و رحمة من أنواع التّمار و اللّحم ممّا يشتهون فأنّ فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذّ به الأعين و رحمة الله واسعة.

يَتَنْازَعُونَ فيها كَأْسًا لا لَغْوُ فيها وَ لا تَأْثيمُ

أي يتعاطون كأس الخمر و الكأس الإناء المملوء بالشّراب فأن كان فارغاً فلا يسمّى كأساً ذكره الفرّاء وشاهدالتّنازع والكأس في اللُّغة قول الأخطل حيث قال:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🚽

و شاربُ مربحُ بالكأس نادمني لا بالحصول و لا فيها بسوّارِ نازعته طيّب الرّاح الشُّموب و قد صاح الدُّجاج و حانت وقعة السّاري و قال إمرؤ القيس:

فلمّا تنازعنا الحديث و أسمحت هصرت بغصن ذي شماريخ ميّالٍ و قوله: لا لَغُو فيها و لا تأثيم أي في الكأس أي لا يجري بينهم لغو و لا ما فيه إثم والتّأثيم تفصيل من الإثم أي تلك الكأس لا تجعلهم أثمين لأنّه مباح لهم و يحتمل أن يكون الضّمير في قوله، فيها، عائداً إلى الجنّة أي لا لغو في الجنّة و لا إثم و المأل في الإحتمالين واحد.

وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤُ مَكْنُونُ

الطّوف المشي حول الشّئ و منه الطّائف لمن يدور حول البيوت حافظاً و منه الطّائف حول الكعبة و الغلمان بكسر الغين جمع غلام و قد يجمع على، غلمة، و يطلق على من لم يبلغ الحلم يقال له الشّاب و المكنون المصون، و معنى الآية يطوف، أي يدور، عليهم، أي على أهل الجنّة غلمان كأنّهم لؤلوٌ مكنون في صفاءه و بياضه و حسن منظره و قيل ليس على الغلمان مشقّة في خدمة أهل الجنَّة بل لهم في ذلك لذّة لأنّه ليس هناك دار محنةٍ.

و قال بعض المفسّرين ليس في الجنّة نصب و لا حاجة إلى خدمة و لكنّه أخبر بأنّهم على نهاية النّعيم، قيل أنّهم الأطفال من أولادهم الّذين سبقوهم على نهاية النّعيم، قيل أنّهم غلمان خلقوا في الجنّة لأجل أهل الجنّة و هذا هو الحقّ إذا عرفت هذا فلا بأس بذكر ما نقله القرطبي في تفسيره لهذه الآية قال ما هذا لفظه:

أقول يظهر من ألفاظها و معانيها صدقها أو كذبها فأقض ما أنت قاض.

وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسٰآءَلُونَ

أي يسأل بعضهم عن حال بعض و ما هو فيه من أنواع النّعيم فيسرّون بذلك و يزداد فرحهم، و قيل يسأل بعضهم بعضاً عمّا فعلوه في دار الدُّنيا ممّا إستحقُّوا به المصير إلى الثّواب و الكون في الجنان بدليل قولهم.

قَالُوٓ ا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فَيَ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ، فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَ وَقَيْنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحيمُ

فهذه الآيات تدلّ على أنّ سؤال بعضهم عن بعض كان ممّا إستَحقوا به المصير إلى الثّواب لأنّهم قالوا في الجواب، إنّا كُننّا قَبْلُ أي في دار الدُّنيا مُشْفِقينَ أي خائفين من عذاب اللّه يوم القيامة فَمَنَ ٱللّهُ عَلَيْنا وَ وَقَيْنا أي منع عنّا عذاب السَّموم و هو الحرّ الذي يدخل في مسام البدن بما يوجد ألمه و منه ريح السَّموم قوله، منّ اللّه، إشارة إلى أنّهم لم يستحقُّوا ذلك بأعمالهم و أنّما أعطاهم اللّه ذلك تفضّلاً و هو كذلك و لذلك ورد في الدُّعاء إلهنا عاملنا به عدلك، و ذلك لأنّ العبد عاجزٌ عن أداء وظائف العبّودية.

إِنَّا كُنًّا قَبْلُ أي في دار الدّنيا، ندعوه، أي ندعو اللّه، أنّه هو البرّ الرّحيم، أي كنّا ندعوه وكنّا ندعوه وبهذا فيمن فتح الهمزة و أمّا من كسرها فالمعنى إنّا كنّا ندعوه و

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

نتضرّع إليه، إنّه هو البرّ الرّحيم، أي أنّ اللّه تعالى بارٌ بعبيده و رحيمٌ بهم و الوجه فيما ذكرناه هو من بفتح الهَمَزة فهو للتّعليل أي لأنّه هو البرّ الرّحيم قرأ بالكسر فهو على الإبتداء و هو الأشهر، و أمّا البرّ فمعناه اللَّطيف أي هو لطيفٌ رحيم و معناه واضح.

فَذَكِّرْ فَمْآ أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَ لا مَجْنُونٍ

الكاهن الموهم أنّه يعلم الغيب بطريقً خدمة الجنّ و المجنون المؤوف بما يغطى على عقله حتّى لا يدرك به في حال يقظة و معنى الآية فذكّر يا محمّد أي عظ و أنصح هؤلاء المكلّفين و بلّغ إليهم رسالة ربّك و لا تحزن ممّا يرمونك به من الجنون و الكهانة و ذلك لأنّك لست بنعمة ربّك التّي أعطاها إيّاك و هي الرّسالة و النّبوة بكاهنٍ و لا مجنونٌ و أنّما يفترون عليك هؤلاء الكفّار كما يفترون على الله تعالى ففي الآية تسليةٌ للنبيّ الله الله الله تعالى ففي الآية تسليةٌ للنبيّ الله و النّاهي عن المنكر في القيامة و ذلك لأنّ الدّاعي إلى الحقّ و الأمر بالمعروف و النّاهي عن المنكر في مظانّ التّهمة و الإفتراء من ناحية الفسّاق و الكفّار:

قال الله تعالى: إِنَّ اللَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اَسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ اَلْمَلاَئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١).

قال الله تعالى: فَلِذٰلِكَ فَادْعُ وَ ٱسْتَقِمْ كَمْآ أُمِرْتَ (٢).

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبُّصُ بِهِ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ

أم، معناه، بل، أي بل يقولون هؤلاء الكفّار نتربّص به ريب المنون، أي نتَّوقع و ننتظر في محمّد ريب المنون أي حوادث الدّهر و الموت و أعلم أنّ (أم) في كلام العرب للخروج من حديثٍ إلى حديثٍ أخر فما جاء في كتاب



الله من هذا فمعناه التَّقريع أو التَّوبيخ و الخروج من حديثٍ إلى حديث و النحويُّون يمثّلونها، ببل.

قال قتادة قال قوم من الكفّار ترَّبصوا بمحمّد الموت يكفيكموه كما كفى شارع بني فلان قيل هؤلاء بنو عبد الدّار نسبوه إلى أنّه شاعر و هو يهلك عن قريب كما هلك من قبله من الشّعراء و أنّ أباه مات شاعراً فربّما يموت كما مات أبوه.

و قال الأخفش في الكلام حذف و تقديره (إلى ريب المنون) و المنون الموت و عن إبن عبّاس أنّه قال كلمة (ريب) معناها الشك في القرأن و غيره إلا مكاناً واحداً في سورة الطُّور رَيْبَ ٱلْمَنُونِ يعني حوادث الدَّهر أو حوادث الأَهر رَيْبَ الْمَنُونِ يعني حوادث الدَّهر أو حوادث الأَهر ركاما قال الشّاعر:

تربّص بها ريب المنون لعلّها تطلّق يوماً أو يموت حليلها قال مجاهد، ريب المنون، حوادث الدّهر و المنون هو الدّهر قال أبو ذؤيب:

أمن المنون و ريبه نتوجّع و الدَّهر ليس بمعتبٍ من يجزع

قُلْ تَرَبَّصُوا فَانِّي مَعَكُمْ مِنَ ٱلْمُتَرَبِّصينَ

أي قل يا محمّد لهؤلاء الكفّار، تربّصوا أي إنتظروا فَابِّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ أي من المنتظرين و من المعلوم أنّ تربّص الكفّار بالنّبي و المؤمنين قبيح، و أمّا تربّص النّبي و المؤمنين بالكفّار و توقّعهم الهلاك لهم حسن، قيل قوله: تَرَبَّصُوا و أن كان بصيغة الأمر فالمراد به التّهديد و التّوبيخ.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلامُهُمْ بِهِذْ آ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ

أي بل تأمر هؤلاء الكفّار أحلامهم و عقولهم بهذا القول بل هم قوم طاغون، كلمة، أم، في الموضعين بمعنى، بل، و المقصود من الآية أنّ عقولهم ناقصة لأنّ العقل الصّحيح لا يحكم بهذا الحكم ثمّ أضرب عنه بل هؤلاء الكفّار من الطُّغاة والطَّاغي حاله معلوم لأنَّه طالبٌ للإرتفاع بالظُّلم على من كان من العباد فيقول ما يجري على لسانه من غير تعقّل و تدبُّر.

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ

أي بل يقولون هؤلاء الكفّار، تقوّله أي أنّه إفترى على اللّه ما قال و إخترعه و إفتعله من عند نفسه، لأنّ التقوّل لا يكون إلاّ كذباً لأنّه دخله معنى تكلُّف القول من غير حقيقة معنى يرجع إليه كلّ من تكلّف أمراً لا يقتضيه العقل أنّ له فعله فهو باطل.

ثمّ قال تعالى: بَلْ لا يُؤْمِنُونَ باللّه و رسوله و لا بأنّ القرأن أنزل من عند اللّه و أنَّما قال تعالى ذلك لعلمه بعدم إيمانهم بإختيارهم و ليس المعنى أنَّه خلقهم لذلك، فأم الأولى للإنكار، و الثَّانية للإيجاب أي ليس الأمر كما يقولون بل لايؤمنون، جحداً و إستكباراً.

فَليْأُتُوا بِحَديثٍ مِثْلِهَ إِنْ كَانُوا صَادِقينَ

أي إن كان هذا القرآن من تقوّله و افترائه فليأتوا هؤلاء الكفّار بحديثٍ مثله أي مثل هذا القرآن إن كانوا صادقين في قولهم هذا، و ذلك لأنَّ فيهم من فصحاء العرب و بلغاءهم عددٌ كثير و حيث أنّهم لا يقدرون على ذلك جزء٧٧٪ فكلامهم بأنّ القرآن شعر أو كلام المخلوق عاطل باطل و الباطل لا جواب إذ لا يقول الباطل إلا الباطل.

قال بعض المفسّرين، أنّ أعلى طبقات البلاغة كلام قد جمع خمسة أوجه: تعديل الحروف في التَّجانس، و تشاكل المقاطع ممّا تقتضيه المعاني و تهذيب البيان بالإيجاز في موضعه و الأطناب في موضعه و الإستعارة في موضعها و الحقيقة كذلك، و إجراء جميع ذلك في الحكم العقليّة بالتّرغيب



فيما ينبغي أن يرغب فيه و التَّرهيب ممّا ينبغي أن يرهب منه و الحجَّة الّتي يميّز بها الحقّ عن الباطل و الموعظة الّتي تليق للعمل بالحَّق إنتهي.

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ

أم، في هذه الآية و ما بعدها من الآيات صلة و التقدير، أخلقوا و أن شئت قلت، أم، بمعنى الهمزة الإستفهاميّة و الإستفهام للإنكار فقوله تعالى: أمّ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ تقديره (أخلقوا من غير شيئ) أم هم الخالقون، و المعنى، أخلقوا من غير خالق، أم هم الخالقون لنفوسهم فلا يأتمرون لأمر الله و لا ينتهون عمّا نهاهم عنه، معنى (أخلقوا من غير شيئ) أخلقوا لغير شيئ أي أخلقوا باطلاً لا لغرض، المعنى، أخلقوا من غير أبٍ و لا أمّ، فلا يهلكون كما أنّ السّموات و الأرض خلقنا من غير شيئ فإذا هم أضعف من السّماء الذي خلق لا من شيئ فإذا هم أضعف من السّماء الذي خلق هذه الوجوه في النّبيان.

و قال صاحب الكشّاف، ما هذا لفظه أمْ خُلِقُوا أم أحدثوا و قدّروا التَّقدير الذي عليه فطرتهم مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ من غير مقدّرٍ أَمْ هُمُّ الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق إنتهى.

أقول ما ذكره صاحب الكشّاف لا نفهمه و أظنّ أنّه أيضاً لم يفهم ما قال فأقض ما أنت قاض.

و قال البيضاوى، أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ معناه أم أحدثوا و قدّروا من غير محدثٍ و مقدّرٍ فلذلك لا يعبدونه أو من أجل لا شئ من عبادةٍ و مجازاة إنتهى.

و هو أيضاً في الإجمال مثل سابقه، و قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه قوله تعالى: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ لهذه الآية ما هذا لفظه قوله تعالى: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخالِقُونَ إِنِيان شي منكراً بتقدير صفة تناسب المقام و تقديره، من غير شي خلق منه

غيرهم من البشر، و المعنى بل أخلق هؤلاء المكذّبون من غير شي خلق منه غيرهم من البشر فصلح لإرسال الرّسول و الدَّعوة إلى الحقّ و التلبّس بعبوديّته تعالى فهؤلاء لا يتعلّق بهم التَّكليف و لا يتوجّه إليهم أمرٌ و لا نهيّ و لا تتبّع أعمالهم ثواباً و لا عقاباً لكونهم مخلوقين من غير ما خلق منه غيرهم معنى الجملة أقوال أخر ثمّ نقل الأقوال الّتي نقلناها.

و قال في آخر نقل الأقوال، و ما قدَّمناه من المعنى أقرب إلى لفظ الآية و أشمل إنتهى كلامه رفع مقامه فهذه هي الأقوال المشهورة حول الآية إنّا لسنا بصدد الجرح و التَّعديل أو النَّقض و الإبرام في الأقوال المذكورة لم نتعرّض بما فيها من الوهن و الضعف نعم قول الأخير الّذي ذكره بعض المعاصرين أقرب إلى الواقع من سائر الأقوال إلاّ أنّه وَيَن قدَّر في الجملة (خلق منه غيرهم من البشر) و التَّقدير خلاف الأصل و كون الشّئ منكراً في الآية لا يستدعي التَّقدير و الحاصل أنّ ما ذكره لا يصح و قوله في آخر كلامه ما قدَّمناه من المعنى أقرب إلى لفظ الآية و أشمل، في غير محَّله.

و الذي يختلج بالبال في معنى الآية في قوله: خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ هو أنّ المراد بالشّئِ في كلام الله المادَّة و توضيح ذلك إجمالاً أنّ المخلوق إمّا أن يكون في وجوده مستوياً بالمادَّة و المدَّة معاً و هو الكائن.

و أمّا أن لا يكون مسبوقاً بشئ منهما و هو المبتدع، و امّا أن يكون مسبوقاً جزء ٢٧ بالمادَّة دون المدَّة و هو المخترع و أمَّا عكسه فغير متحقّقٍ في الخارج فالأقسام ثلاثة:

كائن، مبتدع، مخترع.

أمّا الكائن، كالعناصر و العنصريّات، و المخترع كالفلك و الفلكيّات، و المبتدع، كالعقول و النفُوس المجرّدة عن المادَّة و المدَّة، و بذلك قد ظهر لك أنّ الإنسان الّذي هو مورد البحث في الآية من قسم الكائن لأنّه في خلقه مسبوق بالمادّة و المدَّة و ليس من أقسام المبتدع و المخترع إذا عرفت هذا

ے کے کے المجلد السادس ء افرقان فی تفسیر القرآن کے کہ المجلد السادس ء

فنقول المخلوق الّذي خلق من غير شئ منحصرٌ في المجردّات و هي العقول و النُّفوس المجرّدة عن المادَّة و المدّة و من المعلوم أنّها غير محتاجة إلى الرُّسول و هكذا الفلكيّات و أن كانت مسبوقة بالمادَّة فأنَّ الرَّسول من جنس البشر و مبعوث إليهم، و أمّا العنصريّات، من الحيوان و الإنسان و النَّبات و الجماد فالمكلُّف فيها هو الإنسان فقط لوجود العقل فيه فما لا عقل له لا تكليف له فالأنبياء مبعوثون إلى البشر و هو محتاج إليهم لا محالة فتكذيبهم النَّبي معناه عدم إحتياجهم إليه و حيث أنَّ الكفَّار كذَّبوا النَّبيُّ قَالَهُوْ عَلَيْهُ وَ أَنكُـروا نبوّته فقد أظهروا عدم إحتياجهم إليه فقال تعالى رادًّا عليهم: (أخلقوا مـن غـير شئ) أي من غير مادَّةٍ كـالعقول و النُّـفوس حـتّى لا يـحتاجون إلى الرّسـول و بعبارةٍ أخرى أهم من المجرّدات، و إذا لم يكونوا منها فتكذيبهم لا معنى له ثمّ قال تعالى: أم هُم النَّخالِقُونَ لأنفسهم و لا خالق لهم ليعبدوه و إذا لم يكن لهم خالق فلا يكون لهم نبئ و الجواب في المقامين منفيّ، أي لم يكونوا من المجرّدات و لم يكونوا خالقاً لأنفسهم، فطغيانهم و تمرّدهم وتكذيبهم النَّبي لا معنى له هذا ما خطر ببالي في فهم الآية ولست أدَّعي أنَّـه حتَّ فأن كـان حـقًّا فمن الله و أن كان باطلاً فمن نفسي و الله أعلم بما قال:

أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ

و من المعلوم أنهّم لم يخلقوهما، و قيل معنى الكلام أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمُواْتِ وَ مَن المعلوم أَنهُم لا يوقنون و لا يقرُّون بالتَّوحيد و النَّبوة و المعاد ثمّ قال تعالى: بَلْ لا يُوقِنُونَ بائنهم مخلوقون و المخلوق لا يعصي خالقه و لا ينكره.

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزْآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ

أي أعندهم ذلك فيستغنوا عن الله و يعرضوا عن أمره.

قال إبن عبّاس خزائن ربّك المطر و الرِّزق و قيل خزائنه مفاتيح الرَّحـمة و

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

قيل النُّبوّة، و الحقّ أنّها مقدوراته فأنّه تعالى قادرٌ على كلّ شي يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و قوله تعالى: أمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ يقرأ بالصّاد و السّين و الأصل فيه السّين لأنّه مأخوذ من السَّطر يقال سيطر يسيطر سيطرة و هو (فعيل) من السَّيطرة، قيل المسّيطر الملك القاهر، و قيل هو الجبّار المتسلّط و منه قوله تعالى: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرُ (١).

و قال أبوعبيدة المسيطرون الأرباب، و قرأ إبن كثير و أبو عمرو و إبن عامر و الكسائي (المسيطرون) بالسين و الباقون بالصّاد و المعنى واحد و معنى الكلام أنّه لا تسلُّط لهم على غيرهم بل هم مخلوقون و العبد و ما في يده كان لمولاه.

أَمْ لَهُمْ سُلَّمُ يَسْتَمِعُونَ فيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبينِ

فالسُّلَم بضّم السّين و فتح اللاّم المشّدة المرتقى إلى العلو و المعنى أيدَّعون أنّ لهم مرتقى إلى السّماء و مصعداً و سبباً يستمعون فيه الوحي و الأخبار و يصلون به إلى عالم الغيب فقد وثقوا بما هم عليه فأن كان كذلك فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبينٍ أي فليأت بحجّةٍ يظهر بها صدقهم و صحّة قولهم إذ ليس لهم ذلك فهم كاذبون في إدّعائهم و أنّما يقولون رجماً بالغيب فأنّ الشّياطين يوحون إلى أوليائهم ما يجري على ألسنتهم.

أَمْ لَهُ ٱلْبَنَاتُ وَ لَكُمُ ٱلْبَنُونَ

معناه ألكم البنون و لله البنات غاية الجهل و لم يعلموا أنّ الله تعالى منزة عن إتّخاذ الولد لأنّه أي إتّخاذ الولد من شئون الأجسام و هو تعالى موجود مجرّد ولو جاز له ذلك كما يزعمون هؤلاء الكفّار لم يكن يختار البنات على البنين فدلّ ما ذكروه على إفراطهم في الجهل و الضّلالة فيما وصفوا الله تعالى به من إتّخاذه الملائكة بنات نعوذ بالله منه.



أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَم مُثْقَلُونَ

أم تسألهم يامحمد أجراً على أداء الرّسالة إليهم بدعائك إيّاهم إلى الله فهم لا يقدرون على ذلك لثقله عليهم، فالمغرم إلزام الغرم في المال على طريق الإبذال، و المغرم إنفاق المال من غير إبذال و أصله المطالبة بالحاح و منه الغريم لأنّه يطالب بالدّين بإلحاح و محصّل الكلام في معنى الآية أتسألهم أجراً لا يقدرون عليه لثقله علهيم قال اللّه تعالى: قُلْ لآ أَسْمُلكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا.

أَمْ عِنْدَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ

أي يكتبون للنّاس ما أرادوه من علم الغيوب، و قيل معنى الكلام، أم عندهم علم ما غاب عن النّاس حتّى علموا أنّ ما أخبرهم الرّسول من أمر القيامة و الجنّة و النّار و البعث باطل.

و قال قتادة لمّا قالوا، نتَّربص به ريب المنون، قال اللّه تعالى: أَمْ عِــنْدَهُمُّ ٱلْغَيْبُ حتّى علموا متى يموت محمّد أو إلى ما يؤول إليه أمره.

و قال إبن عبّاس أم عندهم اللّوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه، و يخبرون النّاس بما فيه.

أَمْ يُريدُونَ كَيْدًا فَالَّذينَ كَفَرُوا هُمُ ٱلْمَكيدُونَ

الكيد هو المكر، و قيل هو فعل ما يوجب الغيظ في خفي هذا في الكيد من الخلق و أمّا الكيد من الله فهو التّدبير الّذي يدبّره لأوليائه على أعداءه ليقهروهم و يستعلوا عليهم بالقتل و الأسر.

قال الفراء معنى الكلام أيريدون بكفرهم و طغيانهم كيداً فالله تعالى يكيدهم بالعذاب في الدّنيا و الأخرة، و قيل: أَمْ يُريدُونَ كَيْدًا أي مكراً بك في دار النّدوة فَالَّذينَ كَفَرُوا هُمُ ٱلْمَكيدُونَ أي الممكور بهم و ذلك أنّهم قتلوا ببدر.

أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمًّا يُشْرِكُونَ

أي أم لهم إله غير الله، يخلق و يرزق و يمنع سُبْحانَ ٱللهِ عَمّا يُشْركُونَ نزَّه اللَّه تعالى نفسه أن يكون له شريك، قال الخليل كلِّ ما في سورة (والطُّور) من ذكر (أم) فكلمة، إستفهام و ليس بعطفٍ.

وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ ٱلسَّمْآءِ سْاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ

الكسف جمع كسفة كقولك سدر و سدرة و هي القطعة من الشّي يقال أعطني كشفة من ثوبك أي قطعة منه، و قيل الكشف و الكسفة واحد و قال الأخفش من قرأ، كسفاً جعله واحداً و من قرأ كسفاً، جعله جمعاً و كيف كان فالآية في الحقيقة جواب لسؤالهم حيث سألوا النّبي على ما حكى الله تعالى عنهم بقوله: أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمْآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنًا كِسَفًا ۖ ` .

فقال الله في جوابهم: وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفًا أي قطعة مِنَ ٱلسَّماآءِ سْاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ أي بعضهم فوق بعض سقط عليناسماء و هذا فعل المعاند أو فعل من إستوى عليه التَّقليد و من المعلوم أنَّ المعاند لا يقبل الحقّ لعناده لا لجهله فأنّ المعاند قد يكون عالماً و مع ذلك ينكره لعناده و الّذي حصل لنا من الآية و غيرها من الأيات المذكورة هو أنّ الكفّار كانوا معاندين و من كان معانداً، فقد حقَّ عليه العذاب و ما له من جواب فإنكار الحقّ تارةً يكون من العالم بالحقّ و تارةً يكون من الجاهل المقلِّد وكيف كان جزء ٢٧﴾ فهو داءٌ لا دواء له و لذلك قال الله تعالى لنبيّه: ذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ^(٢) و يقال (لقد حَقَّت عليه كلمة العذاب) ما له من جواب و إلى هذا أشار اللَّه تعالى بقوله:

فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذَى فيهِ يُصْعَقُونَ

الصَّعق بفتح الصّاد و سكون العين و القاف هو الهلاك بصيحة تصدع القلب و يُصْعَقُونَ في الآية قد يقرأ بضم الياء بصيغة المجهول و قد يقرأ بفتح الياء بصيغة المعلوم على إضافة الفعل إليهم فقرأ عاصم و إبن عامر بالضم و قرأ الباقون بالفتح و هما لغتان، و قيل الصَّعق في النَّفخة الأولى و معنى الآية أتركهم يا محمد حتى يلاقوا، هؤلاء الكفّار يومهم الذي فيه يهلكون يوم البعث ثمّ وصف الله ذلك اليوم بقوله:

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَ لَا هُمْ يُنْصَرُونَ

و هو يوم القيامة لأنّه اليوم الّذي لا ينفعهم كيدهم و حيلتهم فيه و لا نـاصر لهم ينصرهم.

وَ إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَ لَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ

قال إبن عبّاس هو عذاب القبر، و قال مجاهد هو الجوع في الدّنيا و قال إبن زيد هو مصائب الدّنيا و قال قومٌ هو جميع ذلك وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ما يصيرون إليه من أنواع العذاب ثمّ أمر اللّه نبيّه بالصّبر فقال:

وَ آصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حَبِنَ تَقُومُ أمر الله تعالى نبيّه بالصَّبر فقال و أصبر لحكم ربّك، أي لحكم الرّسالة و ما يتبعها من الأذى من الكفّار، و قيل معناه فأصبر لقضاء ربّك فيما حمّلك من رسالته و ذلك لأنّ أداء حقّ الرّسالة مشكل جدّاً و قوله: فَإِنَّكَ بِأَعْ يُبُنِنا أي بمرأى منا ندركك و لا يخفى علينا شي من أمرك فأنّا نحفظك من أذاهم إيّاك و كيدهم و مكرهم ليقتلوك فلا يصلوا إلى ما أرادوا في حقّك ثمّ أمره الله تعالى ثانياً بالتَّسبيح فقال: وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حينَ تَقُومُ قيل حين تقوم من نومك و قيل إذا قمت إلى الصّلاة المفروضة و قيل حين تقوم من نوم القائلة إلى صلاة

وَ مِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبَارَ ٱلنُّجُوم

عن الرّضا عليه أنّه قال: إدبار السُّجود أربع ركعات بعد المغرب و إدبار النُّجوم ركعتين قبل صلاة الصُّبح و هو المرّوي عن أبي جعفر عليه النَّج و أبي عبد الله عليه و النّجوم هي الكواكب واحدها النَّجم. والحمد لله ربّ العالمين.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



ورَةُ ٱلنَّجْمِ ﷺ

بِسْم ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيم

وَ ٱلنَّجْمِ إِذَا هَوٰى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوٰى (٢) وَ مَا يَنْطِقُ عَن ٱلْهَوٰىٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحٰي (٢) عَلَّمَهُ شَديدُ ٱلْقُوٰي (۵) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوٰى (۶) وَ هُوَ بِالْأَفْقُ ٱلْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَـوْسَيْن أُو أُدْنْ ي (٩) فَأُوْحٰى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحٰى (١٠) مَا كَـٰذَبَ ٱلْفُوَّادُ مَا رَاٰيَ (١١) أَفَتُمارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (۱۲) وَ لَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أَخْرَى (۱۳) عِنْدَ سِـدْرَةٍ ٱلْمُنْتَهٰى (١٤) عِنْدَهٰا جَنَّةُ ٱلْمَأْوٰيَ (١٥) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٤) مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَ مَا طَغَى (۱۷) لَقَدْ رَأَى مِنْ أَيْاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَٰيَ (۱۸) أَفَرَأَ يُتُمُ ٱللَّاتَ وَ ٱلْعُزِّىٰ (١٩) وَ مَنْوةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرِٰيَ (٧٠) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةُ ضيزَى (٢٢) إِنْ هِـىَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ الْبآؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ بِها مِنْ سُلْطَانِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى ٱلْأَنْفُسُ



ضياء الفرقان في تفسير الق

وَ لَقَدْ جَآءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ ٱلْهُدٰىۤ (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنِّىٰ (٢٢) فَلِلَّهِ ٱلْأَخِرَةُ وَ ٱلْأُولٰى (٢٥) وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى ٱلسَّمُواٰتِ لَا تُغْنَى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا لِمِنْ مَلَكٍ فِى ٱلسَّمُواٰتِ لَا تُغْنَى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا لِللّهُ مِنْ مَلَكٍ فِى ٱلسَّمُواٰتِ لَا تُغْنَى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا (٢٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ اللهُ لِمِنْ اللهٰ خِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيةَ ٱلْأُنْفَى (٢٧) وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ ٱلْمَلائِكَةَ تَسْمِيةَ ٱلأَنْفَى (٢٧) وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ الْمَالِيَّةُ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنَى مِنَ الْحَقِيِّ شَيْئًا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَنْ مْنَ تَوَلِّىٰ عَنْ أَلْكَةُ مُنْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ الطَّنَّ اللهُ الْحَيْوةَ ٱلدُّنْفِيا (٢٩) ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُو أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ وَنْ سَبِلِهِ وَ هُو أَعْلَمُ بِمَنِ آهْتَذَى (٣٠) عَنْ سَبِلِهِ وَ هُو أَعْلَمُ بِمَنِ آهْتَذَى (٣٠)

◄ اللّغة

وَ ٱلنَّجْمِ: أصل النّجم الكوكب الطَّالع.

هُوٰى: اللهويّ سقوطٌ من علوٍ إلى سفلٍ.

غُوٰى: الغيّ ضدّ الرُّشد و الغَّي الخيبة.

ذُو مِرَّةٍ: بكسر الميم صفة جبرئيل و هي في الأصل شدّة الفتل و قد تطلق

دَنْ الدُّنو بضّم الدّال القرب يقال دني فلان اي قرب.

فَتَدَكِّىٰ: أصل التدلّي النُّزول إلى الشَّيِّ حتَّى يقرب منه فوضع موضع القرب و قيل التدلّي الزّيادة في القرب.

قابَ قَوْسَيْنِ: أي قدر قوسين عربيتين.

المجلد القرآن كم * بمخا

ٱلْفُؤادُ: القلب.

أَفَتُمْارُ ونَهُ: مأخوذ من المراء و هو المجادلة أي فتجادلونه.

نَوْ لَةً. النَّزلة الدَّفعة أي رأه دفعةً أخرى و نزلة مصدر في موضع الحال أي رأه نازلاً نزلةً أخرى.

سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهٰى: قيل هي شجرة النَّبق و قيل لها سدرة المنتهى في السّماء السّادسة.

جَنَّةُ ٱلْمَأُوٰيَ: المأوي)جنّة الخلد.

إِذْ يَغْشَى: الغشيان لباس الشَّى ممّا يعمّه.

زاْغَ ٱلْبُصَرُ: الزّيغ الدّهاب.

ما طَغْي: الطَّغيان طلب الإرتفاع.

ٱللَّاتَ وَٱلْغُزِّيٰ: أسماء أصنام كانت العرب تعبدها.

مَنْوةً: كانت صخرة عظيمة لهذيل و خزاعة وكانوا يعبدونها.

ضيزى: بكسر الضّاد الفساد.

◄ الإعراب

إذا هَوْى العامل في الظّرف فعل القسم المحذوف أي أقسم بالنَّجم وقت هواه ما ضَلَّ جواب القسم و عَلَّمَهُ صفة للوحي و هُو مبتدأ بالأُقُقِ خبره و الجملة حال من فاعل، إستوى قاب ألف قاب مبدلة من واو ما كذَب آلْفُؤادُ بالتَّخفيف و (ما) بمعنى الذي، مفعوله نَوْ لَةً مصدر و عِنْدَ ظرف لرأي و عِنْدَها حال من السِّدرة آلْكُبُوْى مفعول رأى أو نعت لأيات و ضيزى أصله ضوضى مثل طوبى فأنقلبت الواوياء أَسْماء يجب أن يكون المعنى ذوات أسماء لأن لفظ الإسم لا يسمى.

ياء الفرقان في نفسير القرآن كما كما يمكم

▶ التّفسير

وَ ٱلنَّجْمِ إِذَا هَوٰى

أقسم الله تعالى بالنَّجم و هو الكوكب الطَّالع و إختلف المفسّرون في معنى المراد منه في المقام على أقوالٍ:

فقال مجاهد المراد به التُّريّا إذا سقطت مع الفجر و في روايةٍ أخرى عنه هو القرأن إذا نزل.

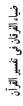
و قال الحسن المراد به عامّة النّجوم إذا هوى أي إذا سقط يوم القيامة.

و قال السُّدي أنّ النّجم هاهنا الزُّهرة، و قيل المراد النّجوم التّي ترمى بها الشّياطين، و قيل هو النَّبت الّذي ليس له ساق و قيل هو رسول الله إذا نزل من السّماء ليلة المعراج و غيرها من الأقوال و أنّما يصحّ أن يراد به هذه المعاني بإعتبار نوره، فأنّ القرأن نورّ، و رسول الله نور فأنّ النُّور ظاهر بالذّات و مظهرً للغير و القرأن و الرّسول كذلك و أحسن الوجوه في المقام أن يراد به رسول الله كما هو مقتضى سياق الأيات.

و قوله: إذا هَوى أي سقط و نزل من العلو إلى السُّفل و قد نزل رسول الله في ليلة المعراج من السّماء إلى الأرض لإرشاد النّاس و هو السَّفر من الحقّ إلى الخلق و هذا النُّزول يليق بأن يقسم به إذ فيه سعادة الدّارين و حلاوة النّشأتين لجميع البشر لو أطاعوه و القرأن أيضاً كذلك إلاّ أنّه صامتٌ و الرّسول قرأن ناطق هذا و أمّا حمل النّجم على ظاهره أيضاً لا إشكال فيه إذ للّه تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه.

مًا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوٰى

هذا جواب القسم و المراد بالصّاحب رسول اللّه بإتّفاق المفسّرين و الخطاب للكفّار أو للمسلمين لأنّ الرّسول كان مصاحباً لجميعهم و قوله: مُل





غَواى أي ماغاب عن إصابة الرُّشد و بعبارةٍ أخرى ما صارصاحبكم غاوياً و قيل ما تكلّم بالباطل فيما أخبركم به من قصّة المعراج و غيرها و إليه الإشارة بقوله:

وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوٰيَ

أي ما ينطق لكم من عند نفسه، يقال فلان تابعٌ لهواه في فعله و كلامه، أي يفعل و يتكلّم بمقتضى أمياله النفسانية الأمّارة بالسُّوء و هذا هو الفرق بين المعصوم كالنبيّ و الوصيّ و غيرهما من أفراد البشر و لأجل هذه الدّقيقة أمرنا الله بمتابعة المعصوم:

قال اللّه تعالى: وَ مَا الْتَيْكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُولُ (). قال اللّه تعالى: أَطْيِعُوا ٱللَّهَ وَ أَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَ أُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمُ (٢).

إذ لو فرضنا أنّ الإمام المقتدى به ينطق عن الهوى و يفعل ما يشاء فهو كغيره من أفراد البشر، و هو من الإغراء بالجهل و اللّه تعالى منّزةٌ عنه مضافاً إلى أنّه من التَّرجيح بلا مرَّجح و هو قبيح عقلاً و لذلك قال:

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحٰي

إن، نافية أي ليس نطقه و بيانه لكم إلا من طريق الوحي من الله تعالى إليه أي لا يقول إلا بوحي منه فما قال أو يقول هو قول الله في الحقيقة إلا انه بلسان نبيه و يقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه و أوليائه وحيّ و قد تكلمنا في أقسام الوحى سابقاً بما لا مزيد عليه.

عَلَّمَهُ شَديدُ ٱلْقُوٰى

في نفسه و علمه و القوّة هي القدرة قيل المراد به جبرئيل، فأنّه أمين الوحي على الأنبياء و قيل هو الله عزّ وجلّ و هذا هو الحقّ فأنّ جبرئيل لا يقول إلاّ من الله فقوله قوله فالله تعالى هو المعلّم لأنبيائه بتوسّط جبرئيل.

ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوٰى

ذو، بمعنى صاحب أي صاحب مرّةٍ و هي القوّة قيل أصل المرّة شدّة الفتل و هو ظاهر في الحبل الَّذي يستمرّ به الفتل حتّى ينتهي إلى ما يصعب به الحلُّ ثمّ تجري المرّة على القدرة لأنّه يتمكّن بها من الفعل كما يتّمكن من الفعل بالألة فالمرّة و القوّة و الشدّة نظائر و قوله: فَــاسْتَوٰى فـالإستواء الإسـتيلاء و المعنى إستولى عليه، بعظم القوّة فكأنّه إستوت له الأمور، و قيل يعنى اللّه عزّ و جلّ إستوى على العرش.

وَ هُوَ بِالْأُفُقِ ٱلْأَعْلَى

عند المعراج و قيل ذُو مِرَّةٍ مبتدأ و خبره في موضع الحال و تقديره ذو مرّةٍ فإستوى حال كونه بالأفق الأعلى، و قيل أنّه معطوف على الضّمير في إستوى و حسن ذلك كي لا يتّكرر(هو) و أنكره الزّجاج و قال لا يجوز عطف هو على الضّمير من غير تأكيدٍ إلا في الشّعر، و قيل فَاسْتَوٰى يعني جبرئيل (و هو) كناية عنه على هذا و في الوجه الأوّل هو كناية عن النبيّ.

و قال قتادة، الأفق الأعلى، الّذي يأتي منه النّهار و قيل هو مطلع الشُّمس. و قال الزّمخشري في الكشّاف ذُو مِرّةٍ وصف لجبرئيل أي هو ذو حصافةٍ مزء ۲۷ و عقلِ في رأيه و متانةٍ في دينه **فَــاسْتَوٰى** أي فـإستقام عــلى صــورة نــفسـه الحقيقية دون الصُّورة التِّي كان يتمثّل بها كلّما هبط بـالوحى و كـان يـنزل فـى صورة دحية الكلبي، و ذلك أنّ رسول اللّه عَلَمْ اللَّهِ عَالَمْ اللَّهِ عَلَمْ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَمْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُواللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّ التّي جبّل عليها فإستوى له في الأفق الأعلى و هو أفق الشّمس فملأ الأفق و قيل ما رأه أحد من الأنبياء في صورته الحقيقيّة غير محمّد الله المُثَالِثُ مرَّةً في الأرض و مرَّةً في السّماء إنتهي.

أقول و الذي يقوي في نفسي في معنى الجملة أنّ (ذو مرّةٍ) وصف لجبرئيل و قوله فإستوى، أيضاً وصف له و قوله: وَ هُوَ بِالْأُفُقِ ٱلْأَعْلَى فالواو للحال و المعنى حال كونه أي جبرئيل بالأفق الأعلى فالأوصاف كلّها له.

ثُمَّ دَنيٰ فَتَدَلَّىٰ، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى

قال صاحب الكشّاف ثُمَّ دُنٰي أي جَبرئيل من رسول اللّه فَتَدَلّيٰ أي فتعلّق عليه في الهواء تدَّلت النَّمرة إلى أخر ما قال في شرح اللُّغات.

و قال الحسن و قتادة و الرَّبيع و فيه تقديم و تأخير و التقدّير ثمّ تدَّلى فدنا، و قال الزّجاج معنى دنى و تدَّلى، واحدة لأنّ المعنى أنّه قرب و تدَّلى، أي زاد في القرب و المعنى، ثمّ دنى، جبرئيل إلى محمّد اللَّهُ وَاللَّهُ فَتدَّلَى اليه من السّماء.

مَا كَذَبَ ٱلْفُؤاٰدُ مَا رَأَيَ

ما، نافية، و كذب، بالتّخفيف و الفؤاد القلب و الرؤيّة بالعين على قول المفسّرين و على هذا فالمعنى أنّه لم يكذب فؤاد محمّد ما رآه بعينه بل صدق به و يظهر من كلام صاحب الكشَّاف أنَّ المرِّئي كان جبرئيل لأنَّه قال ما كذب فؤاد محمّد الله والمُعَلَّةُ ما رآه ببصره من صورة جبرئيل عليَّا إلى ما قال فؤاده لمّا رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنّه عرفه يعنى أنّه وَلِلْهُ عَلَيْهُ وَلَيْكُو اللَّهِ وَاللّ عرفه بقلبه و لم يشكّ في أنّ ما رآه حقّ و قرئ (ماكذّب) أي صدَّقه و لم يشكّ أنّه جبرئيل إنتهي.

و قيل معنى الجملة ما كذب فؤاد محمّد الله الله و الله عنى الجملة من جلال الله و عظمته، و قيل من آياته السَّماوية هذا ما قالوه في تفسير الآية.

و أنا أقول ظاهر الآية يدلّ على أنّ الرّائي هو القلب لا البصر فأنّ قوله: ما رَأَى أي ما رأى القلب و بعبارةٍ أخرى تقدير الكلام ما كَذَبَ ٱلْفُؤ أَدُ مَا رَأَى يذكر العين و لا البصر في الآية فإنتساب الرّؤية الى العين لا معنى له و الحقّ أنّ المراد بها الرؤيّة القلبيّة أي ما رآه بقلبه و بصيرته و هو الأيات الدّالة على عظمة الخالق و قد أخبر الرّسول بها بعد المعراج و أنمّا قلنا ذلك لأنّ ما رآه الرّسول ليلة المعراج من أصناف الملائكة و الجنّة و النّار و العرش و الكرسي و غيرها لا يمكن رؤيتها بعين الملكي فأنّها لا ترى إلاّ الأجسام الكثيفة الّـتي هـي فـي مزء٧٧ حالم الملك و أمّا الأجسام اللَّطيفة كالملك و العرش و غيرهما ممّا ليس له مادّة فلا تراها إلاّ العين الملكوتي و بعبارةٍ أخرى الإنسان الكامل كالنبيّ يرى الموجودات الملكي بعين الملكي و الملكوتي بعين الملكوتي ألا تري أنّ الرّسول كان يرى جبرئيل و النّاس حوله لا يرونه و ذلك لأنّ الإنسان الكامل له عينان ملكية و ملكوتيّة و لغيره عينٌ واحدة إذا عرفت هذا فالرّسول ليلة المعراج رأى ما رأى بالعين الّتي كان الله المنظمة وأى بها جبرئيل في عالم الملك

فأن أراد المفسّرون بقولهم (ما رآه بعينه) هذا المعنى فهو حقّ و أن أردوا بالعين عين النّاظرة الحسّية الّتي رؤيتها بالحدقة المحسوسة ففيه ما قلنا و لتفصيل الكلام في هذا الباب مقام آخر.

و على هذا فمعنى الآية ما كذب فؤاد محمد المَّدَّ المُّكَاثُ ما رآه قلبه بعين البصيرة الله لا خطأ فيها أصلاً فأن رؤية القلب أكمل و أشرف من رؤية البصر.

أَفَتُمْارُونَهُ عَلٰى مَا يَرِْى

قرأ حمزة و الكسائي أَفَتُمرُونَهُ أي أفتغلبونه في المراء، من ما ريته فمريته و لما فيه من معنى الغلبة و قيل، أفتمرونه، معناه أفتجحدونه يقال مراه حَقه أي جحده قال الشّاعر:

وَ لَقَدْ رَاٰهُ نَزْلَةً أُخْرٰى

عِنْدَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهٰى

قيل هي شجرة النَّبق و هي في السّماء السّادسة إليها ينتهي ما يعرج إلى السّماء، و قيل لأنّه ينتهي إليه أرواح الشُّهداء.

عِنْدَها جَنَّةُ ٱلْمَأْوٰيَ

أي عند سدرة المنتهى جنَّة المقام و هي جنَّة الخلد.

إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَى

قال لمّا رفعت إلى سدرة المنتهى في السّماء السّابعة رأيت فيها شجرة مثل قلال هجر و ورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان قلت يا جبرئيل ما هذا قال أمّا الباطنان ففي الجنّة و أمّا الظّاهران فالنّيل و الفرات لفظ الداّر قطني إنتهى.

يسير الرّاكب في ظلّ الغصن منها مائة سنة أو يستّظل بظّلها مائة راكب فيها فراش الذّهب كان ثمرها القلال إنتهى.

و ذكر في كتابه أحاديث كثيرة من هذا النَّمط إلاَّ أنَّ فهمها مختَص بناقلها و راويها. ضياء الفرقان في تفسير القرآن



4 > العجلد السادس عشر

مًا زَاٰغَ ٱلْبَصَرُ وَ مَا طَغْي

الزّيغ الذّهاب و قيل الزّيغ الميل عن الحقّ المطلوب، قال إبن عّباس أي ما عدل يميناً و لا شمالاً و لا تجاوز الحدّ الّذي رأى، و قيل ما جاوز ما أمر به و قيل لم يمدُّ بصره إلى غير ما رأى من الأيات.

لَقَدْ رَأَى مِنْ أَيَّاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرِٰيَ

قسم من الله تعالى أنّ النبيّ رأى من أيات الله و دلائله أكبرها جنّة الخلد و هى في السّماء السّابعة و لنشر إلى بعض الأخبار الواردة في تأويل هذه الأيات من طريق أهل البيت الّذي هم أدرى بما في البيت.

أمّا قوله: وَ ٱلنَّجْم إِذَا هَوٰى:

فعن أمالي الصِّدوق عَلَيْكُ بأسناده إلى إبن عبّاس قال صلَّينا العشاء الأخرة ذات ليلة مع رسول الله وَ اللهِ عَلَيْنَا اللهِ عَلَينا بوجهه ثمّ قال اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ سينقض كوكبٌ من السّماء مع طلوع الفجر فيسقط في دار أحدكم فمن سقط ذلك الكوكب في دار فهو وصييّ و خلفيتي و الإمام بعدي فلمّا كان قرب الفجر جلس كلّ واحدٍ منّا في داره ينتظر سقوط الكوكب في داره و كان أطمع القوم في ذلك أبى العبّاس بن عبد المطّلب فلمّا طلع الفجر انقض الكوكب فسقط في دار علّي بن أبي طالب فقال رسول الله وَ الله عَلَيْ العليِّ ياعليّ و الذي بعثنى بالنبوة لقد وجبت لك الوصية و الخلافة و الإمامة بعدى فقال المنافقون عبد الله بن أبي و أصحابه لقد ضلَّ محمّد الله عند ال محبّته إبن عمّه و غوى و ما ينطق في شأنه إلاّ بالهوى فأنزّل الله تبارك و تعالى: وَ ٱلنَّجْم إِذا هَوٰى يقول عزّ و جلّ و خالق النَّجم إذا هوى ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَواى في محبّة علّي بن أبي طالب و ما

اء الفرقان في نفسير القرآن كم المجلد

غوى و ما ينطق عن الهوى يعني في شأنه، إن هو إلا وحي يوحى انتهى.

و بأسناده إلى الصّادق النِّه إلى عن أبيه عن أبائه قال النَّه إلى المرض النّبي مرضه الّذي قبضه الله فيه إجتمع إليه أهل بيته و أصحابه فقالوا يا رسول الله إن حدث بك حدث فمن لنا بعدك و من القائم فينا بامرك فلم يجيبهم عن شئ ممّا سألوه فلمّا كان اليوم الثّالث قالوا له يا رسول الله إن حدث بك حدث فمن لنا بعدك و من القائم فينا بأمرك فقال الله الله إذا كان غداً هبط نجمٌ من السماء على دار رجل من أصحابي فأنظروا من هو فهو خليفتي علكيم من بعدي و القائم فيكم بأمرى ولم يكن فيهم أحد إلا و هو يطمع أن يقول له أنت القائم من بعدي فلمّا كان اليوم الرّابع جلس كلّ رجل منهم في حجرته ينتظر هبوط النَّجم إذا إنقبض نجم من السّماء قد غلب ضوءه على ضوء الدّنيا حتّى وقع في حجرة علّى التَّا في فهاج القوم و قالوا و الله لقد ضلَّ هذا الرّجل و غوى و ما ينطقَ عن الهوى إن هو إلا وحيّ يوحى إلى أخر السُّورة...و ما ينطق في ابن عمّه الآبالهوى فانزّل الله تبارك و تعالى: وَ ٱلنَّجْم إِذا هَوٰى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مٰا غَوٰي.

و قوله: عَلَّمَهُ شَديدُ ٱلْقُوٰى الى قوله: بِالْأُفُق ٱلْأَعْلَى.

عن تفسير علَّى بن إبراهيم قال: حدَّثني ياسر عن أبي الحسن التِّكْ إ قال: ما بعث الله نبيّاً إلاّ صاحب مرّةٍ سوداء صافية و قوله و هو بالأفق الأعلى، يعنى رسول الله ثمّ دنى من ربه كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السِّية أو أدنى، أي من نعمته و رحمته انتهي.

و قوله: مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَى الى قوله: مِنْ أَيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىَ.

و عن كتاب علل الشّرائع بأسناده إلى حبيب السّجستاني قال: قال أبو جعفر للنِّلِّ: ياحبيب و َلْقَدْ رَاهُ نَزْلَةً أُخْرى، عِنْدَ سِدْرَةِ أَلْمُأْتَهُى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأُوٰى يعني عندها وافى جبرئيل حين صعد إلى السّماء فلمّا إنتهى إلى محلّ السّدرة وقف جبرئيل دونها وقال يا محمّد أنّ هذا موقفي الذّي منعني اللّه عزّ وجلّ فيه ولن أقدر على أن أتقدّمه و لكن إمض أنت امامك إلى السّدرة فقف عندها قال الله في أن أتقدّم رسول الله إلى السّدرة و تخلّف جبرئيل قال أبوجعفر الله إلى السّدرة و الحفظة البررة دون أسسدرة يكتبون ما يرفع إليهم من أعمال العباد في الأرض قال الله فرأى في في عدم السّدرة قال الله في الأرض قال الله فرأى عن وجلّ فلمّا غشى محمّداً شخص بصره و إرتعدت فرائصه عزّ وجلّ فلمّا غشى محمّداً شخص بصره و إرتعدت فرائصه

قال النَّه عن وجلّ لمحمّدٍ قلبه و قوّى له بصره حتّى رأى مِن أيات ربِّه ما رأى و ذلك قول اللَّه عزِّ وجلِّ: وَ لَقَدْ رَأَهُ نَــزْلَةً أُخْرى، عِنْدَ سِدْرَةِ ٱلْمُنْتَهٰى، عِنْدَهٰا جَنَّةُ ٱلْمَأُوٰيَ قال النَّهِ: يعنى الموافاة، قال عليُّلا: فرأى محمّد وللهُ عَلَيْ مارأى ببصره من أيات ربّه الكبرى يعنى أكبر الأيات قال أبو جعفر التيلا و أنّ غلظ السدرة لمسيرة مائة عام من أيّام الدّنيا و أنّ الورقة منها تغطى أهل الدّنيا انتهى.

و عن بصائر الدَّرجات بأسناده إلى عبد الصَّمد بن بشير قال ذكر أبوعبدالله بدو الأذان و قصّة الأذان في إسراء النبي الله والله على الله والمُتَالِّةُ حتّى إنتهى إلى سدرة المنتهى قال فقالت السِّدرة ما جازني مخلوق قبل انتهى.

و الأخبار الواردة في الباب بهذه المضامين كثيرة و فيما ذكرناه كفاية لأولى البصائر و الإحاديث نقلناها عن تفسير نور الثّقلين(١).

أَفَرَأَ يُتُمُ ٱللَّاتَ وَ ٱلْعُزِّيٰ، وَ مَنْوةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلأُّخْرٰيَ

اللاّت و العزّى بضمّ العين، و مناة كلّها أسماء أصنام كانت العرب تعبدها في عهد الجاهلية، فاللاّت إسم صنم كانت ثقيف تعبدها، و العزّى إسم صنم، و كانت غطفان تعبدها، و مَناة بفتح الميم كانت صخرةً عظيمة لقـوم هـذيل و وزاعة و كانوا يعبدونها، و لّما ذكر اللّه تعالى في الأيات المذكورة مسألة الوحى و أنّه تعالى أوحى إلى عبده ما أوحى، و ذكر أيضاً من أثار قدرته ليلة المعراج ما ذكره، حاجّ المشركين الّذين كانوا يعبدون الأصنام التّي لا عقل لها و لا شعور فضلاً عن القدرة فقال لهم أفرأيتم هذه الألهة الَّتي تعبدونها أوحين إليكم شيئاً كما أوحيت إلى محمّد عَلَيْهِ عَلَيْهِ فَاللَّهِ فَا قُولُهُ: ۗ أَفَرَأُ يُتُمُّ للتَّوبيخ و

الإنكار أي ما رأيتم قطعاً و إذا كان كذلك فلم تعبدون ما لا يقدر على شئٍ و هو جماد.

قال هشام كانت مناة لهذيل و خزاعة فبعث رسول اللّه وَاللَّهِ عَلَيْهُ عَلَيًّا فهدمها عام الفتح، ثمّ إتّخذوا اللاّت بالطّائف و هي أحدث من مناة و كانت صخرة مربّعةِ وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناءً فكانت قريش و جميع العرب تعظمها و بها كانت العرب زيد اللأت و يتمّ اللأت و كانت في موضع منارة مسجد الطَّائف اليسري فلم تزل كذلك إلى أن أسلمت ثقيف فبعث رسول اللَّه وَ اللَّهُ وَاللَّهُ المغيرة بن شعبة فهدمها و أحرقها بالنَّار ثم إتَّخذوا العزّى و هي أحدث من اللاّت إتّخذها ظالم بن أسعد و كانت بواد نخلة الشَّامية فوق ذات عرق فبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منها الصُّوت قال إبن هشام و حدَّثني أبي عن أبي صالح عن إبن عبّاس أنَّه قال كانت العزّى شيطانة فأتى ثالث سمرات ببطن نخلة، فلمّا إفتتح رسول اللّه وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّلَّةُ وَاللَّهُ وَاللّلَّالَةُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّلَّةُ وَاللَّهُ وَاللَّالِي اللَّالَّالَالِهُ وَاللّلَّا لَالَّا لَالَّالَّا لَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ بعث خالد بن الوليد فقال رأيت بطن نخلة فأنّك تجد ثلاث سمرات فأعضد لأولى فأتاها فعضدها فلمًا جاء إليه قال هل رأيت شيئاً قال لا، قال فأعضد النَّــانية فأتــاها فـعضدها ثـمّ أتــى النّبي فـقال اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْ هــل رأيت شــيناً قــال لا قال الله والمُنْكُلُةُ وأعضد النَّالثة فإذا هو بحبشيَّة نـاقشة شـعرها واضـعة يـديها عـلى عاتقها تصرف بأنيابها و خلفها دبَّية السَّلمي و كان سادتها فقال:

ياعزّ كفرانك لا سبحانك أنى رأيت الله قد أهـانك

ثمّ ضربها ففلق رأسها فإذا هي حمعة ثمّ عضد الشّجرة و قتل دبيّة السّادن ثمّ أتي النّبي عَلَمُ اللّهُ فَقَال تلك العزّى ولن تعبد أبداً.

و قال إبن جبير العزّى حجرٌ أبيض كانوا يعبدونه و قيل أنّ اللاّت أخذه المشركون من لفظ الله، و العزّى من العزيز، و مناة من منى الله الشّئ إذا قدره قال الشّاعر:

لا تنصروا اللَّات أنَّ الله مهلكها وكيف ينصركم من ليس ينتصر

و الأقوال في هذه الأصنام كثيرة و نحن لا نحتاج إلى إطالة الكلام فيها بقى في المقام كلام لابد من ذكره و هو أنّ قوله تعالى: وَ مَنُوةَ الثّالِثَةَ الْأُخْرِى في المقام كلام لابد من ذكره و هو أنّما الأخرى نعت للثّانية و قد جعلت في الآية نعتاً للثّالثة ظاهراً و لذلك إختلفوا في وجهها فقال الخليل أنّما قال تعالى ذلك لوفاق رؤوس الأي كقوله، و لم يقل قاربٌ أخر، و قيل في الآية تقديمٌ وتأخير و الأصل، أفرأيتم اللاّت و العزّى الأخرى و مناة الثّالثة، و قيل أنّما قال و مناتة الثّالثة الأخرى لأنّها كانت مرتّبة عندهم في التّعظيم بعد اللاّت و العزّى النّائلة الأحرى لأنّها كانت مرتّبة عندهم في التّعظيم بعد اللاّت و العزّى المنافذي في التّقديم في التّعظيم على نسقه و أنّما ذكرنا عن إبن هشام أنّ مناة كانت أوّلاً في التّقديم فلذلك مقدَّمة عندهم في التّعظيم و اللّه أعلم.

أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَ لَهُ ٱلْأُنْثَى

ردًا عليهم قولهم أنّ الملائكة بنات الله و الأصنام بنات الله، الهمزة للإستفهام على وجه الإنكار أي ليس كذلك لوجهين:

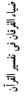
أَحَدهما: أنّكم نسبتم إلى الله تعالى ما يستحيل عليه عقلاً و لا يليق بـجنابه لأنّ التّوالد و التّناسل من شئون الجسم و اللّه تعالى منّزة عنه.

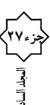
الثَّاني: أنكم أضفتم إلى اللّه ما لاترغبون لأنفسكم فكيف ترضونه للّه تعالى.

قال بعض المفسّرين، أنّما فضّل الذّكر على الأنثى لأنّ الذَّكر يصلح لما لا تصلح له الأنثى و ينتفع به فيما لا ينتفع فيه بالأنثى و لهذا لم يبعث الله نبيّاً من الأناث و إلى ما ذكرناه أشار الله تعالى بقوله:

تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضَيِزٰيَ

أي فاسدة باطلة غير جائزة بأن تجعلوا لأنفسكم الأفضل و لربًكم الأدون فلو كان الله ممّن يجوز عليه الولد لما إختار الأدون على الأفضل و حاصل الكلام أنّكم متصفون بالكفر و الجهل.





ضياء الفرقان في تفسير القرآن كملم العج

إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَا عُسَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ أَبْآ وُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الطَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدِٰيَ ان نافية، و المعنى ما هي يعني هذه الأوثان إلا أسماء سمَّيتموها ألهة، أنتم و أبائكم، ما أنزل الله بها من حجّة و لا برهان ثم عاد من الخطاب إلى الغيبة و هو من محسّنات علم البلاغة فقال: إنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ولم يقل إن تَبَعون، أي ما يتبع هؤلاء الكفّار إلاّ الظّن الذي لا يغني من الحق شيئاً دون العقل وَ ما تَهْوَى الاَ النفسانية و المعالى النفسانية و الهواس الشّيطانية.

وَ لَقَدْ جُآءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ ٱلْهُدٰيَ أي البيان من جهة الرّسول و الكتاب ففي الآية إشارة إلى أنّ العاقل ينظر إلى المسمّى دون الإسم المجّرد عنه أي وضع اللَّفظ له فهي في الحقيقة من قبيل إستعمال اللَّفظ في غير ما وضع له، فلفظ الإله أو المعبود موضوعٌ لما يتألُّه العبد إليه و يعبده و هو الَّذي يجيب العبد إذا دعاه و ينصره إذا انتصر منه فمن لا يقدر على ذلك فلا يقال له، الألهة و المعبود، و قد ثبت أنَّ الآثار مترتَّبة على المسمَّى لا على الإسم فـلفظ الآلهـة لا أثر له إلاَّ إذا كان حاكياً عن معناه الموضوع له و هو المعبود بالحَّق الَّذي يستحقُّ أن يعبد و الرّحمن على الّذي يرحم و العالم على الّذي يعلم و القادر على الَّذي يقدر و هكذا فالألفاظ إذا أستعملت في معناها الموضوع لها فهو الحقّ و امًا إذا أستعملت في غير معناه فهو الباطل إذ لا يترتّب على الإستعمال أثر و هذا مثل أن يستعمل لفظ الدّرهم و الدّينار في الأحجار و الأخشاب إذ لا يترتّب على هذه الإستعمالات أثر فلا تضرّ و لا تنفع و ما نحن فيه مـن هـذا القبيل فأنَّ المشركين أطلقوا لفظ الآلهة و المعبود على ما شاءوا و أرادوا من الحجر و الخشب و غيرهما و المفروض أنّ اللّفظ لم يوضع له فأيّ نفع فيه و أيّ أثرِ يترتّب عليه أصار الحجر بعد إطلاق اللّفظ عليه إلهاً و معبوداً و إلى هذا المعنى أشار بقوله: إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَآءُ سَمَّيْتُمُوهَاۤ أَنْتُمْ وَ الْبَآؤُكُمْ أَي أَنتم و آبائكم أطلقتم إسم الإله على الأصنام و الأوثان، و لم تعلموا أنّ هذا اللّفظ لم يوضع لها و مجرّد الإستعمال بمقتضى الهوى لا ينفع و لا يترتّب عليه أثر و ليس هذا إلاّ مثل إستعمال لفظ السّكر على الحنظل و الدّرهم على الخشب و العاقل لا يكون كذلك و هذا ظاهرً.

و في قوله: وَ لَقَدْ جَآءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ ٱلْهُدٰيَ إِشَارة إلى أنَّ الإنسان العاقل لا يتَّبع الظُّن في الإعتقادات بل يتَّبع القطع و اليقين و هـو لا يحصل إلاَّ من طريق الأنبياء فأنّ أهل البيت أعرف بما في البيت و قد ورد في الآثار الواردة عن مقام العصمة ما يكفى في المقام.

قال الصّادق التِّلْإ: كلّما ميزَّتموه بأوهامكم فهو مخلوقٌ مثلكم مردودٌ إليكم

و في هذا الحديث و أمثاله إيماءٌ إلى أنَّ اللَّه لا يعرف إلاَّ من طريق الأنبياء و الأوصياء لا من طريق الأوهام و الخيالات و الوساوس الشّيطانية و إلاّ يــلزم أن يكون لكلِّ شخصٍ من أفراد البشر إلهاً مخصوصاً به غير إله الآخر و هـو كـما تری.

أُمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ

قيل معناه بل لمحمّدٍ ما تمنّى من النّبوّة و الكرامة و على هذا فالمراد وزء٧٧ كم بالإنسان هو الرّسول، و قيل معناه للانسان ما تمنّى، من غير جزاءٍ، و قيل أم للإنسان ما تمنّى من شفاعة الأصنام هكذا فسرّوا الكلام.

و قال صاحب الكشَّاف (أم) منقطعة و معنى الهَمزَة فيها الإنكار أي ليس للإنسان ما تمنّي، و المراد طمعهم في شفاعة الآلهة و هو تمّنِ على الله في غاية البعد و قيل هو تمنّى بعضهم أن يكون هو النَّبي، و قيل هو قول الوليد بن المغيرة، و قيل غير ذلك إنتهى.

أقول الظّاهر أنّ الآية من تتمّة الآية السّابقة أو مرتبطة بها و البحث في السّابقة كان في ردّ من إتَّخذ الأصنام و الأوثان إلهاً، فالحقّ أنّ معنى الآية ليس للإنسان ما تمنى في إتّخاذ المعبود بمقتضى هواه بل ينبغي له أن يعبد الخالق الذي خلقه و هو الله الخالق البارئ المصوّر الّذي رجوع الخلق اليه كما أشار اليه بقوله:

فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَ ٱلْأُولٰى

لا لغيره كائناً ما كان إنّا للّه و إنّا إليه راجعون.

وَكُمْ مِنْ مَلَكٍ فِي ٱلسَّمُواْتِ لا تُغْنى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَنْ يَشْآءُ وَ يَرْضٰيَ

كم، تفيد الكثرة و المعنى أنّ كثيراً من ملائكة السّموات لا تغني أي لا تنفع شفاعتهم في حقّ غيرهم إلا من بعد أن يأذن الله لهم في الشّفاعة لمن يشاء الله و يرضى عنه، ليشفعوا فيه، قيل الغرض بذلك الإنكار على عبدة الأوثان و قولهم أنّهم تشفع هَوُلاء شُفعاًونا عبند الله (١) و إذا كان الملك شفاعته لا تُعني فغيره من الأصنام و الأوثان بطريق أولى و في هذا الكلام تحذيرٌ من الإتكال على الشّفاعة و هذا لا ينافي ما نعتقد به من أنّ النبي الله المنافي و الأنمة و المؤمنين يشفعون يوم القيامة في كثيرٍ من أصحاب المعاصي فيسقط عقابهم لمكان شفاعتهم، لأنّ هؤلاء عندنا لا يشفعون إلا بإذن الله و مع ذلك يجوز أن لا يشفعوا فالزّجر واقع موقعه قاله في التّبيان و هو كذلك.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنْثَى أَخْر الله تعالى في هذه الآية أنّ الذين لا يصدّقون بالبعث و لا بالثّواب و لا بالعقاب بالحساب، ليسمُّون، الملائكة تسمية الأنشى فيقولون أنّ الملائكة

بنات الله و لم يعلموا أنّ ذلك يوجب العقاب يوم القيامة لأنّهم جعلوا اللّه بذلك القول من الأجسام و كلّ جسم محتاجٌ الى أجزاءه و كلّ محتاج ممكن و كلّ ممكنٍ مخلوق و المخلوق ليس بخالق كما أنّ الممكن ليس بواجب القول كفرٌ باللّه و هو كما ترى و الى هذا أشار اللّه بقوله:

وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْتًا

أنمًا نفى عنهم العلم و قال مالهم به من علم، لأنّ الملائكة لو كانت بنات الله فالله تعالى أيضاً مولودٌ لغيره و من كان مولوداً لغيره فهو مخلوقٌ حادثٌ و لازم ذلك أن يكون الغير أيضاً مولوداً لغيره إذ حكم الأمثال واحدٌ و هو مستلزم للتَّسلسل فلابدٌ أن ينتهي إلى من لم يولد دفعاً للتَّسلسل و كلّ من لم يولد لم يلد فينتج أنّ الله لم يلد و إذا لم يلد فليست الملائكة بنات الله و هو المطلوب.

و قوله: إِنْ يَتَبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ إلى أخر الأية، كأنه جوابٌ عن سؤالٍ مقدّر و هو أنّه لو لم يكن لهم علم بما قالوا من أنّ الملائكة بنات الله فكيف قالوا ذلك فأجاب الله تعالى عنه بأنّهم إتّبعوا الظنّ و لم يعلموا أنّ الظنّ في الإعتقادات من التّوحيد و النبوّة و المعاد باطلّ و لذلك قال أنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئًا بل لابد للمكلّف من تحصيل الإعتقاد بصورة القطع و اليقين حتّى الإمكان يجوز له الإكتفاء بظنّه.

فَأَعْرِضْ عَنْ مْنَ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيْوةَ ٱلدُّنْيَا

أمر الله تعالى نبيَّه بالإعراض عمَّن أعرض عن ذكر الله و عبادته و بقي على الكفر و العناد و لم يرد إلا الحياة الدُّنيا الفانية الفاسدة و أنّما أمر نبيَّه بالإعراض عنه لأنّ من لا يريد إلاّ الدُّنيا و البقاء فيها و لا يؤمن بالأخرة لا يقبل

نياء الفرقان في تفسير القرآن



الحق أصلاً كان كذلك فتركه و الإعراض عنه أولى و لذلك قال رسول الله وَ الله وَله وَ الله وَالله وَ الله وَ الله وَ الله وَالله وَ الله وَ الله وَالله والله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَا

ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن بِمَنِ آهْتَدٰى

و المعنى أنّ علمهم إنتهى إلى أنّ الدّنيا لهم أنفع من الأخرة و البقاء فيها و التّنعم بما فيها أحسن من حياة الأخرة و الإنتفاع بما فيها من أنواع النّعم التّي لا فناء لها أصلاً و من المعلوم أنّ من رجَّح الفاني على الباقي، و الدّار التّي بالبلاء محفوفة على الدّار التّي لا بلاء فيها فالإعراض عنه أولى.

و أمّا قوله: إِنَّ رَبَّكَ هُو أَعْلَمُ يِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُو أَعْلَمُ يِمَنِ الْمَعْنَ أَنْ رَبّك الّذي خلقهم أعلم بحالهم من أنفسهم فضلاً عن غيرهم إذ خلقهم على علم منه بحالهم من الفسهم فضلاً عن غيرهم إذ خلقهم على علم منه بحالهم من السّعادة و الشقّاوة و الضّلالة و الهداية قبل خلقهم لا أنّه تعالى خلقهم كذلك ليلزم منه الجبر بل لأنّ اللّه تعالى كان عالماً بمن يختار الكفر أو الإيمان في الدّنيا بإختياره و أنّ مصيره إلى الجنّة أو إلى النّار و العلم لا يكون علّة للكفر أو الإيمان لأنّه عبارة عن إنكشاف المدرك المعلوم لدى العالم و لا ربط له بالكفر و الإيمان و السّعادة و الشقّاوة و أمثالها ممّا يحصل للعبد بسوء سريرته و ما يفعله بإختياره و بعبارةٍ أخرى أنّ السّعادة و الشقّاوة و أمثالها من أثار الفعل لا يفعله وهو ممّا لا يخفى على من تدّبر في الآية و أمثالها من الأيات إن كان من أعله و إذا كان كذلك فالأمر بالإعراض عنهم في محلّه.

وَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذينَ أُستَـُوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَـجُزىَ ٱلَّـذينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبْآئِرَ ٱلْاِثْم وَ ٱلْفُواٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ واٰسِحُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ في بُطُون أَمَّهَا تِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَٰىٓ (٣٢) أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَ أَعْطَى قَليلًا وَ أَكْدَى (٣٣) أَعِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُو َ يَرِٰيَ ۚ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأُ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسٰى (٣۶) وَ إِبْراٰهِيمَ ٱلَّذَى وَقَىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أَخْرَى (٣٨) وَ أَنْ لَـيْسَ لِلْإِنْسُانِ إِلَّا مَا سَعْى (٣٩) وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرٰي (٢٠) ثُمَّ يُجْزِيٰهُ ٱلْجَزِآءَ ٱلْأَوْفِي (٢١) وَ أَنَّ إِلٰي رَبِّكَ ٱلْمُنْتَهٰي (٤٢) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكٰى (٢٣) وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا (٢٢) وَ أَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَ ٱلأَنْثٰى (٤٥) مِنْ نُطْفَةِ إِذاٰ تُمْنٰي (٢۶)وَ أَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرٰي (٢٧) وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنِي وَ أَقْنِي (٤٨) وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ ٱلشَّعْرِي (٤٩) وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولِي (٥٠) وَ ثَمُودَا فَمٰآ أَبْقَىٰ (۵۱) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغٰى (٥٢) وَّ ٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوٰى (٥٣) فَغَشَّيْهًا ما غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى

سياء الفرقان في تفسير القرآن كمريخ

(٥٥) هٰذا نَذيرٌ مِنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولٰيَ (٥٤) أَزفَتِ ٱلْأَرْفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هٰذَا ٱلْحَديثِ تَعْجَبُونَ (٥٩)وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ (٤٠) وَ أَنْتُمْ سٰامِدُونَ (٤١) فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ ٱعْبُدُوا (٤٢)

ٱللَّمَمَ: بفتح اللآم و الميم و هي الصّغائر من الذُّنـوب، و قيل هـو الهـمّ بالمعصية و هو من قولك، ألممت بكذا أي نزلت به و قاربته من غير مواقعة.

أَجِنَّةً: جمع جنين و هـو الولد مـادام فـي البـطن سـمّي جـنيناً لإجـتنانه و

أ كُذْيَ: يقال أكدي يكدي إكداءً إذا منع الخير و الكدي المنع.

وزْرَ: بكسر الواو الثُّقل.

أَقْنَى: الإقتناء و هو جعل الشَّئ للنَّفس على اللَّزوم.

ٱلشِّعْرٰى: الكوكب المضئ.

ٱلْمُؤْ تَفِكَةً: يعني المنقلبة و منه الإفك الكذب لأنَّه قلب المعنى عن وجهه.

تَتَمَارى: أي ترتاب و تشَّك فيه.

أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ: أي دنت القيامة و سـمّاها أزفـة لقـرب قيامها يـقال أزف التَّرحل أي دنا و قرب.

◄ الإعراب

ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ هُو في مُوضع نصب نعتاً، للّذين أحسنوا أو في مُوضع رفع على تقدير هم إلَّا ٱللَّمَمَ إستثناء منقطع لأنّ اللَّمم الذّنب الصّغير أَلَّا تَـزرُ أن

مخفّفة من الثّقيلة و موضع الكلام، جرّ، بدل من «ما» أو رفع على تقدير، هو أن لا، و وِزْرَ مفعول به و ليس بمصدر وَ أَنْ لَيْسَ أن مخفّفة من الثّقيلة ٱلْجَزْآءَ ٱلْآوْفي هو مفعول يجزي و ليس بمصدر لأنّه وصف بالأوفى و ذلك من صفة المجزّي لا من صفة الفعل و تُمُودًا هو منصوب بفعل محذوف أي و أهلك ثمود و لا يعمل فيه، ما أبقى من أجل حرف النَّفي وكذلك قَوْمَ نُوحٍ وكَالِشْفَةٌ مصدر مثل العاقبة و العافية و الباقي واضح.

▶ التّفسير

وَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِى ٱلَّذَيِنَ أَسَـُّوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى

اللآم، في، لله، للملك، أو الإختصاص أخبر الله تعالى في هذه الآيـة بأنّ له ملك ما في السمّوات و ما في الأرض و ذلك لأنّه تعالى خلقهما و ما فيهما من الموجودات و الخالق مالك خلقه عقلاً ثمّ قال: لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـُّوا بِمَا عَمِلُوا إلى أخر الأية) و اللام في قوله: لِيَجْزِيَ للغاية و الغرض أي خلقهما الله تعالى لأجل الجزاء ثمّ قسَّم النّاس على قسمين و هذا الحصر عقليّ، المسئ، و المحسن، و لا ثالث لهما ثمّ أشار إلى جزاء كلّ صنفٍ يوم القيامة، فقال: لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أُستَّوُوا بِمَا عَمِلُوا بيَّن الله تعالى في هذه الجملة حكم يزء٧٧ المسئ و أنّه يجزي بما عمل في الدّنيا و فيه إشارة إلى أنّ الجزاء متّرتبٌ على العمل من خيرٍ أو شرٍّ و قد تكلّمنا في هذا المعنى فيما مضى.

و في قوله: وَ يَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى أَشار إلى حكم المحسن و هو الذّي أحسن في عمله أي عمل عملاً صالحاً و من كان كذلك فلا جرم يجزى بأحسن الجزاء لأنّ الجزاء تابعٌ للعمل خيراً و شُـراً و كثيراً و قليلاً، و هكذا من جهة الكيفيَّة في مراتب الإخلاص ثمّ وصف الذّين أحسنوا.

1

لم الفرقان في تفسير القرآن الفرقان في تفسير القرآن ٱلَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبْآئِرَ ٱلْاِثْمِ وَ ٱلْفَواْحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ واٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ ٱلأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةُ في بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ فَلا تُزَكَّّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقْمَ

في الآية مسائل:

الأُولىٰ: قوله أَلَّذينَ يَجْتَنِبُونَ كَبْآئِرَ ٱلْإِثْمِ وَ ٱلْفُواْحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ الإِثْمِ الذَّنب و المعصية و هي كبيرةٌ و صغيرة، و إختلفوا في الكبائر منها على أقوالٍ مختلفة زيادةً و نقيصةً.

فقد روى في مشكاة الأنوار عن أبي الحسن المن عن الكبائر ما ية وكم هي فكتب النالج في الجواب، الكبائر من إجتنب ما وعد الله عليه النار كفر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً و السبع الموجبات، قتل النفس الحرام، و عقوق الوالدين، و أكل الربا، و التعرُّب بعد الهجرة، و قذف المحصنة و أكل مال اليتيم، و الفرار من الزَّحف إنتهى.

و في بعض الأخبار زيد عليها الزّناء، و اللّواط و شرب الخمر و الغيبة و التّهمة و غيرها و الحقّ ما قاله بعض المحقّقين من أنّ الكبائر لا تنحصر بعدد معيّن فكلّ معصية كبيرة بالنّسبة إلى ما دونها و صغيرة بالنّسبة إلى ما فوقها فتقبيل المرأة الأجنبيّة صغيرة بالنّسبة إلى الزّناء بها و كبيرة بالنّسبة إلى النّظر إليها و هكذا و كيف كان فالإجتناب من الكبائر واجبٌ شرعاً و أمّا الفواحش فهي جمع فاحشة.

قال في المفردات الفحش و الفحشاء و الفاحشة ما عظم قبحه بين الأفعال و الأقوال فهذا أيضاً يجب الإجتناب عنه و أمّا اللَّمم الّذي إستثناه في الآية فأنّه مقاربة المعصية و قد يعبّر عنه بالصّغيرة و يقال فلان يفعل كذا لمّاً أي حيناً بعد حينٍ يقال ألممت بكذا أي نزلت به و قاربته من غير مواقعة و على هذا

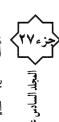
ضياء الفرقان في تفسير القرآن

الإستثناء منقطعٌ لأنّه ليس من الكبائر و لا من الفواحش فهو من الصَّغائر التي لا يسلم عن الوقوع فيها إلا من عصمه الله و حفظه ثمّ أنّهم إختلفوا في معناه فقيل أنّ اللَّمم ما دون الرّنى، و قيل ما دون الوطىء من القبلة و الغمزة و النَّظرة و المضاجعة، و قيل زنى العينين بالنَّظر و زنى اليدين البطش و زنى الرّجلين المشي و أنّما يصدّق ذلك أو يكذّبه الفرج فأن تقدَّم كان زنى و أن تأخّر كان لمماً، و قال قومٌ، اللَّمم هو الهمّ بالمعصية من جهة مقاربتها في حديث النّفس بها من غير مواقعتها و لا عزم عليها لأنّ العزم على الكبيرة كبيرة و قيل هو مقاربة الشّئ من غير دخولٍ فيه، و قيل الصَّغير من الذّنوب و الأقوال كثيرة و أحسن الأقوال أنّ اللَّمم بالمعصية و ذلك لأنّ العقاب على الفعل لا على النّية المعجرّدة عنه.

المسألة الثانية: قوله إِنَّ رَبَّكَ وأسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ وفيه إشارة إلى سعة رحمته و أنّه يغفر الذّنوب جميعاً و أنّه لا حدّ لسعة مغفرته إذ لا نهاية لصفاته تعالى كما لا نهاية لذاته و لذلك قال تعالى: إِنَّ رَبَّكَ وأسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ و إلىٰ هذا المعنى أشار الله تعالى بقوله:

قُلْ يِا عِبِادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٓ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللّٰهِ إِنَّ ٱللّٰهَ مَغْفُرُ ٱلذُّنُوبَ ۖ (١).

المسألة القَّالَثة: قوله هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَا كُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِرَ الله تعالى في هذه الآية عن علمه تعالى أَجِنَّةٌ في بُطُونِ أُمَّها تِكُمْ أخبر الله تعالى في هذه الآية عن علمه تعالى بخلقه قبل الخلق فقال هو، أي الله أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض، فيه إشارة إلى قوله تعالى: مِنها خَلَقْنَاكُم أي من الأرض خلقناكم و أنّما قال من الأرض لأنّ أدم خلقه من تراب:



قال اللّه تعالى: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اَللّهِ كَمَثَلِ اَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُراْبٍ (` ` . قال اللّه تعالى: يا ٓ أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ اَلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنْاكُمْ مِنْ تُراْب (۲).

قال الله تعالى: وَ مِنْ الْيَاتِةِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنْتُمْ بَشَرُ وَاللهِ تَنْتَشرُونَ (٣).

و في قوله: وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ في بُطُونِ أُمَّها تِكُمْ إشارة إلى عالم الرَّحم، و المقصود أنّ الله تعالى قبل خروج الإنسان عن بطن أمّه إلى الدّنيا عالم بأحواله و أنّه صالح أو فاسق من أهل الجنّة أو من أهل النّار سعيد أو شقّي كلّ ذلك لا يخفي عليه و على هذا لا ينبغي للإنسان أن يزكّي نفسه كما قال تعالى فَلا تُزكُوا أَنْفُسَكُمْ هُو أَعْلَمُ بِمَنِ آتَّقٰى آي لا تقولوا أناكذا وكذا تجعلوا أنفسكم في زمرة المتقين بل قولوا الله تعالى أعلم بحالي فأنّ العجب من الأفات.

أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ، وَ أَعْطَى قَليلًا وَ أَكْدٰىٓ

قال اللّه تعالى لنبيّه: أَفَرَأَيْتَ ٱلّذي تَوكلّىٰ و أعرض عن الحقّ و أعطى من ماله قليلاً و أكدى أي قطع القليل، قيل أنّ الآية نزلت في وليد بن المغيرة و كان أعطى قليلاً من ماله لمن يتحمّل عنه العذاب في الأخرة ثمّ منع ما ضمن له، وقيل أنّ الّذي أعطى قليلاً و أكدى هو المنافق الّذي يعطي قليلاً في المعونة على الجهاد ثمّ يمنع.

و قال إبن عبّاس، أكدى قطع العطاء و قال بعضهم نزلت الآية في عثمان و قيل في أبي جهل و قيل في عاص بن وائل و قيل لنضر بن الحارث كان فالمقصود من الآية ذمّ البخل أو ذمّ نقض العهد.

٧- الحج = ٥

۱- أل عمران = ۵۹

أَعِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرِٰيَ

أي أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من أمر العذاب فهو يرى ما غاب عنه من أمر العذاب فهو يرى ما غاب عنه من أمر الأخرة و ما يكون من أمره حتّى يضمن حمل العذاب عن غيره و كفى بهذا جهلاً و حمقاً.

أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا في صُحُفِ مُوسٰى

(أم) بمعنى بل، أي بل لم ينبأ، و النبأ الخبر و منه النبيّ لأنّه يخبر عن اللّه، و الشّحُف بضمّ الصّاد و الحاء جمع صحيفة و المراد بها في الآية مكتوب الحكمة لأنّها كتب اللّه و هى التّوراة و معنى الآية بل لم يخبر من أعطى قليلاً و أكدى بما هو مسطورٌ في التّوراة.

وَ إِبْراٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّيُّ

أي و بما في صحف إبراهيم الخليل الذّيبما يجب عليه لله عزَّ وجلّ:

أَلًّا تَزِرُ واٰزِرَةٌ وِزْرَ أُخْرٰى

أي لا يؤخذ أحد بذنب غيره و ملخّص الكلام في هذه الأيات أنّا كتبنا في صحف موسى و إبراهيم عليهما السّلام أن لا تزر وازرة وزر أخرى، أي لا يؤاخذ أحد بذنب غيره فكيف يعطي الوليد أو غيره قليلاً من ماله لمن يتحمَّل عنه العذاب زعم أنّ غيره يتحمَّل عنه العذاب فهو من أحمق النّاس.

وَ أَنْ لَيْسَ لِلْاِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرْى، ثُمَّ يُجْزيهُ ٱلْجَزْآءَ ٱلْأُوْفَى

هذه الأيات معطوفة على قوله: أَلَّا تَزِرُ و أُزِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى و على تقدير الكلام في هذه الأيات هكذا، بل لم يخبر هذا المكدي بما في ضعف موسى و إبراهيم و هو أمور:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



أحدها: أَلَّا تَزِرُ و أُزِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى أي لا يعاقب أحد بذنب غيره. الثّاني: أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسُانِ إِلَّا مَا سَعْى في الدُّنيا أي ليس له من الجزاء إلاّ ما يجزي على عمله دون ما عمله غيره.

الثّالث: وَ أَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرى أي سعيه في الأعمال سوف يرى في الأخرة فيجزى عليها كما قال تعالى: ثُمَّ يُجْزيْهُ ٱلْجَزْآءَ ٱلْأَوْفَى أي الجزاء الكامل التّام الّذي لا نقص فيه، فهذه الأمور مسطورة في صحف موسى و إبراهيم بل في جميع الكتب السّماوية ثمّ قال تعالى:

وَ أَنَّ إِلَى رَبِّكَ ٱلْمُنْتَهٰى

أي إلى ربّك تنتهي الأمور فهو المرجع و المردّ و إليه المصير فيعاقب و يثيب، و إن شئت قلت، منه إبتداء المنّة و إليه إنتهاء الأمان إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، فهو لا يسأل عمّا يفعل و هم يسألون و لا حول و لا قوّة إلا به.

وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكٰى

أي أنّ اللّه أضحك و أبكى قيل في معناه يعني أنّه أفرح و أحزن لأنّ الفرح يجلب الضحك و الحزن يجلب البكاء و على هذا فالمعنى أنّه قضى أسباب الضحك و البكاء و هذا كما يقال أضحكني و أبكاني إذا كان سبب ذلك بما يقع عنده ضحكي و بكائي فأنّ الضّحك و البكاء من فعل الإنسان و من شئون الجسم و اللّه تعالى منزّة عنه و لأجل هذا قال و أنّه هو أضحك و أبكى، أي أضحك غيره و أبكاه و لم يقل و أنّه هو يضحك و يبكي لأنّ الضحك ينشأ من سرور القلب و البكاء من حزنه و تألّمه فمن لا قلب له لا ضحك له و لا بكاء و القلب من شئون الجسم.

و قال الحسن معناه أضحك الله أهل الجنّة في الجنّة ابكى و أهل النّار في النّار، و قيل أضحك من شاء بأن غمّه و قيل

أضحك الأرض بالنبات و أبكى السماء بالمطر و قيل أضحك المطيعين بالرَّحمة و أبكى العاصين بالسَّخط و هكذا كان لا شكّ في أنّ الله تعالى مسبّب الأسباب في جميع الأحوال إذ لا مؤثّر في الوجود إلا هو.

وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا

أي أنّ الموت و الحياة بيده في جميع الموجودات فأنّ الموت و الحياة في كلّ شيّ بحسبه، فأنّ اللّه تعالى كما يميت الإنسان في الدُّنيا و يحييه حين البعث للحساب و الجزاء كذلك يميت الأرض بعدم نزول المطر و يحييها بنزوله و هكذا فأنّ لكلّ مخلوقٍ موتّ و حياة بحسبه و الفاعل هو الله لا غيره ألا ترى أنّ القلب يحيه اللّه بنور المعرفة و يميته بزوالها عنه.

وَ أَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَ ٱلْأُنْثٰى، مِنْ نُطْفَةٍ إِذا تُمْنٰى

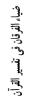
في الإنسان و النُّطفة هي ماء الرّجل و المرأة التّي يخلق منها الولد و قوله: إذا تُمْنٰى يعني إذا خرج المني منهما و جعل في الرَّحم فأنّ الله خلق منها الولد إمّا ذكراً وإمّا أنثى و معنى تُمْنٰى أي تلقى هكذا قيل فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

وَ أَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرٰى

لمّا بيَّن اللّه أنّه هو الّذي يخلق الذَّكر و الأنثى من النُّطفة بيَّن في هذه الآية أنّ عليه النَّشأة الأخرى و هى البعثة يوم القيامة فأنّ للإنسان نشأتين، الأولى في الدُّنيا، و الثّانية في الأخرة و كلتاهما تحت قدرته تعالى.

وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنٰى وَ أَقْنٰى

أي أغنى عن غيره من شاء و أفقر من شاء أي أنّ الغنى و الفقر بيده، و قيل معناه أغنى بالمال و أقنى بأصول الأموال، و أصل و أقنى الإقتناء و هـو جـعل





الشّي للنّفس على اللّزوم، و الحقّ أنّ المراد بقوله: أَقَنْى أنّه تعالى جعل له قنيةً عن الرّضا و الطّاعة و ذلك أعظم الغنائين و على هذا فمعنى الجملة أنّ اللّه تعالى قد يغني عبده بالمال و قد يقنيه بما قدَّر له من الرّزق أعني يجعله راضياً بما أعطاه و لو كان قليلاً.

وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرٰى

الشَّعرىٰ بفتح الشّين الكوكب المضيُ الذّي لا يطلع بعد الجوزاء في شدّة الحرّ و أنّما خصّ الله الشّعرى بالذّكر و قال أنّه ربّ الشَّعرى مع أنّه تعالى ربّ العالمين لأنّ العرب كانت تعبده فأعلمهم اللّه عزّ وجلّ أنّ الشّعرى مربوبٌ وليس بربّ.

وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولٰى

لمّا توفّی نوح النّبی بقی قومه و ذریته المؤمنون دهراً طویلاً یترقبون هوداً و ینتظرون ظهوره حتّی طال علیهم الأمد و قست قلوب کثیرة منهم و إرتدّوا عن الدّین و أقبلوا علی عبادة الأصنام أشدًهم بأساً و أکثرهم کفراً و طغیاناً قوماً منه سکنوا أرض الیمن و بنوا فیها الأبنیة و مدّنوا فیها المدن و کان یقال لهم قوم عاد و کانوا ینسبون إلی عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح و کانت بلادهم ما بین عمّان إلی حضر موت و هناك عاد أخرون و هم سابقون علی عاد قوم هود بعبر عنهم بعاد الأولی کما یعبر عن قوم هود بعاد الثّانیة، و قد مرّ الکلام فی قوم هود و کیفیّة العذاب الّذی نزل علیهم.

و قد أشار الله تعالى في هذه الآية إلى عاد الأولى و أنه تعالى أهلكهم و منهم خرج شدّاد بن عاد الذي إستولى على البلاد و بنى جنّة لم يخلق مثلها في البلاد و هى في صحاري عدن و قد أهلكهم الله بكفرهم و سيأتي الكلام فيها فى المستقبل إن شاء الله.

یاء الفرقان فی تفسیر القرآن کے کی کے الم

وَ ثَمُودًا فَمْآ أَبْقٰى

و هم قوم صالح أهلكهم الله بعد عقرهم النّاقة و عدم توبتهم بعد أن أمهلهم الله على ما مرّ تفصيله فيما مضي.

وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَى

قد مضى ً الكلام في قصّة نوح أيضاً و أنّ اللّه تعالى أهلكهم بالطُّوفان لظلمهم و طغيانهم.

وَ ٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهُوٰى

يعني مدائن قوم لوط عليه التفكت بهم أي إنقلبت و صار عاليها سافلها يقال، أفكته أي قلبته و صرفته و قوله: أهوى أي خسف بهم بعد رفعهما إلى السّماء ثمّ أهوى بها جبرئيل إلى الأرض و قد مرَّ الكلام في قوم لوط و كيفيّة عذابهم أيضاً.

فَغَشّيها ما غَشّىٰ

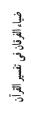
أي ألبسها ما ألبسها من الحجارة المسوّمة التّي رموا بها من السّماء كما قال الله تعالى: جَعَلْنا عالِيَها سَافِلَها وَ أَمْطَرْنا عَلَيْها حِجَارَةً مِنْ سِجّيلٍ مَنْضُودٍ^(١).

فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكَ تَتَمارى

اي بأيّ نعم ربّك ترتاب و تشكّ يابن أدم و المقصود أنّ العبد إذا لم يشكر جزء ٢٧ كم بنعمة ربّه يقع في النّقمة و العذاب لا محالة.

هٰذا نَذيرٌ مِنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولٰيَ

قيل هذا، إشارة إلى الرّسول و قيل إلى القرأن و المعنى أنّ هذا الرّسول أو هذا القرأن نذيرً، أي منذرٌ من النُّذر الأولى في صحف إبراهيم و موسى فأن



۲۷ > اتوخلد الساد،

أطعتموه أفلحتم و إلا حلَّ بكم ما حلَّ بمكذّبي الرُّسل السّالفة، و أن كان المراد بالنّذير القرأن فالمعنى أنّه نذيرٌ بما أنـذرت به الكتب الأولى، و قال قوم أنّ المعنى هذا الّذي أخبرنا به من أخبار الأمم الماضية الّـذين هـلكوا، تخويفٌ لهذه الأمّة أيضاً من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك من النذر أي مثل النّذر و النّذر في قول العرب بمعنى الإنذار كالنّكر بمعنى الإنكار.

أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ، لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ ٱللهِ كَاشِفَةٌ

أي قربت السّاعة و دنت القيامة و سمّاها آزفة لقرب قيامها عنده و قيل سمّاها بها لدنوّها من النّاس و قربها منهم ليستّعدوا لها لأنّ كلّ ما هو آتٍ قريبٍ. قال الشّاعر:

أزف التَّـرحل غير أنّ ركابنا لمّـا تزل برحالنا و كان فد قال الجوهري، أزف التَّرحل يأزف أزفاً أي دنا و أفد و قوله:

لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ

أي ليس لها من دون الله من يقدّمها أو يؤخّرها و قيل، كاشفة، أي إنكشاف لا يقدر عليه إلا الله فالكاشفة إسم بمعنى المصدر و الهاء فيها كالهاء في العاقبة والعافية ثمّ قال تعالى:

أَفَمِنْ هٰذَا ٱلْحَديثِ تَعْجَبُونَ

يعني القرآن و الإستفهام للتّوبيخ أي فمن هذا القرآن تعجبون، تكذيباً، به وَ تَضْحَكُونَ إستهزاءً وَ لا تَبْكُونَ إنزجاراً و خوفاً من الوعيد.

وَ أَنْتُمْ سٰامِدُونَ السّامد اللاّهي يقال للجارية أسمدي، أي غنيّ.

فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ ٱعْبُدُوا



أي و أعبدوا الله و لا تشركوا به شيئاً، و يحتمل أن يكون المراد بالسُّجود معناه اللُّغوي أي إخضعوا لله و الخضوع و الخشوع و المراد به الطّاعة و الإنقياد، و يحتمل أن يكون المراد بالسُّجود معناه عند أهل الشَّرع و هو وضع الجبهة على الأرض في الصّلاة و على هذا فالأمر بالسُّجود أمرٌ بالصّلاة فأنها خير موضوع من شاء إستقل و من شاء إستكثر و على التقديرين هو أمرٌ من الله بالإنقياد و الطّاعة و الإجتناب عن معاصيه و أنمّا ذكر هذه الآية بعد الأيات ليعلم الإنسان أنّ حلاوة النشّأتين و سعادة الدارين في طاعة الرَّب كما أنّ خسران الدُّنيا و الأخرة في مخالفته، هذا أوّلاً.

ثانياً: أن يعتبر المعتبر بما ذكره الله من الأيات الحاكية عن نزول العذاب على الأمم الماضية فأنّ حكم الأمثال واحد و لكن أين الإعتبار.





الله سُورَةُ ٱلْقَمَرِ ﷺ

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

إَقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَ ٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ (١) وَ إِنْ يَرَوْا أَيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ (٢) وَكَذَّبُوا وَ ٱتَّبَعُوٓا أَهُوٰ آءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرِ مُسْتَقَرُّ ٣) وَ لَقَدْ جْآءَهُمْ مِنَ ٱلْأَنْبَآءِ مَا فيهِ مُزْدَجَرٌ (۴) حِكْمَةٌ بْالِغَةُ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدّاع إلى شَيْءٍ نُكُرِ (٤) خُشَّعًا أَبْطارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْداٰثِ كَأَنَّهُمْ جَراٰدٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَافِرُونَ هٰذا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَ قَالُوا مَجْنُونٌ وَ ٱزْدُجِرَ (٩) َّفَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْناآ أَبُواٰبَ ٱلسَّمْآءِ بِماآءِ مُنْهَمِر (١١) وَ فَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٓ أَمْر قَدْ قُدِرَ (١٢) وَ حَمَلْنَاهُ عَلَى ذاتِ أَلْواْح وَ دُسُر (١٣) تَجْرى بِأُعْيُنِنَا جَزْآءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١۴) وَ لَقَدْ تَرَكْنَاهٰ ٓ أَيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَدْاٰبِي وَ نُذُرِ (١٤) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا



ٱلْقُرْانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ (١٧) كَذَّبَتْ عادُ فَكَيْفَ كَانَ عَذابِي وَ نُذُر (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ريحًا صَرْصَرًا فِي يَوْم نَحْسِ مُسْتَمِرِّ (١٩) تَنْزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْل مَنْقَعِرِ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُر (٢١) وَ لَقَدْ يُسَّرُّنَا ٱلْقُرْانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنًّا وأُحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذًا لَفي ضَلَالَ وَ سُعُر (٢٤) ءَأَلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ يَيْنِنَّا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَـدًا مَـن ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ (٢٤) إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْ تَقِبْهُمْ وَ أَصْطَبِرْ (٢٧) وَ نَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَاءَ قِسْمَةُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبِ مُحْتَضَرُ (٢٨) فَـنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذابي وَ نُذُر (٣٠) إنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً واٰحِدَةً فَكَانُوا كَهَشيم ٱلْمُحْتَظِرِ (٣١) وَ لَـقَدْ يَسَّـرْنَا ٱلْقُرْانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ خَاصِبًا إِلَّا أَلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرِ (٣٢) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذْلِكَ نَجْرَى مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَ لَقَدْ أَنْـذَرَهُمْ بَطْشَتَنا فَتَمَارُوا بِالنُّذُر (٣٥) وَ لَقَدْ رَاْوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِه فَطَمَسْنٰآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذاٰبِي وَ نُذُر (٣٧) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨)

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 👌 🤰

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

کم * المجلد السادس عذ

فَذُوقُوا عَذابي وَ نُذُر (٣٩) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ (٤٠) وَ لَقَدْ جاآءَ ال فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِالِّاتِنَا كُلُّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزيزِ مُقْتَدِرِ (٢٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرْ آءَةٌ فِي ٱلزُّبُر (٢٣) أمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٢٢) سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَ يُولُّونَ ٱلدُّبُرَ (٢٥) بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ ٱلسَّاعَةُ أَدْهٰى وَ أَمَر (٢٤) إِنَّ ٱلْمُجْرِمينَ في ضَلَالِ وَ سُعُرِ (٢٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَى وُجُوهِهمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرِ (٤٩) وَ مَا آ أَمْرُنٰآ إِلَّا وَاٰحِدَةُ كَلَمْح بِالْبَصَر (٥٠) وَ لَقَدْ أَهْلَكُنٰآ أَشْياعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ (٥٢) وَ كُلَّ صَغيرِ وَ كَبيرٍ مُسْتَطَرُّ (٥٣) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَ نَهَرِ (٥١) في مَـقْعَدِ صِدْقِ عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدرٍ (٥٥)

✔ اللّغة

إَقْتُرِبَتِ: الإقتراب مبالغة في القرب.

ٱلْأَنْبُآءِ: الأخبار.

مُرْدَجَرُ: بضمَ الميم من الزَّجر إلاَّ أنَّ التَّاء أبدلت دالاً و انمَا قلنا ذلك لأنّ مزدجر معناه متّعظ فهو مفتعل من الزَّجر.

فَتُوَكُّ: أي أعرض و التَّولي الإعراض.

نُكُر: بسكون الكاف و ضمّها و هما لغتان.

خُشِّعًا: الخشوع في البصر الخضوع و الذَّلة و هو جمع خاشع.

ٱلْأَجْداْتِ: جمع جدث و هو القبر.

مُهْطِعينَ: أي مسرعين.

عَسِرٌ: أي شدّيد العسر بضمّ العين الشّدة.

مُنْهَمِر: أي كثير.

و فَجُّرْنَا: التَّفجير تشقيق الأرض.

دُسُر: المسامير واحدها دسار و دسير.

صَرْصَوًا: أي شدّيداً لها صوت.

مُنْقَعِر: المنقعر المنقطع من أصله.

سُعُر: بضمّ السّين و العين معناه الجنون.

أُشِّرٌّ: بفتح الألف و كسر الشّين المرح و التَّجبر و النّشاط.

فَارْتَقِبْهُمْ: الإرتقاب الإنتظار.

وَ ٱصْطِبَرْ: أي إصبر.

كَهَشِيمُ ٱلْمُحْتَظِرِ: و المعنى كهشيم الإنتظار أي كحشيش يأكله الغنم.

بِطَشَتَنا البطش العقوبة و العذاب.

فَتَمَارَوْ ا: أي شكُّوا.

آلزُّ بُرِ: الكتب المنزلة و منها زبور داود عَلَيْكُ

◄ الإعراب

كُلُّ أَمْرٍ مبتدأ مُسْتَقِرٌ خبره و يجوز أن يكون فيه الجرّ على أنّه صفة لأمرِ حكْمَةٌ بدل من (ما) و هو فاعل جاءهم و يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف فَما تُغْنِ ما، نافية، أو إستفهاميّة في موضع نصب بتغنى و آلنُّ ذُرُ جمع نذير

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



کی کم العجلد السادس عشر م نُكَر بضمّ النُّون و الكاف صفّة بمعنى منكر و يجوز فيه ضمّ النُّون و كسر الكاف على أنّه فعل لم يسمّ فاعله خُشُّعًا حال و العامل فيه، يدعوا و صاحب الحال الضّمير المحذوف و أبْصارُهُمْ مرفوعٌ بخشّعاً و قيل العامل في الحال يَخْرُجُونَ و كَأَنَّهُمْ حال من الضّمير في (يخر جون) و مُهْطِعينَ حال من الضّمير في منتشر و قيل هو حال من الضّمير في يخرجون و يَقُولُ حال من الضّمير في مهطعين و أزْدُجِرَ الدّال بدل من النّاء و عَلْمَى أَمْر حال أو ظـرف و تَجْرِي صفة في موضع جرّ و بِأعْيُتِنا حال من الضّمير في، تـجري و جَـزْآءً مفعول له و مُدّ كِر بالدّال و أصله الذّال و مُسْتَمِرٌّ نعتٌ للنحس و كَأَنَّهُمْ حال مُنْقَعِر نعتُ لنخلَ أَبَشَرًا منصوب بفعل يفسِّره المذكور أي أتتبع بشراً و مِنْ نعتَ و يقرأ أبتشَرًا بالرّفع على الإبتداء و مِنّا نعتٌ له وأحِدًا حال من الهاء في، نتَّبعه مِنْ بَيْنِنا حال من الهاء و أشِرٌ بكسر الشّين و ضمّها لغتان و فِثْنَةً مفعول له أو حال كَهَشيم ٱلْمُحْتَظِر بكسر الظّاء و فَتحها إِلَّا أَلَ لُوطٍ هو إستثناء مُنقطع و قيل متصلّ ِ نْعْمَةً مفعول له أو مصدر بِقَدَرِ حال من الهاء أو من كلّ أي مـقدّراً وخَلَقْنَاهُ نعتٌ لكلِّ أو لشئ.

▶ التّفسير

إَقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَ ٱنْشَقَّ ٱلْقَمَرُ

أي و دنت و قربت و في (إقتربت) مبالغة كما أنّ في (إقتدر) مبالغة على القدرة و ذلك لأنّ أصل (إفتعل) طلب إعداد المعنى بالمبالغة و كذلك (إتَّخذ) من أخذ، و السّاعة القيامة.

و قال الطّبري تقديره إقتربت السّاعة الّتي يكون فيها القيامة و جعل اللّه تعالى من علامات دنوّها إنشقاق القمر المذكور معها و فى الآية تقديم و تأخير و التَّقدير إنشق القمر و إقتربت السّاعة هذا ما ذكره الشّيخ فى التّبيان.

أقول ما ذكره مَنْتُنَ لا بأس به و هو الحقّ فأنّ ظاهر الآية يدُّل على ما ذكره و لا خلاف بين المسلمين في وقوع الإنشقاق في عهد النّبي اللَّهُ اللَّهِ اللهِ السَّرِي اللهِ اللَّهِ اللهِ اللهِ اللهِ

نعم أنكره بعض من لا يعتمد بقوله لأنّه خرقٌ لإجماع المسلمين من العامّة و الخاصّة و قد إتفق المفسّرون منهم على و قوعه في تفاسيرهم.

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية بعد نقله الأقوال ما هذا لفظه

قلت و قد ثبت بنقل الأحاد العدول أنّ القمر إنشق بمكة و هو ظاهر التنزيل و لا يلزم أن يستوي النّاس فيها لأنّها كانت آية مكية و أنّها كانت بإستدعاء النبيّ الله الله تعالى عند التّحدي فروى أنّ حمزة بن عبد المطلب حين أسلم غضباً من سبّ أبي جهل الرّسول الله الله الله المرابق المرابق الله المرابق المراب

أقول ما ذكره القرطبي حقّ و به قال الطّبري و صاحب الكشّاف و الرّازي و غيرهم من أعيان العامّة و أمّا الشّيعة فلا نعلم فيهم مخالفاً أصلاً لأنّ إنكاره إنكار القرآن و هو في حدّ الكفر.

قال إبن عبّاس أجتمع المشركون إلى رسول اللّه وَ اللّه وَاللّه وَ اللّه وَاللّه وَ اللّه وَاللّهُ وَالّ

و قال إبن مسعود إنشق القمر شقّتين فقال لنا رسول الله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله وَالله والله والله والله والله والله والله والله والله على الله بن مسعود، و أنس بن مالك، و حذيفة اليمان، و إبن عمر، و جبير بن مطعم للله بن مسعود، و عليه جماعة المفسّرين الأما روي عن عثمان بن عطاء عن أبيه

: ﴿ عَلَمُ الْمُوالَّانِ ﴿ ﴿ ﴾ المُجلدُ السَادُسِ عَالَمُوالِّا لِلسَادُسِ عَالَمُوالِدُ السَّادُسِ عَالَمُوالُّ

أنَّه قال معناه، سينشقّ القمر و روى ذلك عن الحسن البصري و سعد البلخي و حيث أنَّ المُلمين أجمعوا على وقوع الإنشقاق في عهد النَّبي ثَلْمُونِكُما ۖ فلا يعتمد بخلاف من خالف فيه مع شذوذه لأنّ أشتهاره بين الصّحابة يمنع من القول بخلافه و لا سيّما أنّ المخالفين من جهّال المسلمين لأنّ المسلم العالم العاقل لا ينكر نصَّ القرآن و يعلم أنَّ إنكار كلام الله خبطَّ عظيم.

فقوله: ٱقْتُرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ معناه إقتربت القيامة فلا يكون بعد رسول الله إلاّ القيامة و قد انقضت النبوّة و الرّسالة و أمّا إنشقاق القمر فأنّ قريشاً قد سألت رسول اللَّهُ وَاللَّهِ عَلَيْهِ أَن يريهم آية فدعا اللَّه فأنشقَ القمر حتَّى نظروا إليه و يـؤيَّد وقوع الإنشقاق.

وَ إِنْ يَرَوْا أَيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ

فلو لم يكن إنشقاق هناك فلامعنى لهذه الآية فأنّها تدلّ على أنّ الانشاق قد وقع و لكنّ الكفّار أعرضوا عنه و حملوه على السّحر و في قوله: مُسْتَمرُ إشارة إلى عدم بقائه و أنّه يذهب و يفني كما هو شأن السّحر من قولهم، مرَّ الشّـئ و أستمرّ إذا ذهب و قيل معنى مُسْتَهِرٌّ محكمٌ قويٌّ شديدٌ و هو من المرَّة بكسر الميم و هي القوّة كما قال الشّاعر:

مرّ العزيمة لا لحماً و لا ضرعاً حتّى إستمرّت على شزرٍ مريرةٍ و قيل معناه دائم و كيف كان يظهر مـن الآيـة أنّـهـم قـالوا ذلك بـعد وقـوع الإنشقاق و رؤيتهم القمر و أنّه قد إنشَّق أنّه سحرٌ مستمرّ فلو لم يكن هناك آية فما معنى أنّه سحر".

وَ كَذَّبُوا وَ ٱتَّبَعُوٓا أَهْوٰآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرِ مُسْتَقِرُّ

أي و كذَّبوا الآية الَّتي رآوها بأعينهم و أتُّبعوا بـذلك التَّكـذّيب أهـوائـهم و أميالهم لأنّهم رأوا تصديق الآية على خلاف ما ذهبوا إليه من إنكار النَّبوّة و

قوله: وَ كُلَّ أَمْرِ مُسْتَقِرٌّ قيل معناه و كلّ أمرِ من خيرٍ أو شرٍّ مستقرٌّ ثابت حتّى يجازي به إمّا الجنّة أو النّار و قرئ (مستقرّ) بفتح القاف أيضاً، أي لكلّ شئ وقت يقع فيه من غير تقدُّم و تأخرِ، و قيل في الكلام حذف و تقديره و كلِّ أمرٍ مستقرٍّ في أمّ الكتاب و هو اللّوح المحفوظ، و على هذا فيكون، مستقرّ صفة، لأمـرٍ، و (كلّ) مرفوع بالإبتداء و الخبر محذوف هذا ما قالوه في معنى الكــلام و الّــذي يقوّي في نفسي هو أنّ قوله: (مستّقر) بفتح القاف و معناه الثّابت الّذي لا يتغيّر و لا يتبدلٌ و معنى الكلام أنّ الأمور الواقعيّة ثابتة في الواقع في ظرف وقوعها و وجودها و إنكار المنكر لا يغيّرها عمّا كانت عليه من الثّبات و الإستقرار و اللّه

وَ لَقَدْ جُآءَهُمْ مِنَ ٱلْأَنْبَآءِ مَا فيهِ مُزْدَجَرُ ا

ألأنباء الأخبار و (مزدجر) بفتح الدّال و الجيم أصله (مزدجر) بالتّاء فقلبت التَّاء دالاً لأنَّ التَّاء حرف مهموس و الزَّاء حـرف مـجهور فأبـدل مـن التَّـاء دالاً توافقها في المخرج و توافق الزاء في الجهر و مزدجر، من الزَّجر و هو الإنتهاء يقال، زجرته فأنزجر أي كففته فكُّف و معنى الآية قد جاء هؤلاء الكفّار من أخبار الأمم الخالية ما فيه مزدجر، أي ما يزجرهم من الكفر لو قبلوه.

حِكْمَةُ بِالِغَةُ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ

قيل الحكمة البالغة القران و النُّذر جمع نذير، و المعنى أنَّ ما جاءهم من الأخبار مذكورة في القرآن الّذي هو حكمةٌ بالغةٌ، فما تغن النّذر، أي فما منعهم من الكفر و العناد النَّذر المذكورة في القرآن و هي الآيات الدَّالة على أنَّ الكفر يوجب العذاب و الهلاك و يحتمل أن يكون المراد بالنّذر الأنبياء و حاصل الكلام أنّهم بقوا على كفرهم و ضلالتهم سواءٌ عليهم الإنذار و عـدمه فأنّـهم لا يؤمنون كما لم يؤمن من كان قبلهم.

التُّولي الإعراض أي إذا كان أمر هؤلاء الكفّار على هذا المنوال من عدم الإيمان و البقاء على الكفر جهلاً و عناداً و حملهم الآيات و المعجزات على السّحر، فأعرض عنهم و ذرهم في خوضهم يلعبون فأنَّك بلُّغت رسالتك و عملت بما أمرك اللَّه به و جادلتهم بالحكمة و الموعظة الحسنة فلا شئ عليك ىعد ذلك.

قال بعض المفسّرين هو تمام الكلام ثمّ قال: يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلٰي شَيْءٍ نُكُرِ و تقديره و أذكر يوم يدع الدّاع، و هو يوم القيامة.

و قيل فتولّ عنهم فأنّ لهم يوم يدع الدّاع، فيرون فيه ما ينزل بهم من العذاب.

و قيل معناه، أعرض عنهم يوم القيامة و لا تسئل عنهم و عن أحوالهم فأنّهم يدعون إلى شئ نكر و ينالهم عذابٌ شديدٌ، و الدّاعي هو إسرافيل عليه السّلام أو ملك آخر، ثُمَّ أنَّ إبن كثير قرأ، نُكِّر، بضّم النُّون و إسكان الكاف، و الباقون بضمّ الكاف و عليه المصاحف و هو المشهور و هما لغتان مثل، عشر و عسر و شغْل و شُغُل و معناه الأمر الفظيع العظيم و هو يوم القيامة ثمّ وصف اللّه هؤلاء الكفّار.

خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاٰثِ كَأَنَّهُمْ جَرَاٰدٌ مُنْتَشِرُ

خُشُّعاً جمع خاشع و الخشوع في البصر الخـضوع و الذَّلة، و الخشـوع و الخضوع في الأصل من صفات القلب و في إضافته إلى الأبـصار إشـارة إلى أنّ أثرهما بعد وجودهما في القلب يظهر في ناظر الإنسان كـما أنّ الخـوف أيـضاً من صفات القلب و أمّا أثره يظهر في العين النّاظرة و قرأ حمزة و الكسائي و أبو عمرو، خاشعاً، بالألف و يجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدّمت على الجماعة التَّوحيد نحو خُشَّعًا أَبْصارُهُم و التّأنيث نحو خاشِعة أبصارَهُم و يجوز الجمع

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

لم انعجلا السادس ع م

نحو! خُشَّعًا أَبْصارُهُمْ و قوله: يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْداْثِ فالأجداث جمع جدث و هو القبر و فيه إشارة إلى يوم البعث حيث يخرجون النّاس من قبورهم كَأَنَّهُمْ جَراْدٌ مُنْتَشِرٌ و الجراد معناه معلوم و هو بالفارسيّة (ملخ) شبّه اللّه تعالى خروج النّاس من القبور و إنتشارهم في سطح الأرض بالجراد المنتشر من كثرتهم.

مُهْطِعينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَافِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ

الإهطاع الإسراع في المشي و الدّاع هو إسرافيل و المعنى أنّهم بعد خروجهم من القبور يسرعون إلى الدّاعي و هو صاحب الصَّوت بالإلجاء و الإكراه و الإذلال و يقول الكافرون، بعد رؤيتهم هذا يوم عسر، أي شديد فأنّ العسر الشِّدة.

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَ قَالُوا مَجْنُونٌ وَ آزْدُجِرَ

هذه الآية بمنزّلة التَّسليَّة من الله تعالى لنبيّه بعد تكذيب الكفّار رسول الله في نبوّته و المعنى أنّ تكذيب الأنبياء كان شائعاً في الأمم السّالفة أيضاً فكما كذّبوك هؤلاء الكفّار كذّبت قبلهم قوم نوح في نبيّهم الذّي أرسل إليهم و نسبوه إلى الجنون (و الإزدجار) قيل معناه الزَّجر بالشّتم و الرَّمي بالقبيح، و قيل بالوعيد لأنّهم توعّدوا بالقتل و قيل معناه أنّه زجر عن دعوى النبوّة بالسّب و الوعيد بالقتل، و الزَّجر في الأصل الطَّرد بصوتٍ يقال زجرته فإنزجر ثمّ يستعمل في الطّرد تارةً و في الصَّوت أخرى و منه قوله تعالى: فَالزّاجِراتِ وَجُرَا أي الملائكة التي تزجر السّحاب، و قوله: ما فيه مُرْدَجَرُّ، أي ما فيه طردٌ و منعٌ عن إرتكاب المأثم.

فَدَعًا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ

أي فدعا نوح ربّه عند ذلك و قال: أُنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ أي قد غلبوني بالقهر و السبّ و الشُّتم و الضَّرب و غيرها من أنواع الأذى لا بالحجّة و البرهان فأنتصر لي منهم بالإهلاك و الدّمار فأجاب الله دعوته كما قال:

فَفَتَحْنَآ أَبُواٰبَ ٱلسَّمَاءِ بِمَآءٍ مُنْهَمِرٍ، وَ فَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى ٱلْماآءُ عَلَى أَمْرِ قَدْ قُدِرَ

فَفَتحنا قرئ بالتّخفيف و التشدّيد و على النّاني يفيد الكثرة أي فتحنا أبواب السّماء مرَّةً بعد مرَّة و شيئاً بـعد شـئ لأنّـه كـثر و دام لمّـا فــار التّـنور و المشهور على التّخفيف و عليه المصاحف و قوله: مُنْهَمِر هو صفة الماء النّازل من السّماء و الإنهمار الكثرة يقال ماءٌ منهمر أي كثير أنّـه المنصَّب المندفق و منه قول إمرؤ القيس يصف غيثاً:

راح تمريه الصّبا ثمّ إنتحى فيه شوبوب جنوب منهمر أى منصَّب مندفق و قوله: وَ فَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ فالتَّفجير تشقيق الأرض عن الماء و عيون، جمع عين و هو ماءٌ يفور من الأرض مستدير كاستدارةٍ عين الحيو ان.

فَالْتَقَى ٱلْماآءُ عَلَى أَمْرِ قَدْ قُدِرَ

معناه أنَّ المياه كانت تجري من السَّماء و من الأرض على ما أراد اللَّه و قدُّره إذا عرفت معنى الألفاظ في الأيتين فنشير إلى القصّة إجمالاً و قد ذكرناه فيما مضى مفصّلاً و قلنا أنّه أوّل نبيِّ بعد جدّه إدريس و كان إسمه عبد الغفّار و سمّى نوحاً لكثرة نواحه و بكاءه مدّة خمس مائة سنة خوفاً من اللّـه و تـحسُّراً على ضلال أمّته إلى أخر ما قلنا هناك.

إعلم أنّ نوح النّبي كان أوّل الأنبياء الخمسة أولى العزم المبعوثين إلى الجنّ و الإنس كافّة و هم أفضل الأنبياء و الأربعة بعد إبراهيم و موسى و عيسى و محمّد الله و على عمره على الله عنه على الله الله عنه الله على الله عمره عمره الله عمره عمره الله مائة و خمسين سنة و أقام في قومه يدعوهم إلى الله تعالى تسع مائة و خمسون سنة، و أقام مشتغلاً بعمل له (٢٠٠ سنة) و عاش بعد هلاك قومه بالطُّوفان (٥٠٠سنة) و ذلك تمام ٢٥٠٠سنة) و لم يسقط منه سنّ و لم يـظهر عليه أثر شيب و لمّا بعث إلى قومه أخذ يدعوهم إلى اللّه ليله و نهاره و يعظمهم و يحذَّرهم العذاب سرًّا و جهاراً و هم لا يزدادون إلاَّ كفراً و طغياناً يصكُّون أسماعهم عن أقواله و يهربون فراراً من مواعظه حتّى مضى عليه كذلك ثلاث مائة سنة ثمّ أنّه بعد أن يئس من إيمان قومه دعا على قومه فأجاب اللَّه دعاءه و أمهلهم مدَّةً إتماماً للحجّة عليهم و هم لا يردادون إلاّ كفراً و عناداً إلى أن تعلُّقت المشيّئة القاهرة بإنزال العذاب عليهم فأمره الله سبحانه بعمل السَّفينة فلمَّا فرغ نوح من عمل السَّفينة في مدَّة ثمانين سنة و ركب فيها من ركب كما أمره الله تعالى و كان موضع سفينة نوح يومئذٍ مسجد الكوفة من العراق بقرب النَّجف و لمّا كان اليوم الموعود بنزّول العذاب على قومه كانت إمرأته الكافرة على التنُّور و بينما هي مشغولة بالخبز فار التنُّور بالماء بـدلاً من مزء٧٧﴾ لهب النّار فصرخت تعجّباً و صاحت برفيع صوتها فأقبل نوح إلى التنُّور مسرعاً فأخذ من الطّين شيئاً فوضعه فم التَّنور و سدّ منفذه و ختم عليه إلى ما أكمل ركوب ما أراد من البهائم ثمّ أتى التنُّور و فضَّ الخاتم و دفع الطِّين و عند ذلك نزّل العذاب و تفجّرت الأرض عيوناً و انصبٌ من السّماء ماء منهمر كأفواه القرب و أوحى الله تعالى إليه و من معه بالرُّكوب في السَّفينة فإرتفعت السَّفينة فوق الماء يزل الماء ينصبّ من السّماء و صارت الأرض كلّها عيوناً تنفجر منها



المياه أربعين صباحاً حتى إرتفعت السَّفينة و غرق كلّ ما على وجه الأرض و ما على رؤوس الجبال و لم يبق شئ متنفس و إرتفع الماء على الجبال الشّامخة خمسة عشر ذراعاً و طغى الماء فوق كلّ شئ و لذلك سمّى طوفاناً.

وَ حَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْواْحٍ وَ دُسُرٍ

أي و حملنا نوح و من معةً على ذات ألواح و دسر، و هى السَّفينة فأنّها كانت ذات ألواح مركّبة بعضها إلى بعض و الدُّسُر بضم الدّال و السّين جمع دسار و دسير و هو المسمار يقال دسرت السَّفينة إذا شدَّدتها بالمسامير أو نحوها و قيل الدُّسر صدر السَّفينة أضلاعها.

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزْآءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ

أي تجري السَّفينة بمرأى منّا و نحن ندركها و نراها قوله: كُفِرَ قريُ بصيغة المجهول و عليه المصاحف و منهم من قرأ بصيغة المعلوم فالمعنى على القراءة الأولى جعلنا ذلك ثواباً و جزاءً لنوح على صبره على أذى قومه و هو المكفور به و على هذا فاللام في لِمَنْ لام المفعول له.

علىٰ الثّانية: كان الغرق جزاءً وعقاباً لمن كفر بالله.

وَ لَقَدْ تَرَكْنَاهَآ أَيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ

الضّمير في تركناها، للسَّفينة أي و لقد تركنا السَّفينة و فيها دلالة باهرة على قدرة الله و أنّ العذاب مترتّب على المعصية و قوله: فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ أي متَّعظً خائف و أصله (مُدَّ كِر) و هو مفتعل من الذِّكر فثقلت على الألسنة فقلبت التّاء دالاً لتوافق الذّال في الجهر و أدغمت الدّال فيها فصار، مدَّكر.

و أنّما قال اللّه تعالى ذلك لأنّ المقصود الأصلي من ذكر القصص القرأنيّة هو الإتّعاظ و الإعتبار.

فَكَيْفَ كَانَ عَذابي وَ نُذُرِ

قال الفراء الإنذار و النُّذر مصدر و قيل، نذر جمع نذير و نذير بمعنى الإنذار و هو الحقّ و في الأية تهديدٌ للكفّار و تنبيةٌ على عظم ما فعله بأمثالهم في الأمم السّالفة الذين أنكرواالتوحيد والنبوّة والمعاد و إتبَّعواأهوائهم وأميالهم لنفسانية.

وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ

التَّيسير للشَّي تسهيله و أخذه بما ليس فيه كثير مشقّة على النَّفس و اللاّم في، لقد، للقسم و المراد بتسهيل القرأن للذّكر هو القصص و المواعظ و بيان الأحكام و بالجملة كلّ القرآن ذكرٌ لمن تذكّر به و موعظةٌ لمن إتَّعظ به قال اللّه.

قال اللّه تعالى: فَذَكِرْ بِالْقُرْانِ مَنْ يَخْافُ وَعيدِ ١٠).

قال الله تعالى: فَذَكِّرْ إِنَّمَاۤ أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢).

قال الله تعالى: وَ ذَكِرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرى تَنْفَعُ ٱلْمُؤْمِنينَ^(٣) والأيات كثيرة.

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذابي وَ نُذُرِ

لمّا أشار اللّه تعالى إلى قصّة نوح و إهلاك قومه أشار في هذه الآية إلى قصّة عاد و أنّه تعالى أهلك قوم عاد أيضاً و كان نبيّهم هود عليّاً في وقد مضى الكلام فيها أيضاً و المقصود في المقام الإشارة فقط فقال كيف كان عذابي و نذر شمّ بيّن ذلك بقوله:

يز ٢٧٠ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ريحًا صَرْصَرًا في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ

أي أنّا أرسلنا على قوم هود ريحاً صرصراً أيّ شديدة البرد و قيل شديدة الصَّوت في يوم نحس أي شؤم بمعنى أنّه كان مشؤماً عليهم و قوله: مُسْتَمِرٍّ الصَّوت في يوم نحس أي نار جهنّم ثمّ وصف اللّه الرّبح و قال:

ا المجلد السادس ع

٢- الغاشية = ٢١

تَنْزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ

أي أنّ الرّيح التّي أرسلناها عليهم كانت تقلعهم عن مواضعهم قيل تقلعهم من تحت أقدامهم إقلاع النَّخلة من أصلها.

و قال مجاهد كانت تقلعهم من الأرض فترمي بهم، و قيل تنزع النّاس من البيوت و قيل أنّهم حفروا حفراً و دخلوها فكانت الرّيح تنزعهم منها و تكسرهم و تبقى تلك الحفر كأنّها أصول نخل قد هلك ما كان فيها فتبقى مواضعها منقعرة أي منقطعة من أصلها و لهذا قيل للمنقطع من أصله منقعر يقال إنقعر إنقعاراً أي إنقطع.

فَكَيْفَ كَانَ عَذاٰبِي وَ نُذُرِ

و هو تعظيم للعذاب النّازل بهم.

وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ

مرَّ تفسير الآية وفائدة التكرارتنبيه الخلف ممّا وقع على السَّلف من العذاب.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ

ثمود قوم صالح لطَيَّالِاً و المعنى أنّهم كذَّبوا نبيّهم كما كذّب الّذين من قبلهم و نزل بهم العذاب كما نزل على من قبلهم من قوم نوح و قوم هود.

فَقَالُوٓا أَبَشَرًا مِنًّا وِالْحِدَّا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفَى ضَلالٍ وَ سُعْرٍ

دخلت عليهم الشَّبهة فظنُّوا أنّ الأنبياء ينبغي أن يكونوا جماعة و لم يعلموا أنّ النبيّ لا يحتاج في نبوّته إلى غيره لأنّه يخبر من اللّه تعالى و حيث كان صالح النبيّ واحداً لا شريك له في نبوّته و مع ذلك هو كان بشراً مثلهم قالوا أبشراً منّا، أي من قومنا حال كونه واحداً نتَّبعه و نطيعه في أمره و نهيه أنّا إذاً، أي لو فعلنا ذلك أنّا لفي ضلالٍ و سعر أي و جنون فأنّ العاقل لا يفعل ذلك.

ءَأُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّاٰبٌ أَشِرٌ

قيل المراد بالذّكر الوحي و يحتمل أن يكون المراد به النّبوّة و كيف كان هو استفهام من قوم صالح على وجه الإنكار و التَّعجّب ءَأُلْقِى ٓ ٱلذِّكُرُ يعني الوحي أو النّبوّة من جانب الله مِنْ بَيْنِنا أي من بين قومنا و فيهم رجال، عليه أي على صالح و هو ليس بأفضل من غيره بَلْ هُو أي صالح النّبي كَذّاب أُشِر أي هو في دعواه أنّه نبيّ أوحي إليه ليس بصادق بل هو كذّاب أشر أي لا يبالي ما قال و ما يقول و أنّما يريد أن يتعاظم و يلتمس التكبُّر علينا من غير إستحقاق و قيل الأشر المرح و التّجبُّر و النّشاط يقال فرسٌ أشر إذا كان مرحاً نشيطاً قال إمرؤ القيس يصف كلباً:

سميعُ بصيرُ طلوبُ نكر تبوعُ أريبُ نشيطُ أشر فيدركنا فضم داجن ألَّص الفَّدوس حتى الضَّلوع

سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ ٱلْكَذَّاٰبُ ٱلْأَشِرُ

لمّا رموا قوم صالح نبيّهم بالكذب و البطر قال اللّه تعالى في جوابهم سيعلمون هؤلاء الكفّار من الكذّاب الأشر، هم أم صالح النّبي فقال:

إِنًّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْ تَقِبْهُمْ وَ ٱصْطَبِرْ

أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّه يرسل إلى قوم صالح النّاقة و يجعلها لهم، أي لقوم صالح، فتنة، أي إبتلاء و محنة، فأرتقبهم، أي فأنتظرهم و أصطبر، أي إصبر على آذاهم.

وَ نَبِّئُهُمْ أَنَّ ٱلْمٰآءَ قِسْمَةُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرُّ

أي أُخبر القوم أنّ الماء قسمةٌ بينهم و بين النّاقة كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرُ أي كلّ قسم يحضره من حوله و قد ذكرنا فيما مضى قصّة صالح و قومه مفصّلاً و نشير إليها في المقام إجمالاً فنقول:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



كان بنو ثمود لوادي القرى بين المدينة و الشّام و قد أرسل اللّه إليهم صالحاً و هو إبن ستّة عشر سنة يدعوهم إلى التّوحيد و رفض الأصنام و أظهر لهم بقدرة الله كرامات و آيات بيّنات تدلّ على نبوّته إلى أن بلغ عمره مائة و عشرين سنة و هم لم يألوا جهداً في تكذيبه و طرده و إيذائه و نسبة الجنون و السِّحر إليه ثمَّ أنَّ القوم بعد المشاجرات التِّي وقعت بينهم و بينه إتَّفقت كلمتهم على أن يسأل صالح ربّه أن يخرج لهم ناقةً من الجبل فقالوا له يا صالح إسئل ربّك أن يخرج لنا السّاعة من هذا الجبل ناقةً شقراء عشراء قد أتى على حملها عشرة أشهر فأخرجها الله من الجبل على ما وصفوها و أوحى إلى صالح أن قل لهم أنَّ اللَّه تعالى قد جعل لهذه النَّاقة شرب يوم و لكم شرب يوم فكانت النَّاقة يوم شربها تشرب الماء كلُّه ثمَّ يدرُّ لبنها حتَّى يُستسقى من لبـنهاً جميعهم وكانت مواشيهم تنفر من النّاقة لعظمتها فلمّا طالت المدّة على القوم و هم في سعةٍ و دعةٍ عتوا على ربّهم و جاروا و إستكبروا عـلى اللّـه تـعالى و قالوا لا نرضى به فأخذوا يجتمعون و يتشاورون فيما بينهم بعقر النّاقة و قتلها ليستريحوا منها فأوحى الله إلى صالح و أعلمه بعزمهم فلمّا عقروها و لم يتوبوا حلِّ بهم العذاب على ما حكى اللّه تعالى في كتابه و إلى عقرهم النّاقة أشار الله بقوله:

فَنْادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعْاطَى فَعَقَرَ

أي فنادوا صاحبهم الذِّي واقفوه على عقر النَّاقة و هو أحمر ثمود.

إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَأَحِدَةً فَكَانُوا كَهَشَيْمِ ٱلْمُحْتَظِرِ

قال الضّحاك في معناه هو الحظيرة تتَّخذ للغنم يبس فتصير رميماً و قيل الهشيم حشيش يابس متفتّت يجمعه المحتظر لمواشيه، و قيل الهشيم اليبس من الشّجر أجمع الّذي يفتّت و معنى الآية أنّا أهلكناهم بصيحةٍ واحدة فكانوا كهشيم المحتظر كناية عن موتهم بأسوء حال.

وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْاٰنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرِ

قد فسَّرناه: و قال قتادة هل من طالب علم يتعلُّم.

أقول ما ذكره لا بأس به فأنّ طلب العلم مطلوبٌ في نفسه إلاّ أنّ سياق الأيات يقتضي أن يكون المعنى ما قدّمناه من أنّ القرأن و ما فيه من القصص موعظة لمن إتّعظ و عبرة لمن إعتبر ثمّ أنّ الله تعالى أشار بعد ثمود إلى قوم لوط و ما نزل بهم من العذاب فقال:

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ

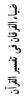
كما كذَّبت بها قوم نوح و عاد و ثمود و قد مضت قصّته مفصّلاً غير مرّةٍ ثمّ أشار الله إلى كيفيّة عذابهم فقال:

إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ خَاصِبًا إِلَّا أَلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ

الحاصب الحجارة التّي يرمى بها القوم، و حصبوا بها إذا رموا و منه الحصباء الأرض ذات الحصى، و ذلك لأنّ جبرئيل أخذ كفاً من الحصى و قيل من تراب و ضرب به وجوه أهل المدينة فعميت عيونهم كلّهم فلمّا إنتصف اللّيل سار لوط بناته و لم يرهم أحد من القوم و لمّا حان الفجر نزل جبرئيل بأمر ربّه و أقلع البلاد مع أهلها من سطح الأرض و رفعها في الجوّ ثمّ قلّبها فجعل عاليها سافلها و أمطر الله عليهم من حجارةٍ سجّيل و أهلك القوم أجمعين.

مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ لِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ لِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ

نعمةً منصوب على أنّه مفعول له و يجوز أن يكون النَّصب على المصدر و تقديره أنعمنا بها عليهم نعمةً و قوله: كَذْلِكَ نَجْزي مَنْ شَكَرَ و هو لوط و أهله و من أمن به حيث نجّاهم الله من العذاب لكونهم من الشّاكرين و فيه إشارة إلى قوله تعالىٰ: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ ٱللَّيْلِ وَ لا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدُ (١)





ضياء الفرقان في تفسير القرآن

فأنجاهم الله بذلك من العذاب.

وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُر

أي أنذر لوط قومهم بطشة الله و البطشة الأخذ بالعذاب لشدة فَتَمارَوْا بِالنُّذُرِ أي تدافعوا على وجه الجدال بالباطل و بعبارة أخرى أنهم شكُوا فيما أنذرهم به الرسول و لم يصدقوه و هو تفاعل من المرية.

وَ لَقَدْ رَاْوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذُرِ

أخبر الله تعالى بأنّ قوم لوط حاولوا ضيفه و راودوهم على الفساد فالمراودة المحاولة و ذلك لأنّ الرُّسل و هم الملائكة جبرئيل و من معه لمّا دخلوا بيت لوط قامت إمرأته على سطح البيت و أوقدت النّار كعادتها لتعلم قومها فلمّا رأوا النّار أقبلوا إلى بيت لوط من كلّ ناحية فلم يقدر لوط على دفعهم لكثرتهم ولم يزالوا يتهاجمون على دخول البيت و هو يدافعهم إلى أن تكاثروا عليه و كسروا باب داره و دخلوها فتوجّه جبرئيل إلى أصحابه من الملائكة و قال لو علم لوط ماله من القوّة ثمّ صاح جبرئيل و قال يالوط دعهم يدخلوا و لمّا توسّطوا الدّار و قد همّوا بالتعرّض للرُّسل هوى جبرئيل بإشارة من إصبعه نحوهم فعميت أبصارهم و ذهبت عيونهم من وقتهم و إلى ذلك أشار اللّه بقوله: وَ لَقَدْ رأوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِه و قال: فَذُوقُوا عَذابي وَ نُذُرِ.

وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ

و قد ذكرنا أنّ جبرئيل أهلكهم و قال: إنَّ مَوْعِدَهُمُ الصَّبْحُ أَلَيْسَ الصَّبْحُ الصَّبْحُ الصَّبْحُ الصَّبْح بِقَربِبٍ (١) فلمّا قرب الصُّبح فعل بهم ما فعل بأمر من الله، و قوله عذابٌ مستقر، إشارة إلى ما أمطر الله عليهم من سجيل بعد موتهم فحقٌ لهم و لأمثالهم بأن يقال لهم.



فَذُوقُوا عَذابي وَ نُذُرِ

ثمَّ أشار اللَّه تعالى إلى أنَّ القرأن مذَّكرٌ لمن يتذكّر به و يتعّظ.

وَ لَقَدْ جُآءَ الَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ

كغيرهم ممّا ذكر الله فأرسل إليهم موسى إبن عمران ليهديهم و يرشدهم إلى الحقّ فأبوا و إستكبروا كما قال تعالى:

كَذَّبُوا بِاياتِنا كُلِّها فَأَخَذْناهُمْ أَخْذَ عَزيز مُقْتَدِر

و أغرقناهم في اليمّ أجمعين و قد مرَّت قصّتهم مفصّلاً، ثمّ أنّ اللّه تعالى بعد الإشارة إلى قوم نوح و عاد و ثمود و أل فرعون، الذّين أهلكهم الله بأنواع العذاب بسبب طغيانهم و كفرهم و تمرّدهم عن الحقّ خاطب أهل مكّة و قيل خاطب العرب و قيل خاطب أمّة محمّد ثَلَةُ وَسُكُمُ وَ قال:

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرْ آءَةٌ فِي ٱلزُّبُر

أى في الكتب المنزلة، من عذاب الله، و المعنى أنّ حكم الأمثال واحد فكما أنّ الكفّار في الأمم السّالفة أهلكهم اللّه بنزول العذاب عليهم وكان ذلك بسبب كفرهم و عنادهم فهكذا أنتم، أم لكم براءةٌ من العذاب في الكتب المنزلة من عند الله و حيث أنّ الإستفهام للإنكار فالمعنى ليس كذلك أي لا خزء ٢٧ كلى يكون كفّاركم خيراً منهم و ليس لكم مخلصٌ من العذاب و لم ينزل في الكتب المنزلة من براءتكم عن الذعاب شيئاً.

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ

أم يقولون هؤلاء الكفّار نحن جميع أي نحن جماعة وفينا قوّة ندفع العذاب عنًا، و ينصر بعضنا بعضاً فلا يقدر أحد على إهلاكنا فقال تعالى في جوابهم.



و المعنى أنّ جميعهم سيهزمون و يولُّون الدُّبر، أي يـفرّون عـلى أعـقابهم يثبتون للقتال.

أقول صدق الله فأن المشركين إنهزموا يوم بدر على أدبارهم و قتل منهم من قتل و سبى من سبى.

بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ ٱلسَّاعَةُ أَدْهٰى وَ أَمَرُّ

السّاعة القيامة هدَّد اللّه الكفّار بأنّ موعدهم، أي موعد العذاب لهم القيامة و هي أدهى و أمرَّ، الأدهى الأعظم في الدُّعاء و الأمرّ الأشدّ في المرارة، أو في إستمرار البلاء و المقصود أنّ عذاب الله في القيامة أعظم من عذاب الدّنيا و أشدَّ مرارةً كمّاً وكيفاً بل لا يقاس عذاب الأخرة بعذاب الدّنيا كما لا يقاس نعمها، و الله أعلم.

ثمّ أشار الله تعالى إلى أحوال المجرمين و المتّقين يوم القيامة، فقال:

إِنَّ ٱلْمُجْرِمينَ في ضَلَالٍ وَ سُعُرِ

و المعنى أنّ المجرمين و هم الذّين إرتكبوا معاصي اللّه و تركوا طاعته و ماتوا على كفرهم و طغيانهم في ضلالٍ عن الحقّ لمتابعتهم الشّيطان و النّفس الأمّارة بالسُّوء و سعر، يعني في عذاب النّار تسعرهم، و قيل السُّعر الإحتراق، و قيل معناه الجنون.

يَوْمَ يُسْحَبُّونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ

السَّحب الجرّ و المعنى يوم يجرّون في النّار على وجوههم يقال لهم ذوقوا مسَّ سقر، أي مسَّ جهنَّم و قيل سقر بابٌ من أبوابها، و قيل دركٌ من دركاتها ثمّ قال تعالى:

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرِ

قال في التّبيان، أي العذاب على مقدار الإستحقاق الذّي تقتضيه الحكمة و كذلك غيره في كلّ خصلة نصب كلّ ثلاثة أوجه:

أحدها: على تقدير أنّا خلقناه بقدر.

الثّاني: أنّه جاء على زيداً ضربته.

الثَّالث: على البدل الذِّي يشتمل عليه كأنَّه قال: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ أي مقدّر هو في اللُوح المحفوظ إنتهي كلامه.

و قال صاحب الكشَّاف كُلُّ شَعْءٍ منصوب بفعل مضمر يفسّره الظَّاهر، و قرئ كلّ شئ بالرَّفع، و القدر و القدر التَّقدير و قرئ بهما أي خيلقنا كلِّ شي مقدّراً محكماً مرتباً، على حسب ما أقتضته الحكمة أو مقّدراً مكتوباً في اللَّوحَ معلوماً قبل كونه قد علمنا حاله و زمانه إنتهى كلامه.

و قال بعض المعاصرين في تفسيره لهذه الآية ما لفظه و الآية في مقام التَّعليل لما في الآيتين السّابقتين من عذاب المجرمين يـوم القـيامة كأنّـه قـيل لماذا جوزي المجرمون بالضّلال و السّعر يوم القيامة و أذيقوا من سقر، فأجيب بقوله: إنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرِ و محصلُه أنَّ لكَّل شيئ قدراً و من القدر في الإنسان أنّ الله سبحانه خلقه نوعاً فتكاثر الأفراد بالتَّناسل إُجتماعيّاً في حياته الدُّنيا يتزوَّد من حياته الدّنيا الدّاثرة لحياته الآخرة الباقية و قدَّر أن يرسل إليهم جزء٧٧ حرسولاً يدعوهم إلى سعادة الدّنيا و الآخرة فمن إستجاب الدّعوة فاز بالسّعادة و دخل الجنّة و جاور ربَّه و من ردَّها و أجرم فهو في ضلالٍ و سعر و من الخطأ أن يقال أنّ الجواب عن السّؤال بهذا النُّحو من المصادرة الممنوعة في الإحتجاج فأنّ السّؤال عن مجازاته تعالى إيّاهم بالنّار لإجرامهم في معنى السَّوَّال عن تقديره ذلك فمعنى السَّوَّال لم قدَّر اللَّه للمجرمين المجازاة بالنَّار و معنى الجواب أنّ اللّه قدّر للمجرمين المجازاة بالنّار أو معنى السّؤال لم

يدخلهم النّار و معنى الجواب أنّ اللّه يدخلهم النّار و ذلك مصادرة بيّنة، ثمّ أجاب عن لزوم المصادرة بما يطول الكلام بذكره و لذلك أعرضنا عن نقل جوابه و من أراد الوقوف على ما ذكره فعليه بمراجعة تفسيره لهذه الآية (١).

أقول لا نعلم كيف إستفاد من الآية المصادرة و من أين ظهر له أنّ الآية في مقام التّعلّيل للأيتين السّابقتين من عذاب المجرمين يوم القيامة، و الظّاهر أنّ الآية غير مرتبطة بالأيات السّابقة أصلاً و أنّها بصدد بيان حكم من الأحكام العقليّة التّي عليها المدار في جميع الأبحاث و هو أنّ اللّه تعالى بمقتضى عدله جعل كلّ شيّ في موضعه و خلق كلّ شيّ على ما إقتضته الحكمة و المصلحة و أيّ ربط بينهما و بين الأيتين السّابقتين و بعبارة أخرى أيّ ربط بين عذاب المجرم يوم القيامة و بين خلقه كلّ شيّ بقدر، أيكون العذاب ممّا خلقه اللّه للمجرمين يوم القيامة حتى يقال أنّه بقدر أو غير قدر، أليس العذاب من أثار العمل و مترتبّ عليه قلّة و كثرة و زيادة و نقيصة و كمّا و كيفاً و إذا كان كذلك فالإنسان يجزى يوم القيامة بما كسبت في الدّنيا من خيرٍ أو شرّ و ما ربّك بظلام للعبيد و نحن تكلّمنا في هذا الباب بما لا مزيد عليه غير مرّة.

و محصّل الكلام أنّا لا نفهم من الآية السّؤال و الجواب و المصادرة فلا تحتاج إلى الجواب فأن فهم هذا المعنى غيرنا فلا بحث لنا فيه فانّ العقول مختلفة و الأفهام متفاوتة فلعلَّه مَنْ فهم من الآية غير ما نفهم منها قل كلِّ يعمل على شاكلته و اللّه أعلم.

و حيث إنجرّ الكلام إلى معنى القدر فلابدّ لنا من التَّكلم فيه ليتضَّح معنى الآية و أمثالها فنقول.

إعلم أنّ القدر و التقدير يتبيّن كميّة الشّئ يقال قدرته و قدَّرته فتقدير اللّه الأشياء على وجهين:

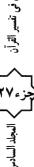
أحدهما: بإعطاء القدرة غيره.

الثّانى: بأن يجعلها على مقدار مخصوص و وجه مخصوص حسب ما إقتضت الحكمة و ذلك أنّ فعل اللّه ضربان، ضربٌ أوجده بالفعل و معنى إيجاده بالفعل أن أبدعه أي خلقه و أوجده على سبيل الإبداع كاملاً دفعةً لا تعتريه الزّيادة و النقصان إلى أن يشاء أن يفنيه او يبدّله كالسّموات و ما فيها.

و ضربٌ جعل أصوله موجودة بالفعل و أجزاءه بالقوّة و قدَّره على وجه لا يتأنّى منه غير ما قدَّره فيه كتقديره في النّواة أن ينبت منها النَّخل دون التّفاح و الزَّيتون، و تقدير منيّ الإنسان أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات و على وجهين:

أحدهما: بالحكم من الله أن يكون كذا أو لا يكون كذا إمّا على سبيل الوجوب و أمّا على سبيل الإمكان و على ذلك قوله: قَدْ جَعَلَ ٱللّٰهُ لِكُلِّ شَعَيْءٍ قَدْرً (١) و ما نحن فيه من هذا القبيل.

الثّانى: بإعطاء القدرة عليه مثل قوله: فَقَدَرْنا فَنِعْمَ ٱلْقادِرُونَ (٢) إذا عرفت هذا فقد علمت أنّ قوله: إِنّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ معناه حكمنا لكلّ شيْ خلقناه أن يكون كذا و كذا، مثلاً حكمنا بأنّ المنيّ يصير إنساناً و النّواة تصير نخلاً و هكذا و على هذا فأن قلنا بإرتباط الآية المبحوثة عنها بسابقتها، فالمعنى أنّا حكمنا بأنّ الكفر تتبّعه النّار و الإيمان تتبعه الجنّة بمعنى أنّ الكفر مولّد النّار و الإيمان مولّد الجنَّة لأنّ الجزاء مترتب على نفس العمل بجعل الجاعل كما أنّ الحرارة من لوازم النّار و البرودة و الرُّطوبة من لوازم الماء فالجعل أعني به الحكم تعلَّق بإيجاد الملزوم و اللاّزم تابع لملزومه لا أنّه مجعولٌ بنفسه هذا ما فهمناه من الآية بعون اللّه و توفيقه و العلم عند اللّه و أمّا إعراب الآية فقد نقلناه عن المفسّرين في صدر المبحث.



الأمر من الله تعالى على ضربين:

تكويني و تشريعي:

و نعني بالأوّل الإيجاد في الخارج و بالثّاني تشريع الحكم، فالله تعالى أوجد الخلق بالأمر التّكويني و جعل الأحكام الشرعيّة بالأمر التّشريعي فقال أقيموا الصّلاة و أتوا الزّكوة و هكذا ثمّ أنّ الأوامر التّشريعيّة قد يتخلّف المراد فيها عن الإرادة كما أنّ المأمور بالصّلاة و الزّكوة و غيرهما من الأحكام قد يعصى و لا يعمل بما أمر به و ذلك لأنّ إرادة العبد و إختياره في الفعل واسطة بين إرادة الله و مراده و هذا أيضاً بإرادة الله لأنّه أراد من العبد الطّاعة بإختياره لا بالجبر و لذلك لم يخلقه مجبوراً في فعله و قوله و لو شاء أن يعبد بالجبر لخلقه مجبوراً على الفعل و هذا هو السِّر في تخَّلف المراد عن الإرادة في التَّشر يعيات.

و أمّا الأمر التّكوينيّ فليس كذلك فإذا أراد اللّه إيجاد الشّـئ يـوجد قـطعاً و إليه الإشارة بقوله:

> قال اللّه تعالى: وَ إِذا قَضْمَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١). قال الله تعالى: وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ (٢).

قال اللّه تعالى: إِنَّمَا آَمْرُهُ إِذاآ أَراد شَيئِنًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(٣).

و غيرها من الأيات إذا عرفت فقوله: وَ لَمْ أَمْرُنَا إِلَّا وَأَحِدَةٌ كَلَمْح بِالْبَصَرِ من قبيل الأوّل يعني الأمر التّكويني الإيجادي و اللَّمح خطف البصر وُّ هو كناية أو إشارة إلى سرعة العمل و إلاّ أمره بالشّئ إيجاده لا أنّه تعالى يأمر بالألفاظ ثمّ يوجد ما أمر به إذ ليس هناك لفظّ أصلاً و أنّما أمره ارادته.

وَ لَقَدْ أَهْلَكْنٰآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ

ثمّ قال تعالى مخاطباً لكفّار قريش و غيرهم ممَّن حذى حذوهم وَ لَـقَدْ أَهْلَكُنْآ أَشْياعَكُمْ يعني أتباع مذهبكم في كفرهم بعبادة الأوثان تتابعوا قرنا بعد قرنٍ في الإهلاك، و الشّيعة أتباع القائد إلى أمرٍ، و قيل المعنى أهلكنا أشياعكم ممّن هومنكم كما أخبر النبيّ، فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ أي من يتذكّر ويتَّعظ به.

وَ كُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ

يعني كلّ عملٍ عملوا به فأنّه في الزُّبر أي في الكتاب و هو القرأن أو في الكتب الإلهيّة إن كانت اللام للجنس، محفوظٌ موجودٌ و قيل المراد به اللَّوح المحفوظ.

وَ كُلُّ صَغيرٍ وَ كَبيرٍ مُسْتَطَرُ

أي مكتوبٌ قال مجاهد و قتادة لأنّه من أعظم العبرة في علم ما يكون قبل أن يكون على التَّفصيل ثمّ أنّ الله تعالى لمّا بيَّن أحوال المجرمين أشار إلى أحوال المتقين يوم القيامة فقال:

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ، في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ و المعنى أنّ المتقين و هم الّذين كانوا في الدّنيا متصفين بصفة التّقوى باتيانهم الواجبات و تركهم المحرّمات في جَنَّاتٍ أي بساتين تحتها الأنهار و نَهَرٍ أي الأنهار الجارية فيها من الماء و الخمر و العسل و اللَّبن (في مقعد صدقٍ) أي في مجلس حقٍّ لا زوال له و لا دثور عِنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ أي بالمكان الذي أعده الله لأولياءه و قوله: عِنْدَ هاهنا عندية القربة و الزّلفة و المكانة و الرّاتبة و الكرامة و المنزلة و غيرها من المقامات فأنّ مقام العندية من أعلى المقامات للعبد و لا مقام فوقه فأنّ إلى ربّك المنتهى و إن شئت قلت جميع المقامات موجود فيه و الحمد لله على كلّ حالٍ.

ے۔۔۔۔ کہ الدجلد السادس عشر کیاء الفرقان فی تفسیر القرآن کے کہ الدجلد السادس عشر

ورَّهُ ٱلرَّحْمُنِ ﷺ

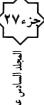
بِسْم ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيم

ٱلرَّحْمٰنُ (١) عَلَّمَ ٱلْقُرْانَ (٢) خَلَقَ ٱلْإِنْسٰانَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيْانَ (١) ٱلشَّمْسُ وَ ٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانِ (۵) وَ ٱلنَّجْمُ وَ ٱلشَّجَرُ يَسْجُدان (۶) وَ ٱلسَّمْآءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ ٱلْمِيزَاٰنَ (٧) أَلًّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَاٰنِ (٨) وَ أَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا ٱلْميزانَ (٩) وَ ٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَّامِ (١٠) فيهَا فَاكِهَةٌ وَ ٱلنَّخْلُ ذَاٰتُ ٱلْأَكْمَامِ (١١) وَ ٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَ ٱلرَّيْحَانُ (١٣) فَبِأَىَّ الْآءِ رَبِّكُمًا تُكَذِّبانِ (١٣) خَلَقَ ٱلْإِنْسٰانَ مِنْ صَلْصٰال كَالْفَخَّار (١٢) وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِنْ مَارِجِ مِنْ نَارِ (١٥) فَبَأَىّ الْآءِ رَبَّكُمَا تُكَذِّبُان (١۶) رَبُّ ٱلْمَشْرَقَيْن وَ رَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبأَىّ الْآءِ رَبَّكُما تُكَـٰذِّبان (١٨) مَـرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (١٩) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيان (٢٠) فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٢١) يَـخْرُجُ مِنْهُمَا أَللُّؤُ لُوُّ وَ ٱلْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَىّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبْانِ (٣٣) وَ لَهُ ٱلْجَواٰرِ ٱلْمُنْشَاٰتُ فِي ٱلْبَحْرِ



كَالْأَعْلام (٢٢) فَبِأَيّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَٰلَيْهَا فَانِ (۲۶) وَ يَبْقَٰى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالُ وَ ٱلْإِكْرَامُ (٢٧) فَبِأَى الْآءِ رَبَّكُمُا تُكَذِّبان (٢٨) يَسْئَلُهُ مَـنْ فِـى ٱلسَّـمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْم هُوَ في شَأْنِ (٢٩) فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبان أوسَ اللَّهُ لَكُمْ أَيُّهُ ٱلثَّقَلان (٣١) فَبِأَى الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبان (٣٢) يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَ ٱلْإِنْسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِـنْ أَقْطَارُ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إلا بسُلْطان (٣٣) فَبأَى الآءِ رَبّكُما تُكذّبانِ (٣٢) يُرْسَلُ عَلَيْكُمًا شُواٰظٌ مِنْ نَارٍ وَ نُحَاسٌ فَلا تَنْتَصِران (٣٥) فَبأَى الآءِ رَبَّكُمًا تُكَذِّبانِ (٣۶) فَإِذَا ٱنْشَقَّتِ ٱلسَّمٰآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَىِّ الْآءِ رَبِّكُمًا تُكَذِّبانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْءًلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسُ وَ لا جَآنٌ (٣٩) فَبِأَيِّ الْآءِ رَبَّكُ ما تُكَذِّبان (٤٠) يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بسيم لهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصى وَ ٱلْأَقْدام (٢١) فَبأَىّ الْآءِ رَبّكُمًا تُكَذِّبانِ (٤٢) هٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِمِ أَنِ (٢٤) فَعِبَأَيِّ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ (۴۵)

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



◄ اللُّغة

بحُسْبانِ: حسبان بضم الحاء مصدر يقال أحسب حساباً و حسباناً و الحساب إستعمال العدد.

يَسْجُداْنِ: السُّجود الخضوع.

أَلَّا كُمَّام: جمع «كم» و هو وعاء ثمر النَّخل.

وَ ٱلْحَبُّ: بفتح الحاء حبُّ الحنطة و الشَّعير و نحوهما.

ذُو ٱلْعُصْفِ: التَّين و قيل هو ما لا يؤكل من الزّرع.

وَ ٱلرَّيْحُانُ: ما لا يؤكل و قيل بالعكس.

صَلْصْ ال الطّين اليابس الذّي يسمع له صلصلة.

كَالْفَخُار: و هو الّذي طبخ و قيل هو طينٌ خلط برملٍ.

ٱلْجَآنُ: واحد الجنّ و قيل هو إبليس.

مارج: المارج اللهب.

مَرَجَ: أصل المرج الإهمال.

ٱلجَوار: بفتح الجيم جمع جارية السَّفينة.

ٱلْمُنْشَاثُ: بكسر الشّين السَّير أضيف الفعل إليها على التَّجوز و الإتّساع.

الأعْلام: جمع علم و هو الجبل الطّويل.

سَنَفْرُغُ: فرغ أي قصد و المعنى سنقصد.

ٱلثُّقَلَانِ: الإنس و الجنّ.

تَنْفُذُ وا: أي تخرجوا.

شُواْظٌ: بضمّ الشّين اللُّهب الذّي لا دخان له.

نُحْاسٌ: بضمّ السّين الدُّخان الّذي لا لهب فه.

وَرْدَةً: قال الفّراء الوردة الفرس الوردة و قال الزّجاج يتلوّن كما يتلوّن الدّهان المختلفة.

ضياء الفرقان في تفسير القرآز

كَالدِّهٰانِ: جمع دهن.

حَميم أَنِ: الحميم الماء الحار و (آنِ) الذّي بلغ نهايته أي نهاية حرّه من أنى يأنى إنياً فهو آن، و منه قوله: غَيْرَ ناظِرِينَ إِنيلهُ (١) يعني نضاجه و بلوغه أنايتة.

◄ الأعراب

آكرَّ حْمْنُ أَن قلنا أنّها آية فالتَّقدير الله الرّحمن ليكون كلاماً تاماً و إن قُلنا ليست بآية فيكون الرّحمٰن مبتدأ و ما بعده الخبر بِحُسْبانٍ أي يجرمان بحسبان و آلسَّما الله على النّصب بفعل محذوف يفسّروه المذكور للأثّام اللام متعلّقة بوضعها و آلْحَبُّ بالنّصب أي خلق الحبّ و بالرَّفع عطفاً على النّخل كَالْفَخْارِ نعت لصلصال و مِنْ نارٍ نعت لمارج رَبُّ آلْمَشْرِقيْنِ أي هو ربُّ المشرقين و قيل هو مبتدأ و الخبر مرَجَ و يَلْتَقِينانِ حال وَبَيْنَهُما بَرْزَخُ حال من الضّمير في يلتقيان و لا يَبْغِينانِ حال أيضاً في آلْبَحْرِ متعلّق بمنشآت كَالْأَعْلامِ حال من الضّمير في الضّمير في المنشآت ذُو آلْجَلالِ نعت للوجه شُواظٌ بالضّم و الكسر لغتان مِنْ نارٍ صفة يَطُوفُونَ حال من المجرمين.

▶ التّفسير

ٱۘڶڗۜڂڡ۠ڹؙ

إختلف المفسّرون فقال بعضهم أنّها آية و قال الأخرون ليست بأيةٍ، فمن قال إنّها أية جعلها مبتدأ و ما بعده الخبر و من قال ليست بأيةٍ قال تقدير الكلام الله الرّحمن ليكون الكلام تامّاً، ثمّ أنّ الرّحمن مشتّقٌ من الرَّحمة و هي رقّة تقتضي الإحسان إلى المرحوم و قد تستعمل في الرِّقة المجرّدة تستعمل في الإحسان المجرّد عن الرِّقة نحو رحم الله فلاناً و إذا وصف به البارئ تعالى فلا



يراد به إلاّ الإحسان المجرّد دون الرّقة و على هذا روي أنّ الرّحمة من اللّه إنعامٌ و إفضال و من الأدميّين رقّةً و تعطُّفٌ و على هذا قول النّبي تَأَلُّهُ عَالَيُّ : أنّه تعالىٰ لمًا خلق الرَّحم قال له أنَّا الرّحمٰن و أنت الرَّحم شقَّقتُ إسمك من إسمى فمن وصلك وصلته و من قطعك قطعته إنتهي.

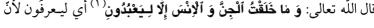
و إذا كانت الرَّحمة منطوية على معنيين الرِّقة و الإحسان فأعلم أنَّ اللَّه ركَّـز في طبائع النَّاس الرِّقة و تفرّد بالإحسان و لا يطلق الرّحمن إلاّ على اللّه تعالى من حيث أنَّ معناه لا يصِّح إلاَّ له إذ هو الذِّي وسع كلُّ شئ رحمةً و أمَّا الرّحيم فهو يستعمل في غيره و هو الّذي كثرت رحمته، و قيل أنّ اللّه تعالى هو رحمن الدُّنيا و رحيم الأخرة و ذلك أنَّ إحسانه في الدُّنيا يعمّ المؤمنين و الكافرين و في الأخرة يختصُّ بالمؤمنين دون الكافرين.

عَلَّمَ ٱلْقُرْاٰنَ

إن قلت لم قدَّم تعليم القرأن على خلق الإنسان مع أنَّه مؤخِّر عن خلق الإنسان إذ لو لم يكن الإنسان موجوداً في الخارج فلا معنى لتعليمه القرأن هذا إذا كان المراد بقوله علّم القرأن، علّمه الإنسان و أن كان المراد بتعليم القرأن بغير الإنسان فمن هو.

قلت المراد تعليم الإنسان قطعاً لأنّ اللّه تعالى أنزله ليتعلّم البشر ليرشده و يهديه به بواسطة النبيّ و هذا ممّا لا شكّ فيه و أمّا وجمه تقديم التعلّيم على خلق الإنسان فلأنّ الإنسان خلق لتَّعلم القرأن فهو العلّة الغائية لخلق الإنسان و العلَّة الغائية و أن كانت في وجودها الخارجي مؤخِّرة إلاَّ أنَّها في الوجود العلمي مقدّمة على الوجود الخارجي و لتوضيح ذلك نقول:

قال اللّه تعالى: **وَ مَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَ ٱلْإِنْسَ إِلّا لِـيَعْبُدُون**(١) أي ليـعرفُون لأنّ



خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ

على عباده فأفهم ذلك أن كنت أهلاً له.

و فيه إشارة إلى نعمة الخلق و الإيجاد و هذه النَّعمة بعد نعمة الدّين، أفضل النِّعم و لذلك ذكرها الله بعد نعمة الدّين.

العبادة بدون المعرفة لا معنى لها، فيصير المعنى ما خلقت الجنّ و الإنس إلاّ ليعرفون أي ليعرفون اللَّه ثمّ أنّ معرفة اللَّه لا تحصل إلاّ من طريق الأنبياء و أن

شئت قلت من الكتاب و السُّنة و على هذا فخلق الإنسان لمعرفة الكتاب و

السُّنة و لا نعني بالكتاب إلاّ القرأن و لا نعني بالدّين إلاّ معرفتهما و العمل بهما

و لا شكّ أنّ العمل بالكتاب فرعٌ على تعلُّمه فتعلُّم القرأن غاية لخلق البشر و الغاية مقدّمةٌ على ذي الغاية واقعاً و مؤخّرة عنه خارجاً فالغاية أشرف من ذي

الغاية لأنّ ذي الغاية يوجد ببركة الغاية فإذا كانت الغاية في خلق الإنسان الّذي

هو ذو الغاية، هي الدّين و الدّين لا يحصل إلاّ بفهم القرأن و تعلّمه فتعليم القرآن مقدّم على خلقه في علم الله و أن كان مؤخّراً في وجوده الخارجي فقدُّم الله الأشرف و الأهمّ و أخّر الأخسّ و هو مطابق للقاعدة العقليّة و حيث

أنَّ اللَّه تعالى في هذه السُّورة بصدد بيان نعمه الَّتي أنعم اللَّه بها على خلقه و لا نعمة أشرف من نعمة الدّين الّذي لا يحصل إلاّ ببركة القرأن إفتتح كلامه به

مشعراً بأنّ القرآن هو الأصل و ما سواه فرعٌ عليه و محصلٌ الكلام فيه إشعار بأنّ القرأن و العلم به الّذي يحصل بالتّعليم و التعلّم من أفضل النّعم الّتي أنعم بها

قال بعضهم المراد بالإنسان في الآية هو أدم و لا مشاحة فيه فأنّ الله خالق الكلِّ، ثمّ بعد خلق الإنسان الّذي هو الموصوف بالصّفات أشار إلى نعمة النُّطق و البيان لأنّ البيان أفضل صفات الإنسان و أشرفها.



عَلَّمَهُ ٱلْنَانَ

و أنّما قلنا أنّه أشرف الصّفات و أفضلها لأنّ البيان لا يوجد إلاّ بالنّطق الذّي هو الفصل المميّز للإسان عن الحيوان والجماد والنبّات ولذلك يقال في تعريف الإسان أنّه حيوانٌ ناطق، و لا يقال حيوانٌ عالمّ أوضاحكٌ أوغيرها من الصّفات.

ٱلشَّمْسُ وَ ٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ

أي يجريان بحسبان فإضمر يجريان و حذفه لدلالة الكلام عليه و المعنى أنهما يجريان بحساب معلوم و قلنا في شرح اللُغات أنّ حسبان بضم الحاء مصدر يقال حسبت و أحسبت أو حسب حساباً و حسباناً و الأصل في الحساب إستعمال العدد:

قال الله تعالى: وَ ٱلشَّ مْسُ تَجْرى لِـمُسْتَقَرِّ لَـهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْـعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (١).

قال اللَّه تعالى: وَ ٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ ٱلْقَديم (٢).

تكلّمنا في الشّمس و القمر هناك فلا نعيد الكلام ثانياً مخافة الإطالة و ذكرنا أيضاً منازل القمر و أشرنا إلى أسمائها و ما يتعلّق بهما.

وَ ٱلنَّجْمُ وَ ٱلشَّجَرُ يَسْجُداٰنِ

السُّجود في الأصل التَّطامن و التذلُّل و جعل ذلك عبارة عن التذلُّل للّه و عبادته و هو عامٌّ في الإنسان و الحيوانات و الجمادات و ذلك ضربان، سجود بإختيارٍ و هو مختصٌ بالإنسان و به يستحقّ الثّواب و سجود بتسخير و هو عام للإنسان و الحيوان و النَّبات و الجماد و إلى ذلك أشار اللّه تعالى بقوله:

وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِى ٱلسَّمَواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ ظِلاَلُهُمْ بِالْغُدُوّ وَ ٱلْأَصْالِ^(٣). و النَّجم من النّبات ما طلع يقال نجم ينجم نجماً إذ اطلع و به سمّي نجم السّماء و هو الكوكب لطلوعه، و المراد بالنّجم في الآية النَّبت الطّالع من الأرض و هو النّبات الّذي ليس له ساق.

و قال مجاهد هو نجم السّماء و به قال قتادة قيل و الأوّل أقوى لمصاحبة الشَّجر و هو عند أهل اللَّغة النّبات الّذي له ساق و ورق و أغصان، و الأحسن عندي حمل اللّفظ على العموم و المعنى أنّ النّجم و الشَّجر يسجدان للّه أي يخضعان و يتذلّلان بغير إختيار منهما على سبيل التسخير كما دلَّت عليه الآية صريحاً حيث قال طوعاً و كرها، و أنّما يثاب الإنسان و يعاقب على سجوده و عدم سجوده لوجود العقل فيه و هما أعني الثّواب و العقاب يترتّبان على العقل و لذلك لا يعاقب المجنون على ترك السُّجود، و الحقّ أنّ السُّجود يرجع في الحقيقة إلى الشُّكر على النّعمة في الإنسان.

وَ ٱلسَّمٰآءَ رَفَعَهٰا وَ وَضَعَ ٱلْمَهِزَاٰنَ

و السّماء منصوب بفعل مقدر يفسّره المذكور و التقدير رفع الله السّماء هذا على قراءة النّصب فيهما و أمّا من قرأ بالرَّفع فقد عطفها على قوله: و آلنّجْمُ و آلشَّجُرُ يَسْجُدان فجعل المعطوف مركّباً من مبتدأ و خبر و عليه فالسّماء مبتدأ و ما بعده الخبر.

و أمّا قوله: و وضع العدل أي فقال المفسّرون المراد بالميزان العدل أي أنّه تعالى رفع السّماء و وضع العدل في الأرض، و قيل الميزان القرأن لأنّ فيه بيان ما يحتاج إليه البشر و قيل المراد به الميزان المحسوس الّذي يعرفه النّاس الذّي يوزن به كلّ جنسٍ موزون لينتصف به النّاس بعضهم من بعضٍ، و يدلّ عليه قوله تعالى:

عليه قوله تعالى: وَ أَقْبِمُوا ٱلْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لا تُخْسِرُوا ٱلْميزاٰنَ ضياء الفرقان في تفسير القرآن



و القسط العدل و قيل أراد وضع الميزان في الآخرة، و أصل ميزان، موزان أبدلت الواوياء إعتباراً بالكسرة.

و أقول حمل اللّفظ على معناه العّام الشّامل لجميع المصاديق أحسن من حمله على معنى واحد لأنّ الميزان إسم لكلّ ما يوزن به الشّي سواء كان من الأجناس أو الأعمال فأنّ الميزان في كلّ شيّ بحسبه و قوله: و لا تُحسِرُوا الميزان و لا تبخسوا الكيل و الوزن و قيل المعنى لا تخسروا ميزان حسابكم يوم القيامة.

قال قتادة في هذه الآية إعدل يا بني آدم كما تحّب أن يعدل لك و أوف كما تحّب أن يوفي لك فأنّ العدل صلاح النّاس.

وَ ٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَّامِ

و الإعراب فيه كالإعراب في قوله: و آلسَّمْآءَ رَفَعَها و قد مرَّ الكلام فيه، و الأنام النّاس، و قيل الجّن و الإنس و قيل كلّ ما دبَّ على وجه الأرض و هو الأقوى لأنّه عام يشمل الكلّ و معنى الآية أنّ اللّه تعالى جعل الأرض لكلّ ما دبَّ عليها من خلقه لينتفعوا بها و بما فيها من أنواع النّعم كما.

فيها فَاكِهَةً وَ ٱلنَّخْلُ ذَاٰتُ ٱلْأَكْمَام

و الفاكهة أنواع الثّمار الّتي تؤخذ من الأشجار المختلفة و غيرها و بالجملة كلّ ما يتفكّه به الإنسان من أنواع الثّمار و قوله و النَّخل ذات الأكمام الواو للإستئناف و النَّخل مبتدأ و ذات الأكمام خبره، و الأكمام جمع كمّ، بكسر الكاف و هو وعاء الطلّع أي وعاء ثمر النَّخل يقال تكمّم في وعائه إذا إشتمل عليه و قيل الأكمام ليف النَّخلة الّتي تكمّم فيه.

قال الزّجاج كمَّ القميص من هذا لأنّه يغطّي اليد.

إن قلت ما وجه تخصيص النَّخل بالذّكر من بين الأشجار الموجودة في الأرض أليس قوله: فيها فاكِهة من عن ذكره.

قلت لعلّ الوجه في تخصيصه بالذّكر من بين الأشجار المثمرة أنّه أشبه شئ بالإنسان في ثمره لإحتياجه إلى التَّلقيح كما أنّ الإنسان أيضاً كذلك و على هذا فالنَّخل من أعجب الأشجار في التُّمار و ليس كغيره من الأشجار فالتأمُّل و التدبُّر فيه يرشد الإنسان إلى أعظم الدّلائل على قدرة اللّه و حكمته و الله أعلم.

وَ ٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَ ٱلرَّيْحَانُ

الحَّب بفتح الحاء الحنطة و الشّعير و نحوهما، و العَصف بفتح العَين و سكون الصّاد و الفاء.

قال الحسن العصف التين، و قال مجاهد هو ورق الشَّجر و الزَّرع، و قيل تبن الزَّرع و ورقه الذَّرع. الزَّرع و ورقه الذي تعصفه الرِّياح، و قيل هو أوّل ما ينبت من الزَّرع.

و قال إبن عبّاس العصف ورق الزَّرع الأخضر إذا قطّع رؤوسه و يبس الكلبي العصف الورق الّذي لا يؤكل و الرّيحان هو الحبّ المأكول.

و قال الفّراء بالعكس، و الحَّق أنّ الرّيحان كلّ بقلةٍ طيَّبة الرّيح لأنّ الإنسان يراح منها رائحة طيَّبة أي يشمّ فهو فعلان، روحان من الرّائحة، و هو أي الرّيحان نبتٌ معروف عند جميع النّاس.

فَبِأَيِّ الآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

الخطاب في، ربّكما، للإنس و الجنّ لأنّ الأنام الّذي وضعت الأرض له واقعً عليهما و اللّآء النّعم الّتي أنعم اللّه بها على عباده و المعنى فبأيّ نعمة من نعمه الّتي أنعم بها عليكم تكذّبان، و يقولون أنّه ليس كذلك و بعبارة أخرى تكذّبان الله و توضيح ذلك بحسب الإجمال، و هو أنّ اللّه تعالى إفتتح السُّورة بإسم الرّحمٰن من بين أسمائه ليعلم العباد أنّ جميع ما يصفه بعد هذا من أفعاله و من ملكه و قدرته خرج إليهم من الرّحمة العظمى من رحمانيّته فقال: أَلرَّحْمٰنُ ثمّ ملكه و قدرته خرج إليهم من الرّحمة العظمى من رحمانيّته فقال: أَلرَّحْمْنُ ثمّ

ن في تفسير القرآن كم المجلدال

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

کرام می المجلد السادس م

أعطاكم أفضل النّعم العقليّة و المعنويّة الّتي خلق الإنسان لأجله و هـو نـعمة الدّين فقال: عَلَّمَ ٱلْقُرْانَ ثمّ أعطاكم نعمة الوجود فقال: خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ ثمّ أعطاكم نعمة النُّطق و البيان فقال: عَلَّمَهُ ٱلْبَيْانَ ثمّ خلق لكم الشَّمس و القمر فقال: أَلشَّمْسُ وَ ٱلْقَمَرُ بِحُسْبانِ ثمّ خلق لكم السّماء و وضع الميزان، ثمّ خلق الأرض و جعل فيها ماتحتاجون إليه من أنواع الفواكه إلى آخر ما قال، فإذا كانكذلك فبأيّ نعمةٍ ممّا أشرنا إليه تكلُّبان،مخاطباً اللّه هذين الثّقلين من الجنّ و الإنس حين رأوا ما أعطاهم الله من النَّعم و قال ما قال و يحتمل أن يكون هذا الكلام أعنى قوله: فَبِأَى اللآءِ رَبِّكُما تُكذِّبانِ للتَّوبيخ لمن كفر بالنَّعم و أشرك بالله فكأنَّه قال أخرج من القدرة والملك برحمانيَّته الَّتي رحمهم بها من غيرمنفعةٍ و لا حاجة إلى ذلك فأشركوا به الأوثان و كلّ معبودٍ إتَّخذوه من دونه و جحدوا الرَّحمة الَّتي خرجت هذه الأشياء بها إليهم فقال سائلاً لهم فَبِأَيّ الآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ و قيل أنَّ اللَّه تعالى عدَّد في هذه السُّورة نعمائه و ذكر خلفه آلائه ثمّ اتبع كلُّ نعمةٍ وضعها بهذه الكلمة و جعلها فاصلة بين كلِّ نعمتين لينبِّههم على النُّعم و يقرّرهم بها كما تقول لمن تتابع فيه إحسانك و هو يكفره و ينكره ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفتنكر هذا، ألم تكن خاملاً فعزَّزتك أفتنكر هذا ألم تكن راجلاً فحملتك أفتنكر هذا و التَّكرير حسن في مثل هذا كما قال الشَّاعر:

لا تقتلي مسلماً إن كنت مسلمةً إِنِّ اللهِ من دمه إيّاك إيّاك إيّاك و هذا هو الوجه في تكرير قوله: فَيِأَيِّ اللهَ عِرَبِّكُمُا تُكَذَّبُانِ إلى آخر

السُّورة و اللَّه أعلم.

خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ

المراد بالإنسان في هذه الآية هو آدم عليه السّلام و الصَّلصال هو الطّين اليابس الّذي يسمع له صلصلة و الفخّار هو الطّين الّذي طبخ بالنّار حتّى صار خزفاً و يقال له بالفّارسية (آجر).

وَ خَلَقَ ٱلْجُآنَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ

الجّان واحد الجنّ و المارج اللُّهب، و قيل مارج النّار خالصها.

و قيل المارج الشُّعلة السّاطعة ذات اللُّهب الشّديد.

و قال الجوهري المارج نارٌ لا دخان لها خلق منها الجنّ و الجّان فَيِأَيِّ اللّهَ وَ الجّانِ فَيِأَيِّ اللّهَ عَلَمُ مَن نعمة الإيجاد و الخلق و هذا واضح.

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ

قيل المراد مشرق الشّتاء و مشرق الصّيف و هكذا المغرب و قال تعالى في الصّافات (و رَّب المشارق) بصيغة الجمع مضى الكلام في ذلك هنالك.

مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ، بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ، فَبِأَيِّ الآءِ رَبِّكُ مَا تُكذِّبانِ

المرج الإرسال و الإحمال يقال مرج السلطان النّاس إذا أهملهم و قيل المرج اللخلط يقال مرج هذا بهذا أي خلط (البحرين) قال إبن عبّاس، يعني بحر السّماء و بحر الأرض، و قيل بحر فارس و الرُّوم، و قيل البحران الملح و العذب، و قيل مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما بَرْزَخٌ أي حاجزٌ و مانعٌ لا يَبْغِيانِ البغي الطُّغيان أي لا يبغي أحد البحرين على الآخر فيغلبه فيغرقانهم و معنى الآية أنّ اللّه تعالى خلط البحرين بقدرته عند التقاء طرفيهما و جعل بين البحرين مانعٌ يمنعهما عن الطُغيان و غلبة أحدهما على الآخر فأنجاكم اللّه بذلك عن الغرق و قيل المراد بالحاجز هو الأرض الّتي جعلها صالحة للسكونة و الزّراعة و غيرهما ممّا يحتاج إليه البشر في إدامة حياته و بقائه.

فَبِأَيِّ الآءِ رَبِّكُما تُكذِّبانِ يعني أليس الأمركما وصفناه أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأَرْضَ

اء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 🥕

مِهَادًا (١) و الجبال أوتاداً، ألم نجعل الأرض للأنام، فيها فاكهة و النَّخل ذات الأكمام، و النّعمة بتسخير الشّمس أنّها تجرى دائبةً بمنافع الخلق في الدُّنيا و الدّين و هكذا.

يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُولُ وَ ٱلْمَرْجَانُ

أي يخرج من البحرين اللَّؤلؤ و المرجان.

قال إبن عبّاس المرجان عظام اللُّؤلؤ و اللُّؤلؤ صغاره و قيل بالعكس المرجان الحرز الأحمر.

و قال بعض المفسّرين اللَّؤلؤ معروف و يقع على الصَّغار و الكبار و المرجان ضربٌ من الجوهر كالغضبان يخرج من البحر و الأقوال كثيرة.

فَيِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكذِّبانِ أليس هذا من النَّعم التَي أنعم الله بها، ثمّ أنّ هذا الَّذي ذكرناه و نقلناه عنهم هو تفسير الألفاظ بحسب التَّنزيل و أمّا بحسب التَّاويل.

فقد روي سيف إبن عميرة عن إسحاق بن عمّار عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه عن قول الله عزّ وجلّ: رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ قال عليه الله عليها المشرقين رسول الله و أميرالمؤمنين صلوات الله عليهما و المغربين الحسن و الحسين عليهما السّلام و قوله: فَبِأَيِّ الا عَلَيْ عَلَيْهَا تُكَذّبانِ قال عليها عليهما و علي عليهما السّلام.

و بسناده عن يحيى إبن سعيد العطّار قال: سمعت أبا عبد الله عليّا في يقول في قول الله: مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ، بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ قال عليّ عليّ و فاطمة بحران عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللَّوْلُو وَ ٱلْمَرْجَانُ قال عليّ الحسن و الحسين إنتهى.

و في مجمع البيان، و قد روي عن سلمان الفارسي و سعيد بن جبير و سفيان الثوّري أنّ البحرين علّى الطِّلْ و فاطمة اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّ اللَّهُ اللّ بَرْزَخٌ محمد اللَّه المال المسن و الحسين إنتهي.

و الأخبار من أهل البيت في هذا الباب كثيرة.

و أمّا العامّة:

فقد روى السيّوطي في الدُّر المنثور في تفسيره لهذه الآية ما هذا لفظه، و أخرج إبن مردويه عن إبن عبّاس في قوله تعالى: مَرجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيْانِ قال: علِّيِّ و فِاطمة بَيْنَهُمَا بَـرْزَخٌ لا يَـبْغِيانِ النّبي عَلَيْنُ عَلَيْ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللَّؤُلُؤُ وَ ٱلْمَرْجَانُ قَالَ: الحَسَن وَ الحسين عليهما السّلام إنتهي.

و أخرج إبن مردويه عن أنس بن مالك في قوله تعالى: مَررج ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ قال: علَّىٰ و فاطمة يَـخْرُجُ مِـنْهُمَا ٱللَّـؤُلُوُّ وَ ٱلْمَرْجُانُ قال: الحسن و الحسين إنتهى.

و العجب من الألوسي حيث قال في تفسيره لهذه الآية بعد نقل الأقوال الَّتي لا فائدة في ذكرها ما هذا لفظه، و من غريب التَّفسير ما أخرجه إبن مردويه عن إبن عبّاس في قوله تعالى: مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْن يَلْتَقِيلانِ علّى و فاطمة رضى الله جزء ٢٧ عنهما بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ النَّبِي اللَّاكُانَةُ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّـوْلُقُ وَ ٱلْمَرْجَانُ الحسن و الحسين رضي الله عنهما.

و أخرج عن أنس بن مالك نحوه لكن لم يذكر فيه البرزخ و ذكر الطبّرسي من الإماميّة في تفسيره مجمع البيان الأوّل بعينه عن سلمان الفارسي و سعيد بن جبير و سفيان الثُّوري و الّذي أراه أنّ هذا إن صحَّ ليس من التّفسير في شيّ بل هو تأويلٌ كتأوّيل المتصوّفة لكثيرٍ من الأيات و كلٌّ من علّي و فاطمة رضيُّ اللّه

عنهما أعظم من البحر المحيط علماً و فضلاً و كذا كلِّ من الحسنيين رضي الله عنهما أبهى و أبهج من اللُّؤلوء و المرجان بمراتب جاوزت حدّ الحسبان إنتهى كلامه.

أقول ما ذكره الألوسي يدلّ على تعصُّبه و جهله، أمّا التَّعصب فلأنّه عبّر عنه بغريب التّفسير، و لم يقدر على بيان وجه الغرابة كأنّه تخيّل أنّ نـزول آيـةٍ أو آيات في شأن أهل البيت عليهم السّلام من الغرائب و العجائب لأنّه لا يساعد مذهبه و مسلكه، و أمّا الجهل، فلقوله أنّه ليس من التّفسير في شيئ بـل هـو تأويل كتأويل المتصوّفة لكثيرِ من الأيات، و لم يعلم أنّ التأويل ممّا لًا إشكال فيه إذا كان بحقٌّ و ذلك لأنّ كثيراً من الآيات يحتاج الى التأويل و الفرق بين التَّفسير و التأويل، أنَّ التَّفسير عبارة عن بيان معانى الألفاظ بحسب اللُّغة، و هذا بخلاف التأويل لأنّه عبارة عن بيان ما هو المراد من اللَّفظ و بعبارةٍ أخـري بيان ما أراد المتكلّم من اللَّفظ لا ما يدلّ عليه اللّفظ و أنمًا قلنا ذلك لأنّه مشتقّ من الاوّل و هو الرُّجوع فالتأويل إرجاع المعنى الى مراد المتكلّم ألا تـرى أنّ المفسّرين إتّفقوا على أنّ كثيراً من الخطابات القرآنيّة ظاهرها الى النّبي و المراد بها الأمّة و لا نعني بالتأويل إلاّ هذا و حيث لم يعلم الفرق بينهما، قال ما قال نعم بعض الأيات لا يحتاج الى التأويل كقوله تعالى: اقبِمُوا الصّلاة و آتُوا الزَّحاة، كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّينامُ و أمثالها.

و أمّا ما نحن فيه فهو محتاج اليه ضرورة أنّ اللَّؤلوء و المرجان و غيرهما من النَّعم الدُّنيوية ليسا ممّا يمنّ بهما على النّاس لأنّهما من متاع الدُّنيا الّتي لا بقاء له و حيث أنّ اللّه تعالى خصَّهما بالذِّكر على سبيل الإمتنان علمنا أنّ المراد بهما شئ أخر أعلى و أشرف من الدّنيا و ما فيها و هو نعمة الولاية و الإمامة و ليس هذا التّأويل من سنخ تأويلات الصُّوفية كما زعمه الألوسي و الله أعلم بما قال:

وَ لَهُ ٱلْجَوارِ ٱلْمُنْشَاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَالْأَعْلامِ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ الجوار جمع جارية وهي السَّفينة التي تجري في البحر، كما أنّ الجارية المرأة الشّابة التّي يجري فيها ماء الشّباب، و المنشأت المبتدأت للسَّير برفع القلاع.

قال مجاهد رفع له القلاع فهو منشأ و ما لم يرفع قلاعه فليس بمنشأ فجعل الإنشاء برفع القلاع، و الأعلام الجبال واحدها علم سمّي بذلك لإرتفاعه كإرتفاع الأعلام المعروفة، و قيل كالأعلام في العظم و معنى الآية و لَهُ أي للّه تعالى: ٱلْجَوارِ ٱلْمُنْشَاتُ أي السُّفن التّي رفع قلعها إذ لو لم يرفع قلعها فليست بمنشأت في ٱلْبَحْرِ كَالأَعْلامِ أي كالجبال في إرتفاعها في البَّر شبّه الله تعالى المنشأت في السُّفن بالأعلام أي الجبال في الأرض و وجه الشّبه فيهما إرتفاعهما و لازم ذلك أن تكون السَّفينة كالأرض و أن شئت قلت شبّه الله السَّفينة بالأرض، و شبّه المنشأت فيها بالأعلام و الجبال الرّاسيات فيها هذا التّشبيه سرّ لطيف و هو أنّ الأرض متحركة كالسَّفينة فكما أنّ للسَّفينة منشأت كذلك للأرض منشأت و هي الجبال و الله أعلم ثمّ قال: فَعِلَي الْآءِ منشأت كذلك للأرض منشأت و هي الجبال و الله أعلم ثمّ قال: فَعِلَي الْآءِ منشأت كذلك للأرض منشأت و هي الجبال و الله أعلم ثمّ قال: فَعِلَي الله لكم.

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَ ٱلْإِكْرَامِ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ

قيل في تفسير الآية أنّ فيها إخبارٌ من اللّه تعالى على أنّ جميع من على وجه الأرض من العقلاء يفنون و يخرجون من الوجود إلى العدم و إذا ثبت ذلك و كانت الجواهر لا تفنى إلاّ بفناء يضادّها على الوجود فإذا وجد الفناء إنتفت الجواهر كلّها فالآية دالّة على عدم جميع الأجسام على ما قلناه لأنّه إذا ثبت عدم العقلاء بالآية ثبت عدم غيرهم لأنّه لم يفرّق أحدٌ من الأمّة بين الموضعين، إنتهى ما قاله الشّيخ مَن التّبيان.

و قال القرطبي في تفسيره لهذه الأية، الضّمير في عَلَيْها للأرض و قد جرى ذكرها في أوّل السُّورة في قوله تعالى: و آلاًرْضَ وَضَعَها لِللَّأَنَّامِ يقال هو أكرم من عليها، يعنون الأرض و أن لم يجر لها ذكرٌ و لمّا نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلك أهل الأرض فنزلت كلّ شئ هالك إلا وجهه فأيقنت الملائكة بالهلاك قاله إبن عبّاس و مقاتل و وجه النّعمة في فناء الخلق التَّسوية بينهم في الموت و مع الموت تستوي الأقدام و قيل وجه النّعمة أنّ الموت سبب النّقل إلى دار الجزاء و الثّواب إنتهى كلامه.

أقول أمّا ما ذكره القرطبي فهو من قبيل تفسير اللّفظ بلفظ أخر و أنّ مرجع الضّمير في عَلَيْها هو الأرض و هذا ممّا لاكلام فيه و أنّما الكلام في التّعبير بالفناء و إختصاصه بذوي العقول بدليل قوله: مَنْ دون (ما) أي قال كلّ من عليها، و لم يقل ما عليها، ليشمل جميع الموجودات إذ قد ثبت أنّ كلمة (من) تستعمل لذوي العقول، و كلمة، ما، تستعمل لهم و لغيرهم من الموجودات و لعللَّ الشّيخ فَيْتُنُّ لأجل هذا خصَّ الفناء بذوي العقول أوّلاً و بسائر الموجودات ثانياً على أساس الأوّلوية و قال إذا ثبت عدم العقلاء بالآية ثبت عدم غيرهم لعدم الفرق بين المؤمنين، فأنّه مَنْتُ و أن لم يصرّح بالأولويّة إلاّ أنّ كلامه يرجع الميها و أن شئت قلت بتساويهما في الحكم و الحاصل أنّه حكم بفناء الموجودات بتبع فناء ذوي العقول و إستدلّ على ذلك بأنّ الأمّة لم تفرق بين الموضعين.

و نحن نقول لا نحتاج في إستفادة العموم من الآية إلى هذه التكلّفات و أنّ الأمّة لم تفرق بين الموضعين و ذلك لأنّ كلمة (من) قد تطلق على جميع الموجودات من باب التّغليب أي تغليب ذوي العقول على غيرهم و ما نحن فيه من هذا القبيل فلا نحتاج في إثبات العموم إلى الأمّة و أنّهم لم يفرقوا بين الموضعين هذا مضافاً إلى أنّ الحكم عقليّ أي أنّ العقل يحكم بأنّ كلّ من عليها فانٍ، و الحكم العقلي لا يثبت بالنّقل، و أنّما قلنا أنّ الحكم عقليّ، لأنّ

قوله: كُلُّ مَنْ عَلَيْها فَانٍ يشمل جميع الموجودات من باب التَّغليب كما إخترناه أو من باب التّساوي كما إختاره مُنَّيِّنٌّ و على التّقديرين فالمراد به جميع الخلق، و قد ثبت عقلاً أنّ المخلوق كائناً ما كان فهو حادث و كلّ حادثِ مسبوق بالعدم و كلّ مسبوقٍ به ملحوقٌ به أيضاً و إلاّ يلزم أن يكون أبديّاً، غير معقولٍ إذ كيف يعقل أن يكون الموجود الحادث أبديًّا و المفروض أنَّ الأزل و الأبد متقابلان فلا يوجد أحدهما بدون الأخر و إذا كان كذلك فلا يكون الخلق أبديًّا لعدم كونه أزليًّا، و لا نعني بجواز الفناء عليه إلاّ هذا فوجود الخلق و فناءه بيد خالقه لأنّ وجوده منه و ما كان وجوده من غيره ففناءه أيضاً منه بـل نـقول أنّه في حدّ ذاته فأن كما هو شأن الممكن كما قيل الممكن من شأنه أن يكون ليساً و من علَّته أن يكون أيساً أي موجوداً و لا يبعد أن يكون قوله: فَانِ إشارة إلى مقام ذات المخلوق أي أنّه، فان، في حدّ ذاته و أن كان موجوداً بوجود خالقه و مشّيئته و لهذا قال تعالى: فُانٍ و لم يقل (يفني) مثلاً ولو كان الأمر كما فهمه المفسّرون و ذكروه في تفاسيرهم من أنّ المعنى كلّ من على الأرض يموت، أي في المستقبل لقال، يفني أو يموت مثلاً ألا ترى أنّ المتكلّم إذا قال أنا ضاربٌ زيداً أو هو ضاربٌ أو هو أكل أو شاربٌ أو نائمٌ يدلُّ على التلبّس بالفعل على ما هو المستفاد من صيغة الفاعل، فقوله تعالى: فَأْنِ بصيغة الفاعل يدّل على تلبُّس الخلق بالفناء فعلاً لا أنّه سيموت و سيفني، فثبت و تحقّق أنّ قوله: كُلّ مَنْ عَلَيْها فَانِ معناه أنّه فان في حدّ ذاته فعلاً حكمٌ عقليّ يشمل جميع المخلوق و لا يحتاج إلى تكلُّفٍ زائد هذا ما خطر ببالي بل هو ممّا ألهمني الله تعالى و لم يتفطّن إلى هذه الدّقيقة أحدّ من المفسّرين فيما نعلم و أن كان عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.

و أمّا قوله تعالى: وَ يَبْقَى وَجْهُ رَٰبِكَ ذُو ٱلْجَلالِ وَ ٱلْإِكْراْمِ فهو معركة الأراء بين المفسّرين، فمنهم من قال، معناه و يبقى ربّك الظّاهر بأدلّته كظهور الإنسان بوجهه يذكر على وجهين:

أحدهما: بعض الشّئ كوجه الإنسان.

الثّانى: بمعنى الشّيّ المعظم في الذّكر كقولهم هذا وجه الرّأي و هذا وجه التدبّير، أي هو التّدبير و هو الرّأي، و الإكرام و الإعظام بالإحسان فاللّه تعالىٰ يستحقّ الإعظام بالإحسان الّذي هو في أعلى مراتب الإحسان و معنى ذو الجلال ذو العظمة بالإحسان، قاله الشّيخ في التّبيان.

و قال صاحب الكشّاف وَجْمُهُ رَبِّكَ ذاته و الوجه يعبّر به عن الجملة و الذّات إنتهي.

و قال القرطبي في قوله: وَ يَبْقٰى وَجْهُ رَبِّكَ أي و يبقى الله فالوجه عبارة عن وجوده و ذاته و هذا الذي إرتضاه المحقّقون من علمائنا.

و نقل عن إبن عبّاس أنّه قال الوجه عبارة عنه و قال أبو المعالي و أمّا الوجه فالمراد به عند معظم أنمّتنا وجود البارئ تعالى و هو الّذي إرتضاه شيخناالدّليل على ذلك قوله: وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ إذا عرفت هذا فنقول:

لا شكُّ أنَّ الوجه في الأصل الجارحة:

قال الله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذَيِنَ أَمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلُوةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرافِقِ (١).

قال الله تعالى: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمْ إِ فَلَنُولِيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضُهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ فِى ٱلسَّمْ إِ فَلَنُولِيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضُهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ مُا كُنْتُمْ فَوَلُوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ (٢).

فالمراد بالوجه في هاتين الأيتين الجارحة المخصوصة و هي التّي يقال لها بالفارسيّة (صورت) و نظائره في الأيات و الأخبار و الأثار كثيرة بل يراد بالوجه هذا المعنى عند الإطلاق عرفاً و لغةً.

و أمّا في المقام و هو قوله: وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ فلا يمكن إرادة هذا المعنى

منه لأنَّ اللَّه تعالى منزهٌ عن الأعضاء و الجوارح التَّى هي من لوازم الأجسام فلابد لنا من إرجاعه إلى ما يجوز في الله تعالى و لذلك صارت الآية من المعضلات لأنّ الوجه في الآية أضيف إلى الرَّب فقال: وَجْهُ رَبُّكَ، و قد أشرنا إلى بعض الأقوال الواردة فيه و إكتفينا بذلك حذراً عن الإطالة فأنّ الأقوال كثيرة حدّاً فنقول:

الوجه في القرأن على أربعة أوجه:

الأوّل: بمعنى الدّين، و إليه الإشارة بقوله:

قال الله تعالى: بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبّه (١⁾ أي من أخلص دينه لله.

قال الله تعالى: و مَنْ أَحْسَنُ دينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِللهِ (٢) و المعنى ممّن أسلم دينه لله.

قال الله تعالى: و مَنْ يُسْلِمْ وَجْهَةَ إِلَى ٱللهِ (٣) أي و من يسلم دينه إلى الله، و الإسلام في هذه الأيات الإخلاص و هو ظاهر.

الثّاني: أنّه جاء بمعنى، الله، أي ذاته تعالى و منه.

قال الله تعالى: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ (٤) يعني فثمّ اللّه.

قال الله تعالى: لا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ ٱلْعَشِيِّ يُريدُونَ وَجْهَهُ (٥) أي يريدون الله.

قال الله تعالى: كُلُّ شَمِيعٍ هَالِكُ إِلَّا وَجْهَهُ (٤) أي إلا هو.

قال الله تعالى: و مَا التَيْتُمْ مِنْ زَكُوةٍ ثُريدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ (٧) أي تريدون اللّه.

٣- لقمان = ٢٢



٢- النّساء = ١٢٥ ١- البقرة = ١١٢

١١٥ = ١١٥ - ٢

۶ – القصص = ۸۸ ۵- الأنعام = ۵۲

٧- الرُّوم = ٣٩

المجلد السا

قال الله تعالى: إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ (١) يعني نُطعِمكم لِلّه تعالىٰ. الثّالث: بمعنى أوَّل الشّئ و منه:

قال اللّه تعالى: وَ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ اٰمِنُوا بِ الَّذِيَ أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ اٰمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ (٢) يعنى أوَّل النّهار.

الزابع: بمعنى الجارحة، و منه:

قال الله تعالى: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمْإِ (٣).

يعني الوجه المعروف و قد مضى الكلام فيه إذا عرفت هذا فإعلم أنّ الوجه النّالث و الرّابع فلا يمكن حمل الوجه في الآية عليهما.

أمًا الوجه الرّابع فظاهرٌ لأنّ اللّه تعالى ليس بجسم فلا جارحة له.

و أمّا ثالث الوجوه فلأنّ الأوّل إن أريد به أنّه لا ثاني له أو أنّه خالق الموجودات و موجدها فلا إشكال فيه كما وصف الله به نفسه في قوله: هُوَ ٱلْأُوّلُ وَ ٱلْأَخِرُ وَ ٱلظّٰهِرُ وَ ٱلْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيمٌ (٢) وإن أُريد به غير هذا المعنى فلا يمكن حمل الوجه عليه.

و أمّا القسم الأوّل و الثّاني، فحمل الوجه على كلّ واحدٍ منهما لا إشكال فيه قطعاً و على هذا فقوله: وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ أَي يبقى دينه، أو يبقى ذاته أو تبقى أوَّليته بالمعنى الّذي ذكرناه، و الكلّ محتمل لا إشكال فيه عقلاً و شرعاً وخير الأمور أوسطها و اللّه أعلم هذا ما فهمناه من الأية: وَ مَا أُوتيتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلْا قَلِيلًا (٥).

و إن أريد به الدِّين فهو أيضاً معقول و يؤيّده النَّقل أيضاً لما ورد في أخبار أهل البيت عليهم السّلام أنَّهم وجه الله لأنّهم حملة دينه و ممّا يـدلّ عـلى أنّ المراد بالوجه في الآية الدِّين.

۲- أل عمران = ۷۲

۴- الحديد = ٣

١ - الإنسان = ٩

۳- البقرة = ۱۴۴ ۵- الاسراء = ۸۵

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المجلد السادس ع کاء بخ

ما رواه في كتاب الاحتجاع عن أميرالمؤمنين المنافي في حديث طويل و فيه، و أمّا قوله كلّ شيّ هالك إلا وجهه، فالمراد كلّ شيّ هالك إلا دينه لأنّ من المحال أن يهلك الله كلّ شيّ و يبقى الوجه هو أجلّ و أعظم من ذلك و أنمّا يهلك من ليس منه ألا ترى أنّه قال كلّ من عليها فان و يبقى وجه ربّك ففضل بين خلقه و وجهه إنتهى.

و ممّا يدلّ على أنّ المراد بالوجه، أنبياء اللّه و رسله و حججه في درجاتهم.

مارواه في عيون الأخبار في باب ما جاء عن الرّضا الله في التوحيد، حديث طويل، و فيه، فقلت يابن رسول الله فما معنى الخبر الذي رووه أنّ ثواب لا إله إلاّ الله النّظر الى وجه الله فقال الله فقال الله أباالصّلت من وصف الله عزَّ وجلّ بوجه كالوجوه فقد كفر ولكن وجه الله أنبيائه و حججه صلوات الله عليهم الّذين بهم يتوجّه إلى الله عزّ وجلّ و إلى دينه و معرفته و قال الله، عزّ وجلّ، كلّ من عليها فان و يبقى وجه ربّك، و قال عزّ وجلّ كلّ شيّ هالك إلاّ وجهه فالنّظر إلى أنبياء الله تعالى و رسله و حججه في درجاتهم ثوابٌ عظيم المؤمنين يوم القيامة و قد قال النّبي الله الله الله عن من أبغض أهل بيتي و عترتي لم يرني و لم أره يوم القيامة إنتهى.

و أيضًا عن علّي بن الحسين العلم نص الوجه الذّي يؤتى الله منه إنتهى.

و الأُخبار بهذه المضامين كثيرة و أمّا قوله: ذُو ٱلْجَلَالِ وَ ٱلْإِكْراْمِ فمعناه واضح لأنّه تعالى ذو العظمة بالإحسان فكلّ إحسانٍ من أيّ شخص صدر فهو منه لأنّه يرجع إليه كما أنّ المحامد ترجع إليه فَبِأَيّ اللآءِ رَبِّكُما تُكذّبانِ و تقولون أنّها ليست منه.

يَسْئَلُهُ مَنْ فِي ٱلسَّمْواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأْنٍ، فَبِأَيِّ اٰلاَءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ

أمّا أنّه تعالى يسأله من في السّموات و الأرض فلأن المخلوق لا ملجأ و لا معاذ له في جميع حوائجه إلاّ خالقه الذّي خلقه و أوجده ثمّ أنّ السُّؤال قد يكون بلسان التّشريع كما في الإنسان و قد يكون بلسان التكوين كما في سائر الموجودات من الحيوان و النَّبات و الجماد و قد ثبت أنّ المعلول رشحٌ من رشحات العلّة و فيضٌ من فيوضاته و هو كما يحتاج في وجوده إلى العلّة كذلك يحتاج في بقاءه إليها لأنّ الخالق هو القيُّوم الذّي هو قائمٌ بذاته سواه قائمٌ به و الحاصل أنّه تعالى هو الغنيّ المطلق و ما سواه محتاج إليه لفقره ذاتاً وصفةً و في قوله تعالى: كُلَّ يَوْمٍ هُوَ في شَأْنٍ إشارة إلى أنّه تعالى لا يشغله شأنٌ من شأنٍ لأنّه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد فهو لا يسأل عمّا يفعل و هم يسألون لأنّه تعالى يحيي و يميت و من كان كذلك فهو الفاعل لما يشاء و بما يشاء و هو على كلّ شيْ قدير و بالإجابة جدير فَيِأَيّ الآءِ رَيِّكُما تُكَذّبانِ.

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلانِ، فَبِأَيِّ الآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

المخاطب في هذه الآية الجنّ و الإنس و أنّما سمّيا تقلين لعظم شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من غيرهما فهما أثقل وزناً لعظم الشّأن بالعقل و التّمكين و التّكليف لأداء الواجب في الحقوق و منه قول النّبي عَلَمْ وَمُنَاكُمُ النّبي عَلَمْ وَمُنَاكُمُ النّبي عَلَمْ وَمُنَاكُمُ النّبي عَلَمْ وَمُنَاكُمُ اللّه و عترتى الحديث.

يعني عظيمي المقدار فلذلك وصفهما بأنّهما ثقلان، قاله الشّيخ في التّبيان و معنى الآية سنقصد لمجازاتكم أو لمحاسبتكم، و هذا وعيدٌ و تهديدٌ لهم و على هذا، ففرغ بمعنى قصد ففي الآية هدّد الثّقلين بالحساب و المجازاة يوم القيامة.

قال في المفردات الفراغ خلاف الشُّغل و من المعلوم أنّ اللّه تعالى ليس له شغلٌ يفرغ منه و لذلك فسّر اللّفظ بالقصد أي سنقصد و هذا ممّا لا إشكال فيه ففي الكلام إشارة إلى أنّ الحساب و المجازاة من النّعم لأنّه يصل كلّ ذي حقً إلى حقّه و مع ذلك فيها تهديدٌ للخاطئ المذنب.

و من المعلوم أنّه لا وجه لتكذيب الحساب الذّي هو نعمة للمحسن و نقمةً للمذنب و لذلك قال: فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكذِّبانِ.

يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَ ٱلْإِنْسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمُواْتِ وَ الْأَرْضَ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانِ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

هذا خطابٌ ثان و تهديدٌ كذلك للجنّ و الإنس و المعنى يامعشر الجنّ و الإنس إن إستطعتم أن تهربوا و تخرجوا من قضائي و أرضي و سمائي فأعلوا، ثمّ قال تعالى: لا تَنْقُدُونَ إلله بِسُلْطَانٍ أي لا تقدرون على النّفوذ من نواحيها إلاّ بسلطانٍ، أي بقوّةٍ و قهرٍ و غلبةٍ و أنّى لكم ففي الآية إشارة إلى عجز المخلوق و قدرة الخالق، و أنّه لا يمكن لأحدٍ الفرار من حكومته و لا على تغيير قضائه و قدره و إذا كان كذلك فالتمرُّد و الطّغيان و العصيان لأوامر الله و نواهيه لا معنى له عقلاً و حيث أنّ أمر العباد يدور بين الطّاعة و العصيان و النّواب و العقاب فالعقل السّليم يحكم بأنّ الطّاعة أولى من المعصية قال أميرالمؤمنين، «و لا يمكن الفرار من حكومته» و قيل أنّ فائدة الآية أنّ عجز النّقلين عن الهرب عن الجزاء لعجزهم عن النّفوذ من الأقطار، فَائدة الآية أنّ المّاحة رُبّكُما تُكذّبُانِ بقدرته تعالى، أو بعجزكم و ضعفكم.

يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواٰظٌ مِنْ نَارٍ وَ نُحاسٌ فَلا تَنْتَصِراْنِ، فَبِأَيِّ الآءِ رَبِّكُما تُكذِّبان اء الفرقان في تفسير القرآن 🔷 💫 من

الشُّواط لهب النّار كما قال الشّاعر:

أنّ لهــم مـن وقعنا إيـقاظاً و نار حربِ تسعر الشّواظـا

والنُّحاس بضمّ النُّون الصَّفر المذاب للعذاب و قيل هُو الدُّخان و قال الفّراء هو دهن الزَّيت و قيل هو دهن السّنام و القول الأوّل أشهر و أقوى و المعنى يرسل من جانب الله عليكما لهب النّار و الصَّفر المذاب للعذاب فَلا تَنْتَصِرانِ أي لا تقدران على دفع العذاب عنكما و ليس لكما ناصرٌ و لا معين يقدر على ذلك و إذا كان مألكما و مرجعكما إلى القيامة فَيِأَيِّ اللّهِ رَبِّكُما تُكذِّبانِ في دار التكليف.

فَإِذَا ٱنْشَقَّتِ ٱلسَّمَآ أَءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ الإنشقاق فك بعض الشّئ عن بعضٍ، و الوردة، قال الفراء، الوردة الفرس الوردة.

و قال الزّجاج يتلُون كمايتلُون الدّهان المختلفة فكان كلون فرس ورد، و الوردة واحد الورد و المعنى تصير السّماء بعد الإنشقاق كالوردة في الإحمرار ثمّ تجري كالدُّهان و هو جمع دهن.

قال قتادة لون السّماء حينئذٍ الحمرة كالدُّهان في صفاء الدُّهن و إشراقه.

قال الرّاغب في المفردات قيل في صفة السّماء إذا إحمرًت إحمراراً كالورد إمارة للقيامة، و قال قومٌ أنّ السّماء تذوب يوم القيامة من حرّ نار جهنّم فتصير حمراء ذائبة كالدُّهن، قالوا وجه النّعمة في إنشقاق السّماء حتّى وقع التّقرير بها في قوله: فَيِأَيِّ اللّآءِ رَبِّكُما تُكذّبانِ هو ما في الأخبار من الزّجر والتّخويف بإنشقاق السّماء فوقع في السّبب و لا يصلح في السّبب أن يكون منفعة و لكن لسبب النّفع الذي هو الزَّجر في دار الدّنيا فلذلك وقع التّقرير بقوله: فَيِأَيِّ اللّآءِ رَبِّكُما تُكذّبانِ هكذا فسروا الآية و الله أعلم.

أحدها: أنّ عدم السُّؤال في ذلك اليوم لما يلحقه من الدّهش و الذُّهول الّذي تحار له العقول و أن وقعت المسألة في وقت غيره بدلالة قوله: وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (١).

الثّانى: ما قاله قتادة و هو أنّ المسألة وقعت قبله ثمّ يختم الأفواه عند الجحد فتنطق الجوارح.

الثّالث: أنّ معناه أنّ يومئذ لا يسأل عن ذنبه إنسّ و لا جانّ ليعرف المذنب من المؤمن المخلص لأنّ الله تعالى قد جعل عليهم علامة كسواد الوجوه و قبح الخلق و لم يدخل في ذلك سؤال المحاسبة للتّوبيخ و التّقريع و تقدير الآية فيومئذ لا يسأل إنسّ عن ذنبه و لا جانٌ عن ذنبه.

الرّابع: أنّ المراد أنّه لا يسأل أحد من إنسٍ و لا جان عن ذنب غيره.

الخامس: أنّهم لا يسألون إذا إستقرّوا في النّار و الإحتمالات حول الآية كثيرة.

أقول معنى الآية يظهر من الآية اللاّحقة و هي قوله:

يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسيم لهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَ ٱلْأَقْدامِ، فَبِأَيِّ اللآءِ رَبَّكُما تُكَذِّبان

و المراد بالمعرفة معرفة الملائكة و المؤمنين لا معرفة الله لأنه تعالى أعلم بحال العبد منه نفسه فلا يحتاج إلى السُّؤال و حيث أنّه سؤال الملائكة لأجل معرفة عمل المجرم و المفروض أنَّ أثار الجرم تعرف من سيماهم فلا يحتاج



لعجلد السادس عشر

النّاظر إلى وجوههم إلى السُّؤال عنهم لأنّه من تحصيل الحاصل إذ المقصود حصل من الرُّؤية و على هذا فالإتيان مرتبطتان إحدايهما بالأخرى و ذلك لأنّ اللّه تعالى لمّا أخبر بعدم السُّؤال عنهم يوم القيامة في الآية السّابقة كأنّه سأل سائل و قال لم لا يسأل عنهم و قد حكم اللّه بالسُّؤال في غيرها من الأيات، فقيل في الجواب لأنّ المقصود و هو المعرفة بحالهم قد حصل من النَّظر إلى سيماهم فلا يحتاج إلى السُّؤال و لذلك أتى بالفاء التّي تفيد التّفريع فقال فيُوعُذُهُ بِالنَّواصي و الأقدام أي إذا كان المجرم يعرف بسيماه فيؤخذ، أي المجرم، بالنّواصي و الأقدام، فالنّواصي جمع ناصية و الأقدام جمع قدم و هو الرّجل و المعنى، يجمع بين ناصيته و قدمه بالغلّ فيسحب إلى النّار، و قيل الرّجل و المعنى، يجمع بين ناصيته و قدمه بالغلّ فيسحب إلى النّار، و قيل يعرفن بأنّهم مسوّد الوجوه زرق العيون كما قال تعالى: يَوْمَ تَسْرَةً بذا، و قيل يعرفن بأنّهم مسوّد الوجوه زرق العيون كما قال تعالى: يَوْمَ تَسْرَةً بذا، و قيل يعرفن بأنّهم مسوّد الوجوه زرق العيون كما قال تعالى: يَوْمَ تَسْرَقُهُ وَجُوهُ وَ تَسْوَدُ وَجُوهُ الْمَارِةُ بِهِ النّارِ أي النّار أي تأخذهم الرّبان إذا كانت نابية التّكذيب العذاب يوم القيامة فقد ظهر وجه عدم السُّؤال عن الأية.

هٰذِهٖ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَميمٍ أَنٍ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

هذه جهنّم التّي يكذّب بها المجرمون، في دار الدُّنيا (يطوفون بينها) أي بين أطباقها في النّار و الحميم الماء الحارّ، و الآن، الّذي بلغ نهايته أي بلغ نهاية حرّه.

وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (۴۶) فَبَأَىَّ الْآءِ رَبَّكُما تُكَذِّبان (٤٧) ذَواٰتآ أَفْنانِ (٤٨) فَبِأَيِّ اٰلآءِ رَبَّكُمٰا تُكَذِّبان (٤٩) فيهما عَيْنانِ تَجْرِيانِ (٥٠) فَبأَىّ اٰلآءِ رَبّكُمٰا تُكَذِّبانِ (٥١) فيهِمٰا مِنْ كُلّ فَاكِهَةِ زَوْجَانِ (٥٢) فَبَأَىّ الْآءِ رَبّكُمًا تُكَذِّبان (٥٣) مُتَّكِئينَ عَلَى فُرُشِ بَطْآئِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقِ وَ جَنَى ٱلْجَنَّتَيْن دانِ (٥٤) فَـبِأَىّ الآءِ رَبِّكُـمَا تُكَذِّبانِ (٥٥) فيهِنَّ قاصِراتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لا جْآنٌّ (٥٤) فَبأَىّ الآءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبان (٥٧)كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ (۵۸) فَبأَىّ الْآءِ رَبّكُما تُكَذِّبان (۵۹) هَلْ جَزْآءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلَّا ٱلْإِحْسَانُ (٤٠) فَبِأَىّ الْآءِ رَبَّكُمَا تُكَذِّبان (٤١) وَ مِنْ دُونِهما جَنَّتان (٤٢) فَبأَىّ الْآءِ رَبّكُما تُكَذِّبان (٤٣) مُدْهٰآمَّتٰانِ (٤٤) فَبِأَيّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبان (٤٥) فيهما عَيْنان نَضَّاخَتان (۶۶) فَبِأَىّ اٰلآءِ رَبّكُمٰا تُكَذِّبان (۶۷) فيهما فٰاكِهَةُ وَ نَخْلُ وَ رُمَّانٌ (٤٨) فَبأَى الْآءِ رَبَّكُما تُكَذِّبانِ (۶۹) فيهنَّ خَيْرات حِسان (٧٠) فَبأَىّ الآءِ رَبّكُما تُكَذِّبْان (٧١) حُورٌ مَقْصُوراٰتٌ فِي ٱلْخِيام (٧٢) فَبأَى الْآءِ رَبّكُما تُكَذِّبان (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسُ قَبُّلَهُمْ وَ لا جَانُّ (٧٠) فَبِأَيِّ الآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (۷۵) مُتَّكِئينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُـضْرِ وَ عَـبْقَرِيِّ

قان في تفسير القرآن كم المجلد السادس

حِسْانِ (۷۶) فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُمْا تُكَذِّبْانِ (۷۷) تَبْارَكً أَسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلالِ وَ ٱلْإِكْراٰمُ (٧٨)

أَفْنَانِ: جمع فن، و هو الغصن.

فرُش: بضّم الفاء و الراء جمع فراش الموطئ الممّهد للنّوم عليه.

بَطَآئِتُهَا: جمع بطانة و هي باطن الظّهار فالبطانة من أسفله و الظّاهرة من

إِسْتَبْرَقٍ: الإستبرق الغليظ من الديباج.

جَنى: الجنى الثّمرة التّى قد أدركت في الشَّجرة.

دأن: أي قريب.

قَاصِراْتُ ٱلطُّرْفِ: القاصر المانع من ذهاب الشِّيّ إلى جهةٍ من الجهات و الطّرف جفن العين.

(يطمثهنّ) الطّمث المسّر.

مُدُهٰ آمَّتُان: معناه خضراوتان.

نَضّاخَتَانِ: أي فوَّارتان بالماء و النَّضخ بالخاء أكثر من النَّضح بالحاء.

رَفْرَفِ: الرَّفرف فصول المجالس للفرش و قيل هو المرافق.

عَبْقُرِيِّ: الزّرابي، أو الدِّيباج.

◄ الإعراب

ذُواٰتًا ۚ أَفْنَانٍ الألف قبل التّاء بدل من ياء و قيل من، واو و هو صفة لجنّتان أو خبر مبتدأ محذوف مُتَّكِئينَ حال من خاف و العامل فيه الظّرف لَم يَـطِّمِنُّهُنَّ وصفٌ لقاصرات لأنّ الإضافة غير محضة و كذلك كَأَنَّهُنَّ أَلْيناقُوتُ و

آلاِحْسَانِ خبر جزاء حُورٌ بدل من خيرات و قيل الخبر محذوف مُتَّكِئِنَ حال و صاحب الحال محذوف و دلَّ عليه الضّمير في قبلهم و رَفْرَفِ في معنى الجمع و لذلك وصف، بخضر ذِى آلْجَلالِ نعتُ لربّك و هو أقوى من الرَّفع لأنّ الإسم لا يوصف و اللّه أعلم.

▶ التّفسير

وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُمًا تُكَذِّبَانِ

المقام بفتح الميم الموضع الذي يصلّح للقيام فيه و بضّم الميم الموضع الذي يصلح للإقامة فيه، لمّا ذكر الله في الأيات السّابقة أوصاف المجرمين و أحوالهم يوم القيامة بيَّن في هذه الآية و ما بعدها أحوال المتّقين الخائفين من العذاب فقال: و لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه أي خاف من ذنبه فلم يذنب و عمل صالحاً جَنَّتانِ قيل هما جنَّة عدن و جنّة النَّعيم، و قيل إحدايهما داخل قصره و الأخرى خارج قصره ثمّ وصف الجنّين.

ذَواٰتٰآ أَفْنَانٍ

و الآفنانَ جمع فنّ و هو الغصنِ، الورق و معنى، ذواتا أفنان، ذواتا ألوان، و قيل ظلّ الأغصان على الحيطان، فَيِلَّيِّ اللآءِ رَبِّكُمًا تُكَذَّبُانِ و قد بيَّناه.

وَ مِنْكُما تُكَذِّبانِ مِنْنَانِ تَجْرِيْإِنِ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ إِنْ مَنْ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

أي في الجنَّتين اللَّتين أعطاهما الله لمن خاف مقام ربه، عينان، من الماء تجريان بين أشجارها فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكذِّبانِ.

فيهِما مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

و المعنى أنَّ في تلك الجنَّتين من كل ثُمرةٍ نوعين متشاكلين كتشاكل الذَّكر و الأنثى فلذلك سمّاها زوجين، و أنّما قال ذلك لأنّ كلّ ثمرة من الأثمار لها رطبً

ضياء الفرقان في تفسير القرآز



و يابس كالعنب و الزَّبيب و التين الرّطب و اليابس و هكذا و قيل المراد بـقوله: زَوْجُانِ في الآية ضربان من كلّ نوع من الفواكه، ضربٌ معروف، و ضربٌ من شكله غريب و كلّ ذلك للأطراف و الإمتاع.

قال إبن عبّاس ما في الدُّنيا شجرة حلوة و لا مرّة إلاَّ و هي في الجنّة حتّى الحنظل إلاَّ أنّه حلوَّ، و قيل أراد تفصيل هاتين الجنتين على الجنتين اللَّتين دونهما.

مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دانٍ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

الإتّكاء الإستناد للتّكرمة و منه المتكئ الّذي يطرح للإنسان في مجالس الأشراف و الملوك للإكرام و الإجلال و الإتّكاء شدّة التَّقوية للإكرام و الإمتاع و فرُش بضّمتين جمع فراش و هو الموطّئ الممهّد للنّوم عليه، و البطائن جمع بطانة و هي باطن الظّهار فالبطانة من أسفله و الظّاهرة من أعلاه قاله في التّبيان.

و الإستبرق ما غلظ من الدّيباج و خشن، أي إذا كانت البطانة التّي على الأرض هكذا فما ظنّك بالظّهارة.

و قال إبن عبّاس أنّما وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم فأمّا الظّواهر فلا يعلمها إلاّ الله، و قوله تعالى: و جَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دأنِ فالجني ما يجتنى من الشّجرة و قوله: دأنٍ معناه قريب من دنى يدنو إذا قرب و المعنى ما يجتنى من الشّجرة قريبٌ لأهل الجنّة، فمعنى الآية أنّ هؤلاء الأبرار مستندين في الجنّة على فرشٍ من الدّيباج الّذي بطائنه من إستبرقٍ مع قرب الأثمار إليهم.

و ما ذكره الله في هذه الآية و ما قبلها و ما بعدها من النّعم المعدّة في الجنّة للأبرار، إكراماً و إجلالاً لهم و لا فناء لها و لا زوال، جديرٌ بأن يطيع الإنسان ربّه و لا يعصيه في دار الدّنيا فأنّ العاقل لا يأخذ بما هو في معرض الفناء و الزَّوال و يترك ما يبقى مضافاً إلى أنّ النّعم الدنيويّة محفوفة بالبلاء و الهموم بخلاف

النَّعم الأخرويَّة و الحاصل أنَّ ما في الجنَّة من النَّعم كالقياس بغيره كمَّا و كيفاً و نحن نقول، هنيئاً لأرباب النَّعيم نعيمهم.

فيهنَّ قاصِراتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسُ قَبْلَهُمْ وَ لا جَآنٌّ، فَبِأَيِّ الآءِ رَبَّكُما تُكَذِّبان

لمًا بيَّن الله تعالى فيما سبق من الآيات أوصاف الجنَّة و ما فيها من أنواع النّعم، و أشار فيها بأنّ الجنَّة و ما فيها للأبرار يأكلون فيها و يشربون و يتَّكئون على فرش كذا وكذا، ذكر في هذه الآية و الآيات بعدها أوصاف الحور القصور إتماماً للنعمة فقال: فيهن قاصرات ألطَّرْفِ قبل أي في الجنَّتين المذكورتين و إنَّما أتى بضمير الجمع و لم يقل، فيهما، لأنَّه تعالى عنى الجنَّتينَ و ما أعدّ الله لصاحبهما من النّعيم، و قيل فيهنَّ يعود على الفرش الّتي بطائنها من إستبرقٍ أي في هذه الفرش قاصرات الطَّرف، و قيل أقلّ الجمع إثنان، و الّذي نقول به أنّ الضّمير يعود على الجنّات الّتي تستفاد من الآيات، من جنَّة النَّعيم و جنَّة الخلد، و جنَّة رضوان و غيرها فأنَّ هذه النِّعم موجودة في جميعها و كيف كان فالمراد بقاصرات الطُّرف نساء أهل الجنَّة فأنَّهن قصرن أعينهنّ على أزواجهُّن فلا يرين غيرهم و ذلك لأنّ القصر الحبس أي يحبسن أعينهنّ على أزواجهن و وحد الطّرف مع الإضافة إلى الجمع لأنّه في معنى المصدر، و الطُّرف جفن العين لأنَّه طرفٌ لها فينطبق عليها تارةً و ينفتح تارةً و يستفاد من يزء٧٧﴾ هذا الكلام أنّ خير النّساء من كان كذلك فإذا كان هذا الوصف مدحٌ لها في الآخرة فهو بالوصف في الدُّنيا أولى لأنَّها دار التَّكليف دون الآخرة ثمَّ وصفهنّ الله تعالى بوصفٍ آخر و هو قوله: لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلُهُمْ وَ لا جُآنَّ الطَّمَث بفتح الطّاء و سكون الميم و الثّاء مصدر و هو في الأصل دم الحيض و الإفتضاض و الطّامث الحائض، يقال طمث المرأة إذا إفتضّها قاله في المفردات.

قال مجاهد و عكرمة و إبن زيد معناه لم يمسَّهن بجماع، و على هذا فهو كناية عن الجماع و قيل أنّه كناية، كأنّه قال هُن أبكار لم يفتضهن أحد قبلهم و الأصل المسّ كأنّه ما مسّها دم الحيض، و إنّما نفى الجان أيضاً، لأنّ للمؤمنين منهم لهم أزواجاً من الحور.

و قال البلخي المعنى أنّ ما يهب اللّه لمؤمني الجّن من الحور العين لم يطمثهنّ جان، و ما يهب اللّه لمؤمني الإنس لم يطمثهنّ إنسّ قبلهم، فَيِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ثمّ ذكر اللّه وصفاً آخر لهّن فقال:

كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَ ٱلْمَرْجَانُ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُمًا تُكَذِّبَانِ

شبههن الله بالياقوت في الحسن و الصّفا و النُّور أوَلاً و بالمرجان الّذي أشدّاللُّولؤ بياضاً و هو صغاره ثانياً فَيِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ و لَما كان في المقام مظَّنة سؤال و هو أنّه كيف يعطي اللّه الأبرار هذه النّعم العظيمة في الجنّة، فأجابهم اللّه بقوله:

هَلْ جَزْآءُ ٱلْاِحْسَانِ إِلَّا ٱلْاِحْسَانُ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُمًا تُكَذِّبانِ

الإستفهام للإنكار أي ليس جزاء الإحسان إلاّ الإحسان، و ذلك لأنّهم أحسنوا بطاعاتهم و عباداتهم و أعمالهم في الدّنيا و كانوا مطيعين منقادين لأوامر ربَّهم و نواهيه، فجزيناهم في الآخرة كذلك.

أقول هذا من الأحكام العقليَّة العامّة الّتي لا تخصيص فيها أصلاً فأنّ العقل يحكم حكماً قطعيًا بأنّ جزاء الإحسان احسان سواء كان المحسن كافراً أو مسلماً صغيراً أو كبيراً عالماً أو جاهلاً فأن من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، و إذا كان الله تعالى أمر عباده به تأييداً لحكم العقل.

قال الله تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ ٱتَّقَوْا أَجْرُ عَظيمُ ﴿ ١).

قال اللّه تعالى: ثُمَّ اَتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اَللّهُ يُحِبُّ اَلْمُحْسِنِينَ (). قال اللّه تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا اَلْحُسْنَى وَ زِيْادَةٌ (٢).

قال الله تعالى: وَ يَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣).

و غيرها من الآيات الواردة في الباب فما ظنَّك بالله في جزاء الإحسان: قال الله تعالى: لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَن مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠).

َ فَانَ اللَّهُ تَعَانَى. لَعَجْرِيتُهُمْ اجِرَهُمْ فِكَسَنِ مَا كَانُوا يَعْمُلُونَ و من أصدق من اللّه قِيلاً فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُمُا تُكَذِّبُانِ.

وَ مِنْ دُونِهِما جَنَّتَانِ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ، مُدْهاآمَّتَانِ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبان

أخبر الله تعالى أنّ من دون الجنتين اللَّتين ذكرناهما في قولنا: وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَّتُانِ لهم أيضاً جنَّتان غير ما أعطيناهم أوّلاً و أنّهما أقرب إلى قصورهم ليتضاعف لهم السُّرور من التَّنقل من جنَّة إلى جنَّة كما هو مركوزٌ في طبع البشر و المراد بها البساتين و هو ظاهر.

و أمّا قوله: مُدْها مَتْتانِ فمعناه خضراوتان تضرب خضرتهما إلى السَّواد من كثرة الأشجار، قال بعض المفسّرين في دونهما، دون مكان قريب من الشّئ بالإضافة إلى غيره ممّا ليس له مثل قربه و هو ظرف مكان إنتهى.

أقول فعلى هذا معنى الآية و من قربهما جنّتان و قال بعضهم معنى وَ مِنْ كُونِهِما جنّتان و قال بعضهم معنى وَ مِنْ دُونِهِما أي من دونهما في الفضل فيكون في الأوّلين النّخل و الشّجرالأخريين عزء٢٧> الزَّرع و النّبات بدليل قوله: مُدْهآ مَّتَانِ.

أقول فعلى هذا تكون الجنّتان الأوّليان للأكل و الأخريان للنّزاهة و السياحة و كيف كان تدلّ الأيات على أنّ اللّه أغرقهم في النّعم أكلاً و شرباً و نزاهةً و استراحة فَبِأَيّ اللّه و رَبِّكُما تُكذّبانِ ثمّ وصف اللّه تعالى هاتان الجنّتان بقوله:

الفرقان في تفسير القرآن كم المجلد الس

۲- يُونُس = ۲۶

١ - المائدة = ٩٣

يعني أنّ الجنّتين اللَّتينَ وصَفهُما بأنّهما مدهامّتان، فيهما عينان نضّاختان، أي فوّارتان بالماء و قيل نضّاختان بكلّ خير، و أنّما قال في الجنّتين الأوّليين

فيهِ ما عَيْنَانِ تَجْرِيانِ و قال في المقام نَضَّاخَتَانِ لأَن الجري غير النَّضخ، فأن النَّضخ فورانِ الماء إلى الفوق و يعبّر عنه بالفوارة، و الجري جريان الماء على الأرض فَبِأَيِّ اللآءِ رَبِّكُما تُكذّبانِ

فيهِمًا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلُ وَ رُمَّانٌ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُمًا تُكَذِّبُانِ

هذا وصف ثان لهما و هو أنّ فيهما فاكهة و هى التّمار و نخل و رمّان، قيل أنّ النّخل و الرّمان ليسا من الفاكهة لأنّ الشّئ لا يعطف على نفسه و لذلك أفردهما بالذّكر، أنّهما منها و الوجه في إفرادهما بالذّكر هو فضلهما على غيرهما من الفواكه، كما أفرد ذكر جبرئيل و ميكائيل بعد ذكر الملائكة في قوله:

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلْآئِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُقًّ لِلْكَافِرِينَ (١).

فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ.

فيهِنَّ خَيْراتٌ حِسٰانٌ، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

هذا وصف ثالث و الكلام في قوله: فيهِنَّ كالكلام في قوله: فيهِنَّ كالكلام في قوله: فيهِنَّ قاصِراًتُ ٱلطَّرْفِ و قد مرَّ هناك أي أنّه فيهنَ خيرات الأخلاق حسان الوجوه. قال الفراء أنّما قيل للمرأة في الجنّة، خيرة، لأنّها ممّا ينبغي أن تختار لفضلها في أخلاقها و أفعالها و هي مع ذلك حسنة الصُّورة فقد جمعت الأحوال التّي تجلّ بها النّعمة فَيِأَيِّ اللآءِ رَبِّكُما تُكذّبانِ.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

کم کی العجلة السادس عشر کائی حُورٌ مَقْصُوراْتُ فِي ٱلْخِياِم، فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسُ قَبْلَهُمْ وَ لا جَآنُّ، فَبِأَىَّ الاَّءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ

وصف الله تعالى الحور و قال مقصورات في الخيام، أي محبوسات فيها قصرن على أزواجهنّ فلا يردن بدلاً منهم و المراد بالخيام القصور على ما قيل و قيل المراد بها الحجال، و قيل الخيام على معناها فأنَّ لكلِّ واحدةٍ منهنَّ خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلاً و قيل غير ذلك و أمّا قوله: لَـمْ يَطْمِثْهُنَّ فقد مرَّ تفسيره أنفاً فَبِأَيِّ الْآءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ثمّ ذَكر اللّه وصفاً أخر لأهل الجنّة و قال:

مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرِ وَ عَبْقَرِيّ حِسْانِ، فَبِأَيّ الْآءِ رَبِّكُمًا تُكَذِّبانِ قد مرَّ نظير هذه الآية إلاّ أنّه قال هناك مُتّكِئينَ عَلَى فُرُشِ و قال في المقام مُتَّكِئينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرِ الرَّفرف فضول الفرش و البسط المجالس يتكئون على فضولها و قبل هي البسط و قبل هي الزّرابي الصّحاح الرَّفرف ثباب خضر تتَّخذ منها المجالس و معنى الآية أنَّهم، أي أهل الجنَّة متَّكئين على ثياب خضر عَبْقَرِيّ حِسٰانٍ قيل العبّقري ثيابٌ منقوشة تبسط فإذا قال خالق النُّقوش أنَّها حسان فما ظنَّك بتلك العباقر، فَبِأَى الآءِ رَبِّكُما تُكذِّبانِ.

ثمّ قال تعالى تَبْارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلالِ وَ ٱلْإِكْرام تبارك تفاعل من البركة و ذي الجلال أي ذي العظمة و المعنى أنّ هذا الإسم الّذي إفتتح بـه السُّورة من بركات الله كأنّه يعلمهم أنّ هذا كلّه من رحمتي التّي وسعت كلّ

شئ و من المعلوم أنّ جميع البركات منه تعالى.



ورةُ ٱلْواٰقِعَهِ ﷺ

بِسْم ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيم

إذا وَقَعَتِ ٱلْوالْقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا (١) وَ بُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبْآءً مُنْبَثًّا (۶) وَ كُنْتُمْ أَزْواجًا ثَلاثَةً (٧) فَأَصْحابُ ٱلْمَيْمَنَة مَا أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨) وَ أَصْحَابُ ٱلْمَشْءَمَةِ مَآ أَصْحَابُ ٱلْمَشْءَمَةِ (٩) وَ ٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ (١٠) أُولٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ (١١) في جَنَّاتِ ٱلنَّعيم (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْأُوَّلِينَ (١٣) وَ قَليلٌ مِنَ ٱلْأَخِرِينَ (۱۴) عَلَى شُرُر مَوْضُونَةِ (۱۵) مُتَّكِئينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٤) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَاٰنُ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأُكُواٰبِ وَ أَبْارِيقَ وَكَأْسِ مِنْ مَعِينِ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَ لَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَ فَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَ لَحْم طَيْر مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَ حُورٌ عينٌ (٢٢) كَأَمْثَال أَللُّؤلُو أَلْمَكْنُونِ (٢٣) جَزْآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لا يَسْمَعُونَ فيهَا لَغْوًا وَ لَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٠)



وَ أَصْحَابُ ٱلْيَمينِ مَا أَصْحَابُ ٱلْيَمينِ (٢٧) في سِدْر مَخْضُودِ (۲۸) وَ طَلْح مَنْضُودِ (۲۹) وَ ظِلَّ مَمْدُودِ (٣٠) وَ مٰآءٍ مَسْكُوبِ (٣١) وَ فَاكِهَةٍ كَثيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَ لا مَــمْنُوعَةِ (٣٣) وَ فُرُشِ مَرْفُوعَةٍ (٣٢) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٤) عُرُبًا أَثْرِابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ ٱلْيَمين (٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْأُوَّلينَ (٣٩) وَ ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْأَخِرِينَ (٤٠) وَ أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ مَا أَصْحٰابُ ٱلشِّمٰالِ (٤١) في سَمُوم وَ حَميم (٢١) وَ ظِلٌّ مِنْ يَحْمُوم (٤٣) لا باردٍ وَ لا كَريمٌ (٢٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَـبْلَ ذُٰلِكَ مُـتْرَفينَ (٤٥) وَ كُـانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنْثِ ٱلْعَظَيْمِ (۴۶) وَ كُانُوا يَقُولُونَ ءَإِذَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرابًا وَ عِطَامًا أَئِـنًّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٢٧﴾ أَوَ اٰبآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأُوَّلِينَ وَ ٱلْأُخِرِينَ (٤٩) لَـمَجْمُوعُونَ إِلَّـي ميقاتِ يَوْم مَعْلُوم (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلصَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرِ مِنْ زَقُّوم (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَميم (٥٢) فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهيم (٥٥) لهذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّين (٥٤) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) ءَأَنْـتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا

سياء القرقان في تفسير القرآن ﴿ كَمْ ﴿ كُونُ إِ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن - المجلد السادس عشر

بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ في مَا لَا تَعْلَمُونَ (٤١) وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلأُولٰى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ (٤٢) أَفَرَ أَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٤٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّارِ عُونَ (٤٢) لَوْ نَشْآءُ لَجَعَلْنَاهُ خُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٤٥) إنَّا لَمُغْرَمُونَ (٤۶) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٤٧) أَفَرَأَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ (۶۸) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنْزِلُونَ (٤٩) لَوْ نَشْآءُ جَعَلْناهُ أَجَاجًا فَلَوْ لا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَ يُتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ (٧١) ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا ٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنْشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَ مَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظيم (٧٢) فَلآ أَقْسِمُ بِمَواْقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَ إِنَّهُ لَقَسَمُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظيمٌ (٧٤) إِنَّهُ لَقُرُّانٌ كَريمٌ (۷۷) في كِتاب مَكْنُونِ (۷۸) لا يَـمَشُهُ إلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزيلٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعٰالَمينَ (٨٠) أَفَبهٰذَا ٱلْحَديثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْلآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ (٨٣) وَ أَنْتُمْ حينَئِذِ تَنْظُرُونَ (٨٢) و نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لٰكِنْ لا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلآ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدينينَ (٨٤) تَرْجِعُونَها ٓ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ (٨٧) فَأَمُّآ إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبينَ (٨٨)

ضياء الفرقان في تفسير ال

فَرَوْحٌ وَ رَيْحُانٌ وَ جَنَّتُ نَعِيمِ (٨٩) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ (٩١) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ (٩١) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ ٱلطَّآلِينَ (٩٢) فَنُزُلُ مِنْ حَميمٍ (٩٣) وَ تَصْلِيةُ جَحيمٍ (٩٣) إِنَّ هٰذا لَهُو حَقُّ ٱلْيَقينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْم رَبِّكَ ٱلْعَظيم (٩٤)

◄ اللَّغة

خٰإفضَةٌ: الخفض ضدّ الرَّفع.

رُجَّتِ: الرُّج التَّزلزل و الإضطراب.

بُسَّتِ: البَّس الفتّ أي فتَّت فتّاً.

هَبُا ءً: الهباء غبار كالشّعاع في الرِّقة.

مُنْبَئًّا: الإنبثاث إفتراق الأحزاء الكثيرة في الجهات المختلفة.

ٱلْمَيْمَنَةِ: من اليمن و البركة.

ٱلْمَشْكَمَةِ: من الشُّؤم و النَّكد.

ثُلُّةٌ: بضمّ الثاء الجماعة و أصله القطعة.

سُرُو: بضمّتين جمع سرير.

مَوْ ِ ضُونَةٍ: أي منسوجة.

بِأَ كُواْبِ: جمع كوب و هي أباريق واسعة الرّؤس. أَبْلاريقَ: جميع إبريق و هي الّتي لها عرى و خراطيم.

ا باريق: جميع إبريق و هي التي لها عرى و خراطيم. لا يُنْزِفُونَ: النَّزف السُّكر أي لا يسكرون فتذهب عقولهم.

تَأْثِيمًا: التّأثيم الكذب و الباطل.

سِدْرِ: السِّدر بكسر السّين شجر النّبق.



مَخْضُودٍ: هو الّذي لا شوك فيه و أصل الخضد عطف العود اللّين يقال خضد شوكه أي قطع.

طُلْح مَنْضُودٍ: الطَّلح شجر الموز و قيل كلِّ شجرِ عظيم كثير الشُّوك و قيل شجر أمَّ غيلان و المنضود، هو الّذي نضد بعضه على بعض.

مَسْكُوب: أي جارِ لا ينقطع و منه سكب الدَّموع.

عُرُبًا أَثَّرُ أَبًا: العرب بضمّتين جمع عروب، مثل رسـل و رســول العــواشــق لأزواجهنَ أثْرُابًا على ميلاد واحد في الإستواء، يقال في النّساء أترتب و في الرّجال أقران.

تُلَّةٌ: بضمّ الثاء و ضمّ اللَّام الجماعة.

سَمُوم: بفتح السّين و ضمّ الميم الرّيح الحّارة الّتي تدخل في مسام البدن.

حَميمً: الحاّر الشدّيد الحرارة من الماء.

يَحْمُوم: بفتح الياء الأسود الشدّيد السّواد.

مُتْرَفِينَ : المترف بضمّ الميم المتنعّم.

ٱلْحِنْثِ: بكسر الحاء الذّنب.

زُقُوم: بفتح الزّاء و ضمّ القاف المشدّدة ما يبتلع بتَّعصبِ و مشقّةٍ.

شُوبً ٱلْهيم: الهيم الابل الّتي لا تروي من الماء لداء يصيبها واحدها، أهيم، و الأنثى، هيماء، و قيل هو داء الهيام.

لُمُغْرَمُونَ: المغرم الّذي ذهب ماله بغير عوض عنه و أصله ذهاب المال.

ٱلْمُزْنِ: بضمّ الميم السّحاب.

أُجْاجًا: الأجاج الّذي إشتدّت ملوحته.

تُورُونَ: أي تظهرون.

لِلْمُقْوِينَ: بضمّ الميم قيل معناه المسافرين.

مُدْهِنُونَ: أي مكذّبون.

تَصْلِيَةً جَحِيم: أي إحراق بنار جهنّم يقال صلاه اللّه تصليةً إذا ألزمه

فْسَبّحْ: التّسبيح التّنزيه عمّا لا يليق به

◄ الإعراب

إِذاْ وَقَعَتِ ٱلْوَاْقِعَةُ العامل في، إذا، الفعل المقدّر و هو، أذكر، فهو مفعول له خْلِفْضَةٌ رَافِعَةٌ خبر مبتدأ محذوف أي هي خافضة رافعة و قرئ بالنَّصب على الحال من الضّمير في كاذبة أو من الواقعة إذا رُجَّتِ إذا بدل من إذا الأولى فَأَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مبتدأ أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مبتدأ و خبر و الجملة خبر الأوّل وَ ٱلسّٰرابِقُونَ الأوّل مبتدأ و الثّاني خبره و قيل الثّاني نعتٌ للأوّل أو تكرير توكيداً و الخبر (أولئك) في جَنَّاتِ أي هم في جنّات، أن يكون حالاً من الضّمير في المقرّبون ثُلَّةٌ مبتدأ و عَلَى شُرُرِ خبره و مُتَّكِئينَ حال من الضّمير في، على، و مُتَقَاٰبِلِينَ حال من الضّمير في، متّكئين، يطوف عليهم حال، و بِأَ كُواب يتعلّق بيطوف و حُورٌ عينٌ معطوف على ولدان إِلَّا قَيلًا هو إستثناء منقطع وَّ سَلامًا بدل أو صفة لا مَقْطُوعَةٍ نعتٌ لفاكهة و قيل معطوفٌ عليها مِنْ زَقُّوم نعتٌ لشجر في كِتْابِ صفة أخرى للقرآن أو حال من الضّمير في كريم أو خبّر مبتدأ محذوفْ تَنْزْبِلِّ أي هو تنزيلٌ فَنْزُلُّ أي فله نزلٌ وَ تَصْلِيَةُ بالرَّفع عطَفاً على نزل و وزء٧٧ بالجرّ عطفاً على حميم.

▶ التَّفسىر

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاٰقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ

قلنا في شرح اللُّغات و الإعراب أنَّ، إذا، مفعول أذكر، أي أذكر يا محمّد أو أذكروا إذا وقعت الواقعة، و قال الجرجاني، إذا صلة أي وقت الواقعة كقوله



تعالى: أَقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وقيل هو ظرفٌ لما دلَّ عليه لَيْسَ لِوَقْعَتِها كَاذِبَةٌ أَي إِذَا وقعت لم تكذَّب وقيل ظرفٌ لخافضة أو رافعة، أي إذا وقعت خفضت و رفعت و غيرها من الأقوال و المراد بالواقعة القيامة بإجماع من المفسّرين و قوله: كَاذِبَةٌ قيل هي مصدر مثل العاقبة و العافية و معناها الكذب و العرب قد تضع الفاعل أو المفعول موضع المصدر و منه قوله تعالى: لا تَسْمَعُ فيها لاغيةً (١) أي لغواً و على هذا فالمعنى ليس لها أي للقيامة كذبٌ.

و قال قوم في الكلام حذف وتقديره ليس لها نفس كاذبة في الخبر بها أو حال كاذبة أي كلّ من يخبر عن وقتها فهو صادق، و على هذا فقوله كاذبة صفة لموصوف محذوف.

إن قلت كيف قال ليس لوقعتها كذب و قد كذَّبها كثيراً من النَاس لولا أكثرهم. قلت معنى الكلام أنّه لا ينبغي لأحد من النّاس أن يكذّب بها لأنّ القرأن ناطق بوقوعها و الرَّسول أخبرنا بها و هذا يكفى من جهة النّقل.

و أمّا العقل فهو أيضاً لا يكذّبها إذ لا حكم له بالنّسبة إلى ما وراء الطّبيعة و ذلك لأنّ حكمه مختصّ بالمحسوسات أو بواسطتها فما لا سبيل للحسّ و الإدراك إليه لا حكم للعقل فيه ألا ترى أنّك لا تقدر أن تحكم بحسن الصّوت أو قبحه قبل الإدراك بالحسّ أعني به الإستماع فإذا لم تسمع صوت زيد كيف حكمت بحسنه أو قبحه و هكذا الأمر في جميع المعقولات فأنّ تعقُّل الشّي و الحكم به فرعٌ على إدراكه و لذلك لا حكم للعقل لما لا يدرك بالحواس، كسئوال القبر و الحساب و الميزان و الصّراط و الجنّة و النّار و بالجملة كلّ ما غاب عن الحوّاس و هذا ممّا لا خلاف فيه و لأجل ذلك أرسل الله رسله إلى الخلق و أنزل الكتب السّماويّة و أخبر عباده بواسطة الرّسول و الكتاب بوقوع القيامة و ما يتعلّق بها إذا عرفت هذا فنقول:

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

لا شكّ أنّ اللّه تعالى أخبر به في كتابه و على لسان رسوله، فمن كذّب القيامة كذّبها من طريق هواه لا من طريق عقله فليس للمنكر أن يستند حكم الإنكار إلى عقله فأنّ عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود و بعبارة أخرى العقل في هذا المقام معزولٌ عن الحكم إثباتاً و نفياً، فترجيح جانب النَّفي على الإثبات و الحكم بكذب القيامة من الترجيح بلا مرجّح الذّي حكم العقول السليمة ببطلانه فالمكذّب لا دليل له على تكذيبه بل ينبغي له أن يرجّح جانب الإثبات لأنّه مؤيّد بالنَّقل و هو الكتاب و السنّة، و بالعقل لأنّ دفع الضّرر المحتمل واجب عقلاً و لذلك قال الشيخ إبن سينا، كلّما قرع سمعك فذره في بقعة الإمكان ما لم تردّك عنه قائمة البرهان، و أيّ برهانٍ أقيم للمكذّب على إمتناع القيامة و إستحالتها و إذا كان كذلك فهي في حيّز الإمكان لا محالة و الحكم ما ذكرناه و هذا معنى قولنا في صدر البحث أنّ العاقل لا ينبغي أن يكذّب بها عقلاً.

خْافِضَةٌ راْفِعَةٌ

أي أنّ الواقعة التي لا يكذّب و هي القيامة موصوفة بالخفض و الرَّفع أي أنّها تخفض قوماً و ترفع قوماً بسبب أعمالهم و ذلك لأنّ القيامة يوم الجزاء فمن عمل صالحاً في الدُّنيا و أطاع ربّه يرفع و من أنكر ربّه و عصاه يخفض و يذلّ و أنّما نسب الخفض و الرَّفع إليها مجازاً للسَّببية لأنّها يومِّ تبلى فيها السّرائر، فالكلام من قبيل ذكر السَّبب و إرادة المسبّب و إن شئت قلت الأعمال خافضة رافعة فمن عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها.

إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجَّا، وَ بُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسَّا، فَكَانَتْ هَبَآءً مُنْبَثًا أَشَار اللّه تعالى في هذه الأيات إلى علاماتها، فكأنّه قيل كيف تكون الواقعة و متى تجئ وقتها، فذكر اللّه في الجواب أنّ من علاماتها كذا و كذا، فقال: إِذَا

رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا هذه إحدى العلامات يقال رجَّه يرجّه رجّاً أي حرَّكه و زلزله، و قيل ترتجّ الأرض بمعنى أنّه يتهدّم كلّ بناء على الأرض و معنى الآيــة إذا زلزلت الأرض و تحرّكت حركةً شديدة بحيث لا يبقى عليها بناء.

و العلامة الثَّانية: قوله تعالىٰ: وَ بُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا أَي فتَّت فتًّا، كما يبس الدَّقيق أي يلتّ و البسيس السُّويق أو الدَّقيق يلَّت و يتَّخذ زاداً و طعاماً، قال الرّ اجز:

لا تخبز خبزاً و بسّاً بسّاً و لا تطيلا بمناخ حبساً فَكَانَتْ هَبْآءً مُنْبَثًّا الهَباء بفتح الهاء الشَّعاع الّذي يكونَ في الكوّة كهيئة الغبار قاله مجاهد و إبن عبّاس، و قيل هو ما تطاير من النّار إذا إضطربت يطير منها شرر فإذا وقع لم يكن شيئاً، و أمّا قوله: مُنْبَقًا، فالإنبثاث إفتراق الأجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة و في تفرُّق الجبال على هذه الصَّفة عبرة لمن إعتبر به و معجزة لا يقدر عليها إلاّ الله تعالى و معنى الآية أنّ من علاماتها أنّ الجبال تصير مثل الغبار منبئاً أي متشتّتاً متفرّقاً ذرّاته في الهواء و الأصل في هذه الأمور هو الأرض ففي قوله (رجّاً) إشارة إلى الرَّج الّذي يجعل الجبال هباءً

وَ كُنْتُمْ أَزْواٰجًا ثَلاثَةً، فَأَصْحابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَاۤ أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ. وَ إُصْحَابُ ٱلْمَشْءَمَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَشْءَمَةِ، وَ ٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ، أو لٰئَكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ

قال الرّاغب في المفردات لكلِّ واحدٍ من الفريقين من الذِّكر و الأنـثي في الحيوانات المتزاوجة زوجٌ و لكلّ فريقين فيها و في غيرها زوجٌ كالخفّ و النَّعل و لكلّ ما يقترن بأخر مماثلًا له أو مضّاداً زوجٌ و جمع الزُّوج أزواج، و أنّما يطلق الزُّوج على الواحد لأنَّ الأشياء كلُّها مركبَّة من جوهر و عرض و مادّة و صورة و أنَّ لا شيِّ من المخلوق يتعرّى من تركيب يقتضي كونه مصنوعاً و أنَّـه لابـدُّ له من صانع تنبيهاً على أنّه تعالى هو الفرد المنزّه عن التّركيب إذا عرفت هـذا فقوله: كُنْتُمْ أَزْواْجًا ثَلاثَةً هو من باب المماثلة و المشاكلة لأنّ كلّ صنفٍ يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزُّوج الزُّوجة و لذلك يقال لكلِّ واحدٍ منهما الزُّوج و يقال لهما الزُّوجان و على هذه المزاوجة، يقال فلان زاوج بين الكلامين أي شاكل بينهما.

و من المعلوم أنّ بني أدم يشاكل بعضهم بعضاً فصحّ إطلاق الأزواج عليهم و لذلك قال تعالى فخاطباً لهم، كُنْتُمْ أَزْواٰجًا ثَلاثَةً أي كنتم في علم الله فكذلك خلقتم ليطابق المعلوم العلم ثمّ أنّ اللّه تعالى قسَّمهم في الآية إلى أقسام ثلاثة لأنّ لكلّ صنف منهم مقامٌ مخصوص و جزاءٌ مخصوص كما سيتضح ذلك إن شاء الله و إلا فالسّابقون داخلون في أصحاب الميمنة و ليسوا بخارجين عنهم و على هذا ففي الحقيقة الحصر عقليّ دائر بين النّفي و الإثبات، فالنّاس على صنفين، أصحاب الميمنة و أصحاب المشئمة ثمّ أنّ السّابقين قسمٌ من أصحاب الميمنة فأنّ أصحاب الميمنة على قسمين، سابقٌ و لا حـتّ، و تـوضيح ذلك بحسب الإجمال أنّ الإنسان إمّا أن يكون منشأ للخيرات و البركات فهو من أصحاب الميمنة و أمّا أن لا يكون كذلك بـل هـو منشأ الشّرور و الأفات فهو من أصحاب المشئمة و ذلك لأنّ الميمنة من اليمن و البركة و المشئمة من الشُّؤم و اللُّئامة و هذا هو المراد بقولنا الحصر عقليّ إذ وزء٧٧ لا واسطة بين البركة و الخباثة و الإيمان و الكفر و الصَّدق و الكذب و هكذا.

و من المعلوم أنَّ السَّابقين من أصحاب الميمنة اللَّهم إلاَّ أن يقال أنَّ السّابقين عبارة عن الأنبياء و الأوصياء و أنّهم لمكان عصمتهم لا يمكن قياسهم بغيرهم و أن كانوا ظاهراً في صورة البشر و لذلك جعلهم الله قسماً ثالثاً ممّا لا كلام فيه لأنّ النّبي و الوَّصي لا يقاس بغيره و لذلك وصف السّابقين بالتَّقرب إلى الله.

و قال: و السّابِقُونَ السّابِقُونَ، أُولَيْكَ الْمُقَرَّبُونَ و من المعلوم أنّ المقرّب لا يقاس بغيره و كيف كان فكلمة (ما) في الموضعين بصورة الإستفهام و المراد بهم تعظيم شأن أصحاب الميمنة في الخبر عن حالهم و تعظيم شأن أصحاب المشئمة في الشّر و سوء الحال ثمّ انّهم إختلفوا في تعريف أصحاب الميمنة و المشئمة، فقيل أصحاب الميمنة هم الّذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنّة و أصحاب المشئمة الّذين يؤخذ بهم ذات الشّمال إلى النّار، و قيل أصحاب الميمنة هم الّذين يأخذون كتبهم بأيمانهم و لذلك قد يعبّر عنهم بأصحاب اليمين و أصحاب المشئمة هم الّذين يأخذون كتبهم بشمالهم.

و قال إبن عبّاس و السُّدي أصحاب الميمنة هم اللّذين كانوا عن يمين أدم عليًا حين أخرجت الذرية من صلبه فقال اللّه لهم هؤلاء في الجنّة و لا أبالي، و أصحاب المشئمة هم اللّذين كانوا عن يسار أدم عليًا حين أخرجت الذرية فقال اللّه لهم هؤلاء في النّار و لا أبالي، و قيل أصحاب الميمنة هم الّذين أخذوا الذين أخذوا من شق أدم الأيمن يومئذ و أصحاب المشئمة هم اللّذين أخذوا من شق أدم الأيسر، و قيل أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات و أصحاب المشئمة هم أهل السّيئات.

و قال الحسن أصحاب الميمنة الميامين على أنفسهم بالأعمال الصالحة و أصحاب المشئمة المشائيم على أنفسهم بالأعمال السَّيئة و المختار عندنا في الأقوال المذكورة هو الأخير منها.

و أمّا السّابقون، فقال في التّبيان معناه الّذين سبقوا إلى إتّباع الأنبياء فصاروا أئمّة الهدى، و قيل السّابقون إلى طاعة الله السّابقون إلى رحمته إنتهى.

و نقل القرطبي عن محمّد بن كعب القرظي أنّه قال أنّهم الأنبياء.

و عن الحسن و قتادة السَّابقون إلى الإيمان من كلّ أمّةٍ، و عن إبن سيرين هم الذين صلُّوا إلى القبلتين، و قيل هم السّابقون إلى الجهاد و أوَّل النّاس رواحاً

إلى الصّلاة و ساق الكلام إلى أن قال، أنّهم أربعة منهم سابقٌ في أمّة موسى حزقيل مؤمن أل فرعون و سابق في أمّة عيسي و هـو حبيب النّجار صاحب إنطاكية و سابقان في أمّة محمّد الله الله عنهما أبو بكر و عمر رضي الله عنهما إنتهى كلامه.

و نحن نقول لا كلام لنا فعلاً في الأمم السّابقة و مع ذلك ما ذكره في أمّة موسى و عيسى لا نعلم وجهه و لا يبعد أن يكون حقًّا و أنَّما الكلام في تعيين المراد منهم في هذه الأمّة، فأن قلنا المراد بالسَّبق هو السَّبق إلى الإيمان باللّه و رسوله، فعليٌّ عليه السّلام أوَّل من أمن باللّه و رسوله من بين الرّجال بإتّفاق العامّة و الخاصّة و أن كان المراد السَّبق إلى الصّلاة فهو أوّل من صلّى مع رسول الله و أن كان المراد السَّبق إلى الجهاد فهو أوَّل من جاهد في سبيل اللَّه و أن كان المراد السَّبق إلى الهجرة فهو أوَّل من هاجر معه إلى الشُّعب و أن كان المراد نصرة الدّين فهو أوَّل من نصر الدّين بعد رسول الله و أن كان المراد السّبق إلى الخيرات فهو أسق من غيره بعد الرَّسول، فكيف لا يكون عن السّابقين في هذه الأمّة، و أبو بكر و عمر كانا سابقان في أمّة محمّد على وجه الإختصاص مع أنّهما لم يكونا سابقين أصلاً في شئ ممّا ذكرناه بشهادة التّواريخ و ما ذكرناه أظهر من الشّمس و أبين من الأمس و لا ينكره إلاّ المعاند الّـذي ينكر ضوء الشُّمس في النَّهار و أنَّى لا أظنَّ أنَّ أبابكر و عمر كانا يدُّعيان ذلك في حياتهما و كان القرطبي زعم أنّ المراد بالسَّابقين في الآية الكريمة السَّبق إلى الخلافة و جزء ٢٧ ﴾ الحكومة في الأمّة فأن زعم ذلك فما ذكره حقٌّ بـزعمه إذ لا شكّ لأحـدٍ أنّـهما سبقا إلى السَّقيفة على أميرالمؤمنين و غيره فهما من هذه الجهة من السّابقين و مع ذلك كلُّه أنَّ الحديث مشهور بين العامّة و الخاصّة و هو على خلاف ما نقله القرطبي و نسبه إلى إبن عبّاس و قال حكاه الماوردي و ذلك لأنّ الجعل حذف من الحديث شيئاً و زاد فيه شيئاً أخر منه على إبن أبي طالب و أثبت فيه أبـابكر و عمر و الدَّليل على ذلك نقل العامَّة و الخاصَّة.

فمن الأوّل أعني نقل العامّة ما رواه الحافظ الحسكاني و هو من أعيان العامّة في كتابه المسمّى بشواهد التَّنزيل في قوله تعالى: وَ السُّابِقُونَ السُّابِقُونَ، أُولٰيَّكَ الْمُقَرَّبُونَ بأسناده عن إبن عبّاس قال: السُّبّاق ثلاثة، سبق يوشع بن نون إلى موسى و سبق صاحب ياسين إلى عيسى و سبق علّى إلى النّبي الله والتهي التهي.

و أيضاً بأسناده عن مجاهد عن إبن عبّاس قال: السَّبق ثلاثة فالسّابق إلى عيسى مؤمن أل فالسّابق إلى عيسى مؤمن أل ياسين، و السّابق إلى النّبي علّيُ النِّلِا إنتهى.

أقول و راوه الطّبراني أيضاً في مسند عبد اللّه بن العبّاس من المعجم الكبير، و رواه في الرَّوض النَّظير(١) عن إبن مردويه و الطَّبراني.

و رواه أيضاً في مجمع الزّوائد (٢) و لنرجع إلى ما قاله الحسكاني، قال حسين إبن أبي السَّري فذكرته لحسين الأشقر فقال سمعناه عن إبن عينية، رواه أيضاً شعيب بن ضحّاك عن سفيان وشعيب بن صالح المدائني عن سفيان في العتيق.

و رواه أيضاً الضّحاك عن إبن عبّاس مسنداً.

ثمّ قال أخبرنا أبو عبد الرّحمن أحمد بن عبد اللّه بن إبراهيم الصُّوفي و ساق الأسناد إلى إبن نعيم عن مقاتل بن سليمان عن الضّحاك عن إبن عبّاس قال سألت رسول الله سَّلَوْنَ عَن قول الله: وَ ٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ، أُولٰتِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ قال سَّلَافِيَا اللهُ عَدْني جبرئيل بتفسيرها ذاك علي و شيعته إلى الجنّة إنتهى.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

و أيضاً بأسناده عن السُّدي في قوله تعالى و السّابقون السّابقون، قال: نزلت في علّي إنتهى.

و أيضاً بأسناده عن أبي مالك الغفّاري عن إبن عبّاس في قوله تعالى: ٱلسّابِقُونَ ٱلسّابِقُونَ قال سابق هذه الأمّة علّي بن أبي طالب. و أيضاً بأسناده عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عن ابن عبّاس في قوله: وَ ٱلسّابِقُونَ ٱلسّابِقُونَ، أُولٰتَكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ قال: نزلت في علّى إنتهى.

و أيضاً بأسنًاده عن عطا إبن أبي رياح عن عبد الله بن عبّاس في قوله السّابِقُونَ السّابِقُونَ قال: يوشع بن نون إلى موسى و شمعون بن يوحنّا إلى عيسى و علّي بن أبي طالب إلى النّبي المَّالِثُ اللَّهِ النّبي اللهُ اللّهِ اللّهُ اللّهِ اللّهُ اللّ

ثمّ قال و راواه أيضاً في العتيق.

أقول هذا ما ذكره الحافظ الحسكاني في كتابه و الأحاديث الدالة على المدّعى كثيرة في كتب القوم و لسنا بصدد إستقصائها في المقام، لأنّه يقتضي كتاباً مستقلاً كما لا يخفى على من مارس خلال هذه الدّيار، أمّا كتب الخاصّة فهو مشحونة بذكر الأحاديث الواردة في الباب إذ لم يختلف منهم أحد من أنّ السّابق في هذه الأمّة هو على إبن أبي طالب و مع ذلك نشير إلى شطرٍ منها تيمّناً و تبرُّكاً بها فأنّ ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه.

فنقول في روضة الكافي، علّي بن إبراهيم عن إبن أبي عمير عن عمرو بن أبى المقدام قال: سمعت أباعبدالله الله الله يقول: قال أبي لأناسٍ من الشّيعة الله و أنتم أنصار الله و أنتم السّابقون الأوّلون و السّابقون في الدّنيا و السّابقون في الأخرة إلى الجنة و الحديث طويل أخذنا من موضع الحاجة إنتهى.

و في أمالي الطوسي شيخ الطّائفة ﴿ أَسْناده إلى إبن عبّاس قال: سألت رسول الله عن قول الله عز وجلّ و آلسّابِقُونَ آلسّابِقُونَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ الله عَرِّ وَجَلّ وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ الله عَلَى و شيعته هم السّابقون إلى الجنّة المقربون إلى الله بكرامته لهم إنتهى.

و في عيون الأخبار فيما جاء عن الرّضا من الأخبار المجموعة بأسناده عن علي النِّهِ قال: وَ ٱلسّابِقُونَ ٱلسّابِقُونَ ٱلسّابِقُونَ، أُولْـنِّكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ فَى نزلت إنتهى.

و في كتاب الخصال بأسناده قال علّي بن أبي طالب، السُّباق خمسة، فأنا سابق العرب و سلمان سابق الفرس و صهيب سابق الرُّوم و بلال سابق الحبش و خباب سابق النَّبط إنتهى.

و الأحاديث نقلناها عن تفسير نور الثّقلين (١).

أقول و لنذكر في ختام البحث حديثاً من هذا الكتاب نقله عن أصول الكافي بين الإمام فيه وجه تسميتهم بالسّابقين.

في أصول الكافي محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن إبراهيم العمر اليماني عن جابر الجعفي قال: قال أبو عبد الله عليه عن وجلّ (كنتم أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة و أصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة و أصحاب المشئمة و السابقون هم رسل الله و خاصّة الله من خلقه جعل فيهم خمسة أرواح أيّدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء و أيّدهم بروح الإيمان

فبه حافوا الله عز وجل، و أيدهم بروح القوة فبه تداروا على طاعة الله و أيَّدهم بروح الشُّهوة فبه إشتهوا طاعة الله عزّ وجلّ و كرهوا معصيته، و جعل فيهم روح المدرج الّذي به يذهب النّاس و يجيئون و جعل في المؤمنين و أصحاب الميمنة روح الإيمان، فبه خافوا الله و جعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله و جعل فيهم روح الشُّهوة فبه إشتهوا طاعة الله و جعل فيهم روح المدرج الّذي بـه يذهب النّاس و يجيئون إنتهي.(١)

أقول يظهر من هذا الحديث أنّ أصحاب الميمنة ليس فيهم روح القدس و هو مختصّ بالسّابقين و ذلك لأنّه منشأ العصمة و على هذا فالسّابقون في الآية هم المعصومون أعنى بهم الأنبياء و الأوصياء و قد ثبت عقلاً و نقلاً أنّ أميرالمؤمنين المُثَلِّا أفضل الأوصياء و هو أفضل من جميع الأنبياء أيضاً بعد إبـن عمّه محمّد الله الله الله والله والله والله والأوصياء أفضل منه إلا رسول اللَّهُ وَلَا اللَّهُ عَلَيْهُ فِي أَسْبَقِ النَّاسِ بِالإيمانِ وِ التَّقربِ الى اللَّه بعد بنيِّ الإسلام و أمّا في هذه الأمّة فهو أوّل من آمن باللّه و رسوله و قد صرَّح عليه السّلام بـذلك حيث قال أنّى ولدت على الفطرة و سبقت النّاس الى الإيمان و الهجرة و لنعم ما قيل في الباب:

> أنّ رسول الله مصباح الهدى جاء لقرآنٍ مبينِ ناطق فك_ان أوّل م_ن صــدّقه ولم يكـــن أشــرك بــالله و لا فذاكم أوّل من آمن بالله أوّل من صلّى من القوم و من

و حـجّة الله على كـلّ البشـر بالحقّ من عند مليك مقتدر وصيّه و هو بسنّ من صغر دنَّس يــوماً بســجودٍ لحــجر و مــن جاهد فـيه و نـصر طاف و من حج بنسكٍ و أعتمر

فهذا هو المراد بالسّابقين في الآية الشّريفة و أنمّا طوَّلنا الكلام في تفسير الكلام مع أنّ كتابنا هذا ليس موضوعاً لهذه الأبحاث، توضيحاً للأية الشّريفة و إداءً لبعض الحقوق الواجبة علينا من اللّه و رسوله فأنّ من نصر مؤمناً مظلوماً بيده و لسانه و قلمه فقد نصر اللّه و رسوله و أيُّ مؤمنٍ بعد رسول اللّه أفضل و أعظم من علّي إبن أبي طالب ثمّ أيُّ مظلومٍ في الإسلام يقارنه و يساويه بعد موت الرسول و الحق أن يقال أنّه عليه السّلام كما كان سابقاً بالإيمان و الهجرة كان سابقاً في الشّدة و المحنة فهو أوّل مؤمنٍ باللّه و أوّل مظلومٍ في الإسلام فمن نصره نصره اللّه و من خذله خذله اللّه و من ضيّع حقّه فعليه لعنة اللّه و من أحبّه أحبّه اللّه فأنّه العروة الوثقي الّتي لا إنفصام لها.

في جَنَّاتِ ٱلنَّعيم، ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْأَوَّلينَ، وَ قَليلٌ مِنَ ٱلْأُخِرينَ.

أي أنّ السّابقين في جنّات النّعيم يوم القيامة و النّعيم من نعم نعيماً إذا إنتفع إنتفاعاً، و النّعمة تقتضي شكر المنعم، فقوله: جَنّاتِ النّعمة المّنتهية الأنفس الحظوظ و اللّذائذ ممّا جعل اللّه فيها من أنواع النّعم فأن فيها ما تشتهية الأنفس و تلذّ به الأعيُن والحاصل أنّها من أعلى المقامات و أمّا قوله: ثُلّةٌ مِنَ الْأُولينَ فالثلّة الجماعة و أصله القطعة و المعنى جماعة من الأمم الماضية و قليلٌ مِن أمّة محمد الله المنافقة في جنّات النّعيم لكونهم من السّابقين و بعبارة أخرى السّابقون الذين هم في جنّات النّعيم، أكثرهم من الأمم السّالفة و قليل منهم من هذه الأمّة و ذلك لأنّ الّذين سبقوا الى إجابة النّبي من هذه الأمّة بالنّسبة الى الأمم الماضية قليلٌ من كثير و هو ظاهر ثمّ بعد ذلك أشار اللّه تعالى الى أحوالهم فيها و بيّن ما أعدّه لهم من النّعم فقال:

عَلٰي سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ

أي منسوِّجة مشبّكة بالذِّهبِ و الجوهر، و قيل موضونة بالذُّهب.

و قال عكرمة مشبّكة بـالدُّر و قـال إبـن عـبّاس، مـوضونة، أي مـظفورة، و الوضين حبلٌ منسوج من سينور، و سرر جمع سرير.

مُتَّكِئِنَ عَلَيْهٰا مُتَقَابِلينَ

الإتّكاء الإستناد و المعنى أنّهم مستندون على السرُّر حال كونهم متحاذيّن أي كلّ واحدٍ منهم بإزاء الأخر مقابلاً له فأنّ ذلك أعظم في باب السُّرور و قيل معناه لا يرى بعضهم فوق بعضٍ بل تدور بهم الأسرة و هذا في المؤمن، و زوجته و أهله قال الكلبي طول كلّ سرير ثـلاث مـائة ذراع فـإذا أراد العـبد أن يجلس عيلها تواضعت و إذا جلس عليها إرتفعت و الله أعلم.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدانُ مُخَلَّدُونَ، بِأَكُواٰبِ وَ أَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعينِ الطُّوف الزّيارة بالتنقُّل في المكان و منه الطَّائف الّذي يطوف في البلد على َ وجه الحرس و منه الطُّوف حول الكعبة، والولدان بكسر الواو جمع وليد الصّبي، و مخلّدون، معناه باقون لهم لا يموتون، و قيل معناه أنّـهم على حالةٍ واحدة لا يهرمون، و قال الفرّاء، معناه مقرّطون و الخلد القرط، قال الشّاعر:

و مخّلدات باللَّجين كأنّما أعجازهنّ أقاوز المتبان

و قيل معنى مقرّطون، منطقون من المناطق ثمّ قيل الولدان ها هنا ولدان المسلمين الّذين يموتون صغاراً لا حسنة لهم و لا سيّئة و قيل هم أطفال المشركين لم يكن لهم حسنات يخرجون بها و لا سيّنات يعاقبون عليها فوضِعوا في هذا الموضع و المقصود أنّ أهل الجنّة على أتمّ السُّرور بِأَكُواْبٍ وَ أَبْارِيقَ وَ كَأْسِ مِنْ مَعينِ فالأكواب جمع كوب و هي الأنية الَّتي لا عرى ز ٢٧٠ لها و لا خراطيم بخُلاف الأباريقُ الِّتي لها عرى و خراطيم، واحدها إبريق لأنَّه يبرق لونه من صفاءه، و قوله: وَ كَأْسِ مِنْ مَعينِ فالكأس بفتح الكاف الظّرف الّذي فيه من خمير معين أي ظاهرٌ للّعيون جار، فأنّ المعين بفتح الميم الجاري من ماءٍ أو خمرٍ إلاَّ أنَّ المراد في هذا الموضع الخمر الجارية من العيون و قيل الظَّاهرة للعيون، فيكون مَعينِ مفعولاً من المعاينة و قيل هو من المعنّ و هـو الكثرة.

لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَ لا يُنْزِفُونَ

أي لا يلحقهم الصداع من شربها ينزفون أي لا ينزف عقولهم يعني لا تذهب بالسُّكر و في هذا الكلام إشارة الى أنّ الخمر حرام لأجل سكره كما ورد في الخبر أنّ الخمر حرام لأنّه مسكر، فما لا سكر فيه لا حرمة فيه مضافاً الى أنّ الدَّار الأخرة ليست بدار التَّكليف و أنَّ نعمها غير نعم الدُّنيا كمَّا و كيَّفاً، و قيل معنى لا يُنْزِفُونَ لا يسكرون.

وَ فَاكِهَةٍ مِمًّا يَتَخَيَّرُونَ

الواو للعطف أي و يطاف عليهم بأكوابٍ و أباريق و كأس من الخمر و فاكهةٍ ممّا يتخيّرون و يشتهونه.

وَ لَحْم طَيْرٍ مِمًّا يَشْتَهُونَ، وَ حُورٌ عينٌ، كَأَمْثَالِ ٱللَّؤْلُوَّ ٱلْمَكْنُونِ

أي و يطاف عليهم ممّا يشتهونه من لحم الطُّيور للتَّغذي بـها و أمّا قوله وَ حُورٌ عينٌ فقد قرئ بالرّفع و النّصب و الجرّ، فمن رفعه حمله على المعنى لأنّهن لا يطاف بهنّ و أنمّا يطاف بالكأس فالتّقدير ولهم حورٌ عين، و من نصبه فهو على تقدير إضمار فعل كأنّه قال و يزوجّون عِيناً، و من جرَّ و هو حمزة و الكسائي عطفه على قوله: يِأْكُواْبِ و هو أيضاً محمول عِلى المعنى لأنّ المعنى يتنعمُّون بأكوابٍ و فاكهةٍ و لحـم و حـورٍ و قـوله: كَأَمْــثٰالِ ٱللَّــؤْلُوَّ ٱلْمَكْنُونِ معناه لم تمسّه الأيدي و لم يقّع عليه الغبار فهو أشدّ ما يكون صفاءً و تلألوءاً كما قال الشّاعر:

فكلّ أكنافها وجـهُ لمـرصاد

كأنَّما خلقت في قشر لؤلوءةٍ

جَزْآءً بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ نصبه على المفعول له أي أنمًا أعطيناهم ذلك من النُّعم لأجل الجزاء على ما عملوه في دار الدُّنيا من الطَّاعات و إجتناب المعاصي و في الكلام إشارة الى أنّ الجزاء يترتّب على العمل إن خيراً فخيراً و إن شرّاً فشرّاً و قد مضى الكلام فيه غير مرّةٍ.

لا يسْمَعُونَ فيها لَغْوًا وَ لا تَأْثيمًا

أي لا يسمعون فيها أي في الجنّة، لغواً و لا تأثيماً، أي بـاطلاً و لا كـذباً، و اللّغو ما يلغي من الكلام و التّأثيم مصدر يقال اتّمته تأثيماً.

و قيل معنى الكلام لا يأثم بعضهم بعضاً في الجنّة.

إلا قيلًا سَلامًا سَلامًا

قيلاً، منصوب بيسمعون أن كان الإستثناء متصّلاً و قيل أنّه منقطع أي لكن يقولون قيلاً أو يسمعون، سَلامًا سَلامًا منصوبان بالقول أي إلاّ أنّهم يقولون الخير أو على المصدر أي إلاّ أن يقول بعضهم لبعض سلاماً، أو يكون وصفاً، لقيلاً، و السّلام الثّاني بدل من الأوّل و قيل، نصب سلاماً على التّقدير سلّمك الله سلاماً بدوام النّعمة و حال الغبطة و جاز أن يعمل فيه سلام لأنّه يدلّ عليه و قيل غير ذلك.

وَ أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ مَا آَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ، في سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَ طَلْحِ الْيَمِينِ، في سِدْرٍ مَخْضُودٍ، وَ طَلْحِ مَنْضُودٍ، وَ ظُلِّ مَمْدُودٍ، وَ مَا ٓءٍ مَسْكُوبٍ، وَ فَاكِهَةٍ كَثْيَرَةٍ، لا مَقْطُوعَةٍ وَ مَا ٓءٍ مَسْكُوبٍ، وَ فَاكِهَةٍ كَثْيَرَةٍ، لا مَقْطُوعَةٍ وَ مَا ٓءٍ مَسْكُوبٍ، وَ فَاكِهَةٍ كَثْيَرَةٍ، لا مَقْطُوعَةٍ وَ مَا ٓءِ مَا مَا فَوَعَةٍ مَا لَا مَمْنُوعَةٍ، وَ قُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ

لمّا بيَّن اللّه تعالى أُحوال السّابقين في جنّه النَّعيم، شرع في بيان أحوال أصحاب اليمين و عدَّ ممّا أعطاهم ستّة أوصاف:

الأوّل: في سِدْرٍ مَخْضُودٍ قيل السِّدر بكسر السّين شجر النَّبق و المخضود هو الّذي لا شوك فيه و خضد بذهاب شوكه، و المعنى أنّ النّعيم الّذي هم فيه كذلك و المقصود أنّهم في مكانِ كذا.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المجلد السادس

الثَّاني: وَ طَلْح مَنْضُودٍ الطَّلح شجر الموز واحده طلحة قاله أكثر

قال الحسن ليس هو موز و لكنّه شجر له ظلَّ باردٌ رطب.

و قال الفّراء شجر عظام له شوك و المنضود المتراكب الّذي قد نضد أوّله و آخره بالجمل.

الثَّالث: وَ ظِلِّ مَمْدُودٍ أي دائم باقٍ لا يزول و لا تنسخه الشَّمس فأنَّ الجنَّة كلُّها ظلِّ لا شمس معه.

الرّابع: وَ مْآءٍ مَسْكُوبِ أي جارٍ لا ينقطع و أصل السَّكب الصب سكب الدّموع.

الخامس: وَ فَاكِهَةٍ كَثيرَةٍ، لا مَقْطُّوعَةٍ وَ لا مَمْنُوعَةٍ أي لا مقطوعة في وقتٍ من الأوقات كأنقطاع فواكه الصَّيف في الشِّتاء في الدُّنيا وَ لا مَمْنُوعَةٍ أي لا يحظر عليها كثمار الدُّنيا و بعبارةٍ أخرى لا مانع من أكل النَّمار في الجنّة لاهلها متى شاؤوا و أرادوا، و قيل معنى الكلام إذا إشتهاها العبد دنت منه و قربت حتّى يأخذها، و قيل معناه ليست الفاكهة هناك مقطوعة بـالأزمان و لا ممنوعة بالأثمان.

السّادس: وَ فَرُشِ مَرْفُوعَةٍ أي عالية و قيل هو كناية عن النّساء أي نساء مرتفعات القدر في عقولهنّ و حسنهنّ و كمالهّن، و قال الحسن فرش مرفوعة بعضها فوق بعض و الكلِّ محتمل إلاَّ أنَّ خير الأمور أوسطها فأنَّ العرب تسمَّى المرأة فراشاً و لباساً و إزاراً و الله أعلم.

إِنَّا أَنْشَأْنْاهُنَّ إِنْشْآءً، فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكَارًا، عُرُبًا أَتْراٰبًا، لِأَصْحابِ ٱلْيَمينِ، ثُلَّةً مِنَ ٱلْأُوَّلِينَ، وَ ثُلَّةً مِنَ ٱلْأَخِرِينَ

الإنشاء الإيجاد أي إنّا خلقناهنّ خلقاً و أبدعنا إبداعاً يختّص بنا، و قوله: فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا، فالبكر الّتيلم يفتّضها الرّجل و لم تحتض و هي على

خلقتها الأولى، و قوله: عُرُبًا أَثْرانبًا فالغُرُب بضم العين و الرااء جمع هروب، مثل الرُسل جمع رسول و هى اللُّعوب مع زوجها أنساً به راغبة فيه كأنس العربي بكلام العرب، و الأتراب جمع ترب و هو الوليدة الّتي تنشأ مع مثلها في حال الصبي و هو مأخوذ من لعب الصّبيان بالتراب أي هم كالصّبيان اللّذين على سنَّ واحدٍ.

و قال إبن عبّاس الأتراب المستويات على سنِّ واحدٍ، و المعنى أنّ أزواج أصحاب اليمين في الجنّة عواشق لأزواجهن أثراباً يعني على ميلاد واحد في الاستواء لِأَصْحٰابِ ٱلْيَمينِ، ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْأُوَّلِينَ، وَ ثُلَّةٌ مِنَ ٱلْأُخِرِينَ فقوله: للأَصْحٰابِ ٱلْيَمينِ يعني جميع ما تقدَّم ذكره من النعّم و الحور و القصور لأصحاب اليمين جزاءً و ثواباً على طاعتهم، الثلّة الجماعة كأنّه قال لجماعة من الأولين و جماعة من الأحرين و المقصود أنّ ما ذكرناه ليس لجيمع الأولين و الأخرين، و أنمّا هو لجماعة من الأولين و جماعة من الأخرين و هو ظاهر.

وَ أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ، في سَمُوم وَ حَميمٍ، وَ ظِلِّ مِنْ يَحْمُومٍ، لا بَارِدٍ وَ لا كَرِيمٍ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكً مُتْرَفَينَ، وَ كَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنْثِ ٱلْعَظَيم

لمّا بيَّن اللّه تعالى أحوال أصحاب اليمين بعد أحوال السّابقين شرع في بيان أحوال أصحاب الشّمال فقال: وَ أَصْحابُ ٱلشِّمالِ مَا أَصْحابُ ٱلشّمالِ مَا أَصْحابُ ٱلشّمالِ عَبَّر عن أصحاب المشأمة بأصحاب الشّمال كما عبَّر عن أصحاب الميمنة و قلنا سابقاً أنّ كلمة، ما، بصورة الإستفهام و المراد تعظيم شأنهم في الشّر و سوء الحال و قوله: في سَمُومٍ وَ حَميمٍ فالسَّموم الرَّيح الحارة التي تدخل في مسام البدن، و الحميم الحّار الشّديد الحرارة من الماء و ظِل مِنْ يَحْمُومٍ فاليحموم الأسود الشّديد السّواد بسبب إحتراق النّار و هو، يفعول من الحمّ و المراد بالظلّ الدُّخان و المعنى أنّهم في دخانٍ شديد السّواد السّواد بالطلّ الدُّخان و المعنى أنّهم في دخانٍ شديد السّواد

المجالة السادس ع الفرقان في نفسير القرآن كم المجلد السادس ع و قوله: لا باردٍ وَ لا كريم قيل معناه لا بارد كبرد ظلال الشّمس لأنّه دخان جهنّم و لا كريم، إذ كلّ ما لا خير فيه فليس بكريم.

و قال قتادة لا بارد المنزل و لا كريم المنظر و قوله: إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ معناه أُنّهم كانوا في الدُّنيا متنعّمين منغمرين في الشّهوات و الأميال النّفسانية.

وَ كَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنْثِ ٱلْعَظيمِ فالحنث الذّنب العظيم قيل المراد به في المقام الشّرك بالله أي أنّهم كانوا مشركين.

و قال قتادة الذنب العظيم هو الذي لا يتوبون عنه و قال الشُّعبي هو اليمين الغموص و هي من الكبائر يقال حنث في يمينه أي لم يبرّها و رجع فيها.

وَكَانُوا يَقُولُونَ ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرابًا وَ عِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَ اٰبَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ، قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَ ٱلْأَخِرِينَ، لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مَيْقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُوم

و المَّعنى أنّهم كانوا منكرين للبعث إذ كَانُوا يَقُولُونَ في الدُّنيا، إِذَا مِتْنَا وَ كُنّا تُرابًا في القبور أَيْنًا لَمَبْعُوثُونَ الهَمَزة للإنكار أي لسنا بمبعوثين و أظن أنّ المراد بالحنث العظيم هو هذا أي إنكارهم البعث و أنّهم لا يحشرون فلا ثواب عقاب و لا حساب و لا كتاب و لا فرق بيننا و بين الحيوانات في عدم البعث و الحساب لنا و لم يعلموا أنّ الإنسان مكلّفٌ بالتّكاليف لمكان العقل فيه بخلاف الحيوان.

و قوله: أو أَبْآ وُنَا ٱلْأَوَّلُونَ الواو في قوله: أو متحرّكة لأنها واوالعطف دخل عليها الألف الإستفهام و المعنى أو يبعث واحدٌ من أباؤنا اللذين ماتوا قبلنا و يحشرون و يرَّدون إلى كونهم أحياء أنّ هذا البعيد و لم يعلموا أنّ الإحياء بعد الموت مع بقاء المادّة التَّرابية أسهل و أهون من الإيجاد أوّلاً، من غير مادّة قُلْ لهم يامحمّد إِنَّ ٱلْأُوّلينَ وَ ٱلْاخِرينَ أي الأباء و الأبناء لَمَجْمُوعُونَ إِلَى

ميفاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ أي أنّهم يحشرون جميعاً في ذلك اليوم الّذي لا ريب فيه ليجزون بما كانوا يعملون به في الدُّنيا و في قوله: مَعْلُومٍ إشارة إلى أنّ اليوم الموعود معلومٌ عند اللّه ثمّ خاطب اللّه أصحاب الشّمالُ بعد ما هدَّدهم و أوعدهم بالعذاب يوم القيامة.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ

أي العادلون عن طريق الحقّ و المكذّبون بالبعث و القيامة.

لَاكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّوم

أي أنتم تأكلون يوم القيامة مَن شجرٍ من زقُّوم، الزَّقوم ما يبتلِع بـتصعّبِ و مشقّةٍ يقال تزَّقتم هذا الطّعام تزقّماً إذا إبتلعته يتصعّبِ.

فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ

أي تمتلؤن بطونكم يوم القيامة في نار جهنّم و يكون هذا غذائكم.

فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَميم

أي تشربون على الزَّقوم أو على الأكل أو على الشَّجر من الحميم و هو الماء المغلّى الذّي إشتد غليانه و هو صديد أهل النّار.

فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهَيْمِ

الهيم بكسر الهاء الإبل العطاش التي لا تروي لداء يصيبها و قال عكرمة هي الإبل المراض و قيل هي الإبل التي يصيبها داء العطش، و المعنى أنّكم تشربون في جهنّم من الماء المغلّى الذّي إشتد غليانه مثل شرب الإبل التي أصابها داء العطش فلا تروي من شرب الماء، شرابكم في جهنّم ثمّ قال تعالى:

هٰذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



اء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ العجلد

النُّزل الأمر الذي ينزل عليه صاحبه و أهل الضّلال قد نزلوا على أنواع العذاب في النّار، و قيل معنى الكلام هذا رزقهم الّذي يعد لهم كالنُّزل الّذي يعد للأضياف مكرمة لهم و فيه من التهكُم ما لا يخفى كما في قوله: فَبَشِيرُهُمْ بِعَذَابِ أَليمِ (١).

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ

لولا بمعنى هلاً، و المعنى نحن خلقنا هؤلاء الكفّار فهلاً تصدّقون بالبعث هكذا فسَّروا الكلام، و يحتمل أنّ يكون المعنى نحن خلقناكم فهلاً تصدّقون به و ذلك لأنّ من صدَّق الخلق الأوّل لم ينكر الخلق الثّاني و هو البعث و حيث أنّهم أنكروا البعث فكأنّهم أنكروا الخلق الأوّل إذ لا فرق في الإيجاد و الإحياء بين المقامين بل الثّاني أسهل من الأوّل و من أنكر خلقه أنكر وجوده و هو كما ترى ثمّ إستدلّ على قوله: نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ.

أَفَرَأَ يْتُمْ مَا تُمْنُونَ، ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ

كأنّه قيل أي دليل دلّ على أنّ اللّه خلقنا، و أنّما خلقنا من نطفة التّي تسمّى بمنّي فقال تعالى: أَقَرَأً يُتُم ما تُمثنُونَ أي ما تصبونه من المنّي في أرحام النّساء ءَأَنْتُم تَخُلُقُونَه أي المنّي أم نحن الخالقون، أي سلّمنا أنكم تخلقون من المنّي و نحن نسأل عنكم من أين وجد المنّي و من خلقه فأن قلتم أنتم خلقتموه فهو محال لأنّه منه يلزم تقدّم الشّي على نفسه و هو محالٌ فلا محالة خلقه غيركم و هو اللّه تعالى فثبت المطلوب.

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقينَ

التَّقدير ترتيب الأمور على مقدارِ خاص و الله تعالى أجرى الموت بين العباد على مقدار ما تقتضيه الحكمة و قوله: وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقينَ ما نافية،

أي لسنا بمسبوقين في تقديرنا فأنّ الأمور كلّها بيد اللّه و تحت قدرته، و يحتمل أن يكون المراد أنّ الّذي يقدر على الإماتة يقدر على الخلق أيضاً و إذ قدر على الخلق قدر على البعث و قوله: و ما نحن بمغلوبين و قال الطّبري معناه و ما نحن بمغلوبين و قال الطّبري معناه و ما نحن بمسبوقين في أجالكم.

عَلَىٓ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنْشِئَكُمْ فَي مَا لَا تَعْلَمُونَ

التَّبديل جعل الشّئ موضع غيره فتبديل الحكمة بالحكمة صواب و تبديلها بغيرها خطا و سفه و الظّاهر أنَّ قوله: عَلَى آنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ مُتعلَق بمسبوقين و تقدير الكلام و ما نحن بمسبوقين على أن نبَّدل أمثالكم بعد موتكم بأخرين من جنسكم، قاله الطّبري.

و قال في النبيان الحكمة توجب إنشاء قوم في وقتٍ و إماتتهم في وقتٍ أنْ أخر و إنشائهم بعد ذلك للحساب و الثواب و العقاب، و قيل معنى عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أي لنبدّل أمثالكم و بين، على، و اللام، فرق لأنّه يجوز أن يقال عمله على قبحه و لا يجوز أن يقال لقبحه و تعليم الإستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الثانية تعليم القياس إنتهى.

و قال صاحب الكشّاف: وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى ٓ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ أَنّا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه، و أمثالكم جمع مثل، أي على أن نبّدل منكم و مكانكم أشباهكم من الخلق و على أن ننشأكم في خلقٍ لا تعلمونها عهدتم بمثلها إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

أقول الذي نفهم من الآية هو أنّ الله بصدد بيان قدرته و أنّه كما خلقكم أوّلاً و قدَّر بينكم الموت كذلك قادرٌ على تبديلكم أي تبديل صوركم بصورةٍ أخرى مثل أن يجعلكم قردة و خنازير كما فعل ذلك بأقوام قبلكم.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



و محصل الكلام أنّه بعد ما ثبت عموم قدرته و أنّه على كلّ شيّ قدير فالتَّبديل لا إشكال فيه إذا كان على طبق المصلحة و الحكمة و إذا كان تبديل صورةٍ بصورةٍ أخرى مقدوراً للخالق فالإحياء بعد الإماتة أيضاً مقدور له هذا ما خطر ببالي في معنى الآية و اللّه أعلم بما قال:

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلأُولٰى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ

الخطاب للكفّار الّذين أنكروا النّشأة الثّانية و هي الحياة بعد الموت للحساب و الجزاء، و المعنى لا شكّ لكم في النّشأة الأولى و ذلك لأنّكم أحياء و الموجود لا يشكّ في وجوده فلا يعقل أن يكون الكافر منكراً لوجوده و شاكاً فيه و هذا ممّا لاكلام فيه لأنّه من الضّروريات و بعبارة أخرى الإنسان الموجود عالمٌ بوجوده قطعاً لأنّ ثبوت الشّي لنفسه من الضّروريات و إذا كان كذلك فلا وجه لإنكار الحياة الثّانية فأنّ حكم الأمثال واحد فلا يعقل أن تكون النّشأة الأولى أي الخلق الأولى ممكناً و النّشأة الثّانية و هي الحياة بعد الموت محالاً ممتنعاً و المفروض أنّه لا فرق بينهما و إلى هذا أشار اللّه بقوله: فَلَوْلا أي فهلاً، متنعاً و المفرون و تعتبرون و كلّ عقلٍ يحكم بأنّ حكم الأمثال واحدٌ.

أَفَرَأَ يْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ

الحرث إلقاء البذر في الأرض و تهيّؤها للزَّرع و تسمّى المحروث حرثاً: قال الله تعالى: أَنِ آغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ ضارِمينَ (١).

قال الله تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ في حَرْثِهِ (٢).

و لذلك يقال الحرث فعل العبد و المعنى أنكم تحرثون في أرضكم فتطرحون فيها البذر من الحنطة و الشَّعير و غيرها.

ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّارِعُونَ

أي ءأنتم تنبتونه و تحصَّلونه زرعاً فيه السُّنبل و الحبّ أم نحن نفعل ذلك و أنّما منكم البذر و شقّ الأرض فاذا أقررتم أنّ إخراج السُّنبل و الحبّ ليس إليكم فكيف تنكرون إخراج الأموات من الأرض و إعادتهم و أنّما أضاف الله الحرث في الآية إليهم و الزَّرع إليه تعالى لأنّ الحرث إلقاء البذر و شقّ الأرض و هو فعلم على إختيارهم، و أمّا الزَّرع فهو ليس من فعل العبد بل هو فعل الله و لذلك يكون الإنبات و عدم الإنبات تحت قدرة الله و إختياره للعبد فيه نصيبٌ فتبت و تحقّق أنّ الحرث من العبد و الزَّرع من الله المطلوب.

ثمّ أنّ الله إستدلّ على المدّعي و هو أنّ الزّرع له بقوله:

لَوْ نَشْآهُ لَجَعَلْناهُ حُطّامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ

أي و الدّليل على أنّ الإنبات لنا لا لكم أنّه لو نشاء لجعلناه حطاماً، أي منكسراً يعني الزَّرع و الحطام الهشيم الهالك الذّي لا ينتفع به في مطعمٍ و لا غذاء ففي الحقيقة نبَّه اللّه تعالى في هذا الكلام عباده على أمرين:

أحدهما: ما أولاهم به من النُّعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً، لسكروه.

الثّانى: ليعتبروا بذلك في أنفسهم كما أنّه يجعل الزّرع حطاماً إذا شاء و كذلك يهكلهم إذا شاء و الحاصل أنّ الإحياء و الإماتة بيد اللّه في جميع الموجودات فهو الّذي يحيي و يميت و هو على كلّ شيّ قدير.

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ

أي يقولون الكفّار إنّا لمغرمون أي معذّبون و الغرام العذاب كما قال الشّاعر: وثقت بأنّ الحفظ منّي سجّية و أنّ فووادي مبتلُ بك مغرمُ و قيل المغرم الّذي ذهب ماله بغير عوضٍ عنه و أصله ذهاب المال بغير عوض و منه الغريم لذهاب ماله بالإحتباس على المدين من غير عوضٍ منه

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



في الإحتباس و الغارم الذي عليه الدَّين الّذي يطالبه بـ الغريم و عـلى هـذا فمعنى قوله: إِنَّا لَمُغْرَمُونَ أَنهم أي الكفّار بـعد أن جـعل اللّـ الزَّرع حـطاماً يقولون، إنّا لمغرمون أي ذهب مالنا بلا عوض و صار حطاماً.

و أمّا على القول الأوّل و هو أنّ الغرام معناه العذاب فالمعنى أنّهم يـقولون إنّا لمعذّبون إذ لم ننتفع بحرثنا أصلاً.

و المعنى الثّانى: أوفق بسياق الآية لأنّهم وقعوا في الغرم ظاهراً و أن كان الغرم سبباً للعذاب روحاً فالمعنى الأوّل ناظرٌ إلى المسبّب و الثّاني إلى السّبب و الشّاني إلى السّهور و المأل فيهما واحد، و منهم من قرأ أإنّا لمغرمون، على الإستفهام، و المشهور خلافه إذا لا حاجة إلى الإستفهام بعد أن جعل الله الزَّرع حطاماً في كونهم من المغرمين و قوله: بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ كلمة، بل، للإضراب أي بل نحن منوعون من رزقنا لأنّ حرثنا صار حطاماً، ثمّ أنّ الله تعالى أشار إلى حجة أخرى فقال.

أَفَرَأَ يْتُمُ ٱلْماآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ

الإستفهام للإنكار أي رأيتم الماء الذّي تشربون بلا شكّ فيه و ريب.

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنْزِلُونَ، لَوْ نَشْآءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ

المُزن بضّم الميم السّحاب و الهمزة للإستفهام صورةً و للتّقبيح و التّقريع واقعاً و المعنى ءأنتم أنزلتم الماء من السّحاب أم نحن المنزلون، و فى هذا الكلام إشارة إلى أنّ الماء الموجود في الأرض أصله من المطر المنزل من السّحاب و هذا ممّا لا شكّ فيه إلاّ أنّ نزول المطر ليس تحت إختيار البشر و قدرته بل هو تحت قدرة خالقه الذّي خلقه فإذا أراد الخالق منعه من النُّزول أو أراد أن يجعله أجاجاً غير قابل للشُّرب فمن يقدر على منعه عمّا شاء و أراد

فلولا تشكرون، أي فهلا تشكرون على هذه النّعمة و غيرها من النّعم و هذا عجيبٌ ثمّ أشار الله تعالى إلى حجّةٍ أخرى من النّعم التّي أنعمها على عباده وهي النّار فقال:

أَفَرَأَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ

من أورى يوري إيراء إذا قدح و لذلك لا يجوز فيه الهَمَزة و معنى تورون تظهرون و أصل النّار مأخوذ من النّور و جمع النّور أنوار و جمع النّار نيران، قالوا النّار على ضربين، نارٌ محرقة و نارٌ غير محرقة، فالتّيلا تحرق النار الكامنة بما هي مغمورة به، كنار الشَّجر و نار الحجر و نار الكبد، و أمّا المحرقة فهي النّار الظّاهرة فيما هي مجاورة له من شأنه الإشتعال معروفة، و قلنا أنّ معنى تورون، تظهرون بسبب القدح و قيل معنى تورون تقدحون و لا فرق بين القولين مألاً للقدح سبب الظّهور فلا ظهور لها قبل القدح.

ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهاآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنْشِئُونَ

المرادبالشَّجرة، الشَّجرة التي تقدح منها النّار قال بعض المفسّرين هي شجرة المرخ و العفار و منه قول العرب، في كلّ شجر نار، و لمستمجد المرخ و العفار، أي إستكثر منها كأنّهما أخذا من النّار ما هو حسبهما و يقال لأنّهما يسرعان الورى قاله القرطبي في تفسيره. و من المعلوم أنّ منشئ الشَّجرة و خالقها هو الله.

مزء٢٧> نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَ مَتَاعًا لِلْمُقُويِنَ

الظّاهر أنّ الضّمير في جعلناها، عائد على النّار و المعنى نحن جعلنا النّار تذكرةً، يتذكّر بها الإنسان و يتفكّر فيها و يعتبر بها فيعلم أنّه تعالى قادرٌ على النّشأة الثّانية كما قدر على إخراج النّار من الشَّجر الرّطب و قوله: مَـتٰاعًا لِلْمُقْوِينَ أي للمسافرين يعني ينتفع بها المسافرون الّذين نزلوا الأرض التّي هي قفر و قيل المقوين، من أقوات الدّار إذا خلت من أهلها.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

المجلد السادس ع المجلد السادس ع

ضياء الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴾ } العجلة السادس ع

و قال بعض المفسّرين في معنى الآية يعني جعلنا نار الدّنيا موعظة للنّار الكبرى يعني نار جهنّم نقله عن قتادة و لا بأس به.

فَسَبِّحْ بِاسْم رَبِّكَ ٱلْعَظيم

أي نزّه ربّك عمّا لا يليق بَشأنه و أدعه بإسمه العظيم، و قيل معناه نـزّه اللّـه عمّا أضافه إليه المشركون من الشِّرك و الضّعف و العجز عن البعث.

فَلآ أُقْسِمُ بِمَواٰقِع ٱلنُّجُومِ

قيل، لا، صلة و عَليه أكثر المفسّرين و التّقدير، أقسم بمواقع النّجوم.

و قال الفّراء لا، نافية، بمعنى ليس و ليست بزائدة يعني ليس الأمر كما تقولون ثمّ إستؤنف أُقْسِمُ بِمَواقع آلنُّجُومِ مواقع النّجوم مساقطها و مغاربها في قول قتادة و من تبعه، و منازلها في قول الحسن و أنكسارها و إنتشارها يوم القيامة في قول الأخر.

و قلناسابقاً أنّ الله تعالى يقسم بما يريد وليس لنا أن نقسم بغير الله وصفاته.

وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْانٌ كَريمٌ، في كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ، تَنْزيلٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعٰالَمينَ

أخبر الله تعالى أنّه، أي القسم بمواقع النّجوم، لقسمٌ عظيمٌ لو تعلمون عظمه لإنتفعتم بعلمه إِنّه لَقُرْان كريمٌ قيل الضّمير عائد على عظيم أي أنّ العظيم هو القرأن الكريم، و قيل معناه أنّ الّذي تلوناه عليكم لقرأن كريمٌ، أمّا أنّه قرأن، لأنّه يفرق بين الحقّ و الباطل و أمّا أنّه كريم، فلأنّ الكريم من شأنه أن يعطى الخير الكثير و القرأن كذلك.

في كِتَابٍ مَكْنُونٍ فالمكنون المصون عند الله تعالى، و قيل معناه المحفوظة من الباطل و الكتاب هنا كتابٌ في السّماء و هو اللّوح المحفو التّوراة و الإنجيل فيهما ذكر القرأن و من ينزل عليه و الحقّ أنّ الكتاب هو اللّوح

المحفوظ فأنّ الكتاب المكنون الذّي مصونٌ عن الخطأ و التَّغيير و الكتاب في الأية بمعنى المكتوب و المعنى أنّ القرأن مكتوبٌ في اللّوح المحفوظ أي هو مصون عن الخطأ و غيره من الأفات.

لا يَمَسُّهُ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ إختلف المفسّرون في معنى المسَّ في الآية فقال بعضهم المراد بالمسّ هو المسّ بالجارحة.

و قال الأخرون المراد به المسّ بحسب المعنى، و هكذا في المطهّرون، فمن حمل المسّ بالجارحة حمل التَّطهير على الطّهارة من الحدث و الخبث و على هذا فالمعنى لا يجوز للحائض و الجنب و المحدث أن يمسّ القرأن المكتوب في الكتاب الذي فيه القرأن أو اللّوح، و أمّا من حمل المسّ على المعنى فقد حمل المطهّرون، على الملائكة لأنّهم مطهّرون عن الذُّنوب و أضاف إليهم إبن زيد الأنبياء و الرُّسل لمكان عصمتهم فجبرئيل النّازل بهم مطهّر و الرُّسل الذّين يجيئهم بذلك مطهّرون، و قيل المراد بهم السّفرة الكرام البررة، و قيل الضّمير في لا يَمَسُّهُ عائد على اللّوح المحفوظ أي لا يمسّ اللوح إلاّ المطهّرون من الملائكة و المراد بالمسّ النّزول به أي لا ينزّل به إلاّ المطهّرون، من الملائكة على الرُسل من الأنبياء و الأقوال في الباب كثيرة و أحسن الأقوال ما قاله في التّبيان و هو أنّ الضّمير في قوله: لا يَمَسُّهُ عائد على القرأن و لذلك وصفه بأنّه مصون.

و قال الزّمخشري في الكشّاف في كِتْابٍ مَكْنُونِ أي مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطَّلع عليه من سواهم و هم المطهّرون من جميع الأدناس أدناس الذّنوب و ما سواها إن جعلت الجملة صفة، لكتابٍ مكنون، و هو اللّوح و إن جعلتها صفة للقرأن فالمعنى لا ينبغي أن يمسّه إلاّ من هو على الطّهارة من النّاس يعني مسَّ المكتوب منه و من النّاس من حمله على القراءة أيضاً إنتهى موضع الحاجة من كلامه.

و أنا أقول إختلاف الأقوال في معنى الآية و أنّه ما المراد بالمَّس يرجع إلى كلمة لا، أهي نافية أم ناهية فعلى القول بأنَّها نافية و هو المشهور بين المفسّرين فلابد من حمل المسّ على المعنى دون الجارحة ضرورة أنّ القرأن قد يمسُّه من لا يتّصف بالطّهارة من الحدث و الخبث حتّى أنّ الكافر قد يمسّه بجارحته أي يده و هذا غير مناسب للنَّفي لأنَّ اللَّه نفي عنه المسَّ مع أنَّ المسّ بدون الطُّهارة موجودٍ في جميع الأوقات حتَّى بين الكفّار فضلاًّ عن المسليمن و إذا كان كذلك فلابّد من حمل المَّس على المعنى و هو العلم بالقرأن بقدر الإمكان و إن شئت قلت المسّ معناه ليس مسَّ ألفاظه و حروفه و من المعلوم أنّ المسّ بهذا المعنى لا يتحصل إلاّ للمطهّرين من الذّنوب و هـم المـلاتكة و الأنبياء و الأوصياء من البشر الّذين أذهب اللّه عنهم الرِّجس و طهرهم تطهيراً و على هذا فعلم القرأن عند الرّسول و أهل بيته المشار إليهم في الآية و هم الأئمّة الأثنى عشر الذّين جعلهم الرّسول عدلاً للقرن في الحديث المتّفق عـليه و هـو قُولُهُ عَلَيْكُ اللَّهِ عَلَى تَارَكُ فَيَكُمُ النُّـ قَلَينَ كَتَابِ اللَّهُ وَ عَتَرَتَى أَهُـلَ بَيْتَى الحديث.

فنفي المسّ بهذا المعنى أمرٌ معقول لا ريب فيه هذا بناءً على أن تكون لا نافية كما هو المشهور عندهم و أمّا إذا قلنا أنّها أي «لا» ناهية فالمعنى أنّ اللّه نهى عن مسَّ الكتاب بغير الطّهارة فالجنب و الحائض و المحدث لا يجوز لهم أن يمّسوه و من المعلوم أنّ المراد من المسّ على هذا مسّ حروفه و ألفاظه و بعبارةٍ أخرى مسّ كتابة القرأن فعلى هذا مدلول الآية هو تحريم مسّ كتابة القرأن بعير طهارةٍ، و يمكن حمل الآية على هذا المعنى على تقدير كون (لا) نافية أيضاً بأن تكون الجملة إخباراً أريد به الإنشاء و هو أبلغ من الإنشاء على ما قبل فثبت و تحقّق من جميع ما ذكرناه أنّ المراد بالمسّ أن كان العلم به و أن شئت قلت مسّ المعنى الذي هو كناية عن العلم به بقدر الإمكان، فكلمة لا، نافية إذ لم يتَّحصل ذلك إلاّ للمعصوم من الملائكة و الأنبياء و الأوصياء.

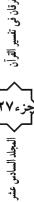
و أن كان المراد المسّ مسّ كتابة القرأن، فيحمل، لا، على النَّهي أي منع الله تعالى مسّ كتابة القرأن أي ألفاظه و حروفه عن غير المطّهر من الحدث و الخبث و الكفر و هذا هو الأقوى في النَّظر و أن كان النَّفى أقوى عند التَّأمل و الجمع مهما أمكن أولى من الطُّرح و هو أن يقال أنَّ الآية ظاهرة في الأخبار و لكن أريد به الإنشاء كما إحتمله بعض المفسّرين و الله أعلم بما قال و أراد قال الله تعالى: وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (١).

تَنْزيلٌ مِنْ رَبِّ ٱلْعٰالَمينَ

أي هو تنزيلٌ من ربّالعالمين ويحتمل أن يكون رفع التّنزيل على أنّـه صفة، لقرآن أي أنَّ القرأن الذِّي وصفناه بأنَّه في كتابٍ مكنون، لا يمسَّه إلاَّ المطهّرون، تنزيلٌ من ربّ العالمين أي أنّه منزلٌ من عند ربّ العالمين على عبده و رسوله.

أَفَبهاذَا ٱلْحَديثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ

أي مكذَّبون و المدهن الَّذي يجري في الباطل على خـلاف الظَّـاهر و هـو بعينه معنى النَّفاق فالمدهن، المنافق و أن كان هو أيضاً يرجع إلى المكذَّب لأنَّ المنافق يكذب فيما يقول لأنّه يقول بلسانه ما ليس في قلبه، و المراد بالحديث في الآية القرأن لقوله تعالى: **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ اَلْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشْابِهًا (^{٢)} و مَعناه،** معنى الحدوث شيئاً بعد شئ، و منه الحادث في مقابل القديم فمن قال معنى و الحديث الخبر، و ذلك لأنّ اللّه أخبر فيه بما يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة، يرجع قوله هذا إلى ما ذكرناه لأنّه تعالى أخبر فيه بشيءٍ بعد شئ أي حكم بعد حكم، و الهمزة للإستفهام على سبيل التّوبيخ و التّقريع فكأنّه تعالى و بُّخهم على تكذيبهم القرأن و قال أفبهذا الحديث، أعني به القرأن الذي لا شك في صحتّه و أنّه منزلٌ من عند اللّه، مدهنون، أي مكذَّبون على سبيل النّفاق.



وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ

قيل المراد بالرّزق في الآية الحظّ و النَّصيب أي و تجعلون حظَّكم من الخير الذي هو كالرّزق لكم أنّكم تكذّبون، و قيل التّقدير تجعلون شكر رزقكم، و قيل الرَّزق بمعنى الشّكر أي و تجعلون شكركم تكذيب القرأن.

أقول و الذي عندي في المقام هو أنّ الرّزق بمعناه المصطلح عند العقلاء و هو غير مختصّ بما يصل إلى الجوف من المأكول و المشروب كما هو كذلك عند العوام، بل هو يقال للعطاء الجاري دنيّوياً كان أم أخروياً، و يقال للنّصيب تارةً، ولما يصل إلى الجوف و يتّغذى به تارةً أخرى، يقال أعطى السّلطان رزق الجند، فالمراد به ما يصل إلى الجوف و يتّغذى به، و يقال رزقت علماً، فالرّزق تارةً يراد به ما يتحلّى به الإنسان كالعلم و الحلم و الزّهد و أمثالها فأن هذه الأمور كلّها من العطاء الجاري من عند اللّه فكما أنّ البدن محتاج إلى الغذاء و هو رزقه كذلك الرُّوح محتاج إلى الغذاء.

و من المعلوم أنّ غذاء الرُّوح ليس من الماديّات إذا عرفت هذا فالرُّزق من الله تارةً يكون لأجل تغذية الجسم و نعبّر عنه بالمأكول و المشروب و الأولاد و الممال و غيرها و تارةً يكون لأجل تغذية الرُّوح و هو الفضائل النفسانيّة و أشرفها و أفضلها العلم و أفضل العلوم هو العلم بكتاب الله و سنة نبيّه لأنّ في الكتاب علم الأخرين كما أنّ فيه علم الأوّلين إذ به حياة القلب كما أنّ الرّزق المادّي سبب حياة البدن، و على هذا فمعنى الآية و تجعلون حظّكم و نصيبكم من الرّزق المعنوّي العقليّ الذي به حياتكم و بقاءكم واقعاً في الدّنيا و الأخرة، تكذيب القرأن الذي بالعمل بأحكامه تحصل سعادة الدّارين و بتركه شقاوتهما و على هذا فلا تقدير في الآية و لا تأويل.

فَلَوْلآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ، وَ أَنْتُمْ حَيِنَئِذٍ تَنْظُرُونَ، وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ لولا، بمعنى هلاّ، أي هلاّ إذا بلغت النّفس أو الرُّوح، الحلقوم و هو كناية عن حالة الإحتضار قريباً من الموت و أنتم، الواو للحال أي و الحال أنتم حينئِذٍ أي حين الإحتضار تنظرون ما أنتم فيه من شدّة النَّزع بلوغ أمري و سلطاني أو تنظرون إلى الأهل و العيال، أو إنّهم ينظرون إليكم و يرونكم على تلك الصُّورة. و نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ أي نحن أقرب إلى المحتضر منكم و لكن لا تبصرون ذلك.

فَلَوْ لا ٓ إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدينينَ، تَرْجِعُونَها ٓ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ

أي غير مجزيّين بثواب اللّه أو عقابه على ما تدعونه من إنكار البعث و النُّشور تَرْجِعُونَهُ آ أي تردُّون هذه النَّفس إلى موضعها إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ في قولكم، و إدّعائكم فقوله: تَ**رْجِعُونَهُآ** جواب لقوله: فَلَوْلآ هكذا فسّروا الكلام. و قال صاحب الكشّاف في تفسيره هذه الأيات، و تجعلون شكركم لنعمة القرأن أنَّكم تكذُّبون به و قيل نزلت في الأنواء و نسبتهم السُّقيا إليها و الرّزق المطر يعني و تجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنَّكم تكذَّبون بكونه من الله حيث تنسبونه إلى النّجوم و هو قولهم في القرأن شعرٌ و سحرٌ و إفتراء المطر هو من الأنواء ثمّ قال ترتيب الآية فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم أن كنتم غير مدينين و فَلِلُوْلا الثّانية مكرّرة للتّوكيد و الضّمير في تَرْجِعُونَها للنّفس و هي الرّوح، و في أَقْرَبُ إِلَيْهِ للمحتضر غَيْرَ مَدينينَ غير مربوبين من دان السّلطان الرَّعية إذا ساسهم و نحن أقرب اليه منكم يّا أهل البيت بقدرتنا و علمنا أو بملائكة الموت، و المعنى في جحودكم أفعال الله تعالى و آياته في كلُّ شئ، و إن أنزل عليكم كتباً معجزاً قلتم سحر و إفتراء، و أن أرسل اليكم رسولاً قُلتم ساحرٌ كذَّاب و أن رزقكم مطرأ يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدّي الى الإهمال و التّعطيل، فمالكم لا ترجعون الرُّوح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم أن لم يكن ثمّ قابضٌ و كنتم صادقين في تعطيلكم و كفركم بالمحيى المميت المبدئ المعيد إنتهى كلامه.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

کم العجلد السادس عثد العجلد السادس عثد أقول ما ذكره صاحب الكشّاف حقّ بل هو أحسن ما قيل في المقام و الفرق بين قوله و قولنا هو أنّه حمل الرزّق على معناه العرفي الّذي يحصل بسبب الغيث و المطر و نحن حملناه على الرزّق العقلي المعنوي و هو العلم و الأمر سهلٌ بعد ثبوت إنكارهم الرزّق بكلاالمعنيين.

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبينَ

عند الله بسبب الطّاعات و ترك المحرّمات.

فَرَوْحٌ وَ رَيْحًانٌ وَ جَنَّتُ نَعيمٍ

قرأ يعقوب، فَرُوحٌ بضم الراء و الباقون بفتحها و هما لغتان قال الرَّ وح بفتح الراء الرّاحة و بضمها، حياة دائمة لا موت معها، أخبر الله تعالى في هذه الآية أنّ للمقرّبين، روحٌ و ريحان و جنّة نعيم، فالرَّوح الرّاحة و الرَّيحان الرزّق، و قيل الرّيحان المشموم و كلّ نباتٍ طيّب الرّيح و قيل الرَّوح الفرح، و قيل هو النَّسيم الذي تستريح اليه النّفس، و جنّة نعيم، فالجنّة البستان و النَّعيم أنواع الفواكه و النَّمار أي لهم جنّة فيها أنواع النّعم.

فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمينِ

قيل دخلت كاف الخطاب كما يدخل في، ناهيك به شرفاً، وحسبك به كرماً، أي لا تطلب زيادة جلالة على جلالة ذكره في التبيان و قيل معناه لست ترى منهم إلا ما تحبّ من السّلامة فلا تهم لهم و لا تغنم فانهم يسلمون من عذاب الله، و قيل معناه سلام لك منهم أي أنت سالم من الإغتمام لهم و قيل أن أصحاب اليمين يدعون لك يا محمّد بأن يصلّي الله عليك و يسلم و الأقوال المحتملة كثيرة و الذي يخطر بالبال في معنى الكلام هو أنّهم أي أصحاب اليمين يسلمون عليك لأنّك هديتهم و أرشدتهم الى طريق الحقّ في الدُّنيا فهم لم يبلغوا الى هذا المقام إلا بهدايتك إيّاهم و أنمّا قلنا ذلك لأنّ العبد

لا يصل الى هذا المقام إلا ببركة النبّوة و متابعة النّبي قولاً و فعلاً، و إذا كان كذلك فحقٌ لهم أن يسلموا عليه.

وَ أَمُّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ عن طريق الحقّ.

فَنُزُلُ مِنْ حَميم أي نزلهم الّذي أعدَّ لهم يوم القيامة من الطّعام و الشّراب هو من ماء حميم أي الماء الحار.

وَ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ أي إحراقهم بنار جهنّم يقال صلاّه اللّه تصليّة إذا ألزمه الإحراق بها فالتّقدير، فله نزلٌ من حميم (إنّ هذا) الذي ذكرناه من الشّواب و العقاب.

إِنَّ هٰذَا لَهُوَ حَقٌّ ٱلْيَقْبِنِ الَّذِي لا شَكَّ فيه.

فَسَبِّح بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظيمِ أي نزِّهه عمّا لا يليق به و أذكره بإسمه العظيم، و العظيم، و العظيم صفة الله إذا ما سواه حقير في جنب عظمته.





ورة ٱلْحَديدِ عِنْ اللهِ

بِسْم ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ هُــوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١)لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمُواٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيى وَ يُميتُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ (٢) هُو َ ٱلْأُوَّالُ وَ ٱلْأَخِرُ وَ ٱلظَّاهِرُ وَ ٱلْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ (٣) هُوَ ٱلَّذي خَلَقَ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّام ثُمَّ ٱسْتَوٰى عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضَ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فيهَا وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَاكُنْتُمْ وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمُواتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ إِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٥) يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَ يُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَ هُوَ عَليمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤) أُمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمًّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفينَ فيهِ فَالَّذِينَ اٰمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ ٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ ميثاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ (٨)



هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهٖۤ أَيْاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَ إِنَّ ٱللَّهَ بَكُمْ َ لَرَؤُفٌ رَحيمٌ (٩) وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا في سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراتُ ٱلسَّمُواتِ وَ ٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ ٱلَّذينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قَاتَلُوا وَ كُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَى وَ ٱللَّهُ بِـمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كُرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْديهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ بُشْرِيْكُمُ ٱلْيَوْمَ جَتَّاتُ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدينَ فيهَا ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظيمُ (١٢) يَوْمَ يَسَقُولُ ٱلْـمُنافِقُونَ وَ ٱلْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ أَمَنُوا ٱنْظُرُونَا نَقْتَبسْ مِنْ نُورِكُمْ قيلَ ٱرْجِعُوا وَرِآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُربَ بَيْنَهُمْ بِسُورِ لَهُ بِابٌ بِاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلِي وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ٱرْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْو يٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْليٰكُمْ وَ بِئْسَ ٱلْمَصيرُ (١٥)



◄ اللّغة

سَبَّحَ: التَّسبيح التَّنزيه.

أَسْتُوى: الإستواء الإستيلاء.

يَلِجُ: يقال وَلَج يَلج وُلوُجاً، الوُلُوج الدُّخُول.

يَعْرُجُ: العرُوجِ الصُّعُودِ إلىٰ الفَوق يقال عَرَجِ به إذا صَعد.

يُولِجُ: الإيلاج الإدخال.

لْرَؤُفُّ: الرّأفة الرِّقة و الرّحمة.

نَقْتِبُسْ: الإقتباس الأخذ.

وَ آرْتَبُثُمْ: الإرتياب الشّك.

ٱلْأَمْانِيُّ: جمع واحدها أمنيّة الآمال.

مَأْويْكُمُ: المأوى المقام و المكان.

بِئْسَ: من أفعال الذَّم.

◄ الإعراب

يُحْيى وَ يُميتُ يجوز أن يكون حالاً من الضّمير المجرور و العامل الإستقرار و يجوز فيه الإستئناف و آلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ الجملة حال من الضّمير في تؤمنون يَوْمَ تَرَى هو ظرف ليضاعف و يَسْعٰى حال و بَيْنَ أَيْدبِهِمْ ظرفّ ليسعى أو حال من النّور، بُشْريْكُمُ مبتدأ و جَنّاتٌ خبره وَرْآءَ كُمْ إسم الفعل فيه ضمير الفاعل أي إرجعوا إرجعوا باطِنْهُ الجملة صفة، لبابٍ أو لسورٍ يُنادُونَهُمْ حال من الضّمير في بينهم أو مستأنف مَوْليْكُمْ قيل المعنى أولى بكم و قيل هو مصدر مثل المأوى، و قيل هو مكان.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

کم * نائجلد السادس ع

◄ التّفسير

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكيمُ

قد مرَّ الكلام في معنى التَّسبيح غير مرَّةٍ و قلنا أنّ السَّبح في الأصل مرّ السَّريع في الماء و في الهواء و أستعير لمرّ النُّجوم في الفلك نحو قوله تعالى: كُلُّ في قَلَكٍ يَسْبَحُونَ (١) و لجري الفرس نحو قوله: و السَّابِخاتِ سَبْحًا (٢) و لسرعة الذّهاب في العمل نحو إنَّ لَكَ في النَّهارِ سَبْحًا طَويلًا (٣) و التَّسبيح تنزيه الله تعالى عمّا لا يليق بشأنه و أصله المرَّ السَّريع في عبادة الله تعالى ثمّ أنّه أي التَّسبيح جعل علماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نيّةً و منه قوله تعالى في يونس النّبي فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ (٤).

إذا عرفت هذا فنقول أنّ الأشياء كلّها تسبّح له تعالى بعضها بالتّسخير و بعضها بالإختيار فقوله تعالى: سَبّع لِلّهِ ما في السّموات و الأرض إشارة إلى ما ذكرناه من العموم و الدّليل على ذلك كلمة (ما) النّي تطلق على ذوي العقول و غيرهم فلو كان التّسبيح مختصاً بذوي العقول لقال من في السّموات و الأرض و الفرق بين تسبيح ذوي العقول و غيرهم أنّ ذوي العقول يسبّحون الله بالإختيار و غير ذوي العقول من الجماد و النّبات و الحيوان و النّجوم و غيرها لا بالإختيار و يعبّر عن هذا القسم من التسبيح بلسان التكوين و كيف كان لا شكّ أنّ التسبيح تشريعاً أو تكويناً حاصل لجميع الموجودات قال الله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَنيْءٍ إِلّا يُسَبّح بِحَمْدِم وَ لَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُمْ (٥) و قوله: وَ تعالى: وَإِنْ مِنْ شَنيْءٍ إِلّا يُسَبّح بِحَمْدِم وَ لَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُمْ الله والعليم بوجوه ألفادر الذّي لا يعجزه شي و العليم بوجوه الصّواب في التّدبير و لا تطلق صفة العزيز الحكيم على غيره تعالى إذ كلّ موجودٍ غيره مقهورٌ مغلوبٌ.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



۲- النّازعات = ۳

۱- الانبياء = ٣٣ ٣- المزمّل = ٧

۴- الصّافات = ۱۴۳

لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰواْتِ وَ ٱلْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُو َ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَانَة قيل لم سبّح له ما في السَّموات و الأرض، فأجاب الله بقوله: لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰواْتِ وَ ٱلْأَرْضِ و ما سواه مملوك له كائناً ما كان و حق المملوك أن ينزّه خالقه بلسان حاله أو بلسان مقاله عمّا لا يليق بشأنه و حيث أنّ ملك السّموات و الأرض له تعالى فجميع الخلق مملوكه و اللاّم في، له، للملك أو الإختصاص، ثمّ قال تعالى: يُحْيي وَ يُميتُ أي الحياة و الممات بيده و هو على كلّ شي قدير، و الدّليل على عموم قدرته عموم الجعل و ذلك لأنّ على كلّ شي قدير، و الدّليل على عموم ما هو مناطها و هو الإمكان و إذا كان المجعولية عامّة لجميع الممكنات لعموم ما هو مناطها و هو الإمكان و إذا كان الكلّ لابدٌ من مجعوليتها لإمكانها و لا يصلح لإعطاء الوجود إلاّ واجب الوجود لأنّ غيره لا يخلو عن ملابسة قوّة سواء كانت القوّة إمكاناً ذاتيّاً أو إستعداديّاً مع عدم إفادة العدم للوجود و نفي إعطاء القوّة للفعل ثبت عموم قدرته على كلّ شئ هكذا قرّر الدّليل بعض الفلاسفة.

و نحن نقول لا نحتاج إلى ما ذكروه في المقام في إثبات المرام من طريق العقل و ذلك لأنّ الضَّعف مقابلٌ للقدرة بمعنى أنّهما متقابلان، و على هذا فعدم القدرة على شيئ مساوق للضَّعف بل هو عينه كما أنّ عدم الضَّعف مساوق للقدرة و على هذا فالخالق أن كان قادراً على كلّ شئ فهو المطلوب و إن لم يقدر كلاً أو بعضاً فهو ضعيف بالنسبة إلى ما لا يقدر على إيجاده و الضَّعف من شئون الممكن لأنّ الضَّعيف محتاج إلى غيره في رفع ضعفه و الإحتياج مساوق للإمكان بل هو عينه و قد فرضناه واجباً دفعاً للدور و التسلسل وللبحث في هذه المسائل مقام أخر بل لا نحتاج إلى الأقوال بعد ثبوت القدرة العامة بنص الكتاب و إجماع المسلمين.

هُوَ ٱلْأَوَّالُ وَ ٱلْأَخِرُ وَ ٱلظَّاهِرُ وَ ٱلْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليِمٌ

قال صاحب الكشَّاف هُو َ ٱلْأُوَّالُ أي هو القديم الَّذي كان قبل كلِّ شيُّ وَ **ٱلْاٰخِرُ** الّذي يبقى بعد هلاك كلّ شئ و **ٱلظّاهِرُ** بالأدّلة الدّالة عليه (والبـاطّن) لكونه غير مدركِ بالحوّاس إنتهي.

و قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية ماهذا لفظه أختلف في معاني هذه الأسماء و قد بيّناها في الكتاب الأسني و قد شرحها رسول اللّه شرحاً يغني عن قول كلّ قائل.

فقال في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، اللّهم أنت الأوّل فليس قبلك شئ و أنت الأخر فليس بعدك شئ، و أنت الظّاهر فليس فوقك شئ، و أنت الباطن فليس دونك شئ إقض عنّا الدّين و أغننا عن الفقر، عني بالظِّاهُر الغالب و بالباطن العالم و الله أعلم.

أقول أمّا قوله: هُو َ ٱلْأُوَّلُ بتقديم المسند إليه على المسند و هو يفيد الحصر فالمعنى أنَّ الأوليَّة منحصرة به تعالى و هكذا في قوله: وَ ٱلْأَخِـرُ وَ **ٱلظَّاهِرُ وَ ٱلْبُاطِنُ** كما هو مقتضى العطف و التّقدير و هو الأخر و هو الظّاهر و هو الباطن أي أنَّ هذه الصَّفات منحصرة به تعالى لا يتَّصف بها غيره فقوله: هُوَ ٱلْأُوَّالُ لأنَّ المفروض أنَّه خلق جميع الموجودات و الخالق مقدّم على مخلوقه فلا يعقل أن يكون شيئاً قبله من الموجودات و إلا يلزم تقدّم المعلول على علَّته و هو محال و إذا إستحال تقدُّم شيِّ عليه فهو الأوّل فالمطلوب . جزء۲۷> ثابت.

و أمّا أنّه تعالى هو الأخر، معناه أنّه أخر الأشياء و أنّها ترجع إليه فلو لم يكن أخراً لها فلا محالة يكون الأخر موجوداً غيره إذ لا يعقل أن تكون سلسلة الموجودات لا أخر لها فالأخر أن كان الأوّل فهو المطلوب و أن كان غيره فـهو محالٌ فأنّ من كان إبتداء الخلق منه فالإنتهاء أيضاً يرجع إليه فأنّ كلُّ شي يرجع إلى أصله فهو الأخركما هو الأوّل فأن إلى ربّك المنتهي و إليه الرُّجعي.

و أمّا أنّه هو الظّاهر، فلأنّ ظهور جميع الأشياء به إذا لا نعني بالظّهور إلا الوجود فأن المعدوم لا ظهور له و هو الّذي أوجد الأشياء و أظهرها في الخارج و من كان ظهور الغير به فهو أظهر منه ضرورة أنّ الظّهور الذّاتي، مقدّمٌ على الظّهور الغيري و قد ثبت أنّ معطي الشّي لا يكون فاقداً له و على هذا فمن أعطى الظّهور بغيره هو أظهر من الغير و بعبارة أخرى الظّهور مختصِّ به ظهور واقعاً لغيره إلا بتبع ظهوره و الظّهور التّبعي كالعدم و إن شئت قلت هو كالظلّ بالنسبة إلى ذي الظلّ قال اللّه تعالى: ألم قرّ إلى رَبّك كَيْف مَدّ الظّور حقيقة لا غيره.

و أمّا أنّه هو الباطن، فلقصور بصائرنا عن إكتناه نوره إذ المحيط الحقيقي لا يصير محدوداً فالحجاب مرجعه إلى أمرٍ عدميّ و هو الإدراك و بعبارةٍ أخرى أنّه تعالى ظاهر بصفاته و أثاره و باطنّ بحقيقة ذاته فهو الظّاهر و الباطن أي في عين ظهوره باطنّ أيضاً لما علمت من قصور المدارك و قد أشار السَّبزواري إلى هذا المعنى في منظومته حيث قال:

الظّاهر البـاطن فـي ظـهوره و عند نور وجهه سواه فـئي

يامن هو إختفى لفرط نوره بنور وجهه إستتار كلّ شـئٍ

و قال مولانا الحسين الشَّهَيد عليه السّلام في دعاء عرفة، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتفرُ إليك أيكون لغيرك من الظُهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك متى غبت حتّى تحتاج إلى دليلٍ يدُّل عليك و متى بعدت حتّى تكون الأثار هي التّي توصل إليك عميت عينٌ لا تراك و لا تزال عليها رقيباً و خسرت صفقة عبدٍ لم تجعل له من حبّك نصيباً.

وقال أيضاً تعرَّفت لكلّ شيٍّ فما جهلك شيٍّ، و قال تعرَّفت إلَّي في كلّ شيٍّ فرأيتك ظاهراً في كلّ شيٍّ فأنت الظّاهر بكلّ شيٍّ. و الأخبار و الأثار في الباب كثيرة جدّاً و فيما ذكرناه كفاية لأولى الألباب و أمّا قوله: وَ هُو بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ فمعناه واضح و قد أثبتنا عموم علمه في مواضع كثيرة فيما مضى من الأيات فلا نطيل الكلام في المقام.

هُوَ ٱلَّذَي خَلَقَ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ فَي سِتَّةِ أَيُّام ثُمَّ ٱسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ ٱلله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ أَي أَنْ الله الذي سبَّح له ما في السّموات و الأرض و هو الأوَّل و الأحر و هو الذي حلق السّموات و الأرض على جهة الإختراع و الإنشاء في سِتَّة أينام أي في مدّة ستة أيّام قال المفسّرون لما في ذلك من إعتبار المدادئكة بظهور شيئ بعد شئ على سبيل التَّدريج و لما في الإخبار به من المصلحة للمكلفين ولولا ذلك لخلقها في لحظة واحدة لأنه تعالى قادر على ذلك من حيث أنّه قادر لنفسه ثُمَّ ٱسْتَوٰى عَلَى ٱلْعَرْشِ أي إستولى عليه و منه قول الشّاعر:

قد إستوى بشرُ على العراق من غير سيفٍ و دمٍ مهراقٍ أمّا أنّه تعالى خلق السّموات و الأرض في ستّة أيّام فقد تكلّمنا فيه في سورة الأعراف و غيرها و قلنا أنّ المفسّرين إختلفوا في معنى المراد بالستّة و المفروض أنّه كان قادراً على خلقهما في لحظةٍ واحدة لعموم قدرته و ذكرنا أقوالهم و قلنا أنّ أحسن الوجوه في ذلك الإخبار به من المصلحة للمكلّفين و ذلك لأنّ التّدريج في الخلق من لوازم عالم الأسباب و لا يختص بالسّموات و الأرض فقط بل جميع الموجودات المركّبة كذلك ألا ترى أنّ اللّه تعالى خلق الإنسان من نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة و هكذا إلى قوله فكسوناه لحماً فتبارك الله أحسن الخالقين و هكذا الحيوان و النّبات و لا شكّ أنّ اللّه كان قادراً على إيجاد الإنسان و غيره في لحظةٍ واحدة و هكذا الأمر في السّموات و الأجرام.

الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴾ } العجلد السادمر ﴿ ﴾ }

، الفرقان في تفسير القرآن ﴿ ﴾ اله

نعم في المجرّدات كالعقول و النّفوس فالإيجاد دفعى غير تدريجي لخروجها عن عالم الأسباب و المادّة و في بعض الأخبار الواردة عن أهل البيت معنى ستَّة أيّام ستَّة أوقات، و هو الحقّ إذ لم يكن قبل خلق السّموات ليلٌ نهارٌ لأنّهما من آثار الشَّمس و لم يكن هناك شمس فلم يكن هناك نهاراً و لا ليلاً فأوّل الإمام عليَّلِا اليوم بمقداره.

و عن كتاب التّوحيد و العيون بأسناده عن أبى الصَّلت الهروى قال سأل المأمون على بن موسى الرّضا عليَّ عن قول الله عزّ وجّل: هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضَ فَى سِتَّةِ أَيُّام فَقَالَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهُ تبارك و تعالى خلق العرش و الماء و الملائكة تستدل بأنفسها و بالعرش و بالماء على الله عزّ وجّل ثمّ جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنّه على كلّ شئ قدير ثمّ رفع العرش بقدرته و نقله فجعله فوق السموات السبع شم خلق السموات و الأرض في ستَّة أيّام و هو مستولي على عرشه و كان قادراً على أن يخلقهما في طرفة عين و لكنَّه عزّ وجلّ خلقهما في ستَّة أيّام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شئ فتستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرَّةً بعد مرَّةٍ و لم يخلق الله العرش لحاجةٍ به إليه لأنه غنَّيُّ عن العرش و عن جميع ما خلق لا يوصف بالكون على العرش لأنه ليس بجسم تعالى عن صفة خلقه علُّواً كبيراً إنتهى (١). و في خبر إبن الإسلام قال: للنَّبي أخبرني عن أوّل يوم خلق الله عزّ و جَّل قال النَّبِي ثَلَمْ النَّبِي ثَلَمْ أَنْ اللَّهِ يَعْلَمُ اللَّهِ عَلَى اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ لأنّه أحدُ محدودٌ، قال فالإثنين قال _هو اليوم الثّاني من الدُّنيا قال: و الثَّلثاء قال عَلَيْنِ عَلَيْ هو الثَّالث من الدُّنيا، قال فالأربعاء قال عَلَيْنَ عَلَيْ هو

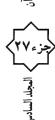
يوم الرّابع من الدُّنيا قال فالخميس قال الله والمُ الله والمالم من الدُّنيا قال فالخميس من الدُّنيا و هو يومُ أنيسُ لعن فيه إبليس و رفع فيه إدريس قال فالجمعة قال الله والله على على على الله عنه النَّاس و ذلك يوم مشهود ويوم شاهد و شهود قال فالسَّبت قال اللَّهُ اللَّهُ مسبوت و السَّبت معَّطل الخبر^(١).

قال في القاموس السَّبت القطع، و قال في النَّهاية قيل سمَّى السَّبت لأنَّ اللَّه تعالى خلق العالم في ستَّة أيَّام آخرها الجمعة و أنقطع العمل فسمَّي يـوم السّابع يوم السّبت إنتهي.

و في بعض الأخبار خلق السّماء و جنّاتها و الملائكة يوم الخميس و خلق الأرض يوم الأحد و خلق دوابّ البرّ و البحر يوم الإثنين و خلق الشُّنجر و نبات الأرض و أنهارها و ما فيها من الهوام في يوم الثّلثاء و خلق الجانّ و هو أبو الجنّ يوم السَّبت و خلق الطّير في يوم الأربعاء و خلق آدم في ستَّة ساعات من يـوم الجمعة ففي هذه الستَّه أيّام خلق اللّه السّموات و الأرض و مابينهما، و أمّا العرش فهو في الأصل السَّرير، و أمَّا عرش الرّحمن فلا علم به إلاَّ لخالقه الَّذي خلقه.

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَ مَا يَعْرُجُ فيها

فهو إشارة إلى أنّه تعالى عالمٌ بجميع الأشياء لأنّه قد أحاط بكلّ شئ عـلماً، - الله على الله الله الله الله الله الله الله على الله الله على ا من شئون الممكن، فالواجب منزة عنه إذ لو كان جاهلاً فهو محتاج إلى رفع نقصه و كلّ محتاج ممكن الوجود، ثمّ أنّ الولوج الدّخول فمعنى قوله ما يلج في الأرض ما يدخل فيها من مطرِ و غيره و يحتمل أن يكون المراد به الأموات لأنَّ الإنسان بعد موته يدخل في القبر و حمل اللَّفظ على العموم أولى.



و قوله: وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا قيل هو النّبات و الأولى حمل اللّفظ أيضاً على العموم ليشمل النّبات و المعادن و الكنوز و الأجساد من القبور يوم البعث ذلك فأنّه تعالى عالمٌ بها، و قوله و ما ينزل من السّماء قيل هو المطر و الملك و الرّزق و غيرها.

و قوله: ما يَعْرُجُ فيها فالعروج الصُّعود قيل المراد به الملائكة و أعمال العباد لقوله تعالى: إليه يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيْبُ وَ ٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ (١).

و قوله: وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَاكُنْتُمْ وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ المرادبالمعيّة معيّة العلّة مع معلولها و الخالق مع مخلوقه و ذلك لأنّ المعلول كما يحتاج إلى العلَّة كذلك محتاج إليها في بقاءه فلا يعقل إنـفكاك المعلول من عـلته و اللَّـه تعالى خلق الخلق أي أوجدهم و أخرجهم من العدم إلى الوجود و هذا لا يكفي في بقاء الخلق بعد الوجود بل يلزم دوام الفيض من الفيّاض على الإطلاق على المستفيض و هو الخلق فلو قطع الإفاضة لم يبق من الخلق عينٌ و لا أثر و هذا معنى قولهم الممكن الباقي مفتقرٌ إلى المؤثّر، فالمعيّة في الآية عبارة عن داوم الفيض من الفيّاض و عدم إنقطاعه عن المستفيض كما ورد في الدُّعاء «يادائم الفضل على البَّرية» و هذه القاعدة ثابتة في العلَّة التَّامة و أمَّا العلَّة النَّاقصة كالبنَّاء بالنَّسبة إلى البناء فـلا تـجرى القـاعدة فـيها و لذلك يبقىٰ البناء بعد موت البنّاء و السَّرير بعد موت صانعها و الحظُّ بعد موت كاتبها، نعم النَّار علَّة تامَّة لوجود الحرارة فوجود الحرارة موقوفٌ على وجود النَّار و بقاءها على بقاءها و من هذا القبيل الزّوجية للإربعة و البرودة للماء و السُّكر للخمر و أمثال ذلك، و قوله: وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ معناه واضح إذ هو من فرُوع المعيَّة و الله أعلم.

لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ إِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ

أمًا أنَّ له ملك السَّموات و الأرض، فلأنَّه تعالى خلقهما و أوجدهما فـهو المالك لما خلقه حقيقةً بل لا مالك لهما إلا هو و قد مرَّ الكلام فيه مراراً و أمّا أنّ الأمور ترجع إليه فلأنّ المراد بالأمور أمور الخلق و قد ثبت عقلاً أنّ كلّ شيئ يرجع إلى أصله إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، و أنّ إلى ربّك الرُّجعي و هو المبدء وُ المنتهي و له الأخرة و الأولى.

يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَ يُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَ هُوَ عَلَيمٌ بِذَاتِ

الإيلاج الإدخال أي يدخل اللَّيل في النَّهار، و يدخل النَّهار في اللَّيل، قيل في معناه أنّ ما ينقص من اللّيل يزيده في النّهار و ما ينقص من النّهار يزيده في اللَّيل بحسب ما قدَّره على علم من مصالح عباده، و قيل معناه أنَّ كلِّ واحدٍ منهما يتَّعقب صاحبه و هو عليم ذات الصُّدور، أي هو تعالى عالم بأسرار خلقه و ما تخفونه في قلوبهم من الضّمائر و الإعتقادات لا يخفي عليه شيِّ

أَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فيهِ فَالَّذينَ أَمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ

أمر الله المكلّفين من النّاس بالإيمان باللّه و رسوله أوّلاً و بالإنفاق في سبيل ي الله ممّا أعطاهم من النَّعم ثانياً ثمّ أخبر بأنّ من أمن و أنفق فله أجرّ كبيرٌ أي كثيرٌ چزء٧٧> يوم القيامة و أنّما أمر الله المكلّفين أوّلاً بالايمان و ثانياً بالإنفاق لأنّ الإيمان في رأس جميع الأمور و قد قال الله تعالى: إِنَّهَا يَـتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِـنَ ٱلْـمُتَّقينَ^(١) فالإنفاق و هكذا غيره من الأعمال و الأقوال إذا صدر عن المكلّف المؤمن بالله و رسوله يترتَّب عليه الثَّواب يوم القيامة و أمَّا إذا لم يكن كذلك فلا يترتّب



عليه شئٍ ضرورة أنّ العمل إذا كان للّه فالثّواب منه و إذا كان لغيره فالأجر علىٰ الغير.

و في قوله: مِمّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ إشارة إلى نقطة لطيفة ينبغي التَّوجه إليها و هي أنّ الأموال التي بأيديكم وصلت إليكم بسبب الوراثة عمَّن كان قبلكم من الأباء و غيرهم من النّاس فكما أنّها نقلت منهم إليكم بالوراثة وغيرها كذلك تنتقل إلى من بعدكم بعد موتكم أو في حياتكم بالبيع و الشّراء والحاصل أنّ أموال الدّنيا للدُّنيا وللّه ميراث السمّوات و الأرض و إذا كان كذلك فينبغي لصاحب المال أن يغتنم الفرصة في الدُّنيا و ينفق منها في سبيل اللّه فأنّ المال في الحقيقة مال اللّه و الفقراء عيال اللّه، و صاحب المال أمين اللّه في الدّنيا قال رسول اللّه والفقراء عيال اللّه، و صاحب المال أمين اللّه في الدّنيا قال رسول اللّه والفقراء عيال اللّه، و صاحب المال أمين اللّه

و لذلك قال تعالى: فَالَّذْبِنَ أَمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ أَي ثُوابٌ عظيم.

و أعلم أنّ المفسّرين فسَّروا الإنفاق في الآية بالإنفاق بالمال فقط و الآية ساكتة عنه فأنّ اللّه لم يقل و أنفقوا من أموالكم بل قال و أنفقوا من كلّ شي مستخلفين فيه و كلمة (ما) في قوله: مِثّا تفيد العموم أي أنفقوا من كلّ شي جعلكم مستخلفين فيه من النال و العلم و القدرة و بالجملة أنفقوا من جميع النّعم التي جعلكم مستخلفين فيه و أنّما قلنا ذلك لأنّ الإنفاق لا يختصّ بالمال فالعالم ينفق من علمه و القادر من قدرته فكما أنّ صاحب المال لا يجوز له الإمساك و البخل من انفاق ماله كذلك لا يجوز للعالم أن يضن بعلمه في تعليم الجاهل وكذا لا يجوز للقادر على إعانة المظلوم أن لا ينصره و هو واضح.

وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ ٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ ميثاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ ما إستفهاميّة و معناها التّـوبيخ و التّـقريع و المعنى أيُّ شيّ لكم معاشر المكلّفين.

لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ ٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبَّكُمْ أي مالَكُم لا تعترفون بوحدانيّة اللّه و أنّه لا شريك له و الحال أنّ الرَّسول يدعوكم إلى الإيمان و هو ينفعكم في الدُّنيا و الأخرة كما أنّ الكفر يضرّكم فيهما و العاقل لا يقدم على ضرر نفسه بل العقل يحكم بوجوب دفع الضَّرر المحتمل فضلاً عن المقطوع به ِ

وَ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قال بعض المفسّرين معناه أنّه لمّا ذكر تعالى دعاء الرّسول إلى الإيمان باللّه و رسوله و رغبَّكم فيه و حثَّكم عليه و زهَّدكم في خلافة و هو معنى قوله: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ أي إن كنتم مؤمنين بحقٍّ فالإيمان قد ظهرت أعلامه و وضحت براهينه إنتهي.

و قال بعضهم وَ قَدْ أُخَذَ ميثاقَكُمْ على غير مسمّى الفاعل على قراءة أبي عمرو و على مسمى الفاعل على قراءة غيره و هو المشهور أي أخذ الله ميثاقكم.

أقول الحقّ أنّ أخذ الميثاق من بني أدم من الله.

قال مجاهد هو الميثاق الأوّل و هم في ظهر أدم بأنّ اللّه ربّكم لا إلْـه لكـم غيره، و قيل أخذ ميثاقكم أن ركب فيكم العقول و أقام عليكم الدّلائل و يز، ٢٧ الحجج التّي تدعوا إلى متابعة الرّسول و قوله: إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنينَ أي إذ كنتم مؤمنين، و قيل إن كنتم مؤمنين بالحجج و الدّلائل، و قيل إن كنتم مؤمنين بحقّ يوماً من الأيّام فالآن أخرى الأيّام أن تؤمنوا لقيام الحجج و الاعلام ببعثة محمّد طَالَهُ وَسَالَةُ فقد صحّت براهينه.

أقول هذا ما ذكروه في تفسير قوله: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ و لا يبعد أن يكون المعنى إن كنتم مؤمنين، بالميثاق الَّذي أخذناه عنكم في عالم الذَّر و أمَّا إن

ضياء القرقان في تفسير القرآن كياً المرقان في تفسير القرآن كياً كنتم من المكذّبين به كتكذيبكم الله و رسله فلاكلام لنا معكم و حسابكم على الله يوم القيامة هذا ما خطر ببالي في معنى الكلام و الله أعلم.

هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهٖ أَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى الشَّلُمَاتِ إِلَى الشَّلُمَاتِ إِلَى الشَّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ إِنَّ اَللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُفٌ رَحيمٌ

يعنى أنَّ اللَّه تعالى هو الَّذي ينَّزل على عبده، و هـو محمَّد تُلَّهُ مُنْكُلَّةٍ أيات بيّنات، و حججاً واضحات التّى لا خفاء فيها لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ٱلظَّلُمَاتِ إِلَى أَلْنُورِ اللَّامِ في قوله: لِيُحْرِجَكُمْ لام الغاية أو لام الغرض و المعنى أنَّ المقصود الأصلى من بعث الرُّسل و إنـزال الكـتب السّـماوية و الأيـات البـيّنات التّـى لا خفاء فيها من المعجزات و الكرامات و خوارق العادات هو إخراجكم من ظلمات الجهل و الضّلالة إلى نور العلم و الهداية و طريق الحقّ وَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لْرَوُّفُّ رَحِيمٌ فيه إشارة إلى أنّ الباعث على هذه النّعمة و الرَّحمة هو رأفة خالقكم بكم، و لأجل هذا قال المتكلمون أنّ جعل الأحكام التكلفيّة و إرسال الرُّسل على أساس قاعدة اللَّطف، و توضيح ذلك إجمالاً هو أنَّ اللَّه تعالى غنّيّ بذاته عن جميع ما سواه فلا يحتاج إلى شيّ يصل إليه من غيره و ذلك لأنّ الإحتياج مساوقٌ للفقر بل هو هو الفقر من شّئون الموجود الممكن و إلى هذا المعنى أشار الله في كتابه حيث قال: يِنَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرْآءُ إِلَى اللَّهِ ق ٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَميدُ و إذا ثبت الغنى بقولٍ مطلق في حقَّه و أنَّه لا غنَّى إلاَّ هو فما سواه فقيرٌ كائناً ما كان و إذا كان كذلك فهاهنا مظنّة سؤالٍ و هو أنّه لمَ خلق الخلق أوّلاً و لم كلُّف الإنسان ثانياً بالتّكاليف الشّرعية من الصّوم و الصّلاة و الجهاد و الحجّ و غيرها ثمّ هدَّدهم بالعذاب يوم القيامة في صورة المخالفة، فأجاب الله تعالى بأنّ الباعث على جعل التّكاليف و إرسال الرُّسل رأفة الحقّ بكم فأنّ الخالق يحبّ مخلوقه كما أنّ الصّانع يحبّ مصنوعه لأنّ المخلوق من أثار قدرة الخالق و المصنوع من أثار صنعة الصّانع و من أحبُّ شيئاً أحبُّ أثاره و كلّ موجود يحبّ ذاته فلا محالة يحبّ أثاره و هذه الرَّافة و المحبّة المكنونة في ذات الخالق بالنّسبة إلى خلقه دعته إلى جعل التّكليف و إرسال الرُّسـل و إنزال الكتب ليخرج بذلك عباده عن ظلمة الجهل و الغواية و يرشده إلى طريق الحقّ فنفع العبادة يرجع إلى العبد لا إلى خالقه كما أنّ ضرر الكفر و العصيان أيضاً يرجع إليه لا إلى الله فلا تنفع الله طاعة من أطاعه و لا تضُّره معصية من

وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيراَثُ ٱلسَّمُواٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفُقَ مِنْ قَبْل ٱلْفَتْح وَ قَاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ ٱلَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قَاتَلُوا وَكُلَّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَى وَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

ما، إستفهاميّة وفيها التّوبيخ على عدم إنفاقهم في سبيل اللّه و أنّـما و بّـخهم على ذلك لأنّ المال في الحقيقة ليس لهم بـل المـال مـال اللّـه و العبد أيـضاً مملوكٌ له تعالى و العقل يحكم بأنّ العبد و ما في يده كان لمولاه هذا من جهة حكم العقل و أمّا من حيث الحسّ و المشاهدة و العيان، فلا شكٌ لأحدِ أنّ الإنسان يموت و المال يبقى بعده لمن يرثه و الوارث أيضاً يموت و المال لمن بعده و هكذا إلى أن لا يبقى منهم أحدٌ على كرة الأرض كما قال تعالى: **كُلُّ مَنْ** المخلوق كائناً ما كان لا بقاء له دائماً و قد جرت سنّة الإلهيّة بذلك إلى أن لا يبقى من المخلوق أحد، فيقول تعالى: لِمَنَ الْمُلك الْيَوْم فلا يجيبه أحد، فيقول تعالى: ٱللَّهُ ٱلْواحِدُ ٱلْقَهَّارُ و هذا معنى قوله: وَ لِلَّهِ ميرانُ ٱلسَّمُواتِ وَ ٱلْأَرْضِ و إذا كان الأمر على هذا المنوال فما بال العبد أن لا ينفق في سبيل الله من شئ لا ىقاء لە.



ثمّ بعد ذلك أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنّ الإنفاق و أن كان حسناً في نفسه محبوتٌ عند الله و قد وعد الله له بالثُّواب و الأجر يوم القيامة، إلاّ أنَّه يتفاوت أجراً و مثوبةً بإعتبار الزّمان و المكان بمعنى أنّها يزيدان عـلى الثّـواب إذا وقع فيهما، و هذا الحكم لا يختّص بالإنفاق فقط بل يجري في جميع الأفعال من العبادات و غيرها خيرها و شرّها و الأصل في ذلك أنّ لبعض الأمكنة و الأزمنة شرفٌ و فضلٌ على بعضٍ أخر لا بإعتبار نفى الزّمان و المكان فأنّ الزّمان بما هو هو لا فضل و لا شرف له على زمانٍ أخر و هكذا المكان فأنّ الزّمان و المكان مكان بل بإعتبار ما وقع فيهما من الحوادث، فإذا قلنا أنّ شهر الصّيام أفضل الشهور في السَّنة ليس معناه أنّ زمانه بما هو هو مع قطع النَّظر عن كونه شهر الَّله الَّذي أنزل فيه القرأن و وجب فيه الصّيام، أفـضل مـن سـائر الشهور ضرورة أنّ الزّمان بما هو هو في جميع الأزمنة واحد و أنّـما تثبت الفضيلة له بإعتبار الصّوم و نزول القرأن فيه و لذلك كلُّ عمل فيه من خير أو شُر غير العمل في غيره ثواباً و عقاباً، و لذلك حكم الشّارع بأنّ ثواب تلاوة القرأن فيه أكثر منها في غيره و عقاب الزّنا و شرب الخمر و غيرهما من المعاصى فيه أشدّ منه في غيره، و هكذا الإنفاق و الإطعام فيه أكثر ثواباً منه في غيره الكلام في جميع الأزمنة المتبركة.

و الحاصل أنّ البركات أو مطلق الحوادث عارضة على الزّمان و صار الزّمان ظرفاً لها و الظَّرف يكسب الشَّرف من مظروفه إذا عرفت هذا في الزّمان فقس عليه المكان و قل أنّ الذّنب و العصيان في المسجد أكثر عقاباً و قبحاً منه في غيره من بقاع الأرض غيره و هو في المسجد الحرام أكثر عقاباً و قبحاً منه في غيره من بقاع الأرض حتى المساجد و ليس ذلك إلا من جهة أنّ الأرض في المسجد الحرام صارت مكاناً للكعبة و لذلك خصَّ الشَّرف بهذه القطعة من الأرض لا بغيرها من بقاع الأرض، حتى أنّ المسافر مخيّرٌ في صلاته من حيث القصر و الإتمام فيه فمن

شاء أتمّ و هكذا مسجد النبيّ و مسجد الكوفة و الحائر الحسيني التُّلَّةِ فأنّ المكان فيها و في أمثالها غير سائر الأمكنة فالإنفاق فيها و الصّلاة فيها و جميع العبادات فيها أكثر ثواباً منها في غيرها و هكذا المحرّمات و المعاصى فيها أكثر عقاباً منها في غيرها.

فقوله تعالى: لا يَسْتَوى مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أُولٰيِّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ ٱلَّذينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ.

أى من بعد الفتح، على أساس ما ذكرناه و حقّقناه و المراد بالفتح قيل فتح الحديّبية و الحقّ أنّ المراد به فتح مكّة و توضيح ذلك إجمالاً أنّ قبل فتح مكّة كان المسلمون في نهاية الشِّدة و الخوف من الأعداء و الفقر من جهة المال و أمّا بعد الفتح فقد زال الرُّعب و الخوف من الأعداء عنهم و صاروا من الأغنياء من جهة المال لكثرة الغنائم الموجودة في بيت المال، و ذلك لأنَّ فتح مكّة كان آخر الفتوح، و من المعلوم أنّ الإنفاق على الفقراء في حال الفقر أكثر ثواباً منه عليهم حال عدم الفقر و هكذا الإنفاق في سبيل الله لإعلاء كلمة التّوحيد في زمان غربة الإسلام و إحتياجه الى المال في تجهيز الجيوش و العساكر، أكثر ثواباً منه في زمان شوكة الإسلام و لذلك يقال ما نفع في الإسلام مالٌ مثل مال خديجة الكبرى و إذا كان الأمر في الإنفاق على هذا المنوال فيكون الأمر كذلك في الجهاد أيضاً فأنّ نصرة الإسلام في زمان غربته بالسّيف و السَّنان و جزء٧٧ القتال مع الكَّفار غير القتال في زمان شوكته و عزَّته و الى هذا المعنى أشار اللَّه بقوله: وَ قُاتَلَ بعد ذكر الإنفاق بالمال و أن كان هو أيضاً من مصاديق الإنفاق بل من أعظم مصاديقه فأنّ الإنفاق بالنّفس أشدّ من الإنفاق بالمال و على هذا فمن أنفق من ماله قبل الفتح و جاهد بنفسه و قتل في الجهاد، لا يقاس بمن أنفق المال بعده أو جاهد أحياناً و قتل بعده و لذلك فضّل الله شهداء بدر على سائر الشُّهداء و هذا الّذي ذكره الله في الآية هو ميزان الفضيلة في جميع

الأزمنة، ثمّ قال اللّه تعالى في آخر الآية وَ كُلَّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ قرأ إبن عامر (و كلِّ وعد اللّه الحسنى) بالرَّفع و على هذا فهو مبتدأ و خبره وعد و فى الخبر ضمير يرجع الى المبتدا و تقديره (و كلّ وعده اللّه الحسنى) و قرأ الباقون بالنَّصب و عليه المصاحف و على هذا فقوله: وَ كُلًّ مفعول قدَّم على فعله مثل زيداً ضربته و تقديره وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى و يكون الحسنى في موضع نصب بأنّه مفعول ثانٍ إذا عرفت هذا فالمعنى أنّ من أنفق أو قاتل قبل الفتح أو بعده وعده الله الحسنى يوم القيامة فأنّ الله لا يضيع أجر المحسنين و بعبارةٍ أخرى أنّه تعالى سوّى بين الكلّ في وعد الخير و الثواب و أنمّا التّفاضل في مقاديره لا في أصله، و اللّه بما تعملون خبير، معناه لا يخفى عليه شئ ممّا تعملونه و أنّه تعالى جعل الثّواب على العمل الصّالح قلً أو كثر.

مَنْ ذَا اَلَّذَى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَريمٌ القرض بفتح القاف و سكون الراء و الضاد في الأصل ضرب من القطع و سمّي قطع المكان و تجاوزه قطعاً و ضرباً و في العرف يطلق على ما يدفع الى الإنسان بشرط ردّ بدله قالوا العرب تقول لكلّ من فعل فعلاً حسناً قد أقرض كما قال الشّاع:

و إذا جوزيت قـرضاً فأجـزه أنمّا يجزي الفتى لبس الجـمل و سمّي قرضاً لأنّ القرض أخرج لاسترداد البدل و معنى الآية مـن ذا الّـذي ينفق في سبيل الله حتّى يبدله الله بالأضعاف الكثيرة فقوله: قَرْضًا أي صـدقةً

و قوله: حَسَنًا، أي محتسباً من قلبه بلامنً و لا أذى قيمُضاعِفَهُ لَهُ ما بين السَّبع الى سبع مائة الى ما شاء الله من الأضعاف هكذا قالوا.

و الحقّ أنّ إقراض الله مثل لتقديم العمل الّذي يطلب ثوابه فالمراد الأمر و ليس بقرض حاجةٍ، على ما ظنّه اليهود كما حكى الله تعالى عنهم.

بقوله: لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيآ ءُ (١).

بل سمّي الإنفاق قرضاً تلطُّفاً للدُّعاء الى فعله و تنبيهاً على أنّه يرجع اليهم و لا يفوتهم و فيه حثٍّ لهم على فعله حيث كان هو سبحانه المطالب له، و القرض الحسن للّه تعالى هو المقروض بالإخلاص الّذي لا ينبغي به سوى الله، و قيل هو ما تستره و تصغّره عندك و ما كان من الحلال و لا نعيده بمن أذى و ما نوى به وجه الله و يكون طيّباً به نفسه أو ما كان حسن الموضع عند الإنفاق، و إرادة الأعم ممكنة و يندرج فيه جميع الطّاعات الواقعة لوجهه تعالى البدّنية و الماليّة و من ذلك إقراض المؤمنين المحتاجين المال فتدلًا الآية على مشروعيّة القرض و رجحانه و على شدّ التّحريص عليه

فعن الصّادق عليه الله عَلَيْهِ: لمّا نزلَت آية: مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا فقال رسول اللّه عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَلَلّه عَلَيْهُ عَلْهُ عَلَيْهُ عَلَي عَلَيْهُ عَلَاهُ عَلَاهُ عَلَاهُ

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَ ٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرِيٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدينَ فيها ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

قوله: يَوْمُ تَرَى يتعلّق بقوله: أَجْرٌ كَريمٌ كأنّه قيل أي يومٍ هذا فقال تعالى: يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ و على هذا فالمؤمنون و المؤمنات الذين يسعى نورهم بين أيديهم و بايمانهم، هم الذين أقرضوا الله في الدُّنيا قرضاً حسناً بالأعمال الصّالحة و الإنفاق الخالص من شوب الرّياء و هم الّذين يقال لهم بشراكم اليوم



يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنْافِقُونَ وَ ٱلْمُنْافِقَاتُ لِلَّذينَ اٰمَنُوا ٱنْظُرُونَا نَقْتَبسْ مِنْ نُورِكُمْ قيلَ ٱرْجِعُوا وَرْآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا ٰنُورًا فَضُربَ بَيْنَهُمْ بِسُور لَهُ بابُ باطِنُهُ فيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ

قيل يجوز أن يتعلَّق يَوْمَ بقوله: ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظيمُ أي في يوم و يجوز أن يكون على تقدير و أذكر يوم يقول المنافقون، الآيـة و المـعنى يـوم يـقول المنافقون من الرّجال و المنافقون من النّساء **لِلّذينَ أَمَنُوا** فـى الدُّنـيا بـاللّه و رسوله و أقرضوا اللّه قرضاً حسناً **ٱنْظُرُونا** أي أنظروا بوجوهكم إلينا و ذلك لأنّ نور المؤمنين بين أيديهم و بـايمانهم، فأراد المـنافقون أن يستضيئوا بــه و لذلك يقولون: ٱنْظُرُونٰا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ أَى ناخذ قبساً منه قيلَ ٱرْجِعُوا وَرْآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا القائل هو الملائكة و قيل القائل هو المؤمن يقول لهم أي للمنافقين أرجعوا وراءكم، أي إرجعوا الى خلفكم، فألتمسوا النُّور فأنَّه لا نور لكم عندنا و أنمًا يلتمسون النُّور لأجل الظَّلمة الّـتي تـغشي النّـاس يـوم القيامة.

قال بعض المفسّرين أنّ اللّه تعالى يعطى المؤمنين نوراً يوم القيامة على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، و قال إبن عبّاس أنّ اللَّه يعطى النُّور لجميعهم دون الكافر ثمّ يسلب المنافق نوره لنفاقه و معنى قولهم: أرْجِعُوا وَرْآءَكُمْ أي إرجعوا الى الموضع الّذي أخذنا منه النُّور فأطلبوا هنالك لأنفسكم نوراً فأنَّكم لا تقتبسون من نورنا أبداً فلمَّا رجعوا و أنعزلوا الى طلب النُّور فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورِ يعني بين المؤمنين و المنافقين قيل الباء زائدة و

هو المضروب بين الجنّة و النّار لَهُ بابٌ باطِئْهُ فيهِ ٱلرَّحْمَةُ الضّمير في، له، عائد على السُّور أي للسُّور باب باطنه فيه الرّحمة لأنّ فيه الجنّة و هـو الّـذي يلى منه المؤمن وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ يعني ما يلي المنافقين العذاب لأنّ جهنَّم هناك.

يُنادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلِي وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ٱرْتَبْتُمْ وَ غَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ أي ينادون المنافقون، المؤمنين و يقولون لهم أي للمؤمنين ألَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ في دار الدُّنيا مخالطين معاشرين، نصلّي مثل ما تصلّون و نغزوا مثل ما تغزون و نفعل مثل ما تفعلون و نشهد بالله كما تشهدون قالُوا بَلْي أي يقول المؤمنون في جوابهم، بلي، قد كنتم معنا في الظّاهر وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ أي إستعملتموها في الفتنة، و أهلكتموها بالنِّفاق، و إرتكاب المعاصى و إتّباع الشَّهوات تَرَبَّصْتُم بالنبيّ الموت و التربُّص الإنتظار و آر تَبْتُم الإرتياب الشكّ أي شككتم في التّوحيد و النبوّة و المعاد وَ غَرَّ تُكُمُّ ٱلْأَمَانِيُّ حَتّىٰ جَآءَ أَمْرُ آللَّهِ أي و غرَّتكم الأباطيل كنتم تمنُّون من موت النَّبي و محو الإسلام و كنتم كذلك حتّى جاء أمر الله الموت، و قيل معناه حتّى جاء أمر الله في نصرة نبيّه، و قيل أمر الله إلقاؤهم في النّار و إدخاله المؤمنين الجنّة وَ غَرَّكُمُ أي خدعكم بِاللَّهِ ٱلْغَرُورُ أي خدعكم باللَّه الشَّيطان، أو الدُّنيا و حبّ الشَّهوات و إذ كنتم ا جزء ۲۷ کی الدُّنیا کذلك. ۲

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيْكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَيْكُمْ وَ بِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

الِفدية بكسر الفاء ما تفدى به النّفس و المعنى فـاليوم أي يـوم القـيامة لا يؤخذ منكم فدية أي لا يؤخذ منكم ما تفدون به أنفسكم من عذاب النّــار و لا



من الذين كفروا، لا يقبل منهم أيضاً ما يفدون به أنفسهم مَأُويْكُم أيها المنافقون و الكافرون، النّار هي مولاكم، أي أنّ النّار ينصركم لا غيرها و بئس المصير النّار أي بئس المأوى و الموضع و من هذه الأيات التّي مرّ ذكرها ينبغي أن يعتبر المعتبر قبل الموت.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذينَ اٰمَنُوٓا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْر ٱلله وَ مَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقّ وَ لَا يَكُونُوا كَالَّذينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَـدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثيرٌ مِنْهُمْ وَ فَاسِقُونَ (١٤) إَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يُحْى ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَّاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقينَ وَ ٱلْمُصَّدَّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَ ٱلَّذينَ امَنُوا بِاللَّهِ رُسُلِهَ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَ ٱلشُّهَدٰآءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ وَ ٱلَّذينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِايَاتِنَاۤ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيم (١٩) إَعْلَمُوٓ اللَّهُ اللَّهُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَزِينَةٌ وَ تَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي ٱلْأُمُوالِ وَ ٱلْأَوْلَادِكَمَثَل غَيْثِ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرينهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ خُطَامًا وَ فِي ٱلْأُخِرَةِ عَذَابٌ شَديدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللَّهِ وَ رضْوانٌ وَ مَا ٱلْحَيْوةُ ٱلدُّنْيَآ إلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ (٧٠) سٰابقُوٓ اللِّي مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ أَمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشْآءُ وَ ٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظيم (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لَا فَيَ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فَي

ضياء الفرقان في تفسير القرآن 🔷



ضياء القرقان في نفسير القرآن ﴿ ﴾ المجلد السادس عشر ﴿ ﴾

كِتَابِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يُسيرٌ (٢٢) لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آاتِيكُمْ وَ ٱللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُورِ (٢٣) ٱلَّذينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَّ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَميدُ (٢٢) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكتَابَ وَ ٱلْميزانَ ليَقُومَ ٱلنَّاسُ بِالْقَسْطِ وَ أَنْزَلْنَا ٱلْحَديدَ فيهِ بَأْسٌ شَديدٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَويٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْراٰهِيمَ وَ جَعَلْنا في ذُرّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَ ٱلْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدِ وَكُثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٤) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى أَثْارهِمْ بِرُسُلِنًا وَ قَفَّيْنًا بِعِيسَى آبْن مَرْيَمَ وَ أَتَيْنَاهُ ٱلْإِنْجِيلَ وَ جَعَلْنَا في قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَ بْـنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رضُواٰن ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعْايَتِهَا فَأَتَيْنَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا آَيُّهَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَ امِنُوا بِرَسُولِه يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْن مِنْ رَحْمَتِه وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ ٱللَّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ (٢٨) لِئَلًّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ وَ أَنَّ ٱلْفَضْلَ

بِيَدِ ٱللّٰهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشْآءُ وَ ٱللّٰهُ ذُو ٱلْـٰفَضْلِ ٱلْعَظيم (٢٩)

◄ اللّغة

يَهُٰكِن: مضارع و ماضيه، أنى يقال أنىٰ يأنى إذا قرب وحان.

تَخْشَعَ: الخشوع الخضوع.

ٱلْأُمَدُ: بفتح الميم المدّة و الوقت.

غَيْثٍ: بفتح الغين المطر.

يَهيجُ: هاج يهيج، هيجاً إذا يبس.

حُطْامًا: الحطام بضمّ الحاء الهشيم.

قَفَيْنْ التَّقفية جعل الشَّئِ في أثر الشَّئِ على الإستمرار فيه و لهذا قيل لمقاطع الشَّعر قوافي و هي جمع قافية.

كِفْلَيْنِ: بكسر الكاف و فتح اللام أي مثلين و الكفل المثل

◄ الإعراب

أَنْ تَخْشَعَ هو فاعل، يأن، و اللاّم للتَّبين و(ما) بمعنى الَّذي و في نَزَلَ ضمير يعود عليه و لا تكون مصدريّة لئلا يبقى الفعل بلا فاعل وَ أَقْرَضُوا ٱللَّهُ فيه عزيم وجهان:

أحدهما: أنّه معترض بين إسم (إنّ) و خبرها و هو، يضاعف لهم و أنّما قيل ذلك لئلاّ يعطف الماضي على إسم الفاعل.

الثّانى: أنّه معطوفٌ عليه لأنّ الألفّ و اللاّم بمعنى، الَّذي أي أنّ الذّين تصدّقوا يُضاعَفُ لَهُمْ الجار و المجرور هو القائم مقام الفاعل فلا ضمير في الفعل عِنْدَ رَبِّهمْ هو ظرفٌ للشّهداء في ٱلْأَرْضِ يجوز أن يتعلّق الجار بمصيبة

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



لأنّها مصدر و أن يكون صفة لها على اللَّفظ أو الموضع في كِتَابٍ حال أي إلا مكتوبة و مِنْ قَبْلِ نعتُ لكتاب أو متعلّق به فيه بَأْشٌ حال من الحديد رَهْبْإنِيَّةً هي منصوب بفعلٍ دلّ عليه آبْتَدَعُوها لا بالعطف على الرَّحمة لِئلَلّا يَعْلَمَ قيل لا، زائدة و المعنى ليعلم أهل الكتاب.

▶ التَّفسير

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ اٰمَنُوٓ ا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللهِ وَ مَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ فَاسِقُونَ فَيَدُ فَظُلُ مَلَا عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ فَاسِقُونَ فَي

الإستفهام للتوبيخ و المعنى أَلَمْ يَأْنِ أَي الم يقرب لِلَّذينَ الْمَنُوٓ الظاهرا بالله و رسوله أَنْ تَخْشَعَ و تخضع قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللّهِ كما هو شأن المؤمن و فيه إشارة إلى أن كثيراً من النّاس يدّعون الإيمان و قلوبهم خاليةٌ عن الإيمان:

قال الله تعالىٰ: قالَتِ ٱلْأَعْرابُ امَنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوٓا أَسْلَمْنَا وَ لَكِنْ قُولُوٓا أَسْلَمْنَا وَ لَكِنْ قُولُوٓا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ ٱلْايمَانُ في قُلُوبِكُمْ (١).

و الوجه فيه أنّ الإيمان لو دخل في القلب واقعاً يؤثّر فيه و يجعله خاضعاً متخشّعاً متواضعاً و قد ثبت عقلاً أنّ الأثر يوجد بوجود المؤثّر و ينتفي بإنتفاءه و المؤثّر في القلب هو الإيمان الواقعي و الأثر خشوع القلب و خضوعه في جنب خالقه فهذا هو الملاك في وجود الإيمان الحقيقي و عدمه فمن لم يخشع قلبه لذكر الله كيف إدّعى الإيمان أليس إنتفاء الأثر كاشفاً عن عدم وجود المؤثّر، و إلى ما ذكرناه أشار الله تعالى بقوله:

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذا ذُكِرَ ٱللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ أَيَاتُهُ زَانَتْهُمْ ايمَانًا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢٠).

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

سيرالقرآن 🔷 🔊 🚽

فأنّ كلمة إنّما تفيد الحصر و الله تعالى حصر الإيمان في هذه الآية للّذين إذا ذكر الله وجلت أي خافت و إضطربت قلوبهم من خشية الله و لازم ذلك الإنقياد له في جميع أوامره و نواهيه و عدم متابعة الشّيطان و معنى الحصر أنّ من ليس كذلك فلا يكون مؤمناً حقّاً و أن مدّعياً له ظاهراً و قوله: ما نزل من الحقّ المُحَقّ معطوفٌ على ذكر الله أي تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحقّ على نبيّه في كتابه من الأحكام و الأيات الدّالة على توحيده.

و لا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ أَي من قبل القرأن أو من قبل الإسلام و المراد بهم اليهود و النّصارى و أمثالها من الأمم السّالفة بما أنزل الله على أنبيائهم بعد موتهم و حرّفوا الكتاب و قلّبوا الأحكام و تابعوا الهوى و تركوا الهدى بعد طول المدّة كما قال تعالى: فَطَالَ عَلَيْهِمُ اللّأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ فَاسِقُونَ أَي فطالت المدّة عليهم بعد نبيّهم فقست قلوبهم بسبب المعاصي فأنّ المعصية توجب قساوة القلب لو إستّمرت نعني بالفسق إلا هذا.

أقول هذه الآية نزلت في المسلمين بدليل قوله: وَ لَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ الْمسلمين في أُوتُوا الله الإسلام، و يستفاد منها أنّ المسلمين في صدر الإسلام كانوا على صنفين، صنف كانوا مؤمنين حقّاً و كانت قلوبهم خاشعة خاضعة لذكر الله و كانوا مطيعين، منقادين في طاعة الله و رسوله كالمقداد و سلمان و عمّار و حذيفة و أبي ذرّ الغفاري و أمثالهم و هم قليلون جدّاً كما قال تعالى: وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِي الشّعُورُ (١).

 به و طال عليهم الأمد فقست قلوبهم بسبب المعاصي و الإستمرار عليها فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم و فسَّروه على طبق أميالهم و أهوائهم و لم يقنعوا بذلك حتى سبُّوا وصيّ الرَّسول على منابرهم و قتلوا أولاد الرَّسول و شرَّدوهم في أكناف الأرض و منعوا الحسن عنهم و بالجملة فعلوا بالكتاب و السنّة و أولاد الرَّسول و صلحاء الأمّة ما عجزت الألسن عن بيانه و الأقلام عن تحريره و كتابته و اللّه أعلم.

إَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيْاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

و ذلك لأنّ المخلوق أيّ مخلوق كان له حياةٌ و موت إلاّ أنّ الحياة و الموت في كلّ مخلوقٍ بحسبه، فموت الارْض بعدم نزول المطر و حياتها بنزوله فالمطر للأرض بمنزلة الرُّوح في بدن الإنسان، ثمّ أنّ الأثار المترتبة على الأرض كالإنبات مثلاً، في مرحلة القوّة و بعد نزول المطر تخرج من القوّة إلى الفعل، كما أنّ الأثار المترتبة على وجود الإنسان، موجودة في المني أيضاً إلا أنّها فيه بالقوّة و بعد تعلّق الرُّوح به تصير بالفعل تدريجاً، فقوله تعالى: أَنَّ ٱللّه يُحي اللاَرْض بَعْد مَوْتِها يخرج ما فيها بالقوّة إلى الفعل بسبب المطر معناه أنّ الأرض قبل نزول المطر عليها ليست متصفة بالوجود و على هذا فالإحياء في كلّ شي معناه إخراج ما بالقوّة إلى الفعل بسبب من الأسباب و لذلك نقول كلّ حيّ موجود و ليس كلّ موجود حيّاً، فالحياة غير الوجود مفهوماً و عينه مصداقاً فمن زعم أنّ الحياة عين الوجود مفهوماً بمعنى أنّها من الألفاظ المترادفة كالإنسان و البشر وقع في الخبط و الإشتباه.

قَدْ بَيَّتُنَّا لَكُمُ ٱلْايٰاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ أي لكي تعقلون و تتفكّرون في قدرة الله و أنّه على كلّ شئ قدير.

إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَ ٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرُ كَرِيمٌ

أي أنّ متصدّقين و المتصدّقات، فأدغمت التّاء في الصّاد في الموضعين و المعنى أنّ الّذين يتَّصدقون من الرّجال و النّساء، و أقرضوا اللّه قرضاً حسناً بلا من و لا أذى و أخلصوا نيّاتهم للّه يُضاعَفُ لَهُمْ أي يجزون بأضعاف ذلك يوم القيامة ولهم أجرّ كريمٌ و قد ورد في الأخبار أنّ الله تعالى يعطي بالواحد عشراً إلى سبع مائة ولهم أجرّ كريمٌ و هو إكرام الله لهم و إجلاله إيّاهم بما شاء و أراد وهو أعلم بما أراد.

وَ ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللَّهِ رُسُلِهَ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَ ٱلشُّهَدَآ ءُعِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيَا تِنَاۤ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحيم

و الله أمنوا بالله و رسله، قد مرَّ الكلام في معنى الإيمان غير مرَةٍ و قلنا أنّه عبارة عن الإقرار بالتّوحيد و النّبوة و المعاد لفظاً و الاعتقاد بما ذكرناه قلباً و العمل بمقتضاه أركاناً و جوارحاً فهذا هو الإيمان حقّاً أُولَيْكَ هُمُ ٱلصِّدِيقُونَ وَ السُّهَذَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ وصف اللّه تعالى المؤمنين بأنّهم، الصّديقون و الشُّهداء عند ربّهم.

قال الرّاغب في المفردات الصّديق من كثر عنه الصَّدق و قيل بل يقال لمن لا يكذب قطّ و قيل بل لمن لا يتأتّى منه الكذب لتعوّده الصِّدق، و قيل بل لمن صدق بقوله و إعتقاده و حقّق صدقه بفعله قال اللّه تعالى في كتابه: وَ ٱذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْراهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًا (١) إنتهى.

أقول يظهر من كلام الرّاغب أنّ الصّديقين ذو مراتب أقلّها من كثر صدقه و أكثرها من صدق بقوله و إعتقاده و حقّق صدقه بفعله أو لا يكذب قطّ و على

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



هذا فالأنبياء و الأوصياء في رأس الصدّيقين ثمّ الأمثل فالأمثل حتّى تصل النّوبة إلى من كثر صدقه أمثال سلمان و مقداد و عمّار و غيرهم.

أمّا قوله: وَ ٱلشُّهَداآءُ عِنْدَ رَبِّهِم ْ فقيل هو منفصلٌ ممّا قبله و مستأنف و المراد بهم الأنبياء قاله إبن عبّاس و غيره.

و قيل هو متصل بما قبله و الواو للعطف أي أولئك هم الصدّيقون و أولئك هم الشُهداء عند ربّهم و هذا هو الأقوى في النّظر و الدّليل على الإتّصال أنّ الشُهداء ليسوا بخارجين عن الصدّيقين بل هم داخلون في زمرتهم و كيف كان حكم اللّه في الآية بأنّ لهم أجرهم عند ربّهم و نورهم و المراد بالنّور في الآية هو نور الايمان ثمّ أشار الله إلى أحوال الكفّار فقال: و آلّذين كفروا بالله و لم يوّحدوه و يأياتن أولئك أصحاب الجحيم، أي و الذين كفروا بالله و لم يوّحدوه و كذّبوا بأيات الله، و قالوا أنها أساطير الأولين أولئك أصحاب الجحيم، أي أصحاب الله تعالى أحوال الدّنيا فقال:

إَعْلَمُوٓا أَنَّمَا ٱلْحَيْوةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبُ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمُوالِ وَ ٱلْأَوْلادِكَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرِيْهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَديدٌ وَ مَعْفِرَةٌ مِنَ ٱللهِ وَ رَضُواٰنٌ وَ مَا ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ

أخبر الله تعالى في هذه الآية عن الدُّنيا و بيَّن حقيقتها و ماهيّتها لا أنّه وصفها بهذه الأمور المذكورة كما زعمه المفسّرون و قالوا بأنّها أوصاف الدُّنيا و الدِّليل على ما ذكرناه أنّه قال أنّما الحياة الدُّنيا لعبّ و لهوّ إلى أخر و قد ثبت أنّ (أنّما) للحصر أي ليست الدُّنيا و حياتها إلاّ اللَّعب و اللَّهو و بعبارة أخرى يستفاد من الآية أنّ الدُّنيا و حياتها نفس اللَّهو و اللَّعب لا أنّ الدُّنيا شئ متَّصفٌ بها، يقال لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً ثمّ عبر عنها بها، يقال لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً ثمّ عبر عنها

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

کراء کی المجلد السادس :

باللُّهو، و هو ما يشغل الإنسان عمّا يعنيه و يقصده ثمّ عنها بالزّينة و التّفاخر إلى آخر الآية مشعراً بأنّ الدُّنيا ليست إلاّ هذه الأمور و لا وجود لها مع قـطع النَّـظر عمًا فيها و حيث أنَّها لا بقاء لها كما هو المشاهد المحسوس فالدُّنيا لا بقاء لها و ما كان كذلك لا يعتمد عليه عقلاً.

قال الشّاعر:

كلّ ما في الكون و هـمُ أو خيال و قال الآخر:

إِــمّا النُّنــياكظّلِ زائـلٍ و قال الآخر:

ما أنعم الله على عبده وكلّ من عوفي في جسمه والمال خلقُ حسنُ جيَّدُ مــا أحســن الدُّنــيا و لكـنّها

أو عكوسٌ في المرايا أو ظلال

أو كضيفٍ بات فيها و أرتحل

بنعمةٍ أوفى من العافية فأنّـه في عيشةٍ راضية على الفتى لكنه عاربة مع حسنها غدّارة فانية

و الآيات و الأخبار و الآثار و الأشعار في ذمَّ الدُّنيا كثيرة و على ما حقَّقناه من أنّ الدُّنيا ليست إلاّ هذه الأمور المذكورة في الآية فالذمّ يرجع إليها لا بإعتبار وجودها بل بإعتبار زوالها و فنائها لا يصحّ الإعتماد عليها فليس المراد أنَّ الأولاد و الأموال و هكذا كلُّ موجودٍ في العالم بإعتبار أنفسها و وجودها عزء ٧٧ مذمومة إذ لو كانت مذمومة لا تعدّ من النُّعم و قد قال اللَّه تعالى: **أَلْمَالُ وَ** ٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيْوةِ ٱلدُّنْيا(١) و لكنّ الإعتماد عليها مذمومٌ و لذلك قال رسول اللَّهُ عَلَيْكُ اللَّهُ عَلَيْ وَأَس كُلُّ خَطِيئة ولم يقل الدُّنيا و ما فيها خطيئة و حاصل الكلام أنّ حبّ الدُّنيا و الركون عليها مذموم لعدم بقائها و نحن قد تكلَّمنا فيها و بينًا منافعها و مضارّها سابقاً بما لا مزيد عليه.

و قوله تعالى: كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفّار تَبَاتُهُ معناه أَنَ الدُّنيا كمثل غيثِ اي مطراً أعجب الكفّار نباته شبّه الله تعالى الدُّنيا و متاعها بالمطر الّذي أعجب الكفّار نباته الذي نبت بذلك الغيث و المراد بالكفّار الزرّاع، و قيل المراد بهم الكفّار بالله لأنّهم أشد إعجاباً بالدُّنيا من غيرهم و على التّقديرين فالمقصود أنّهم تعجّبوا من النّبات الذي وجد في الأرض ثمّ أنّهم يرونه بعد أيّام و شهور أنّ النّبات الذي أعجب الكُفار به صار مصفراً يابساً ثمّ حطاماً و هشيماً تذروه الرّياح فأنّ النّبات و أن كان في بادئ الأمر على ظاهر الحسن و النضارة إلا أنّ عاقبته إلى الهشيم، و هذا من تشبيه المحسوس بالمحسوس للخوّاص و من تشبيه المعقول بالمحسوس للعوام ثمّ قال تعالى: وَ فِعى المُخوّاتِ عَذَابٌ شَديدٌ للكفّار بل لكلّ محبّ للدُنيا.

وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ ٱللّهِ وَ رِضُواْنٌ للمؤمنين الّذين أعرضوا عنها و أقبلوا إلى الأخرة وَ مَا ٱلْحَيْوةُ ٱلدُّنْيَا ٓ إِلّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ لمن اغترَبها و إعتمد عليها و لأجل هذا ترى الأنبياء و الصَّلحاء و العقلاء لم يعتمد عليها.

سَابِقُوۤ اللّٰهِ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللّٰهِ يُؤْتِهِهِ مَنْ يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظیم

أي إذا كانت الدُّنيا كما وصفناها لكم و علمتم أنّه لا بقاء لها ولكم و لابد لكم من الموت، فسابقوا إلى مغفرة من ربّكم، أي سابقوا على أبناء جنسكم بالأعمال الصّالحة التّي توجب المغفرة من ربّكم و إجتهدوا في تقديم طاعة اللّه على كلّ عملٍ كما يجتهد المسابق لغيره و من المعلوم أنّ المسابقة إلى المغفرة تحصل بترك المعاصي و العمل بالطّاعات و هذا ممّا يحكم به العقل و الشّرع.

وَ جَنَّةٍ عَرْضُهُا كَعَرْضِ ٱلسَّمٰآءِ وَٱلْأَرْضِ فالواوللعطف أي سابقوا إلى مغفرة ربّكم و سابقوا إلى جنّةٍ عرضها كذا و المقصود أنّ في هذه المسابقة يحصل لكم رضى الرَّب و مغفرته و خلودكم في الجنّة التّي عرضها كعرض السّماء و الأرض أي سعتها كذلك فلا يعلمها إلاّ الله كما أنّ عرض السّماء و الأرضِ أيضاً كذلك يعنى العلم به مختصٌّ بخالقه.

أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ أُمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أَي أَنَّ الجنَّة التِّي عرضها كعرض السّماء و الأرض، أعدّت لمن أمن بالله و رسله و أمّا غير المؤمن فلا حظّ له فيها و لا نصيب.

ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشٰآءُ وَ ٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظيم الظَّاهر أنّ قوله: ذُلِكَ هو إشارة إلى ما أعطاهم الله من المغفرة و الدّخول في الجنّة التّي عرضها كعرض السّماء و الأرض أي ما أعطاهم اللّه هو فضل اللّه و رحمته لا أنهم إستحقّوا ذلك و بعبارة اخرى أعطاهم الله من فضله زائداً على إستحقاقهم و ثوابهم، و الله تعالى ذو الفضل العظيم، و أمّا على مذاق المتكلَّمين من أنَّ العبد لا يستحقُّ شيئاً لأنَّه عمل بوظائفه المقرّرة لأنَّ شكر المنعم واجب عقلاً فالمعنى أنّ ما أعطيناهم هو من فضلنا لا من جهة أخرى و الأمر سهل بعد وضوح المعني.

مْ ٓ أَصِابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لا في أَنْفُسِكُمْ إِلَّا في كِتَابِ مِنْ جزء ٢٧> قَبْل أَنْ نَبْرَأُهُمْ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسيِرُ

ما، نافية، بمعنى، ليس، و المعنى ليس يصيب أحداً مصيبة في الأرض في المال و النّفس و الأولاد و غير ذلك إلا و هو ثابتٌ مذكورٌ في كِتاب، و هو اللّوح المحفوظ أثبته الله فيه قبل الخلق و قوله: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأُهَا قيل الضّمير عائد على النَّفس أي من قبل أن نبرأ النَّفس و قيل عائد إلى الأرض و قيل إلى المصيبة و قيل إلى الجميع.

و قال إبن عبّاس من قبل أن يخلق المصيبة و قال صاحب الكشّاف، يعني الأنفس أو المصائب، ثمّ قال تعالى: إِنَّ ذٰلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسبِرُ يعني أنّ إثبات ذلك في اللّوح قبل الخلق على الله سهلٌ يسيرٌ لأنّه قادر على كلّ شيٍّ ثمّ بيّن الله تعالى لم فعل ذلك فقال:

لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَاۤ أَتَيٰكُمْ وَ ٱللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَال فَخُور

الحقّ أنّ هذه الآية متصلّة بما قبلها و ذلك لأنّ اللّه تعالى ذكر في الآية السّابقة أنّ جميع الحوادث و المصائب مكتوبة في اللّوح المحفوظ قبل خلقها فكأنّه قال قائلٌ لم كان ذلك فقال تعالى: لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى ما فَاتَكُمْ من الرّزق و غيره و لا تفرحوا بما أتاكم من النّعم الدُّنيوية و ذلك لأنّه كان مقدراً محتوماً و إذا كان كذلك فالعبد تسليم لقضاءه و قدره و يعلم أنّ ما فات منه من الدّنيا و ما أتاه فهو على أساس المصلحة التّي إقتضتها الحكمة الإلهيّة و العبودية تقتضي أن يكون العبد راضياً بما قدَّره اللّه له فمن كان كذلك وصل العبودية الذي لا مقام فوقه و العجب أنّ هذين الحكمين من الأحكام العقلية و ذلك لأنّ الحزن على ما مضى وفات لا يحكم به العقل السّليم لأنّ ما فوجوده كالعدم، و الحق أنّ هذه الآية في الحقيقة من معجزات الكلام لأنّها مع فوجوده كالعدم، و الحق أنّ هذه الآية في الحقيقة من معجزات الكلام لأنّها مع إختصارها من حيث اللَّفظ مبيّنةٌ لحقيقة الزُّهد الّذي فيه سعادة الدّارين إذ لا نعنى بالزُّهد إلاّ الرّضابقضاءاللّه و قدره و تسليم العبدلخالقه في جميع ما قدَّر له.

قال ربيع إبن صالح لمّا أخذ سعيد بن جبير (أخذه الحجّاج لعنه اللّه) بكيت فقال لي سعيد إبن جبير ما يبكيك، قلت أبكي لما أرى بك و لما تذهب إليه قال فلا تبك فأنّه في علم اللّه ألم تسمع قول اللّه تعالى: مَلَ أَصابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَ لا فَيَ أَنْفُسِكُمْ.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن

و قال إبن عبّاس لمّا خلق اللّه القلم قال له أكتب فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة.

عن حفص بن غياث قال: قلت لأبي عبد الله المَيْلِ جعلت فداك فما حدّ النُّهد في الدُّنيا فقال اللَّهِ عز و جلّ: لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِماۤ اليَّكُمْ.

و قال أميرالمؤمنين في بيان الزُّهد، فأمّا الزُّهد فقد خرجت الأحزان و الأفراح من قلبه فلا يفرح بشيٍّ من الدّنيا و لا يأسى على شيٍّ منها فاته فهو مستريح.

و قال عليه في نهج البلاغة الزُّهد كلّه بين كلمتين من القرأن قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما أتاكم و من لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزُّهد بطرفيه.

و عن الصّادق الله قال: لمّا أدخل علّي بن الحسين الله على يزيد بن معاوية و أدخل عليه علّي بن الحسين مقيّداً مغلولاً قال يزيد بن معاوية و أدخل عليه علّي بن الحسين مصيبة فيما كسبت يزيد يا علّي بن الحسين (ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم) الآية فقال عليّ بن الحسين الله كلّا، ما نزلت هذه الآية فينا أنما نزلت فينا، ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلاّ في كتابٍ من قبل نبرأها، الآية فنحن الّذين لا نأسى على ما فاتنا و لا نفرح بما أوتينا منها إنتهى.

أقول و الأحاديث في الباب كثيرة و فيما ذكرناه كفاية لأولي الدّراية. و أمّا قوله: و آللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ فالمختال المتَّكبر المتَّجبر و الفخور، الذي يفتخر على غيره بما أتاه الله من النَّعم و أنّما أبغضه الله لمكان كبره فأنّ المتّكبر مبغوضٌ لله تعالى:

ٱلَّذينَ يَبْخَلُونَ وَ يَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَميدُ

قيل في هذه الآية بيَّن الله صفة المختال الفخور، كأنَّه قيل من المختل الفخور فقال الله تعالى هم الذين يبخلون و يأمرون النَّاس بالبخل.

إختلف المفسّرون في معنى المراد بالبخل في هذه الآية فقال بعضهم المراد به البخل بما أوجب الله عليهم من الحقوق في أموالهم و يأمرون النّاس به أيضاً و لا شكّ أنّ البخل مذمومٌ عقلاً و شرعاً.

و قال الأخرون نزلت الآية في اليهود الذين بخلوا بذكر صفة النّبي على مـا وجدوه في كتبهم و أمروا غيرهم أيضاً به.

أقول هذا حقِّ لا مرية فيه إلا أنّ البخل ظاهرٌ في البخل بالمال و العرف يفهم من اللّفظ هذا المعنى، و ما فعله قوم اليهود من عدم ذكر صفة النّبي فهو كتمان الحقّ و ليس منشأه البخل و كيف كان لا شكّ في ذمّ البخل و أقبح منه أمر الغير به أيضاً و الأيات و الأخبار في ذمّه كثيرة و قد مرّ الكلام فيه غير مرّة وكفى في ذمّه:

قال اللّه تعالى: وَ لَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا التَّهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَصْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَنَّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَـوْمَ ٱلْقِيْمَةِ وَ لِللّهِ مَيْراتُ ٱلسَّمُواٰتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرُ (١).

و قوله: وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَميدُ فالتولِّي الإعراض أي و من يعرض عمّا ذكره الله في ذمّ البخل في كتابه و خلفه فأنّ الَّله هـو الغنيُّ الحميد أي أنّ الله غنيٌّ عن جميع خلقه محمودٌ في جميع أفعاله هذا كلّه بناءً على التولِّي بإتَّصال الآية بما قبلها و أمَّا على الإنفصال و أنَّ الآية مستأنفة فجوابه قوله: ٱلَّذينَ يَبْخَلُونَ محذوف و تقديره الّذين يبخلون فهم يستّحقون العذاب و العقوبة و قيل جوابه جواب وَ مَنْ يَتُوَلُّ و اللَّه أعلم.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْمِيزَاٰنَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ ى بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا ٱلْحَديدَ فيهِ بَأْسٌ شَديدٌ وَ مَنْافِعٌ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ

اللَّام في قوله تعالى: لَقَدْ للقسم أقسم اللَّه تعالى في هذه الآية و قال: لَـقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ يعني الدّلائل و البراهين الواضحة الدّالة على صدق دعواهم من المعجزات و الكرامات و خوارق العادات و في هذا الكلام إشارة إلى أنّ الدّعوى بلا بينةٍ و برهان غير معقول و إلاّ يلزم قبول جميع الدّعاوي من على المدّعي و اليمين على من أنكر و هذه القاعدة عقليّة قبل أن تكون شرعيّة ثبت أنّ حكم الأمثال واحدٍ يعني أنّ هذه القاعدة تجري في جميع أعلاها لأنّه يدّعي أنّه مخبرٌ من اللّه تعالى و هـو أمرٌ عظيم كيف يعقل أن لا يكون له شاهد و بيَّنة يثبت مدّعاه و أنّه في قوله صادق و لذلك ما بعث اللّه نبيًّا و لا رسولاً الى خلقه إلا و جعل له من المعجزات و الكرامات ما أثبت مدّعاه إلاّ أنّ المعجزات على حسب مقتضيات الزّمان متفاوتة مختلفة كمّاً و كىفاً.

و إلى ما ذكرناه أشار الله تعالى بقوله: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ أَوَّلهم أَدْم و أَخرهم رسول الإسلام محمّد بن عبد الله وَ الله وَ الله الله وَ الله و اله

قال بعضهم هو العدل و قيل المراد به الميزان المحسوس المعروف بين الناس و هو ذوالكفّتين و الذي يخطر بالبال هو أنّ المراد به إمّا نفس الكتاب و عليه فالعطف تفسيريّ أي أنزلنا معهم الكتاب الّذي هو الميزان الفارق بين الحقّ و الباطل و إمّا المراد به السّنة أي سنة النبى من قوله و فعله و تقريره.

لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِالْقِسْطِ اللاّم للغاية و المعنى أنّ الغرض و المقصود الأصلي من بعث الرسل و إنزال الكتب هو أن يقوم النّاس بالقسط أي بالعدل و هو وضع الشّئ في محلّه و توضيح ذلك إجمالاً:

هو أنّ الله تعالى متّصفٌ بالعدل كما قال: شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لآ إِلَهَ إِلَّا هُـوَ وَ الْمُلاَئِكَةُ وَ أُولُو ٱلْعِلْم قَائِمًا بِالْقِسْطِ (١).

و العدل من أعلى الصّفات و أشرفها إذ به قامت السّماوات و الأرض أمر عباده به و قال: إَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَقْوٰى، و لمّا كان الإنسان أشرف الخلق و أفضله في كرة الأرض أراد أن يبسط العدل فيهم بلسان التّشريع لا بلسان التّكوين لأنّه تعالى جعله مختاراً في فعله و قوله فالحكمة إقتضت تشريع الأحكام و إرسال الرّسل لتبليغ أحكام اللّه و تبيين مواضعها للنّاس لأنّ المكلّف إذا لم يعرف موضع الحكم يضعه في غير موضعه و هو الظّلم لأنّه وضع الشّئ في غير محلّه فيتعيّن المحلّ ببركة الدّين و معرفة الدّين بوجود النبيّ فالعدل في الإجتماع لا يتحقق إلاّ ببركة الشّرع المقدّس و أمّا معرفة النبيّ فالعدل في الإجتماع لا يتحقق إلاّ ببركة الشّرع المقدّس و أمّا معرفة

أحكامها من ثمرات النّبوة و لأجل هذا جعل الله القسط في الآية من فروع الرّسالة ثمّ إنّ نفع القسط يعود إلى الخلق لا إلى الحقّ.

و قوله: وَ أَنْزَلْنَا ٱلْحَديدَ فيهِ بَأْسٌ شَديدٌ وَ مَنْافِعُ لِلنَّاسِ إحتلف المفسّرون في معنى إنزال الحديد على أقوال لا تليق بالذّكر و لا يقبلها العقل السَّليم و لذلك أعرضنا عن نقل الأقوال مثل ما رووه عن إبن عبَّاس أنَّه قال ثلاثة أشياء نزلت مع أدم الطُّلْإِ الحجر الأسود و كان اشدُّ بياضاً من الثُّلج و عصا موسى و كانت من اى الجنَّة طولها عشرة أذرع مع طول موسى و الحديد أنزل معه ثلاثة أشياء، السَّندان و الكلبتان و الميقعة و المطرقة و الإبرة، نقله القرطبي في تفسيره عن القشيري و امثال هذه الرّواية كثيرة في تفاسيرهم و الَّذي نختاره في المقام تبعاً لبعض المحقِّقين من أصحابنا هو انَّ الإنزال من اللَّه تعالى تارةً يكون من السّماء كإنزال المطرو تارةً يكون في الأرض كقوله تعالى: وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْأَنْعَام ثَمَانِيَةَ أَزُواج (١) و ما نحن فيه من هذا القبيل و الإنزال إذا كان في الأرض فمعناه الإنشاء و الخلق أي خلقنا لكم من الأنعام كذلك.

و خلقنا الحديد و أنشأناه فهو من الأرض غير منزل من السّماء و قوله: فيم بَأْسٌ شَديدٌ إشارة إلى صلابته و إستحكامه و مَنافِعٌ لِلنَّاسِ و فيه منافع للنَّاس و منافع الحديد ممَّا لا يخفي على أحدٍ و لا سيَّما في زماننا هذا و الحقّ أنّ منافعه في هذا الزّمان خارج عن حدّ الإحصاء.

وَ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ أَي ليميز اللَّه من ينصر دينه و ينصر رسله عمَّن ليس كذلك و قوله بالغيب أي في حال غيبته منهم أو غيبتهم منه، و قيل معناه ينصر اللّه و رسله ظاهراً و باطناً ثمّ ختم الآية بـقوله: إنَّ ٱللَّهَ قَويٌّ عَزيزٌ أي قادر على كلّ مقدرو و لا يقدر أحدٌ على قهره على منعه.





وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْراٰهِيمَ وَ جَعَلْنَا فَي ذُرِّ يَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَ ٱلْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

قَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ من، للتَبعيض، أي بعض الذَّرية كانوا على طريق الحقّ و بعضٌ أخر كانوا فاسقين معرضين عن الحقّ.

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى الْثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَ اٰتَيْنَاهُ ٱلْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَ رَحْمَةً وَ رَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَ بْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآ ءَرِضُواٰنِ ٱللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَاٰتَيْنَا ٱلَّذِينَ اٰمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

التَّقفية جعل الشَّئِ في أثر الشَّئِ على الإستمرار فيه و لهذا قيل لقاطع الشَّعر قوافي إذا كانت تتبع البيت على أثره مستّمرة في غيره على منهاجه فقوله تعالى: ثُمَّ قَفَّيْنا عَلٰى أثارِهِمْ بِرُسُلِنا معناه أرسلنا رسولاً بعد رسول إلى أن وصلت النوبة إلى المسيح كما قال: و قَفَّيْنا بِعيسَى آبْنِ مَرْيَمَ و أَتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ أي أتبعناهم بعيسى بن مريم يعني جعلنا عيسى إبن مريم بعدهم وأتيناه الإنجيل، وهو الكتابِ الذي أنزل على عيسى عليه السّلام.

وَ جَعَلْنَا في قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ واقعاً لاظّاهراً كالمنافق رَأَفَةً وَ رَحْمَةً الرَّ أَفَة بفتح الرَّاء الشَّفقة قيل معنى جعلنا خلقنا أي خلقنا في قلوب أتباعه و هم الحواريُّون شفقةً و رحمةً، و قيل معناه الأمر به و الترغيب فيه، و قيل هذا

إشارة إلى أنَّهم أمروا في الإنجيل بالصُّلح و ترك إيذاء النَّاس و الان اللَّه قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الّذين قست قلوبهم و حرّفوا الكلم عن مواضعه و قيل الرَّأفة اللِّين و الرَّحمة الشَّفقة و الأمر سهل.

دلّت الآية على أنّ النّصاري أعنى الحواريّين منهم أشفق و أرحم و ألين قلباً من اليهود و هو كذلك كما نراهم في زماننا هذا فأنَّ اليهود في عصرنا هذا من أذلً الأقوام و ليس هـذا إلاّ لظـلمهم و قسـاوة قـلوبهم و حقدهم و عـنادهم و بخلهم و بالجملة جميع الصّفات المذمومة موجودةٌ فيهم لا رحم له على أبناء جنسهم و لا شفقة و لا إنصاف كأنّهم لم يفهموا معنى العدالة أصلاً و لذلك ضربت عليهم الذَّلة و المسكنة و صاروا متشرّدين متَّفرقين تفّرق أيادي صبا في كرة الأرض لا حكومة لهم و لا زعامة فهم مقهورون مغلوبون مطرودون و قد لعنهم الله تعالى في كتابه غير مرّةٍ و هذا بخلاف النّصاري فأنّ زعامة الملل و رئاسة الدُّنيا لهم:

قال الله تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ امْنُوا الْيَهُودَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ أَمَنُوا ٱلَّذِينَ قَالُوۤا إِنَّا نَصْارى ذٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَ رُهْبِانًا وَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۖ ۖ .

وقوله: وَ رَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَاكَتَ بْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رضُواْن ٱللَّهِ إشارة أو إخبارٌ من اللَّه أنَّ الرُّهبانيَّة في النَّصاري كانت من مبتدعات أنفسهم ولم يأمرهم الله بها و الذِّي أمرهم به هو إبتغاء مرضات اللَّه لا الرُّهبانية التّي ليست بمرضيّةٍ له تعالى أصلاً في جميع الأديان، و الرُّهبانيّة هي الخصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرُّهبة أمّا في لبسه أو إنفراده عن الجماعة أو غير ذلك من الأمور التّي يظهر فيها نسك صاحبها، و لذلك قال رسول اللّه وَاللَّهِ عَلَيْهِ لَا

رهبانيّة في الإسلام، و السِّر في ذلك أنّ الإنسان مدّنيّ بالطَّبع فالرُّهبانيّة على خلاف طبيعة البشر و للبحث في هذا الباب مقام أخر.

قَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا أي مع أنّهم إبتدعوا الرُّهبانيّة من عند أنفسهم و سمُّوها عبادةٌ خالصة لله بزعمهم، ما قاموا بها حقّ القيام و أنّما كان قصدهم من التّرهيب طلب الرّناسة و أكل أموالهم، كما أخبر الله تعالى عنهم:

قال الله تعالى: يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ امْنُوٓا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ اَلْأَحْبَارِ وَ اَلرُّهْ بَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمُوالَ اَلنَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اَللَّهِ (١).

قال اللّه تعالى: أِتَّخَذُوٓا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْبابًا مِنْ دُونِ ٱللّهِ (٢).

و قال بعض المفسّرين معنى الكلام، إبتدعوها الصّالحون فما رعوها المتأخرون حقّ رعايتها و لذلك قال تعالى: فَأْتَيْنَا ٱلَّذِينَ أُمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ و الذين أمنوا منهم هم الصّالحون.

يٰآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ أَمَنُوا ٱتَّقُوا ٱلله بفعل الواجبات و ترك المعاصي وَ أَمِنُوا يَرَسُولِهِ و صدَّقوه في أقواله و أفعاله يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ أي مثلين و الكفل بكسر الكاف المثل مِنْ رَحْمَتِه التِّي وسعت كلّ شيْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ الكاف المثل مِنْ رَحْمَتِه التِّي وسعت كلّ شيْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِه يوم القيامة وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذنوبكم وَ ٱلله عَفُورٌ رَحيمٌ اى ستار عليكم رحيمٌ.

لِئَلًا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ وَ أَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشْآءُ وَ ٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظيم

لا، في لئلاً، زائدة و المعنى ليعلم أهل الكتاب الذين يتشبّهون بالمؤمنين أنهم لا يقدرون على شئ من فضل الله و (أن)، هي المخفّفة من الثقيلة و قيل معناه ليعلم أهل الكتاب الذين حسدوا على المؤمنين بما وعدوا، أنّهم لا يقدرون على شئ من فضل الله فيصرفوا النّبوة عن محمّد إلى من يحبّونه

و(لا) في لئلاً، صلة و توكيد و ليست بزائدة و الله ذو الفضل العظيم فأن الفضل بيده فيعطي من يشاء و يمنع من يشاء على كلّ شيٍّ قدير هذا تمام الكلام في تفسير الجزء السّابع و العشرين و يتلوه الجزء الثّامن و العشرون، و الحمد لله ربّ العالمين.

ضياء الفرقان في تفسير القرآن



الفهرست

	سورة ٱلْأَحْقَاف
	الآيات ١ المي ١٤٩
	اللّغةاللّغة
	الإعراب
	التَّفسير
	الأيات ۱۷ الى ۳۵
ئے. ا	اللّغة
لفرقان فو	الإعراب
ضياء الفرقان فى تفسير القرآز	التّفسير
القرآن	•
\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\\	سُورَةُ مُحَمَّدٍ
	سوره محمدٍ
المجلد السادس عشر	الأيات ا الى ١٧
ى س	اللّغة
,	الإعراب
	التّفسير

الآيات ۱۸ الى ۳۸	
اللّغة	
الإعراب	
التّفسير	
•	
سُورَةُ ٱلْقَتْحِ	
,	
الأيات ١ الى ١٤	
اللّغة	
الإعرابا	
التّفسير	
الأيات ١٧ الى ٢٩	
اللُّغة	
الإعرابا	ناء خيا
التّفسيرالتّفسير	قان في
•	, d
	القرآن
سُورَةُ ٱلْحُجُراتِ	_^_
	ىز ۽ ۲۷
اللغة اللغة الإعراب الاعراب التفسير ا	
اللّغة	جلدال
الإعرابا	ادس عثا
التّف	1,

سُورَةُ ٱلنَّجْمِ	
الأيات ١ الى ٣٠	
اللّغة	
الإعرابالاعراب	
التَّفسير	
الأيات ٣١١لى ٤٢	
اللّغة	
الإعرابالإعراب.	е.
التَّفسير	ياء الفرقان فى
سُورَةُ ٱلْقَمَرِ	ان فی تفسیر القرآن کے
الأيات ١ الى ٥٥ ٣١٩ اللّغة	ر۲۷: کمار السادس العجلد السادس
الإعرابالإعرابالإعرابالاتفسير	ن عثير

	٣۴۵	سُورَةُ ٱلرَّحْمٰنِ
	٣٤٥	لأيات ١ الى ٤٥
	٣٤٧	اللُّغة
	TFA	الأعراب
	TFA	التَّفسير
	٣٧٢	لآيات ۴۶ الي ۷۸
	TVT	اللُّغة
	٣٧٣	
	۳۷۴	
.9	۳۸۱	سُورَةُ ٱلْواٰقِعَهِ
ضياء القرقان في تفسير	٣٨١	آیات ۱ الی ۹۶
اراً ع	٣٨٤	اللُّغة
ِ القرآن	۳۸۶	الإعراب
ر نز ۲۷	TAS	التَّفسير
ک المجلد السادس عشر	414	ىُورَةُ اَلْحَدِيدِ
ૌ	* 19	آیات ۱ الی ۱۵
	¥Y1	اللّغة

471			•				 													 					٠.	<u> </u>	را	(ء	الا				
477	٠.						 																			بر		تُف	ال				
441																											_			ن ن	ار	ڏي	11
444							 													 							ā	لَغ	JI				
444							 						 							 					٠.	ب	برا	(ء	ĮI				
440	١.												 							 		 				,		تُف	JI				

